٨١١١ر٥ المنح المكية في شرح الهمزية للبوصيري، تأليف ابن حجر

م٠ح الهيتمي ، أحمد بن محمد ـ ٩٧٤هـ. كتبت في القرن

الثاني عشر الهجري تقديرا.

٢٤٢ ق ١٩ س ٢١x١٦سم

٧٠١٨ نسخة حسنة، بأولها وآخرها نقص، خطها نسخ

معتاد، طبع سنة ١٣٠٧هـ.

الأعلام ١: ٢٢٣ كشف الظنون ٢: ١٣٤٩

١١٤٢٧/١

١ـ الشعر، العصر التركي والمملوكي، أدب

١٤٤٠/١١/١٧

اللغة العربية أ ـ المؤلف ب ـ تاريخ النسخ

جـ ـ شرح الهمـــــــــزية د ـ شرح أم القرى في مدح خير


٧٠١٨

رقم
٢٨

١ حاشية الدواني في علم المنطق

٢ شرح السلم في المنطق للشيخ حسن القويسني

٣ متن التهذيب في فن المنطق للتفتازاني سنة ١٢٠١

٤ حاشية الشيخ مصطفى البولاقي على القويسني على متن السلم للأخضري بخط ابراهيم مراد

بنا ذه صح الفلوب اذ ابى ويخسور
فكـ لـه فلبي احبك واللهيب خبير
مصرحا بالنهو فحر عادلا وجسـ
حرارة فاصرخ بفولك فالسميع بصير
ـنـه للعالمين مبشرا ونذيـ
واد طفلتي ولا تشهرن صبابتي فتشهيـ
سوارم لا تعجبن وتخبرن فتخبيـ
فرة فيه المحاسن صورت فصوير
وامه حزر فرينك حزن فحزيـ
اى في عزل وما بعد النصيـ
قوله عيبا وجفرا والعسوف حسير
تغره بشر عزولي بشن تبشيـ
افة صحة لربي وشهرت تشـ
نه جاف الملاح حلاوة وعبيـ
عج ؛ ما لاح نجم كالسراج منيـ
خلبه ؛ وكهى بربك حاو

السابع ٤٢٧

فنهاهم

والتسوية في الثاني ويسمى منهما متصلة لان ما قبلها وما بعدها
لا يستغني باحدهما عن الاخر ومقابلها المنقطعة وهي ثلاثة اقسام
مبسوطة في محلها هو الاعما الذي هو من بعض الامراض العادية
ومن ثم جاز على الانبياء دون الجنون فبسبب ازالتها الخمار
عن راسها اختفى عند كشفها الراس مفعول كشف المضاف
لفاعله جبريل فما عاد او اعيد الغطا اى الى ان اعادت غطا
راسها فاعيد ماض مبني للمفعول والغطا نايب الفاعل ووقع
للشارح هنا انه قال واعيد منصوب بان مضمرة بعد او التي
تصلح موضعها حتى والغطا فاعل اعيد انتهى وهو سهو عجيب
لما تقرر ان اعيد ماض الخ وكان هذا الوهم سرى اليه مما صرح
به كلام النحاة ان او غير العاطفة التي بمعنى الى ان لا تدخل الا على
مضارع كما في حتى الغائية المرادفة لا و المذكورة كما صرحوا به
فاضطره ذلك الى ما ذكره غفلة عن ان اعيد ماض لكن كان عليه
ان يقول وقول الناظم اعيد صوابه يعاد ويذكر ما اشرت اليه واما
كونه يبقى اعيد على حاله ويجعله منصوبا باو فهو جلي الفساد لا يقال
هو ماض لفظا مستقبل معنى فليجز دخول او الناصبة عليه لما
صرحوا به في حتى المرادفة ان شرط النصب بعدها ان يكون الفعل
مستقبلا او ماضيا في حكم المستقبل نحو سرت حتى ادخل
المدينة فهذا يؤول بالمستقبل نظرا الى انه غاية لما قبل

شرح الشيخ رشدي على القصيدة البردة

حتى فهو مستقبل بالاضافة اليه لانا نقول معنى قولهم او ماضيا فى حكم
المستقبل ان لفظه لفظ المضارع ومعناه ماض فكان قضية القياس
ان لا تدخل عليه حتى الغائية فاجابوا بان ما فيه من المضى جاء ول
بالاستقبال نظرا الى انه غاية كما تقرر واما ما لفظه ماض فلا تدخل
عليه حتى الغائية اصلا فان قلت كيف هذا مع قوله تعالى حتى
اتاهم نصرنا حتى عفوا حتى جاءهم العلم وفى البخارى حتى فجئه الحق وهو
فى غار حرا قلت حتى هنا ابتدائية لا غائية واو الناصبة انما
تكون بمعنى حتى الغائية لا غير وقد صرح بذلك الائمة ولخصه الجلال
السيوطى فى شرح جمع الجوامع له حيث قال ما ملخصه ان حتى الابتدائية
يليها الجملتان الاسمية والمضارعية والماضوية والمصدرة
بشرط واما زعم ابن مالك انها جارة غائية قبل الفعل الماضى باضمار
ان بعدها على تاويل المصدر فغلطه فيه ابو حيان وتبعه ابن
هشام فقال لا اعرف له فى ذلك سلفا وفيه تكلف اضمار من غير
ضرورة وردوا زعمه هو والاخفش انها جارة قبل اذا وان اذا
فى موضع جر بها بانه خلاف ما عليه الجمهور انها ابتدائية واذا فى
موضع نصب بشرطها او جوابها ثم قال الجلال قال بعض شيوخنا
ضابط حتى انها اذا وقع بعدها اسم مفرد مجرورا ومضارع منصوب
فحرف جر او اسم مرفوع او منصوب فحرف عطف او جملة اى ما
ضوبه فحرف ابتدا ولا محل لهذه الجملة انتهى وهذا كله صريح كما

يرى

يرى فى ان كل جملة ماضوية دخلت عليها حتى فى القران او غيره يكون حتى
ح ابتدائيه ولا تكون جاره بمعنى الى ان وان صح المعنى لما مر ان ذلك
يحتاج لتقدير ما لا حاجة اليه واذا تقرر ان حتى الغائية لا تدخل
على الماضى فاو التى بمعناها اولى فان قلت لم قست او على حتى
الغائية فى منع دخولها على الماضى ولم تقسها على الى ان او الا ان اللذين
بمعناها قلت اما كونها بمعنى الا ان فهو ما ذكره ابن مالك وقد
رد عليه حتى ولده ومن ثم قال ابو حيان قد اغنانا ولده عن الرد
عليه وعلى التنزل فالا ان لا تدخل على الماضى الا عند قوم بشرط ان
يتقدمه فعل او قد كما هو مقرر فى محله واما كونها بمعنى الى ان فوجهه
ان حتى انما امتنع دخولها على الماضى لكونها غائية كما مر مبسوطا وهذا
المعنى موجود فى الى ان وهذه تدخل على الماضى كما فى الحديث قام الى ان
تورمت قدماه فلتكن او كذلك قلت هذا اشتباه لان ان المتضمنة
فى او هى الناصبة وهى خاصة بالمضارع فلم يتصور دخول او المتضمنة
لها على الماضى واما ان الملفوظ بها بعد الى فهى التى لا يتصور لها
عمل وهى تدخل على الماضى فلا جامع بين هذه وتلك فان قلت
بعضهم يقدرها بالى ان وبعضهم يقدرها بالى فقط وهذا يدل
على ان ان لا نظر اليها قلت لا يدل لذلك بوجه وانما سبب
ذلك انهم اختلفوا فى ناصب المضارع الداخل عليه او فالاصح
انه ان مقدرة بعدها وقال قوم هى الناصبة نفسها فعلى الاول

الى بطريق الاصالة فلم يمتنع
دخولها على الماضى بنص كلامهم
وان قلت
لا بطريق التضمين
تقرر ان او بمعنى صح

تعدد بالى ان وعلى الثانى بالى فقط فان قلت قد ادخل الناظم او على الماضى
فى موضع من البرده وسكت عليه شراحها قلت لا اعتراض عليه فى ذلك
ايضا و اما الشراح فيحتمل انهم انما سكتوا على ذلك نظرا للمعنى او انهم
غفلوا عما ذكرته من صريح كلامهم الدال على ان او الناصبة لا تدخل
على الماضى ثم رايت شارحها العلامه ابن مرزوق تنبه لما ذكرته
فقال لما ادخلت البطاح بها ان او عاطفه ثم جعلها بمعنى الواو او بل او
ابقاها على حالها للشك او التخيير وتكلف بيان ذلك فلم يعرج على انها
او الغائية بوجه وليس ترك ذلك الا امتناع دخولها على الماضى و الا
كان معنى الغائية فى البيت اقرب مما تكلفه ولا يأتى نظير ما تكلفه هنا
بوجه و الا لبادرت اليه ومما يصرح بذلك ايضا ان النحاة لم يذكروا لاو
الا قسمين عاطفة وناصبة وهى الغائية فالعاطفة امرها واضح
ولا كلام فيها والناصبة تختص بالمضارع فمن اثبت لها قسما ثالثا
وهو دخولها على الماضى ولا تكون للعطف فعليه البيان ولا تجد
ذلك كما دل عليه كثرة البحث و التتبع فتامل ذلك كله فانه نفيس مهم
غفل عنه الناظم وغيره **فاستبانت خديجة** قيل صرفها للضرورة
و يرد بانها باقية على عدم صرفها و الوزن صحيح اى ظهر لها اتم
الظهور لانها علمت من ابن عمها ورقة الاتى ومن غيره ان جبريل
لا ياتى محلا فيه امراة مكشوفة الراس **انه** اى ما يعرض للنبى صلى الله
عليه وسلم الذى طلبت الوقوف على عين اليقين فيه **الكنز** اى الشى النفيس

بل الذى لا انفس منه **الذى حاولته** اى ارادت حيازته و الظفر به **و انه**
الكيميا اى العلم البديع الذى يقلب الاعيان الردية الى الاعيان
النفيسة و استعار الكنز و هو المال المدفون و الكيميا و هو العلم
المعروف للوحى لانهما يحصل الذخاير النفيسة المنتفع بها حالا ومالا
كما ان الوحى كذلك و ايضا هما لا يظفر بهما الا الفذ النادر كما ان
الوحى لا يظفر به الا اكمل البشر وهم فى غاية الندرة والقلة بالنسبة
لبقية الناس و اشار بذكر ما وقع لخديجة الى سبب ذلك وهو قصة
ابتدا بعثته صلى الله عليه وسلم وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم لما بلغ اربعين
سنة وقيل وكسرا بعثه الله يوم الاثنين كما فى خبر مسلم لسبع عشرة
من رمضان وقيل من ثمان من ربيع الاول وقيل كان فى رجب رحمة
للعالمين ورسولا الى كافة الخلق اجمعين كما قال صلى الله عليه وسلم
و ارسلت الى الخلق كافة روى البخارى وغيره اول ما بدى به صلى الله
عليه وسلم من الوحى الرويا الصادقة فكان لا يرى رويا الا جات مثل
فلق الصبح و ابتدى بها لان الملك لو جاه بغتة لم تحتمله قوام البشرية
وكان ياتى حرا فيتعبد فيه الليالى الكثيرة ثم يرجع الى خديجة
فيتزود لمثلها حتى فجاه الحق اى جاه جبريل وهو بغار
حرا فقال له اقرا قال ما انا بقارى اى ما الذى اقرا وقاله
اخبارا بالواقع فغطه ثم ارسله كذلك وقال له اقرا قال ما انا
بقارى اى ما الذى اقراه فغطه و ارسله كذلك وحكمة الغط

ثم تكريره مزيد التاهل الى لقا الملك لما بين البشرية والملكية من
التباين ثم الى التلقي منه ثم قال اقرا باسم ربك حتى بلغ ما لم يعلم
فرجع بها يرجف فواده حتى دخل على خديجة فقال زملوني زملوني
فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال يا خديجة ما لي واخبرها الخبر ثم
قال قد خشيت على نفسي اي قبل ان يحصل لي العلم الضروري بان
الجائي جبريل وخشيت ان لا اقدر على حمل اعباء الرسالة او ان يقتلني
قومي ولا بدع فانه بشر فقالت له كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله
ابدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري الضيف
وتعين على نوايب الحق ثم انطلقت به الى ابن عمها ورقة وكان
شيخا كبيرا قد عمي وهو ممن تنصر من العرب وعرف الانجيل فقالت
له اسمع من ابن اخيك فاخبره صلى الله عليه وسلم ما راى فقال هذا
الناموس الذي انزل على موسى يا ليتني فيها اي في مدتك جذعا اي
شابا بالغا في نصرتك اذ يخرجك قومك قال او مخرجي هم قال نعم
لم يات رجل قط بما جيت به الا عودي وان يدركني يومك انصرك
نصرا موزرا ثم لم ينشب ورقة ان توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وتكرر ذهابه الى رؤس شواهق الجبال ليرمي
نفسه فيبرز له جبريل ويقول يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن
لذلك جاشه واخرج الشيخان وغيرهما انه صلى الله عليه وسلم
قال جاورت بحرا شهرا اي لا لطلب النبوة فانها موهبة لا تنال

ما بين نزول ...

بكسب

٤

بكسب الله اعلم حيث يجعل رسالاته فلما قضيت جواري هبطت فنوديت
فنظرت فلم ار شيا فرفعت راسي فرايت شيا لم اثبت له فاتيت خديجة
فقلت دثروني دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزلت يا ايها المدثر
الاية وهذا بعد نزول اقرا بل وبعد فترة الوحي اذ اول ما نزل اقرا
على الاصح بل الصواب وصح عن الشعبي انه قال نزلت عليه صلى
الله عليه وسلم النبوة وهو ابن اربعين سنة فقرن بنبوته اسرافيل فنزل
ثلاث سنين فكان يعلمه الكلمة والشي ولم ينزل عليه القران على
لسانه فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل فنزل عليه القران
على لسانه عشرين سنة وحكمة الفترة ذهاب الروع الذي وجده
صلى الله عليه وسلم ومزيد تهييجه الى الاشتياق للعود وروى اصحاب
السير انه صلى الله عليه وسلم لما اخبر خديجة الخبر قالت له اتستطيع
ان تخبرني بهذا الذي ياتيك اذا جاءك قال نعم فلما جاءه جبريل
اخبرها به فقالت اجلس على فخذي الايسر ففعل فقالت اتراه قال له اجلس صح
نعم فقالت فعلى الايمن ففعل فقالت اتراه قال نعم قالت
فاجلس في حجري ففعل فقالت اتراه قال نعم فالقت خمارها ثم
قالت اتراه قال لا قالت اثبت وابشر فوالله انه لملك ما هذا
شيطان ثم بعد تلك الفترة ونزول قوله تعالى يا ايها المدثر قم
فانذر بادر صلى الله عليه وسلم الى امتثال ذلك فحينيذ قام النبي
اي جد واجتهد في حال كونه يدعو الى عبادة الله والايمان به

وبرسوله وترك ما هم عليه من عبادة الاصنام والاوثان وذلك
لان اول ما وجب عليه صلى الله عليه وسلم الانذار والدعا الى
التوحيد ثم فرض الله من قيام الليل ما ذكره فى اول سورة المزمل
ثم نسخه بما فى اخرها ثم نسخه بايجاب الصلوات الخمس ليلة الاسرا
بمكة قاله النووي وقال فى فتح البارى كان صلى الله عليه وسلم
قبل الاسرا يصلى قطعا وكذلك اصحابه لكن اختلف هل افترض قبل
الخمس صلاة ام لا فقيل ان الفرض صلاة قبل طلوع الشمس وقبل
غروبها لقوله تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب
وروى ان جبريل بدا له صلى الله عليه وسلم فى احسن صورة واطيب رائحة
فقال يا محمد ان الله يقريك السلام ويقول لك انت رسول الى
الجن والانس فادعهم الى قول لا اله الا الله ثم ضرب برجله الارض
فنبعت عين ما فتوضا منها جبريل ثم امره ان يتوضا وقام جبريل يصلى
جبريل يصلى وامره ان يصلى معه فعلمه الوضو والصلاة ثم عرج
الى السماء ورجع صلى الله عليه وسلم لا يمر بحجر ولا مدر ولا شجر الا
وهو يقول السلام عليك يا رسول الله حتى اتى خديجة فاخبرها
فغشي عليها من الفرح ثم امرها فتوضات وصلى بها كما صلى به جبريل
فكان ذلك اول فرضها ركعتين الحديث **وهى** للحال **فى** اهل
الكفر نجدة اى قوة تامة وتحزب عليه **واباً** اى امتناع عن اتباع
رسول الله صلى الله عليه وسلم والايمان به **امما** مفعول يدعو

اى امتناع عن اتباع جماعات هم امة الدعوة **اشربت** بالبنا للمفعول
قلوبهم الكفر اى اختلطت به بتقدير تجسمه وتمكن فيها حبه حتى
صارت لا تقبل غيره ولا يلتفت اليه لامتزاجها به امتزاج المشروب
بها فاستعار لفظ الشرب للمخالطة وشدة الممازجة وحينئذ
فدا الضلال الذى استقر **فيهم** اى مرضه او الاضافة بيانية اى
فالدا الذى استقر فيهم وهو الكفر داء اعيى الاطباء مداواته وحصول
شفائه ولما قام صلى الله عليه وسلم يدعوا الى الله دخل فى الاسلام رجال
ونسا حتى كمل السابقون الاولون واولهم على الاطلاق خديجة
ثم من الرجال ابو بكر ومن الصبيان على وصح اسلامه مع صباه
لان الاحكام اذ ذاك كانت منوطة بالتمييز ومن الموالى زيد ومن الارقا
بلال وروى ان ورقة اسلم فان صح كان اول من اسلم من الرجال وبهذا
يجتمع الاقوال المتباينة فى اول من اسلم ثم دخل الناس فى الاسلام
ارسالا وكان صلى الله عليه وسلم مخفيا امره الى ان امره الله باظهار
امره بقوله تعالى فاصدع بما تومر فقالوا وكان ذلك بعد النبوة
بثلاث سنين ولم يبعد منه قومه ولا ردوا عليه حتى عاب الهتهم
سنة اربع من النبوة فاجمعوا على عداوته الا من عصمه الله بالاسلام
او صدق المحبة كابى طالب فانه حدب عليه ومنعه وقام دونه فاشتد
الامر وتضارب القوم وتوامرت قريش على من اسلم منهم يعذبونهم
ومنع الله رسوله منهم بعمه ابى طالب وبنى هاشم غير ابى لهب فان رسول الله

ثم تكريره مزيد التاهل الى لقا الملك لما بين البشرية والملكية من
التباين تم الى التلقي منه ثم قال اقرا باسم ربك حتى بلغ ما لم يعلم
فرجع بها يرجف فواده حتى دخل على خديجة فقال زملوني زملوني
فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال يا خديجة ما لي واخبرها الخبر ثم
قال قد خشيت على نفسي اي قبل ان يحصل لي العلم الضروري بان
الجائي جبريل او خشيت ان لا اقدر على حمل اعباء الرسالة او ان يقتلني
قومي ولا بدع فانه بشر فقالت له كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله
ابدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري الضيف
وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت به الى ابن عمها ورقة وكان
شيخا كبيرا قد عمي وهو ممن تنصر من العرب وعرف الانجيل فقالت
له اسمع من ابن اخيك فاخبره صلى الله عليه وسلم ما راى فقال هذا
الناموس الذي انزل على موسى يا ليتني فيها اي في مدتك جذعا اي
شابا لا بالغ في نصرتك اذ يخرجك قومك قال او مخرجي هم قال نعم
لم يات رجل قط بما جيت به الا عودي وان يدركني يومك انصرك
نصرا موزرا ثم لم ينشب ورقة ان توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وتكرر ذهابه الى رؤس شواهق الجبال ليرمي
نفسه فيبرز له جبريل ويقول يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن
لذلك جاشه واخرج الشيخان وغيرهما انه صلى الله عليه وسلم
قال جاورت بحرا شهرا اي لا لطلب النبوة فانها موهبة لا تنال

ثم بعد نزول يا ايها المدثر

بكسب

٤

بكسب الله اعلم حيث يجعل رسالاته فلما قضيت جواري هبطت فنوديت
فنظرت فلم ار شيا فرفعت راسي فرايت شيا لم اثبت له فاتيت خديجة
فقلت دثروني دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزلت يا ايها المدثر
الاية وهذا بعد نزول اقرا بل وبعد فترة الوحي اذ اول ما نزل اقرا
على الاصح بل الصواب وصح عن الشعبي انه قال نزلت عليه صلى
الله عليه وسلم النبوة وهو ابن اربعين سنة فقرن بنبوته اسرافيل
ثلاث سنين فكان يعلمه الكلمة والشي ولم ينزل عليه القران على
لسانه فلما مضت ثلاث سنين فقرن بنبوته جبريل فنزل عليه القران
على لسانه عشرين سنة وحكمة الفترة ذهاب الروع الذي وجده
صلى الله عليه وسلم ومزيد تهييجه الى الاشتياق للعود وروى اصحاب
السير انه صلى الله عليه وسلم لما اخبر خديجة الخبر قالت له اتستطيع
ان تخبرني بهذا الذي ياتيك اذا جاءك قال نعم فلما جاءه جبريل
اخبرها به فقالت له اجلس على فخذي الايسر ففعل فقالت اتراه قال
نعم فقالت فعلى الايمن ففعل فقالت اتراه قال نعم قالت
فاجلس في حجري ففعل فقالت اتراه قال نعم فالقت خمارها ثم
قالت اتراه قال لا قالت اثبت وابشر فوالله انه لملك ما هذا
شيطان ثم بعد تلك الفترة ونزول قوله تعالى يا ايها المدثر قم
فانذر بادر صلى الله عليه وسلم الى امتثال ذلك فحينئذ قام النبي
اي جد واجتهد في حال كونه يدعو الى عبادة الله والايمان به

وبرسوله وترك ما هم عليه من عبادة الاصنام والاوثان وذلك
لان اول ما وجب عليه صلى الله عليه وسلم الانذار والدعا الى
التوحيد ثم فرض الله من قيام الليل ما ذكره فى اول سورة المزمل
ثم نسخه بما فى اخرها ثم نسخه بايجاب الصلوات الخمس ليلة الاسرا
بمكة قاله النووي وقال فى فتح البارى كان صلى الله عليه وسلم
قبل الاسرا يصلى قطعا وكذلك اصحابه لكن اختلف هل افترض قبل
الخمس صلاة ام لا فقيل ان الفرض صلاة قبل طلوع الشمس وقبل
غروبها لقوله تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب
وروى ان جبريل بدا له صلى الله عليه وسلم فى احسن صورة واطيب رائحة
فقال يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول لك انت رسول الى
الجن والانس فادعهم الى قول لا اله الا الله ثم ضرب برجله الارض
فنبعت عين ماء فتوضا منها جبريل ثم امره ان يتوضا وقام جبريل يصلى
وامره ان يصلى معه فعلمه الوضوء والصلاة ثم عرج
الى السماء ورجع صلى الله عليه وسلم لا يمر بحجر ولا مدر ولا شجر الا
وهو يقول السلام عليك يا رسول الله حتى اتى خديجة فاخبرها
فغشى عليها من الفرح ثم امرها فتوضات وصلى بها كما صلى به جبريل
فكان ذلك اول فرضها ركعتين الحديث **و**هى بالحال **فى** اهل
الكفر نجدة اى قوة تامة وتحزب عليه **وابا** اى امتناع عن اتباع
رسول الله صلى الله عليه وسلم والايمان به **امما** مفعول يدعو

اي

اي امتناع عن اتباع جماعات هم امة الدعوة **اشربت** بالبنا للمفعول
قلوبهم الكفر اى اختلطت به بتقدير بحتمه وتمكن فيها حبه حتى
صارت لا تقبل غيره ولا يلتفت اليه لامتزاجها به امتزاج المشروب
بها فاستعار لفظ الشرب للمخالطة وشدة الممازجة وحينئذ
فدا الضلال الذى استقر **فيهم** اى مرضه او الاضافة بيانية اي
فالدا الذى استقر فيهم وهو الكفر داء اعيى الاطباء مداواته وحصول
شفائه ولما قام صلى الله عليه وسلم يدعو الى الله دخل فى الاسلام رجال
ونسا حتى كمل السابقون الاولون واولهم على الاطلاق خديجة
ثم من الرجال ابو بكر ومن الصبيان على وصح اسلامه مع صباه
لان الاحكام اذ ذاك كانت منوطة بالتمييز ومن الموالى زيد ومن الارقا
بلال وروى ان ورقة اسلم فان صح كان اول من اسلم من الرجال ولهذا
تجتمع الاقوال المتباينة فى اول من اسلم ثم دخل الناس فى الاسلام
ارسالا وكان صلى الله عليه وسلم مخفيا امره الى ان امره الله باظهار
امره بقوله تعالى فاصدع بما تؤمر فالوا وكان ذلك بعد النبوة
بثلاث سنين ولم يبعد منه قومه ولا ردوا عليه حتى عاب الهتهم
سنة اربع من النبوة فاجمعوا على عداوته الا من عصمه الله بالاسلام
او صدق المحبة كابى طالب فانه حدب عليه ومنعه وقام دونه فاشتد
الامر وتضارب القوم وتوامرت قريش على من اسلم منهم يعذبونهم
ومنع الله رسوله منهم بعمه ابى طالب وبنى هاشم غير ابى لهب فان رسول الله

صلى الله عليه وسلم كان يطوف على الناس فى منازلهم يقول اعبدوا الله ولا
تشركوا به شيا وابو لهب وراءه يحذر منه ويرموه بالسحر والشعر والكهانة
والجنون وكان بعضهم يحثوه بالتراب ويجعل الدم على بابه ووطئ
عقبة بن ابى معيط على عنقه وهو ساجد عند باب الكعبة حتى كادت
عيناه تبرزان وخنقوه خنقا شديدا وجذبوا راسه ولحيته حتى
سقط اكثر شعره فقام ابو بكر ومنعه منهم ثم اسلم عمه حمزة رضى
الله عنه سنة ست من النبوة فعز به وكفت عنه قريش قليلا وسالوه
ان يملكوه عليهم ويبذلوا له من الاموال ما شاء ويترك ما هو
فيه فابى وقال اصبر لامر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم وفى سنة خمس
اذن الله لاصحابه فى الهجرة الى الحبشة فكان اول لهم عثمان مع زوجته
رقيه بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلم عمر بعد حمزة رضى الله
عنهما بثلاثة ايام فعز صلى الله عليه وسلم كثيرا فاجتمعت قريش على
قتله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك اباطالب فجمع بنى هاشم والمطلب فادخلوه
صلى الله عليه وسلم شعبهم ومنعوه ورأينا معشر امة الاجابة اى ابصر
الصحابة وعلم من بعدهم بطريق التواتر والشهرة ويصح الفا بمعنى
علم فى الكل وهو واضح وابصر فى الكل وهو فيمن بعد الصحابة بالنسبة
لمشاهدة حروف القران الدالة على ايات لا تحصى اياته اى معجزاته وخلقه
وخلقه من بديع صفاته فاهتدينا اى وصلنا الى المطلوب منا من
كمال الايمان والاتباع وانما بادرنا الى ذلك لانا اصحاب عقول كامله

فصل اسلام حمزة وعمر

وقد

وقد رأينا الحق عيانا لا مرية فيه ولا شبهة فعلمنا انه اذا الحق
جاء زهق الباطل ويبين بجا ان الحق فاعل مثله المحذوف لان اذا لا تدخل
الا على الجمل الفعليه على الراجح وزال المرا اى الضلال والجدال
فيه وفى هذا ابلغ التعريض لكفار قريش حيث لم يؤمنوا به صلى الله عليه
وسلم مع ما شاهدوه من كماله الاعظم خلقا وخلقا وعلما وسيرة ومن
معجزاته الدالة على صدقه يا رب ان الهدى اى اتباع الحق ليس
الا هداك اى ليس الا بتوفيقك وهدايتك كما قلت فى كتابك فمن
يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل
صدره ضيقا حرجا كانما يصعد فى السما من يهدى الله فهو المهتدى ومن يضلل
ومن يضلل فلا هادى له وان اياتك التى اقمتها ادلة على صدق انبيائك
ويصح رفعه فعلى الاول كل من الجملتين مؤكد لما قبلهما وعلى الثانى
هى مؤكدة ايضا لكن فيها شبه اعتراض بناء على جواز وقوعه بعد
تمام الكلام نور كما قلت قد جاكم من الله نور يهدى بها من تشا
هدايته وتضل عنها من تشا غوايته ففى كلامه اقتباس من
الايتين المذكورتين كما اشرت اليه وايما الى ان الايات لا تنفع
مع سبق الشقاوة ولما قرر ان الهدى هدى الله وانه يهدى من
يشا ويضل من يشا ذكر ما يستغرب من ذلك ويقربه وهو ان
غير العاقل قد يلهم كثيرا مما يحرمه العاقل فقال كم مرة اى مرارا
كثيرة فهى خبرية ويجوز حذف مميزها كما فعله الناظم فان ذكر

وان الايات لا تجدى وحدها شيئا ...

جرباضا فتها اليه عند البصريين وَجوز بنو تميم نصبه وَافراده
اكثر وَافصح من جمعه فان فصل نصب حملا على كم الاستفهامية رَاينا
اى علمنا وَابصرنا نظيرما مر وَاستعمال المشترك فى معنييه واللفظ
فى حقيقته وَمجازه جايز وَعلى منعه الذي ذهب اليه الاكثرون
هو من عموم المجاز ما اى شخصا ليس يعقل اصلا كالحيوان وَالجماد
قد أُلهِمَ من المصالح وَهذه فى موضع ثانى مفعولي راى ما اى كثيرا
ليس يلهم العقلا اذ ظرف او علة لراى ابى اى امتنع الفيل المذكور
فى الاية من ان يفعل ما اتى اى عزم عليه صاحب الفيل وهو ابرهة
ملك صنعا وهو دخوله الحرم لهدم الكعبة وَبين ابى وَابى الجناس
المصحف وَمنه قوله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وَلم
ينفع الحجا اى العقل الوافر وَالذكا الذى ان اتصف بهما فلم يوفق
لما وفق له الفيل مع وضوح فرقان ما بينهما فى الذكا وَالعقل فعلم ان
الهداية وَالضلال ليسا الا بتوفيق الله وَهدايته او خذلانه
وَعدم رعايته وَبسط هذه القصة ان ابرهه ملك اليمن من قبل
اصحمه النجاشى بنى كنيسة بصنعا وَكتب الى النجاشى قد بنيت لك
كنيسة وَاريد ان اصرف حج العرب اليها فجا رجل من بنى كنانة
فاحدث فيها فغضب وحلف ليسيرن الى كعبة العرب ويهدمها
فامر الحبشة فتهيات ثم سار وخرج معه بالفيل فيل وَاحد
يسمى محمودا وَقيل اكثر فخرج عليه ملوك فهزمهم وَاسرهم الى ان

قريب من المغمس عند عرفه فبلغ ذلك عبد المطلب فقال يا معشر قريش
لا يصل لهدم البيت ان له ربا يحميه ثم ارسل ابرهة خيلا فاستاقت
ابل قريش وَغيرهم وَلعبد المطلب فيها اربعماية ناقه فركب فى قريش
حتى بلغ جبل ثبير فاستدارت دايرة غرة رسول الله صلى الله
عليه وَسلم على جبينه كالهلال وَاشتد شعاعها على الكعبة مثل
السراج فقال ارجعوا فقد كفيتم فوالله ما استدار هذا النور
منى الا ان يكون الظفر لنا فرجعوا ثم ارسل ابرهه رجلا ليسيدهم
وَهو عبد المطلب يخبره انه لا حاجة له بدمايهم وَانما غرضه
تخريب الكعبة فان مكنتمونى نجوتم فقال له عبد المطلب لا طاقة
لنا بحربه وَالبيت بيت الله فان منعه فهو بيته ثم حمله اليه فاكرمه
وَاجله وَنزل عن سريره وَجلس معه على بساطه ثم قال له ما
حاجتك قال ان ترد علىّ ابلى فقال له كنت اعجبتنى ثم زهدت
فيك تكلمنى فى ابلك دون بيت هو دينك ودين ابايك فقال
اما الابل فانا ربها وَاما البيت فله رب يحميه فرد اليه ابله
فرجع فاخبرهم فتحرزوا فى شعف الجبال وَالشعاب ثم اخذ عبد المطلب
وَمعه نفر من قريش بحلقة باب الكعبة ودعوا وَاستنصروا وفى
رواية ان رسول ابرهه لما دخل مكة ورَاى وجه عبد المطلب
خضع وَتلجلج لسانه وخر مغشيا عليه وخار كما يخور الثور عند
ذبحه فلما افاق خر ساجدا لعبد المطلب وَقال اشهد انك

سيد قريش حقا وروى ان عبد المطلب لما ذهب لابرهة احضر فيله
الابيض لعظيم فلما راى عبد المطلب خر ساجدا وقال السلام
على النور الذى فى ظهرك يا عبد المطلب ولما اصبح ابرهه بالمغمس
هيا فيله وجنوده لدخول مكة برك الفيل فى محله بنا على الاصح
انهم لم يدخلوا الحرم وقيل دخلوه وانما برك لما وصلوا الى وادى
محسر ولذا سمى بذلك لان فيلهم حسر اى اعيى فضربوه فى راسه
ومراق بدنه حتى بالحديد فابى فوجهوه نحو اليمن فقام ثم نحو
الشام فمشى ثم نحو المشرق فمشى ثم نحو الكعبة فابى ثم ارسل الله عليهم
طيرا ابابيل كامثال الخطاطيف من البحر مع كل منها ثلاثة احجار
حجر فى منقاره وحجران فى رجله كامثال العدس لا يصيب احدا منهم
الا قتله فخرجوا هاربين يتساقطون بكل طريق واصيب ابرهة فى
جسده به فتساقطت انامله انملة انملة حتى وصل صنعا وهو
مثل فرخ الطاير وسال منه الصديد والقيح والدم وما مات
حتى تصدع قلبه وقد ذكر الله هذه القصة فى سورة الفيل
وافتتحها بالم تر مع انها قبل مبعثه بل قبل ولادته اشارة الى ان
المراد من الرؤية العلم والتذكير وان الخبر بذلك متواتر فكان
العلم بذلك ضروريا مساويا للعلم الحاصل بالرؤية البصرية وقد
دلت هذه القصة على غاية شرف نبينا فانها كانت ارهاصا وتاسيسا
لنبوته ويجوز تقديم المعجزة على زمن النبوة تاسيسا كما مر فى تظليل

الغمام والشجر والملكين بل جاء ان الشجرة والحجارة قرب مبعثه صلى الله
عليه وسلم كان لا يمر منها بشئ الا سلم عليه سلاما يسمعه باذنيه وعلى شرف
قومه وحماية الله لهم ولذا دانت العرب لشرفهم لعلمهم بان ابرهة
لا قدرة للعرب باسرهم على قتاله فاذ تولى الله نصرتهم عليه دل
ذلك على عظيم اعتناء الله بهم ولفقد معنى الارهاص بعد مجى النبوة
وثبوتها بالدلايل القطعية املى للحجاج قبحه الله حتى خرب الكعبة
ولم يعاقب بشئ ولما ذكر ما يتعلق بالهام الحيوان بذكر قصة
الفيل ذكر ما يتعلق بالهام الجماد فقال **والجمادات** وهى ما لا روح فيه
افصحت اى اظهرت ونطقت بكلام مبين فصيح لا تلعثم فيه قيل تخلقه
الله فيها حينئذ من غير حياة وان من شئ الا يسبح بحمده وقيل بل تخلق فيها
حياة ولسانا وادراكا فتنطق مختارة عارفة بما تنطق به ويدل
لهذا ما ياتى فى حنين الجذع وانينه فان ذلك يدل على ان الله تعالى
خلق فيه الحياة والعقل والشوق حتى حن ولا يعارضه ان مذهب
الاشعرى ان خلق الصوت فى محل لا يستلزم خلق الحياة والعقل
فيه لانا لم ناخذ الحياة من تصويته بل من اطلاق الصحابة عليه انه
حن وان ومذهب الاشعرى ان الذكر المعنوى والكلام النفسى
مستلزمان الحياة استلزام العلم لها ولذا عامله صلى الله عليه
وسلم معاملة الحى بالتزامه كما يلتزم الغايب اهله بالشهادة بالانبا
والارسال **الذى اخرس عنه لاحمد** متعلق بافصحت **الفصحا**

نايب فاعل اخرس وفيه الطباق اى ان العرب قريشا وغيرهم مع كونه
ارباب الفصاحة وفرسان البلاغة امتنعت السنتهم من النطق له
صلى الله عليه وسلم بالايمان والشهادة له بالرسالة اليتم وشهد له بذلك
الجمادات الصم بافصح لسان وابلغ بيان فمن ذلك تسبيح الحصى في
يده ثم في يد ابى بكر ثم في يد عمر رضى الله عنهما بسمع تسبيحهن من في الحلقة
رواه جماعة وهو مشهور لكن في سنده ضعف وصح عن ابن مسعود
رضى الله عنه كنا ناكل مع النبى صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع
تسبيح الطعام وفى سماعهم لذلك غاية الكرامة لهم وصح ايضا انى لاعرف
حجرا بمكة كان يسلم على قبل ان ابعث انى لاعرفه الآن قيل هو
الحجر الاسود وقيل البارز بزقاق المرفق لانه كان بمروره صلى الله
عليه وسلم من دار خديجة الى المسجد وعليه اهل مكة سلفا وخلفا
وصح عن على كرم الله وجهه كنت امشى مع النبى صلى الله عليه وسلم
بمكة فخرجنا فى بعض نواحى مكة فما استقبلنا شجر ولا حجر الا قال
السلام عليك يا رسول الله وروى البزار وابو نعيم لما استقبلنى
جبريل بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك
يا رسول الله والبيهقى وابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم غطى
العباس وبنيه بملاية فقال يا رب هذا عمى وصنو ابى وهولاء
اهل بيتى فاسترهم من النار كسترى اياهم بملاتى هذه فقالت
اسكفة الباب وحوايط البيت امين امين امين وصح انه صلى الله

عليه

عليه وسلم كان هو وابو بكر وعمر وعثمان على احد وصح ايضا على حرا
فتحرك فقال اثبت وضربه برجله فما عليك الا نبى وصديق و
شهيد وصح انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل من الايمان فقال له هل من
شاهد قال هذه الشجرة فدعاها صلى الله عليه وسلم وهى على شاطئ
الوادى فاقبلت تخد الارض خدا اى تشقها شقا فقامت بين
يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت ثم رجعت الى منبتها وفى
رواية قل لتلك الشجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك
فمالت عن يمينها وشمالها ومن بين يديها ومن خلفها فتقطعت
عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين
يديه فقالت السلام عليك يا رسول الله قال الاعرابى مرها
فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها فى ذلك الموضع فاستقرت
فقال الاعرابى ايذن لى اسجد لك فقال لو كنت امرا احدا ان يسجد
لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها وصح ان اعرابيا قال له
بم اعرف انك رسول الله قال بان ادعوا هذا العذق من هذه بع
النخلة يشهد بانى رسول الله فدعاه فسقط اليه ثم قال
ارجع فعاد فاسلم الاعرابى تنبيه علم من كلام الناظم
على مولده صلى الله عليه وسلم وما بعده الى دلايل نبوته ما وجد فى
كتب الله من بعثه وخروجه بارض العرب وما ظهر بين يدى مولده
ومبعثه من العجايب المبطلة لسلطان الكفر والمنوهة بشرف

العرب كقصة الفيل وما حل باصحابه وخمود نار فارس وما ذكر معها
وما سمع من الهواتف الصارخة باوصافه صلى الله عليه وسلم وانتكاس
الاصنام المعبودة على وجوهها في محالها فيه من غير فعل فاعل مع
شدة ثباتها واحكامها وما سبق بعضه من العجائب التي ظهرت
ايام رضاعه وبعده الى بعثته واتباع الخلق له مع انه لم يكن له
مال يطمع فيه ولا قوة يقهر بها الرجال مع ما كانوا عليه من محبة
الاصنام والمبالغة في الحمية لها بالمقاتلة وشن الغارات لا يجمعهم
الفة دين ولا يمنعهم عن سو فعالهم النظر في عاقبة ولا خوف لايمة فالف
صلى الله عليه وسلم بين قلوبهم وجمع كلمتهم حتى اتفقت الارا واجتمعت
القلوب فصاروا يدا واحدة على من سواهم وهجروا اوطانهم
واهاليهم في محبته وبذلوا مهجتهم لنصرته ونصبوا وجوههم لوقع
السيوف في اعزاز كلمته بلا دنيا افاضها عليهم في العاجل ولا عز في
الاجل طعمهم في نيله يتحرونه بل كان من شانه صلى الله عليه وسلم
ان يجعل الغني فقيرا والشريف اسوة الوضيع فهل تلتئم مثل هذه
الامور من قبل اختيار عقلي او تدبير فكري لا والذي بعثه بالحق انما
ذلك امر الهي وتاييد سماوي يعجز عن بلوغه قوى البشر ولا يقدر
عليه الا من له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين وبهذا
الذي ذكرته يتضح تعقيب الناظم لما مر بقوله ويح منصوب
بفعل محذوف او بحرف الندا اي يا ويح على حد يا حسرة على العباد

المطعمهم

اى

اى احضرى هذا اوقتك كذا قيل والذي صرح به الايمة حيث كان
المصدر بدلا من اللفظ بفعله وجب نصبه وحذف عامله نعم
بعض تلك المصادر يجوز رفعه كويح فقد قالوا ومما استعمل
مفردا ومضافا قولهم ويح فلان وويحا له قال ابن طاهر متى
اضفت ويح وجب النصب وامتنع الرفع لانه مبتدا لا خبر له
متى افردته جاز كل منهما وكذا ويل والنصب فيه غير قوي لانه
مصدر لا فعل له بخلاف نحو حمدا وشكرا ومن ثم غلب على ويح الرفع
بل قال ابن ابي الربيع يجب رفعه دون ويل نعم ان عطف ويح على تب
تعين نصبه ومنع المازني عطف ويح على تب وعكسه لتناقض
معناهما ورد بان ويح اخرج مخرج الدعاء وليس معناه الدعاء
وتبا يستعمل كقاتله الله ما اشعره فعلم ان ويح وويل ونحوهما
متى نصب فانما هو بعامله المحذوف وجوبا وانه لا دخل للندا هنا
واعلم انهم اتفقوا على ان ويح كلمة ترحم تقال لمن وقع في هلكة لا
يستحقها وويل كلمة عذاب وقيل هما بمعنى وعلى الاول فقد
يستشكل اتيان الناظم بها في هذا المحل للكافرين الجافين له صلى الله عليه
وسلم يستحقون الهلاك الدايم وقد يجاب بان كثيرا منهم اسلم
بعد ذلك فالترحم لهم باعتبار ما آل اليه حالهم ويرد بانهم بهذا
الاعتبار لا يقال فيهم ويح لانهم لم يقعوا في هلاك اصلا فالاحسن
الجواب بان الترحم من حيث النظر الى القرابة التي بينهم وبين رسول

الله صلى الله عليه وسلم وانهم من عمود نسبه وجلدته والترحم لهم من هذه
الحيثية لا محظور فيه قوم جفوا انبيا بلغ من مراتب الجلالة والتعظيم
ما لم يبلغه نبي اي بغضوه وآذوه الايذا البالغ بل قصدوا قتله
كما مر آنفا مبسوطا بارض الفلا ضبابها جمع ضب وحديثه مشهور
على الالسنة ورواه البيهقي في احاديث كثيرة لكنه حديث غريب
ضعيف قال المزي لا يصح اسنادا ولا متنا وهو ان اعرابيا اصطاد
ضبا فلما راى النبي صلى الله عليه وسلم طرحه بين يديه وقال لا اومن
بك حتى يومن بك هذا فقال يا ضب قال لبيك وسعديك
قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وكلمات اخر قال
من انا قال رسول رب العالمين فاسلم الاعرابي الحديث
بطوله قيل وهو موضوع ورد بانه نهايته الضعف لا الوضع ٥
وفي معجزاته صلى الله عليه وسلم ما هو ابلغ من هذا والظبا جمع ظبي
روى حديثه من طريق البيهقي وابو نعيم والطبراني وساق
الحافظ المنذري حديثه في الترغيب والترهيب لكن ضعفه
الائمة بل قال الحافظ ابن كثير لا اصل له ومن نسبه الى النبي صلى
الله عليه وسلم فقد كذب ورد بانه ورد في الجملة في عدة احاديث
يتقوى بعضها ببعض بل بالغ بعض المحققين فزعم انه حديث
صحيح قال التاج السبكي وهو وان لم يتواتر اليوم فلعله استغنى
عنه بغيره او لعله تواتر اذ ذاك وهو بينما رسول الله صلى الله
عليه

الثامن

عليه وسلم في صحرا اذا هاتف يهتف يا رسول الله ثلاث مرات فالتفت فاذا
ظبية مشدودة في وثاق واعرابي نايم عندها فقال ما حاجتك قالت
صادني هذا الاعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فاطلقني حتى اذهب
فارضعهما وارجع قال وتفعلين قالت عذبني الله عذاب العشار
اي المكاس ان لم اعد فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها صلى الله
عليه وسلم فانتبه الاعرابي فقال يا رسول الله الك حاجة قال تطلق
هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو في الصحرا فرحا وتضرب برجليها
الارض وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ولم
يرد الناظم الحصر في هذين فقد صح ان الذيب الفه واخبر بنبوته
صلى الله عليه وسلم كما جا من طرق منها طريقان صحيحان حاصلهما انه
اخذ شاة فانتزعها الراعي منه فقال الا تتقي الله تنتزع مني رزقا
ساقه الله الي فتعجب الراعي من كلامه له فقال الا اخبرك باعجب
من ذلك محمد بيثرب يخبر الناس بانبا ما قد سبق وفي رواية يحدثهم
بما مضى وما هو كاين فاتى الراعي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبره بذلك فامر ان ينادي الصلاة جامعة ثم امر الراعي فاخبرهم
وفي رواية عن سعيد ابن منصور في سننه ان الذيب جا الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال هذا وافد الذياب جا يسالكم ان تجعلوا
له شيا من اموالكم قالوا والله لا نفعل واخذ رجل من القوم حجرا
رماه به فادبر الذيب وله عوا فقال صلى الله عليه وسلم الذيب وما

العذيب وكلمه صلى الله عليه وسلم الحمار ايضا على ما روى في حديث طويل لكن
قال ابن الجوزي انه موضوع وكلمه ايضا الجمل كما جا في عدة طرق بعضها
سنده جيد وبعضها سنده صحيح وحاصلها ان جماعة من الانصار
شكوا اليه صلى الله عليه وسلم جملهم وانه امتنع من العمل حتى عطش النخل
والزرع فقال لاصحابه قوموا فقاموا ودخل الحايط فمشى اليه فقالوا
يا رسول الله انه جبار كالكلب الكلب فقال ليس علي منه باس فلما
نظر الجمل اليه اقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه فاخذ بناصيته اذل ما
كان قط حتى ادخله في العمل الحديث وفي رواية صحيحة انه صلى الله
عليه وسلم دخل حايطا فراه جمل فحن وذرفت عيناه فمسح قريب راسه
من قفاه ثم قال لربه الا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله اياها
فانه شكى الي انك تجيعه وتدئبه اي تتعبه وجا بسند ضعيف
ان غنما سجدت له صلى الله عليه وسلم وسلوه اي نفرت قلوبهم عنه حتى هجروه
مع نشاته فيهم وعلمهم بغاية نزاهته ونهاية كماله والحال انه قد حن
جذع اليه كما جا من طرق كثيرة صحيحة وغيرها يفيد مجموعها التواتر
المعنوي الموجب لتيقن وقوع ذلك والقطع به وعلى التواتر المعنوي يحمل
قول التاج السبكي الصحيح عندي ان حنينه متواتر وسبقه لذلك عياض
وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم قبل ان يعمل له المنبر كان يخطب مستندا الى
جذع نخل من الجذوع المسقوف عليها المسجد فلما صنع له المنبر
ثلاث درجات وصفته وموضعه الان بمسجده ثم تخطى الجذع يوم جمعة

يخطب

يخطب على المنبر فصاح الجذع حتى سمعه جميع من في المسجد وفي رواية انه
خار كخوار الثور حتى ارتج المسجد لخواره وفي اخرى خار حتى تصدع وانشق
وفي اخرى فجعل يئن انين الصبي وفي اخرى حن حنين الناقة التي
انتزع ولدها فنزل اليه صلى الله عليه وسلم وضمه اليه رحمة له حتى سكن
وفي رواية فمسحه بيده ولعله فعل به الامرين وفي اخرى ان هذا
من ج بكى لما فقد الذكر عنده وفي اخرى والذي نفسي بيده لو لم التزمه لم
يزل يصوت هكذا الى يوم القيمة تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهذا من اكبر معجزاته صلى الله عليه وسلم بل اشار الشافعي رضي الله عنه الى
انه ابدع من احيا عيسى عليه الصلاة والسلام للموتى لانهم عهدت
حياة صح لهم الحياة رجعت اليهم بخلاف هذا وفي رواية عند الدارمي انه صلى الله
عليه وسلم خيره بين ان يعيده الى مغرسه فيثمر كما كان وان يغرسه في
الجنة يأكل اولياء الله من ثمره ثم اصغى اليه فقال اختار دار البقا
على دار الفنا وامر به فدفن ومر في شرح قوله والجمادات افصح
الخ ما له تعلق بذلك وقلوه اي ابغضوه والحال انه قد وده اي
احبه وبين السلو والجفو والقلى والود الطباق كما هو بين الاخراج
والايوا الاتيين الغربا الذين هم ليسوا من عشيرته ولا من قومه
ولا عرفوا ما عرفته قريش من كماله الاعظم كالانصار الاوس والخزرج
وذلك انه صلى الله عليه وسلم خرج في الموسم الذي لقيهم فيه يعرض
نفسه على قبايل العرب كما كان يصنع في كل موسم فلقي بعض الخزرج

عند العقبة فقال من انتم قالوا من الخزرج قال افلا تجلسون اكلمكم فجلسوا فدعاهم الى الاسلام وتلى عليهم القرآن وكان عندهم علم منه فعرفوا نعته لان يهود المدينة كانوا يقولون لهم ان نبيا يبعث الآن نتبعه ونقتلكم معه فاجابوه لئلا تسبقهم اليهود اليه فاسلم منهم ستة نفر فقال لهم تمنعون ظهري حتى ابلغ رسالة ربي فقالوا ندعوا قومنا الى ما دعوتنا اليه فان اجابوا فلا احد اعز منك وموعدك الموسم العام القابل فلما وصلوا المدينة لم يبق دار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيه في العام القابل اثنا عشر خمسة من الستة والبقية من الخزرج ايضا الا رجلين فمن الاوس وهذه هي العقبة الثانية فاسلموا وقبلوا ما اشترطه عليهم ثم رجعوا فاظهر الله الاسلام فيهم فكان اسعد بن زرارة يجمع بالمدينة بمن اسلم ثم ارسلوا يطلبون من يعلمهم القرآن فارسل اليهم مصعب بن عمير فاسلم على يديه جمع كثير منهم سيد الاوس سعد ابن معاذ واسيد بن حضير واسلم باسلامهم جميع بني عبد الاشهل في يوم واحد رجالهم ونساؤهم الا واحدا فيوم احد ولم يكن فيهم اعني بني عبد الاشهل منافق ولا منافقة ثم قدم في العام القابل في الموسم نحو سبعين رجلا وهي العقبة الثالثة فبايعهم على انهم يمنعونه مما يمنعون منه نساءهم وابناءهم وعلى حرب الاحمر والاسود وصح عن جابر مكث صلى الله عليه وسلم عشر سنين يتبع الناس في منازلهم في المواسم بمنى وغيرها يقول من ينصرني حتى ابلغ رسالة ربي وله الجنة

حتى

افضل من ليلة القدر لكن بالنسبة له صلى الله عليه وسلم لانه اوتي فيها ما لا يحيط به الحد ولذا كان الاسرا بالجسم في اليقظة من خصائص نبينا صلى الله عليه وسلم وخالف في كونه بالجسم وكونه في اليقظة من لا يعتد بخلافه وزعم تعدد الاسرا لتباين الروايات فيه تباينا منتشرا لا يمكن الجمع بينهما الا بدعوى التعدد بالجسم تارة وبالروح اخرى مردود والاصح انه اسرا واحد بالجسم والروح في اليقظة واما ما خالف الجادة من الروايات ان امكن تاويله تعين والا حكم عليه بانه وهم كرواية ان الاسرا كان قبل البعثة فان الاجماع على انه بعدها على انها اولت وكان للمختار صلى الله عليه وسلم فيها عجائب منها انه جاءه جبريل ع في رواية وميكائيل ع في اخرى ذكر ثالث ولا مانع ان جبريل نزل اولا ثم ميكائيل ثم الثالث بالحطيم او شعب ابي طالب او بيته او بيت ام هاني بعد ان انفرج سقفه روايات جمع بينها بانه بات في بيت ام هاني وبيتها عند شعب ابي طالب واضيف اليه لانه كان يسكنه فاخرجه الملك منه الى المسجد فاضطجع لاثر نعاس كان به ثم اخذه فاخرجه من المسجد فاركبه البراق فاستمرت يقظته فرواية انه كان بين النائم واليقظان محمولة على ابتدا الامر ورواية فلما استيقظت اي من شغل البال بمشاهدة الملكوت وحكمة كونه لم يات من باب البيت انه انصبّ من السما انصبابة ولحقه بان محله الذي هو فيه فلم يعرج على غيره مبالغة في المفاجاة وتنبيها على ان الطلب وقع على غير ميعاد لاظهار انه مراد ووقع في موسى بميعاد تنبيها على انه مريد

وشتان ما بينهما وايضا ففي فرج سقف البيت والتيامه عقبه تنبيه على شق
صدره الشريف تلك الليلة وانه لا باس عليه فيه ومرت قصة شقه هنا عند
ذكر الناظم لشقه عقب رضاعه عند حليمة ومنها ان الملك لما اخرجه من
المسجد اركبه على البراق فكان له عليه استوا اي استقرار وتمكن مع انه
لم يركبه قبل ذلك ولا هو من جنس ما يركبه الادميون وهو كما صح الخبر
دابة اي شبهها اذ هو ليس بذكر ولا انثى دون البغل وفوق الحمار
ابيض يضع خطوه عند اقصى طرفه وذكره باعتبار كونه مركوبا وسمي
بذلك من البرق لسرعة سيره او من البريق او من قولهم شاة برقا
اذا كان في خلال بياضها سواد وقوله يضع خطوه الخ معناه انه
يضع رجله عند منتهى ما يرى بصره قال ابن المنير اي يقطع ما انتهى
اليه بصره في خطوة واحدة قال فعلى هذا يكون قطع من الارض الى
السما في خطوة واحدة لان بصر الذي في الارض يقع على السما فبلغ اعلى
السموات في سبع خطوات انتهى وهذا انما ياتي على رواية فحملت عليه
اي البراق حتى انطلق بي جبريل الى السما الدنيا اذ ظاهرها انه استمر عليه
حتى وصل الى السما والمشهور انه استمر عليه الى بيت المقدس ثم نصب
له المعراج كما ياتي وفي رواية لابي يعلى والبزار اذا اتى على جبل ارتفعت
رجلاه واذا هبط ارتفعت يداه وفي رواية شاذة له جناحان واخرى
ضعيفة له خد كخد الانسان وعرف كعرف الفرس وقوايم كالابل واظلاف
وذنب كالبقر وكان صدره ياقوتة حمرا وفي رواية صحيحة اتي به مسرجا

ملجما

ملجما فاستصعب عليه فقال له جبريل ما حملك على هذا ما ركبك قط اكرم على
الله منه فارفض عرقا وظاهرها كصريح رواية النساي وابن مردويه
وكانت تسخر للانبيا قبله ان الانبيا كانوا يركبونها ولم يطلع عليها
بعضهم فنفى ركوب غيره صلى الله عليه وسلم لها فاستصعابه ليس لعدم الفه
الركوب بل لبعد عهده به او ليظهر جبريل له مرتبته صلى الله عليه وسلم
وانها علت على ساير المراتب وانما لم يكن البراق على شكل الفرس اشارة
الى ان ركوبه في سلم وامن لا حرب وخوف والى ظهور المعجزة بوقوع
هذا الاسراع الباهر من دابة على هذا الشكل وصح ان جبريل حمله
على البراق رديفا له ورواه احمد بلفظ على ظهره هو وجبريل حتى انتهيا
الى بيت المقدس واول بعضهم ذلك بما لا حاجة اليه اذ ركوب جبريل
معه لا ينافي كونه في خدمته وصح انهما مرا بيثرب فامره ان ينزل
ويصلي وبمدين فامره بذلك وببيت لحم الذي ولد فيه عيسى فامره بذلك
واراه عجايب اخرى الى ان وصلا الى بيت المقدس فنزلا وربطه اي جبريل
كما مر في رواية لكن في اخرى النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل انهما ربطاه ويجمع باحتمال صح
معا بالحلقة التي كانت الانبيا تربط بها ثم دخل وبعث له جماعة
من الانبيا فصلى بهم وصح في رواية اتي بارواح الانبيا اي مع اجسادهم
لرواية ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين ما بين قايم وراكع وساجد ثم اذن
موذن فاقيمت الصلاة فقمنا صفوفا ننتظر من يومنا فاخذ بيدي
جبريل فقدمني فصليت بهم وفي رواية لاحمد فاذا النبيون اجمعون

يصلون معه وفيها زيادة على رواية جماعة منهم فيوخذ بتلك الزيادة وفى
حديث ما يدل على انه صلى فيه بعد العروج وقبل العشا اى بنا على انه صلى
بهم فى بيت المقدس بعد العروج ايضا وتلك الصلاة قبل الصبح اى
بنا على انه صلى فيه بعد العروج وقبل العشا اى بنا على انه صلى فيه قبله
ولما فرغ من امامتهم نصب له المعراج كما فى رواية ابن هشام والبيهقى
وغيرهما ووضعت له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب وعن يمينه ملايكة
وعن يساره ملايكة ثم صعد فيه هو وجبريل حتى انتهيا الى باب السما الدنيا
فاستفتحا ففتح لهما وهكذا الى السما السابعة ورأى فى السما الاولى ادم
وعن يمينه ارواح المومنين فاذا نظر اليهم ضحك وعن يساره ارواح بنيه
الكفار فاذا نظر اليهم بكى اى انه يكشف له عنهم وهم فى النار التى هى مستقر
ارواحهم والنيل والفرات ابن انتهاؤهما والا فابتداؤهما من سدرة
المنتهى وفى الثانية يحيى وعيسى وفى الثالثة يوسف وفى حديث البيهقى
وغيره فاذا انا برجل اى يوسف احسن ما خلق الله قد فضل الناس
بالحسن كالقمر ليلة البدر على ساير الكواكب والمراد غير نبينا صلى الله عليه
وسلم لخبر الترمذى ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان
نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا على ان للاصوليين قولا مشهورا
اعتمده النووى وغيره فى موضع واعتمده اخرون ايضا ان المتكلم لا
يدخل فى عموم كلامه ومن ثم قال بعض المحققين المراد اعطى شطر الحسن
الذى اوتيه نبينا صلى الله عليهما وسلم وفى الرابعة ادريس وفى الخامسة

علم غاية حسنه صلعم علم حسن يوسف عم

هارون

التاسع

هارون وفى السادسة موسى وفى السابعة ابراهيم وهذه مقدمة
على رواية لم يضبط منازلهم وعلى رواية ادريس فى الثانية وهارون
فى الرابعة وابراهيم فى السادسة وموسى فى السابعة لان سياقها
يدل على انه لم يضبط منازلهم كما صرح به الزهرى فالاولى التى فيها
انه ضبطها اولى على انه يجمع بين الروايات المختلفة فى ذلك بانه راهم
فى الصعود على كيفيات وفى الهبوط على كيفيات اخر فلما جاوز موسى
بكى فقيل ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدى يدخل من امته
الجنة اكثر مما يدخل من امتى وبكاؤه ليس لحسد حاشاه الله من ذلك
بل غبطة وحزنا على ما فاته من مضاعفة اجور نبينا بكثرة اتباعه وصالحهم
الى ما لا نهاية له او رحمة لامته لما وقع منهم بعده مما لم يقع نظيره لهذه
الامة وذكره بغلام لانه اصغر منه سنا ولان قوة الشباب معه الى سن
الشيخوخة وحكمة تخصيص هولا بالالتقا الاشارة بكل الى ما سيقع له كالاخراج
من الجنة ثم العود اليها والهجرة من مكة ثم العود اليها ولمعاداة اليهود
له اوايل الهجرة كما عادوا عيسى وارادوا قتله ويحيى وقتلوه ولمعاداة
اهله له ولرجوع قومه الى محبته كما رجع قوم هارون الى محبته ولمعالجته
لقومه كما عالج موسى قومه ولتمكنه من مكة والكعبة وتمتعه بهما كما
وقع لابراهيم ومن ثم راه مسندا ظهره الى البيت المعمور الذى بحيال
الكعبة ويدخله من حين خلق الله الخلق الى الابد كل يوم سبعون
الف ملك فلا يعودون اليه واخذ منه ان الملايكة اكثر المخلوقات

واختلفوا في رؤيته لهؤلاء الانبيا صلى الله على نبينا وعليهم وسلم فقيل لارواحهم
الا عيسى فانه رفع بجسده وكذا ادريس على قول واختلف قائلوا هذا في
الذين صلوا معه في بيت المقدس فقيل الارواح ايضا وقيل الاجساد وقيل
خرق الله الحجب حتى راى كلا في قبره من المحل الذي اخبر به وقيل رفعوا من
قبورهم تلك الليلة لتلك المواضع اكراما له صلى الله عليه وسلم وبعد ان
جاوز السما السابعة رفعت له سدرة المنتهى فراها وقد غشيها من امر
الله تعالى ما غشي حتى تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها
وراى النيل والفرات وسيحان وجيحان تخرج من اصلها وروايه انها من الجنة
لا تعارض ذلك لان الذي تنبع منه تلك الانهار في الجنة فلا ينافي ما قيل اصلها
في السما السادسة وعليه يحمل رواية انه راها فيها واعلاها في السابعة
وعليه يحمل ما مر انها فيها وسميت بذلك لانه ينتهي اليها علم الخلائق ولم
يتجاوزها احد الا نبينا صلى الله عليه وسلم قال النووي رحمه الله تعالى ويتعين
حمله على انه لا يتجاوزها من الملائكة الذين ينزلون الى الارض ويصعدون
بالاعمال لما ياتي انه صلى الله عليه وسلم جاوزها الى مستوى يسمع فيه صريف
اقلام الملائكة ثم ادخل الجنة واحاط بها ثم عرج به صلى الله عليه وسلم
كما في رواية البخاري حتى ظهر بمستوى اي محل عال يسمع فيه صريف الاقلام
اي تصويت اقلام الملائكة بما يكتبونه من اقضية الله تعالى وفي رواية
لم تثبت كما يرد روايات الحجب ثم زج بي في النور زجا فخرق بي سبعين
الف حجاب كل حجاب مسيرة خمسمائة عام ثم دلي لي رفرف اخضر شم

احتملني

احتملني حتى وصلت الى العرش وهذه الحجب بفرض صحتها انما هي بالنسبة
للمخلوقين واما هو تعالى فلا يحجبه شي وصح عن انس عنه صلى الله عليه وسلم
قال عرج بي جبريل الى سدرة المنتهى ودنا الجبار اي بقربه المعنوي كما
ارشد اليه قول رب العزة جل جلاله فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى كما
قال الناظم **وترقى** اي صعد البراق **به الى قاب قوسين** وقاب القوس ما بين
مقبضه واخر وتره فلكل قوس قابان ومن ثم قيل في الاية قلب اي قابي قوس
ورد بانه لا يتعين ذلك بل المراد تشبيه قربه صلى الله عليه وسلم المعنوي من
ربه بقرب قاب القوس اذا الصق بقاب قوس اخر ثم رايت بعضهم قال قاب
قوسين اي مقدار قوسين وقاب قوس اي قدر طولها وقيل قدر الوتر منها
قال الجوهري يقول بينهما قاب قوس اي قدر قوس تنبيه
ما افهمه كلام الناظم ان البراق ترقى به صلى الله عليه وسلم الى قاب قوسين هو
ما دلت عليه رواية البخاري ولفظها فحملت عليه فانطلق بي جبريل
حتى اتى السما الدنيا فاستفتح ثم قال ثم صعد بي حتى اتى السما الثانية وهكذا
لكن صحت الاحاديث بانه استمر على البراق الى بيت المقدس ثم نصب له المعراج
فارتقى فيه كما مر وظاهرها انه لم يركب البراق الا من مكة الى بيت المقدس
لا غير ولهذا التنافي ذهب بعضهم الى ان الاسرا على البراق وقع مرتين مرة
الى بيت المقدس ومرة من مكة الى السما لكن رد هذا بان الاصح انه لم يتعدد
وانه لا تنافي وانما الذي ذكر ذهابه عليه من مكة الى السما اختصر ذكر بيت
المقدس وفيه نظر لان رواية البخاري السابقة صريحة في انه لا معراج وانه

استمر راكبا البراق الى السما الدنيا ثم التى بعدها وهكذى وجرى عليها الناظم
كما علمت فالاولى الجواب جمعا بين الروايتين بان من ذكر بيت المقدس
والمعراج معه زيادة علم فيقدم وعليه فيكون لما وصل في المعراج الى سما
الدنيا ركب البراق واخترق به السموات وما فوقها وبهذا اعني
رواية البخارى الظاهرة فيما فى النظم والجمع بينهما وبين الرواية الاخرى
المشهورة التى عليها العمل يظهر عذر الناظم فى ذكره انه ركبه الى منتهى
وصوله لكن فى جزمه به نظر ظاهر والحاصل انه بعد وصوله لسما الدنيا
يحتمل انه استمر راكبا البراق على ظاهر الرواية الاولى وانه جى له به
ثانيا على الرواية الثانية ويحتمل انه ذهب من غير ركوب شى تعظيما
للسموات اذهن افضل من الارضين عند الاكثرين وعلى مقابله المنصور — ومن فيهن صح
لان الانبيا خلقوا من الارض وهى مدفنهم ومستقرهم وهم افضل من
الملايكة فتعظيما لمن فيهن ممن اجتمع به من الانبيا والملايكة لا يقال
السما لم يعص الله فيها بخلاف الارض لانا نقول هذه مزية وقد يكون
فى المفضول مزايا على ان ذلك منتقض بما وقع لادم وحوى وابليس
وادعا انهم لم يكونوا فى السما يحتاج لدليل وعلى التنزل فكون المعصية
تقع فى محل دون محل يقتضى افضلية الثانى لذاته غير مسلم فعلى مدعيه
اثباته بدليل يدل له وانما قلنا فالاولى الجواب الخ ولم نقل بالتعدد
لان مجرد اختلاف الروايات فى هذا الامر الجزى لا يقتضيه على ان ما
وقع تلك الليلة من فرض الصلاة وغيره ذكر فى كل من رواية الى السما
ورواية

ورواية الى بيت المقدس وهذا صريح فى اتحاد الاسرا وعدم تعدده
فتامل ذلك كله فانه مهم واعلم ان هذا التدلى والدنو المذكور فى حديث
انس وغيره من احاديث المعراج غير الدنو والتدلى فى اول سورة النجم فان
هذا فى حق جبريل كما صح عنه صلى الله عليه وسلم وصح ايضا انه لم يره فى
صورته التى خلق عليها الا فى هذه المذكورة فى الاية عند اوايل البعثة
كما مر وتلك الرتبة التى وصل اليها صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج هى
السعادة القعسا اى الثابتة الدايمة التى لا يطرقها تغير ولا زوال
ولما وصل صلى الله عليه وسلم الى ذلك القرب الذى لم يصل اليه مخلوق فرض
الله عليه وعلى امته فى كل يوم وليلة خمسين صلاة فرجع فمر على موسى
فسال له عما فرض عليه وعلى امته فاخبره فامره ان يرجع الى ربه ويساله
التخفيف لامته فانهم لا يطيقون ذلك فرجع وساله فحط عنه خمسا ثم — فرجع صح
رجع فامره بالرجوع ايضا فحط عنه خمسا ثم رجع فامره بالرجوع ايضا
وهكذا الى ان بقيت خمسا فامره بالرجوع وقال له ان بنى اسرايل
فرضت عليهم صلاتان فما قاموا بها فقال استحييت من ربى وفى رواية
علمت انها عزيمة من ربى فلا اراجعه فقال تعالى هن خمس اى فى الفريضة
وهن خمسون اى فى الثواب لا يبدل القول لدى وحكمة فرضها
فى هذه الليلة انه صلى الله عليه وسلم لما شاهد تعبد الملايكة فيها
وان منهم مديم القيام ومديم الركوع ومديم السجود اعطاه الله
تعالى ذلك لامته فى ركعة يصليها الواحد منهم بشروطها وادابها

وَاختص موسى صلى الله عليه وسلم بامره بتلك المراجعة لانه اطلع من صفات
هذه الأمة على ما حمله على قوله اللهم اجعلهم امتى فقال الله تعالى تلك
امة احمد فقال اللهم اجعلنى منهم وهو حديث مشهور فكان اعتناوه
بهم كما يعتنى بالقوم من هو منهم ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم فرددت بموسى
ونعم الصاحب كان لكم وفى رواية كان اشدهم على حين مررت به وخيرهم
لى حين رجعت فايدة اختلف العلما قديما وحديثا فى ان نبينا صلى الله
عليه وسلم راى ربه فى هذا المقام الذى وصل اليه دون غيره من الخلق بعين
راسه او بعين قلبه فقط والذى صح عن ابن عباس فى رواية انه راى
بعين بصره وفى اخرى انه راه بعين قلبه ولا تخالف لانه صح عنه كما
رواه الطبرانى باسناد رجاله رجال الصحيح الا واحدا فوثقه ابن حبان
انه راه مرتين واحدة بالعين وواحدة بالقلب بمعنى انه تعالى خلق
فيه ادراكا كادراك البصر وليس المراد مجرد العلم لانه حاصل له بل ولغيره
فلا خصوصية ورواية ابن مردويه عنه لم يره بعينه لم تصح وبتسليمها
فالاثبات مقدم على النفى وجا عن انس باسناد قوى راى محمد ربه
واطلاق الروية انما ينصرف لروية العين وكان الحسن البصرى
رحمه الله تعالى يحلف انه راى ربه وبذلك قال عروة وساير اصحاب
ابن عباس وجزم به كعب الاحبار والزهرى ومعمر واخرون وهو قول
الاشعرى وغالب اتباعه وانكرت عايشة رضى الله تعالى عنها وابن
مسعود الروية قال النووى لكن خالفهما غيرهما من الصحابة والصحابي

قال شيخنا ولانه كليم فخص بخلاف
الكلام الحق ابراهيم فانه خليل فخص
السلام وان كان افضل
واقرب ابعدهم

اذا خولف لا يكون قوله حجة اتفاقا ولا حجة لها فيما فى مسلم عنها ان مسروقا
قال لها لما انكرت الروية الم يقل الله ولقد راه نزلة اخرى فقالت انا اول
هذه الامة سال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هل رايت
ربك قال لا انما رايت جبريل وذلك لانها انما سيلت عما فى الاية فاجابها
بانه لم يره اى فى قصة الاية وقد مر انها غير قصة المعراج وان التدلى
والدنو الذى فى قصة المعراج غيرها فى الاية ولا حجة لها فى لا تدركه
الابصار لان المراد لا تحيط بحقيقة ذاته العلى بدليل الى ربها ناظرة واذا
جازت فى الاخرة جازت فى الدنيا لتساويهما بالنسبة للمرى وسوال موسى
اياها فى الدنيا اظهر دليل على ذلك اذ لا يجوز على نبى ان يسال محالا وانكار
المعتزلة فبحهم الله تعالى لها حتى فى الاخرة من بدعهم التى خالفوا فيها الكتاب
والسنة وعلى جوازها فى الدنيا لم تقع الا لنبينا صلى الله عليه وسلم وصح فى مسلم
واعلموا انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا ومعنى خبر مسلم عن ابى ذر انه سال رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال نور انى اراه ان النور حال بينه وبين
رويته ببصره فكيف يراه مع ذلك وقد مر انه راه مرة ببصره ومرة
بقلبه فبسبب هذه حصول ذلك النور فلا ينافى وقوع الاولى وسيل
احمد رضى الله تعالى عنه عن قول عايشة من زعم ان محمدا راى ربه فقد
اعظم على الله الفرية ثم يدفع قولها قال بقول النبى صلى الله عليه وسلم رايت
ربى قول النبى صلى الله عليه وسلم اكبر واذا تاملت ما وقع له صلى الله عليه
وسلم ليلة الاسرا من الكرامات التى تميز بها على ساير الخلق علمت انها رتب

جليله تسقط الاماني جمع امنيه حسرى جمع حسير من حسر اعيى دونها طرف
تسقط اى لجلالة هذه الرتب وعزتها على الخلق سقطت امنياتهم وتخلفت
طلباتهم واما لهم عن نيل هذه الرتب فلم يستطيعوا التوجه اليها حال كونها
عاجزة عن التاهل لها ولم لا وهي ما وراهن ورآء اى ما قدامهن قدام بمعنى
انه ليس بعدهن مرتبة ينالها مخلوق غيره صلى الله عليه وسلم ثم لما رجع رسول
الله صلى الله عليه وسلم من سفر الاسرا مر بعير لقريش تحمل طعاما فيها جمل عليه غرارتان
سودا وبيضا فلما حاذى العير نفرت منه واستدارت وتصرع ذلك البعير
فسلم عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد اى بعير اضل وجهه واحد منهم
ثم وافى مكة قبل الصبح فاصبح تحدث الناس بما راى من تلك العجايب
والكرامات امتثالا لقوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث شكرا اى من جهة
الشكر اولاجل قيامه بشكر ربه او حال كونه شاكرا لانعمه اذ اى لاجل او وقت
اتته من ربه النعما فى تلك الليلة وحينئذ ارتد ناس كانوا اسلموا وذهب
مشركون لابى بكر وذكروا له انه يخبر انه ذهب الى بيت المقدس فقال نعم وجا
فى ليله فقال صدق فانكروا عليه فقال انى لاصدقه فيما هو ابعد من
ذلك فى خبر السما فى غدوة وروحة فلذلك سمى الصديق رضى الله تعالى
عنه وكرم وجهه رواه الحاكم فى مستدركه وابن اسحاق وزاد ان ابا
بكر جاءه فقال يقولون انك الليلة اتيت بيت المقدس قال نعم قال
صفه لى فانى جئته فوصفه له كما هو لانه رفع اليه فجعل ينظره ويصفه وابو بكر
يصدقه وقوله له انما هو ليرد به على من تشكك فى ذلك ورفعه له حتى

ينظره رواه البخارى وكذا مسلم وزاد انهم سالوه عن اشيا فيه لم يثبتها فكرب
كربا ما كرب مثله قط ورفعه له اما بحمل مثاله او وضعه قريبا منه وعليه تحمل
رواية فجيء بالمسجد اى بمثاله واما بحمل المسجد نفسه اليه وهذا اظهر لما مر
فيه واشتاقت اليه من مكة الانحا ونظيره بجيء عرش بلقيس الى سليمان صلى الله
على نبينا وعليه وسلم فى طرفة عين واما بازالة الحجب بينه وبينه وبهذا ظهرت
الحكمة فى الاسرا الى بيت المقدس فوصفه لهم ثم العروج منه الى السما لما
تقرر ان فيهم من راى بيت المقدس فوصفه لهم كما هو فى علمهم بانه لم يذهب
اليه قط اوضح آية على صدقه فى جميع ما اخبر به من امر السما ومما اخبرهم به
انه قال لهم ان من آية ما اقول لكم انى مررت بعيركم فى مكان كذا وقد اضلوا
بعيرا لهم فجمعه فلان وان مسيرهم ينزلون بمكان كذا ويأتونكم يوم كذا
يقدمهم جمل ادم عليه مسح اسود وغرارتان فلما كان ذلك اليوم اشرف
الناس ينظرون حتى اذا كان قريبا من نصف النهار اقبلت العير كما وصف
وفى رواية اخبرهم بقدوم العير يوم الاربعا ففى يومه كادت شمسه ان
تغرب ولم يقدموا فدعا الله تعالى فحبس الشمس حتى قدموا كما وصف وعطف
على وافى قوله وتحدى صلى الله عليه وسلم كفار مكة وغيرهم بما وقع له ليلة
الاسرا وما تقدمه من المعجزات كانشقاق القمر اى طلب منهم ان يعارضوا ما
جا به شاهدا على نبوته بابدا نظيره والا كانوا كاذبين مدحوضين ٥
فارتاب اى شك وخرس كل مريب فانقطع عن المعارضة ولم يسعه الا
التسليم فمنهم من اسلم ومنهم من مات كافرا وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم

ظلما وعلوا ويلزم من انقطاعهم عن معارضته اتضاح امره وان لم يبق فيه
شك ولا ريب ومن ثم قال منكرا على من بقي عنده من ذلك شك ا يتضح ذلك
الامر ويبقى معه ريب لا بل اتضح وما بقي معه شك اصلا وكيف يبقى مع السيول
حال من قوله الغثاء وهو بضم المعجمة وبالمثلثة ما يحمله السيل مما يجف من
النبات فكما ان الغثا لا يبقى مع السيل بل يذهب به ويهلكه في اسرع وقت
فكذلك ما جا به صلى الله عليه وسلم من الايات البينات والبراهين الواضحات
لا يبقى معه لولا الخذلان الالهي شك بل يذهب ويضمحل في اسرع وقت
فعلم انه استعار السيول لما اتى به صلى الله عليه وسلم لان بها الحياة الحسية
وجعلنا من الما كل شي حي كما ان بما جا به الحياة المعنوية والغثا لما تخيلوه
لانه امر حقير لا بقا له كما ان الغثا كذلك وفي ارتاب ومريب جناس الاشتقاق
وفي الختم بالجملة الاستفهامية التذييل نحو وهل نجازي الا الكفور تنبيه
ما قدرته بعد همزة الاستفهام هو راي الزمخشري ومن تبعه وهو التحقيق
وان كان خلاف ما عليه سيبويه والجمهور فيقدر في نحو ا لم يسيروا في الارض
امكثوا فلم يسيروا في الارض وفي افلا تعقلون اتجهلون فلا تعقلون وفي
اثم اذا ما وقع امنتم به فالهمزة في الكل في محلها الاصلي والعطف على جملة
مقدرة بينها وبين العاطف محافظة على اقرار حرف العطف على حاله من غير
تقديم ولا تاخير ورده ابي حيان لذلك بانه تقدير ما لا دليل عليه وابن هشام
بان فيه تكلفا وانه غير مطرد فيه نظر بل اليه حاجة وهي ان المعنى معه اتم
واوضح مع رعاية قاعدة الهمزة وحرف العطف ودعوى عدم اطراده

اتمكثوا ام ثم اذا ما وقع صح

ممنوعة

1

ممنوعة لان السياق حيث وجد فيه ذلك قاضيا بذلك المحذوف واعلم
ان الهمزة اصل ادوات الاستفهام ومن ثم اختصت بجواز حذفها نحو هذا
ربي في المواضع الثلاثة اي اهذا ربي وفي وتلك نعمة تمنها علي اي اوتلك
وبانها ترد لطلب التصور تارة والتصديق اخرى وهل تختص بالثاني والبقية
بالاول وبانها تتقدم على العاطف كما هنا تنبيها على اصالتها والبقية تتاخر
عنها وبانها تدخل على الشرط نحو افان مات او قتل وعلى الاثبات والنفي وهو
يدعو حال من فاعل تحدى اي تحدى الناس والحال انه مع انكارهم وارتيابهم
لا يفتر عما امر به من التبليغ والدعا الى الاله اي المعبود بالحق الذي لا يعبد
غيره وهو الله تعالى وفي الى واله الجناس الناقص ولم ينظر الناظم الى كون
الاله اسم جنس في الاصل لكل معبود لان الائمة اعرضوا عن هذا الاصل
واستعملوه في المعبود بحق فقط فصار علما بالغلبة ولم يزل صلى الله
عليه وسلم يتجدد دعاوه الى الله تعالى وان شق عليه كفر به اي الاله او النبي
وازدرا اي احتقار وانتقاص له فهو مديم لذلك الدعا محتمل لمشقة
انكارهم وقبيح كفرهم وازدرايهم له ولما جا به اخرج اهل السير
انه صلى الله عليه وسلم كان يطوف على الناس في منازلهم يقول لهم يا ايها الناس
ان الله يامركم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيا وابو لهب عمه وراه يقول
يا ايها الناس ان هذا يامركم ان تتركوا دين ابايكم ورماه الوليد بن المغيرة
لعنه الله تعالى بالسحر وتبعه قومه على ذلك واذته قريش ورموه بالشعر والكهانة
والجنون ومنهم من كان يحثو التراب على راسه ويجعل الدم على بابه ووطي عقبة

2

بن ابى معيط على رقبته الشريفة وهو ساجد عند الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان
وخنقوه خنقا شديدا وجذبوا راسه ولحيته حتى سقط اكثر شعره فقام
ابو بكر دونه قايلا اتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وصح ان عقبة بن ابى معيط
لف بعنق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا وهو بفناء الكعبة فخنقه خنقا
شديدا فجاء ابو بكر ودفعه عنه وروى احمد فى مسنده اول من اظهر الاسلام
سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمار وامه سمية وصهيب
وبلال والمقداد فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله اى عن القتل بعمه
ابى طالب واما ابو بكر فمنعه الله بقومه واما سايرهم فاخذهم المشركون فالبسوهم
ادراع الحديد وصهروهم فى الشمس وان بلالا هانت عليه نفسه فى الله عز وجل
وهان على قومه فاخذوه واعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به فى شعاب مكة
وهو يقول احد احد اى ليمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان ومر اللعين ابو جهل
بسمية ام عمار بن ياسر وهى تعذب فطعنها بحربة فى فرجها فقتلها واخرج
البيهقى عن عروة ان ابا بكر رضى الله عنه اعتق ممن كان يعذب فى الله سبعة
منهم الزنيرة بكسر الزاى وتشديد النون المكسورة فعميت فقالوا ما
اعماها الا اللات والعزى فقالت كلا والله ما هو كذلك فرد الله عليها بصرها
وهو مع ذلك ايضا **يدل الورى** اى الخلق وكان الناظم اخذ هذا من
الحديث الصحيح وارسلت الى الخلق كافة فاما الانس والجن فبالاجماع
المعلوم من الدين بالضرورة فيكفر منكره كما مر واما الملايكة فعلى الاصح
عند جمع محققين كما يصرح به هذا الحديث وقوله ليكون للعالمين نذيرا

يشهد

يشهد له ذلك اذ العالم ما سوى الله واستعماله هنا فى العقلاء انما هو لتغليبهم
لفضلهم وقول الرازى اجمعنا على ان المراد الانس والجن مردود واما بقية
الجمادات فعلى ما ذهب اليه بعض محققى المتاخرين ومعنى ارساله للملايكة
وهم معصومون انهم كلفوا بتعظيمه والايمان به واشادة ذكره والجمادات
انه يركب فيها ادراكات لتومن به وتخضع له وان من شى الا يسبح بحمده اي
حقيقة لا بلسان الحال فقط خلافا لمن زعمه **على الله** اى على العلم بذاته
واسمايه وصفاته وافعاله وبما يجب له من اثبات كل صفة كمال وسلب
كل صفة نقص بل وكل ما لم يصل الى اعلى غايات الكمال وما يجوز له من ايجاد الخلق
واعدامهم وبما يمتنع عليه من المحالات التى لا تتعلق بها القدرة كما هو مقرر
فى محله **بالتوحيد** اى يطلب منهم توحيده تعالى بان يقروا بانه تعالى واحد فى
ذاته فلا تعدد له بوجه وصفاته فلا نظير له بوجه وافعاله فلا معين
ولا شريك له بوجه وظاهر المتن ان الباء فى التوحيد باء الالة ككتبت بالقلم
ويوجه بان العلم بالتوحيد كما ذكر ينشا عنه العلم بما يليق بذات الله تعالى
واسمايه وصفاته وافعاله كما تقرر **وهو** اى العلم بكل ذلك والدلالة عليه
المحجة اى الطريقة الى رضى الله تعالى التى امر بها ويثيب عليها **البيضاء** اي
النيرة المضيئة الواضحة التى لا يضل سالكها ولا ينقطع ولا ~~ينقطع~~ ولا يخشى
فيها من افة وهذا مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم تركتكم على الواضحة
البيضاء ليلها كنهارها ونهارها كليلها ولا يزيغ عنها الا هالك ولما صبر
صلى الله عليه وسلم على تبليغهم مع ما حصل له منهم مما اشار الناظم اليه بقوله

وان شق عليه الخ اطاع الله له اكثرهم حتى صاروا من اكابر اتباعه كما قال
فبما هي زايدة رحمة واصلة اليه من الله وهي في الاصل ميل وعطف تعالى غايته
التفضل والانعام او ارادة تمامًا والمراد هنا هذه الغاية لاستحالة العطف
والميل على الله تعالى وكذا كل صفة وردت في القران والسنة لله تعالى ولا يحال
عليه معناها يراد بها غايتها اي فبسبب رحمة الله لهم وعطفه عليهم ببركة تبيين
رسوله وصبره عليهم كما يشير لذلك قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم
الذي اقتبس الناظم منه هذا ايقظ قلوبهم وازال ما فيها من كبر وغي فح
لانت صخرة هي الحجر العظيم من بيانه وجعل الشارح ذلك صفة لصخرة مع
كون من بيانية بعيد اباتهم اي امتناعهم صماء اي صلبة لا يؤثر فيها معول
على خلاف العادة وبه يظهر حسن التقابل بين لانت وصما وهو من الطباق
ويسمى المطابقة والتضاد ايضا وهو ان تجمع بين معنيين متقابلين في الجملة
بتضاد او نفي واثبات او عدم وملكة او نحو ذلك اي زال امتناعهم من
طاعته فيما يامرهم به فاطاعوه واتبعوه فعلم انه استعار الصخرة التي في
غاية الصلابة لابايهم منه اولا اذ كانوا على غاية النفرة عنه والبغض والايذا
له ولليونتها وزوال صلابتها لاتباعهم له وانقيادهم لجميع اوامره ونواهيه
احرا وبتحقق ان ذلك كله انما هو بواسطة رحمة من الله وهداية لهم لا بحوله
صلى الله عليه وسلم ولا بقوته انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من
يشاء وبعد ان لا نواله ببركة لينه لهم لم يزل لبينهم يتزايد حتى استجاب له
اي اجابت دعوته وامتثلت اشارته بنصر وفتح اي مع او بسبب ما اعطاه

الله

نفسا في صح

الله من النصر على الاعدا بكثرة الاتباع والقا الرعب في القلوب والفتح لبلادهم
باخماد شوكتهم واستيصال شافتهم بعد ذاك اي الضعف الذي كان به صلى الله
عليه وسلم وباتباعه لقلتهم وتحريم قتال الاعدا وتصميمهم على مناواته ومعاداته
لقوة شوكتهم وكثرة عددهم وعددهم الخضرا اي السما سميت بذلك لانها ترى
كذلك فقد قال القاسم بن ابي مرة لبست السما مرتعة لكنها مغويه يراها
الناس خضرا وبين الثوري سبب ذلك فقال بلغنا ان صخرة تحت الارض اي
خضرا كما في حديث البزار وغيره منها خضرة السما اي وليست في الحقيقة كذلك
للحديث انهم قالوا يا رسول الله ما هذه السما قال هذا موج مكفوف عنكم
ومن ثم سيل ابن عباس رضي الله عنهما السما من اي شي فقال انها من موج مكفوف
ويوافقه قول علي كرم الله تعالى وجهه في حلفه والذي خلق السما من ما ودخان
وقال كعب السما اشد بياضا من اللبن وقال الربيع ابن انس السما الدنيا
موج مكفوف والثانية مرمرة بيضا والثالثة حديد والرابعة نحاس والخامسة
فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمرا وجا عن سلمان الفارسي
رحمه الله تعالى لكن بسند واه السما الدنيا من زمردة خضرا والثانية من
فضة والثالثة من ياقوتة حمرا والرابعة من درة بيضا والخامسة من
ذهبة حمرا والسادسة من ياقوتة خضرا والسابعة من نور والغبرا
اي الارض سميت بذلك لان جميع طبقاتها من طين كما جا عن ابن عمر رضي الله تعالى
عنهما قال لما اراد الله ان يخلق الاشيا اذ كان عرشه على الما واذ لا ارض
ولا سما خلق الريح فسلطها على الما حتى اضطربت امواجه واثار ركامه

على حقيقة السماء
معتبرة صح
طباقها لخ
الريح صح

فاخرج من الما دخانا وطينا وزبدا فامر الدخان فعلى وسما فخلق منه
السموات وخلق من الطين الارضين وخلق من الزبد الجبال وبين الخضرا
والغبرا ما مر في لانت وصا لكن هذا ايسمي التذبيج لذكر الالوان فيه
ومعنى استجابة السما والارض له صلى الله عليه وسلم استجابة اهلهما ويحتمل
انه استعار السما للرفيع من الناس والارض للوضيع اي اجابه الرفيع
والوضيع حتى لم يتخلف من اهل مكة وغيرهم احد عنه اذ لم يبق الا مسلم
او مسالم وعلى الاول فتقييد الناظم استجابة اهل الارض بالنصر والفتح
بتلك البعدية ظاهر واما تقييد استجابة اهل السما بها فهو بمعنى انه لم
تنزل لنصرته الملائكة الا ببدر وما بعدها وذلك انما هو بعد قوته
والقاء رعبه في القلوب والاذن في الجهاد والفتح عليه ومن جملة استجابة
اهل الارض له بعد ذلك انه اطاعت لامره وهو القول الدال على الطلب
بلفظ افعل وليفعل وحذفه لعلمه مما ذكره العرب بضم فسكون او بفتحتين
كما هنا وهم ولد اسماعيل صلى الله عليه وسلم العربا ويقال العاربة وهم
الخلص من العرب ويقال لغير الخلص العرب المستعربة وفي القاموس العرب بالضم
وبالتحريك خلاف العجم اي بالضم والتحريك ايضا كما ذكره في مادته وهم
سكان الامصار او عام والاعراب منهم سكان البادية لا واحد له ويجمع
على اعاريب وعرب عاربة وعربة وعربات وعرباء صرحا ومتعربة ومستعربة
دخلا ثم قال ويعرب بن قحطان ابو العرب قيل اول من تكلم بالعربية وفي
النهاية الاعراب من العرب ساكنوا البادية الذين لا يقيمون في الامصار ولا

يدخلونها الا لحاجة والعرب اسم لهذا الجيل من الناس قام بالبادية او المدن
وفي الصحاح ليس الاعراب جمع عرب اي لان الجمع لا يكون اخص من واحده وانما
العرب اسم جنس وذكر ابن قتيبة ان الاعرابي هو البدوي والعربي المنسوب
الى العرب وان لم يكن بدويا والعجمي المنسوب للعجم انتهى وبين المبرد في كتاب
نسب عدنان وقحطان ان جميع العرب ترجع اليهما وعدنان هو الجد الاعلى
للنبي صلى الله عليه وسلم وساير العرب العربا وبينه وبين اسماعيل ثمانية ابا
وقحطان قال الكلبي هو الجيشع بن بنت اسماعيل صلى الله عليه وسلم والجاهلية
الجهلا هو كالعربا فيه تجنيس الاشتقاق وشبه التاكيد اللفظي كليل اليل
وخص هذين لان تصميمهما على الكفر بلغ من القوة والشدة ما لم يبلغه تصميم
غيرهما وتوالت اي تتابعت للمصطفى صلى الله عليه وسلم متعلق بقوله الاية
مفرد محلى بال فيكون في معنى الايات وايضا فالتوالي انما يكون في متعدد اي العلامات
الدالة على نبوته والمدحضة لما تقولوه وافتروه وعلقه الشارح بتوالت وهو
وان كان هو الظاهر صناعة الا ان الثاني فيه افادة ان ما توالى له انما
هو اياته الخاصة به لا اية من تقدمه الكبرى عليهم كالقران وانشقاق
القمر وتوالت له عليهم ايضا الغارة على بلادهم واموالهم ونفوسهم وذراريهم
وهي اسم مصدر لاغار الشعواء اي الفاشية المتفرقة المحيطة بهم من ساير
الجوانب التي لم تظفر لهم بنفس او مال الا اهلكته وبعد ان استجاب له اهل
السما والارض ودخل الناس في دين الله افواجا وكثر اتباعه جدا حتى
صار اذا ما زايره تلا كتابا انزل عليه من الله تعالى وهو القران تلته

اى تبعته لاجل القراة معه او استماع قراته الكتايب مُزْدحمين عليه لاسيما
كتيبة بالعوقية اى جيش خضرآ اى يعلوها سواد السلاح والحديد ومن
عكسه سواد العراق لكثرة شجره وهو من بعيد يرى اسود وهى كتيبة رسول
الله صلى الله عليه وسلم التى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وهو فيها
على ناقته القصوى بين ابى بكر واسيد بن خضير ولما راها ابو سفيان راى
ما لا قبل له به فقال للعباس لقد اصبح ملك ابن اخيك ملكا عظيما فقال له
العباس ويحك انه ليس بملك ولكنه نبوة وروى البخارى عن عبد الله
بن معقل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته وهو
يقرا سورة الفتح ويرجع وقال لولا ان يجتمع الناس حولى لرجعت كما رجع
وبين تلا وتلته وكتاب وكتيبة تجنيس الاشتقاق او شبهه وكفاه صلى
الله عليه وسلم ربه فضلا منه وكرما النفر الاشقيا الذين زادوا فى ايذايه والعتو — الاشقياء
عليه المستهزين به كما قال تعالى انا كفيناك المستهزين وهم جماعة من قومه
كانوا يسخرون منه ويبالغون فى ايذايه والسخرية به اى تولى هلاكهم من
كفيت فلانا المؤنة اذا توليتها له فلم تحوجه اليها ومع توليه تعالى هلاك
المستهزين به سلاه فاعلمه بان هذا ليس خاصا به بل الانبيا قبله كذلك
بقوله عز قايلا واصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ومن ثم اقتبس المصنف
من هذا كقوله تعالى ولقد استهزى برسل من قبلك الاية قوله وكم مرات
كثيرة سآء اى احزن نبيا بينهما الجناس المصحف من قومه متعلق بقوله
استهزآء اى سخرية وايذا ففيه اقتباس وتلميح وهو الاشارة الى قصة

اوشعر

اوشعر او مثل ساير وذكرنا التلميح هنا مع كثرته فى كلامه لانه هنا اظهر
باعتبار ظهور قصة المستهزين وشدة الاعتنا بها وفيه ايضا التذييل والمثل
الساير فى الجملة الاستفهاميه ودماهم اى اصابهم بدعوة منه عليهم وصلت
اليهم فاهلكتهم كما يصل السهم القاتل الى من رمى به فيهلكه من اى بدعوة
كاينة فى فنا البيت اى حوالى الكعبه وقيل انه شكاهم لجبريل فقال امرت ان اكفيكم — فنا البيت
ثم اشار الى كل بما اصابه وذلك لا ينافى دعاهم عليه لان دعاه كان سببا لاشارة
جبريل عليه السلام اليهم بالهلاك وتجويز تعلق من برمى وانها لابتدا الغاية
بعيد لكن فيه دقة تشبيه وبلاغة ولعل الناظم قصد ذلك لاستقامة
الوزن مع كل فايثارها مع كونها خلاف المتبادر انما هو عن قصد ثم وصف
الدعوة ايضا بقوله فيها اى تلك الدعوة للظالمين متعلق بما بعده
والاصل لهم وعدل عنه ليبين ان سبب هلاكهم ظلمهم وبغيهم عليه
صلى الله عليه وسلم والظلم وضع الشى فى غير محله فنآء اى استيصال لهم
حتى لم يبق منهم احد وبين فنا وفنا جناس محرف لاختلاف حركة الفا خمسة
بدل من المستهزين او الظالمين ويصح رفعه اى هم وخصهم مع ان
من المستهزين ابا لهب وزوجته وعقبة بن ابى معيط والحكم بن العاص
لانهم اشدهم ولذا اعجلت عقوبتهم كلهم بدآء عظيم والدآء اى الهلاك من — اصيبوا
جملة جنوده المعينة عليه الادوآء جمع دآء وهو المرض وهذا اساقه مساق
الحكم لمناسبته لما قبله فانه كالتعليل له اى انما اصيبوا بذلك الدآء لانهم
سعوا فى تحصيل اسباب الردى لهم حتى وقعوا فيه ولم يجدوا منه مخلصا

وبين داء وادا جناس ناقص كما مر ثم فصل ذلك الدا الذي اهلكهم الله به
فقال فدهي من الداهية وهي الامر العظيم المهلك الاسود بن مطلب
بن اسد بن عبد العزى فهو اسدي اي عمى اي عمي عظيم لانه كما طمس بصره
طمس بصيرته حتى لم يبق له تمييز بين الحسن والقبيح وليس العمى الاعمى
البصيرة ميت به اي بسبب ذلك العمى الاحيا في حكم الاموات الذين
لا ينظر اليهم ولا يعول عليهم ويحتمل ان المراد ان عماه كان سببا لموته
على خلاف العادة مبالغة في هلاك ذلك اللعين وانه قتل بما لا
يقتل عادة لانه حقت عليه الكلمة فمات فورا من غير سبب ظاهر لذلك
وبما تقرر علم ان ميت مبتدا وما بعده سد مسد الخبر اي ان من شان
هذا العمى انه لو وقع للاحيا صاروا به في حكم الموتى لا بصر لهم ولا بصيرة
فالجملة مؤكدة لما افاده تنوين عمى انه عمى بصر وبصيرة ولم ينظر الناظم
الى عدم اعتماد المبتدا جريا على مذهب الكوفيين فانه قوي ومن ثم
تبعهم الاخفش مع تقدمه وتحقيقه وقال ابن مالك الاعتماد حسن
لا واجب وكانه يريد ان يجمع بين راي البصريين والكوفيين لكنه خلاف
ما صرحوا به فيكون رايا ثالثا لا يقال ميت خبر مقدم لانا نقول
لو كان خبرا لقال ميتون لوجوب المطابقة ولا حجة لهم في قولهم خبير
بنو لهب ان خبير مقدم لان فعيل لا يلزم فيه المطابقة وبين ميت
والاحيا الطباق ودهي ايضا الاسود بن عبد يغوث بن وهب
بن مناف بن زهره فهو زهري ويغوث في الاصل اسم صنم ان سقاه كاس الردي

الموت

الموت استسقاء حصل له في جوفه واستمر به حتى اهلكه وهو داء خبيث على
انواع المراد منها الزقي وهو امتلا الامعا بالما الفاسد المبطل للحار الغريزي
المفضي الى الهلاك عن قرب وبين سقاه واستسقا جناس الاشتقاق
وتشبيه الردى بالمشروب حتى اثبت له ما هو من لوازم المشبه به من
الكاس والسقي استعارة بالكناية يتبعها الاستعارة التخييلية واصاب
الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم فهو مخزومي خدشة سهم
اي اثر جرحة باسفل رجله من شخص في يده نبل وقيل اصابت ذيله شوكة فمنعه
الكبر ان ينحني ليقلعها فضربها بالسوط فاصابت رجله فتاكلت ومات منها
قبل وقعة بدر وكان سم ذلك الجرح اسرع الى هلاكه واشنع من سم الافاعي
فلذلك قصرت عنها اي عن تلك الخدشة الحية الرقطا اي التي تخالط
سوادها نقط بيض وهي اعظم الحيات اذى ووجه قصورها عنها في
الافضا الى القتل ان الحية قد يبرا من لسعتها بخلاف تلك
الخدشة فانها كانت قاتلة له حتما لانها اثر تلك الدعوة عليه المقبولة ثم
رايت بعضهم قال وانما كان ما اصاب الوليد اعظم لان الحية انما
تهلك بواسطة السم وهذا بلا واسطة انتهى وما ذكرته اوضح واحسن
كما لا يخفى وقضت شوكة دخلت في اخمص رجل العاص على مهجة العاص بن
وايل بن هشام بن سعد بن سهم فهو سهمي اي قتلته قتلا عجيبا ومن ثم
عقبه بما يفيد التعجب فقال فلله هذه النفعة من قولهم الناس نقايم
الموت اي انه يجزرهم كما يجزر الجزار النقيعة الشوكا من قولهم بردة

شوكا اى خشنة الملمس اى ما اعجب هذه القتلة الشديدة التى حصلت له من تلك
الشوكة القليلة التاثير عادة فلله درها من شوكة نحرته فى اسرع وقت
وقضت على الحارث مولى الطلاطلة بالموت العظيم القبيح جمع قبيح وهو
المادة البيضا التى لا تخالطها دم والحال انه قد سال به راسه وسا
اى قبح ذلك الراس هو الوعا لتلك القبوح القايلة لصاحبه وبين سال
الذى صح
وسا الجناس الناقص وفى الختم بسا الوعا التذييل هولا الملاعين خمسة
طهرت بقطعهم اى هلاكهم الارض اى مكة ونواحيها او مطلقا لان مردهم
سرى الى جميع البلاد فكف الاذى الذى كان يصل للناس لا سيما نبينا صلى الله
عليه وسلم منهم بهم اى بسبب فقدهم او مع فقدهم شلا اى فاقد الحركة
فعلم انه شبه الاذى بالانسان من باب تشبيه المعقول بالمحسوس لافادة
ان الاذى لو تجسم لكان انسانا يقدر على ايصال ما يريده باى وجه
كان ثم اثبت له ما هو من لوازم المشبه به وهو الكف الذى يتناول بها صح
التى صح
ساير المضار التى يريدها ووصفها بالشلل لبيان ان الاذى بفقدهم صار صح
معطلا لا حركة فيه ولا تاثير ففيه استعارة مكنية تتبعها استعارة
تخييلية وذكر الشلل الملايم المشبه به ترشيح فدية بالنبا للمفعول
يقال فداك بفتح اوله فيقصر وبكسره فيقصر ويمد وهو دعا متضمن
للتعظيم فهو من خبر الانشا اى لو امكن ان يكون احد فدا لاحد من الموت لسالت
ان يكون هولا فداهم او المراد اللهم اجعلهم فداهم من الموذيات وقوله
ان كان للكرام فدا الدال على انه لا فدا لهم يدل على المعنى الاول خمسة

الصحيفة الاتى بيانها بالخمسة الملاعين السابق ذكرهم اى جعلت هولا
جميعهم فدا الكل واحد من اوليك من كل مكروه فالمقابلة هنا ليست من
باب ركب القوم دوابهم وان جزاوها محذوف لدلالة ما قبله عليه كان للكرام
فدا اوليك الخمسة الذين سعوا فى نقض الصحيفة من جملة الكرام ○
الذين يتعين فداوهم عند الحاجات والشدايد ان يقع الفدا لانهم بذلوا
نفوسهم فى امر عظيم جدا كما يعلم من ذكر قصتها وهى ان قريشا لما رات
عزة النبى صلى الله عليه وسلم بامره فى سنة خمس من النبوة بضعة عشر من
اصحابه منهم عثمان وزوجته رقيه بنت النبى صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى
الحبشة واستقرارهم فيها وباسلام حمزة ثم عمر بعده بثلاثة ايام وبفشو
الاسلام فى القبايل اجمعوا على ان يقتلوا النبى صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك
ابا طالب فاتوا اليه بعمارة ابن الوليد اعز فتى فيهم لياخذه بدل ابن اخيه
فابى وجمع بنى هاشم وبنى المطلب وادخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
شعبهم ومنعوه ممن اراد قتله واجابوه لذلك حتى كفارهم حمية على عادة
الجاهلية فلما رات قريش ذلك اجتمعوا وايتمروا ان يكتبوا كتابا
يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى المطلب ان لا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا
يبيعوا منهم شيا ولا يبتاعوا منهم ولا يقبلوا منهم صلحا ابدا حتى يسلموا
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل وكتبوا ذلك فى صحيفة بخط بعضهم
فشلت يده وعلقوا الصحيفة فى جوف الكعبة تاكيدا فى حفظها وبقايها
وكان ذلك هلال المحرم سنة سبع من النبوة فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب

الى ابى طالب فدخلوا معه فى شعبه الا ابا لهب فكان مع قريش لعنهم الله تعالى فأقاموا
على ذلك سنتين او ثلاثا حتى جهدوا وكان لا يصل اليهم شى الا سرا حتى ان حكيم
بن حزام حمل غلامه حبا يريد به عمته خديجة رضى الله تعالى عنها فلقيه ابو جهل
اللعين فتعلق به واراد أن يفضحه فانتصر له ابو البختري بن هشام بن الحارث
ابن اسد وقال خل سبيله فابى فاخذ له لحى جمل فضربه به وشجه ووطيه وطيا
شديدا فلما مضت تلك المدة قام اولئك الخمسة فى نقض تلك الصحيفة
وكان راسهم هشام ابن الحارث لعزته بعمه لامه الذي هو اخو عبد المطلب
ومن ثم كان واصلا لبنى هاشم فكان يأتيهم ليلا بالبعير وعليه الطعام الى فم
الشعب فيخلع خطامه ويضربه حتى يدخل ولعزة هشام بعمه هذا مشى الى
زهير بن عاتكة بنت عبد المطلب فقال ارضيت ان تاكل الطعام وتلبس الثياب
وتنكح النسا واخوالك حيث علمت وشدد عليه حتى قال لو وجدت رجلا
معى لنقضتها فقال انا معك فقال انا معك فقال ابغنا ثانيا فذهب كذا فى الاصل
الى المطعم واستنجاه حتى قال لو وجدت رجلا قال انا معك قال ابغنا
ثالثا قال فقد وجدت زهيرا بن ابى امية قال ابغنا رابعا فذهب الى ابى
البختري واستنجاه فقال وهل من معين فذكر له اولئك فقال ابغنا أبغناه
خامسا فذهب الى زمعة واستنجاه فقال هل من احد فذكر له القوم
فاجتمعوا بالحجون واجمعوا على نقضها فقال لهم زهير انا اول من
يتكلم فلما اصبحوا غدوا الى انديتهم وغدا زهير بحلة فطاف سبعا ثم اقبل على
الناس فقال يا اهل مكة انا ناكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم فيما

ترون

ترون والله لا اقعد حتى نشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة فقال
ابو جهل كذبت والله لا تشق فقال زمعة انت والله اكذب ما رضينا
كتابتها حيث كتبت وقال ابو البختري صدق زمعة ما نرضى ما كتب
فيها ولا نقر به وقال المطعم صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرا الى
الله تعالى منها ومما كتب فيها فقال ابو جهل هذا امر قضى بليل تشوور
فيه بغير هذا المكان وابو طالب جالس فقام المطعم الى الصحيفة ليشقها
فوجد الأرضة قد اكلتها الا باسمك اللهم ولا يعارض ذلك ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك قال لابى طالب يا عم ان ربى سلط الارضة
على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسما هو لله الا اثبتته ومحت منها الظلم
والقطيعة والبهتان فقال اربك اخبرك بهذا قال نعم فاخبرهم
ابو طالب بذلك وقال انزلوها فان صدق فانتهوا عن قطيعتنا
والا دفعته اليكم فنظروها فاذا هى كما قال صلى الله عليه وسلم فازدادوا
شرا وذلك لانه لا مانع انهم لما نظروا ذلك وازدادوا شرا قام اولئك
الخمسة فى اذهابها من اصلها فسعوا فى نقضها وبذلوا جهدهم
فيه قال الشارح ويحتمل ان ابا طالب انما اخبر بعد سعيهم
ان ح فى نقضها انتهى ويبعد الاخبار بذلك ح ليس له كبير جدوى فالأولى
تصريح بل المتعين ما قدمته اذا تقرر ذلك علم انهم فتية اى كرام جمع فتى وهو
السخى الكريم وفيه بما اوى اليه من وصفهم بمكارم الاخلاق بيتوا
اى دبروا واشتوروا بالحجون ليلا على فعل خير هو نقضها والخاطرة

دونه بالنفوس لشدة قريش في بقايها مع كثرتهم وعتوهم حمد الصبح اي الفجر
او الصباح وهو من الفجر الى الزوال ويدل على هذا اسقابلته بالمسا
الذى هو من الزوال الى الغروب امره اى شانه وغايته والمسا واسناد
الحمد لهذين الزمانين مجاز دال على شدة المبالغة فى وقوع الحمد وطلبه
على فعل ذلك الخير لان الزمان اذا حمد على ذلك فسائر العقلا اولى واحق
بذلك وبين الصباح والمسا الطباق كالشدة والرخا والنقض والابرام
فيما ياتى وجعل الشارح غير الاخيرين من المقابلة وهما من الطباق لايتاتى
على تفسيرهم الطباق بانه الجمع بين معنيين متقابلين فى الجملة كما مر
مبسوطا يا لامر بفتح اللام هو نقيضه وناداه على طريق الاستغاثة
تنزيلا له منزلة العاقل مبالغة فى تعظيمه ولذا كان ذلك مفيدا
للتعجب كقولهم يا للدواهي اذا تعجبوا لكثرتها اتاه بعد هشام بن الحارث
بن حبيب بن خزيمة بن مالك بن حسل بن عامر بن لوى فهو عامرى وقد
لما انه اول الخمسة والسبب فى اجتماعهم زمعة بن الاسود بن المطلب
ابن اسد انه بالكسر استيناف فيه معنى التعليل لكونه اول من كذب
ابا جهل وردعن هشام كما مر الفتى اى الكريم فى قومه الاتى صفة مبالغة
من اتى ففيه مع اتاه جناس الاشتقاق كما فى قد بيت وفدا وزهير بن ابى
امية بن المغيرة وامه عاتكة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه
وسلم والمطعم بن عدى وابو البخترى واتى هولا الخمسة النقض لا عن غير
اتفاق ومواطاة بل انما اتوه اتيانا كاينا من حيث ظرف مكان حقيقة

اومجازا

اومجازا اوجوز الاخفش كونها ظرف زمان ويجوز فتحه وجره وحاث وحوث
واعرابها لغة قليلة وتلزم الاضافة لجملة وندرت لمفرد خلافا للكسائى
وعدم اضافتها بالكلية اندر فتعوضها وتصرفها نادر بل انكره ابو حيان
والغالب كونها فى محل نصب على الظرفية او خفض بمن ولا تقع اسم ان
ولا مفعولا به على خلاف فيها وزعم الفارسى انها فى الله اعلم حيث يجعل
رسالاته مفعولا به على خلاف فيها اذ المعنى انه سبحانه يعلم نفس المكان
المستحق لوضع الرسالة فيه لا شيا فى المكان وناصبها يعلم المدلول عليه
باعلم لا هو لان افعل التفضيل لا ينصب المفعول به الا ان اول بعالم شاؤا
اى من المكان الذى قصدوه لتدبير امرهم وتشاورهم عليه فلذلك وقع
فعلهم الموقع الذى قصدوه ونتج الانتاج الذى دبروه نقضوا بدل
من فعل خير من نقض العهد اى ابطاله مبرم اى محكم واصله كالبريم
الحبل الذى جمع من مفتولين ففتل حبلا واحدا الصحيفة التى توافقت فتلا حبلا واحدا الخ
قريش على ابقائها على الدوام الا ان يسلم بنو هاشم والمطلب رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذ اى وقت او لاجل ان شدت اى صمت عليه اى على ذلك
الامر المبرم وهو عدم نقض تلك الصحيفة ليهم من العدا بيان لقوله الاندا
جمع ناد وهو العشيرة ومنه فليدع ناديه واصله المكان الذى تجلس فيه
للتحدث والسمر سمى من فيه باسمه اى نقضوا هذا الامر المبرم الذى
قواه عشايرهم وصمموا عليه اذكرتنا بعد نسياننا جملة استينا فيه لبيان صح
ان لاكل الارضة الصحيفة نظيرا هو اكلها لعصاة سليمان باكلها لتلك

لتلك

الصحيفة والضمير للارضة الاتية التي هي الفاعل فهو عائد على متقدم رتبة وهو شائع
اكل مفعول اذكر الثاني منساة اي عصا سليمان بن داود صلى الله عليهما وسلم لما مات
وهو متكئ عليها فصار كذلك سنة والجن يعتقدون حياته فيدأبون فيما سخرهم
فيه من الاعمال الشاقة وما علموا موته الا باكل الارضة لمنساته فخر ساقطا فعلموا
ح ان لهم سنة مسخرين في العمل وانهم كاذبون في ادعائهم علم الغيب ولذا قال
تعالى عز قائلا فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل
من سأته فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب
المهين الارضة بفتح الراء وقد تسكن كما هنا وهي دويبة تاكل حتى الخشب اكلا
ذريعا الخرسا فيه تجنيس من شانه اذ ليس من شان الاخرس التذكير واثبات
الخرس لها مجاز اذ حقيقته فقد النطق عما من شانه النطق وبها اي وباكلها
للصحيفة اخبر النبي صلى الله عليه وسلم عمه ابا طالب وهو اخبر قريشا كما مر
مبسوطا وكم مرات كثيرة اخرج صلى الله عليه وسلم اي اظهر خبأ اي شيئا مخبأ
له الغيوب خبآء اي ساترة وبين خبأ وخباء الجناس المحرف وفي كم الخ
التذييل تنبيهان احدهما يجب على كل احد ان يعتقد ان الله تعالى هو
المختص بعلم الغيب وان ما حصل لرسله واوليائه منه فهو اما بوحي من الله
تعالى او الهام والاستثناء في قوله تعالى فلا يظهر على غيبه احدا الا الخ متصل
كما هو الاصل وذكر الرسول لا للاختصاص به بل لان كرامة اوليائه اتباعه من
جملة كراماته ومعجزاته وفي الحديث اني لا اعلم الا ما علمني ربي ثانيهما في بيان
ما اشار اليه الناظم من كثرة ما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات

وحاصل

وحاصل شيء من ذلك ان مما يدل على كثرة ما اخبر به صلى الله عليه وسلم من الغيوب
ما في القران منها مما لا يحيط به حد وخبر الطبراني ان الله تعالى قد رفع لي الدنيا
فانا انظر اليها والى ما هو كائن فيها الى يوم القيمة كانما انظر الى كفي هذه وخبر
ابي داود قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا الى قيام الساعة
الا حدثنا به وفي الحديث الصحيح فعلمت علم الاولين والاخرين وصح انه صلى
الله عليه وسلم اخبر بموت النجاشي يوم موته بالحبشة وصلى عليه باصحابه وانه
وابا بكر وعمر وعثمان صعدوا احدا فتحرك فضربه برجله وقال له اثبت فانما
عليك نبي وصديق وشهيدان فاستشهدا وان ملك كسرى وقيصر ينقطع
بعده من العراق والشام فكان كذلك في زمن عمر وانه قال لسراقة كيف بك
اذا لبست سواري كسرى فالبسهما عمر له لما زال ملك كسرى في زمنه تحقيقا
لذلك واخبر عمه العباس ببدر بما تركه في مكة من المال عند زوجته ولم يطلع
عليه احد غيرها واخبر بكتاب حاطب الى اهل مكة وبموضع ناقته حين ضلت وتعلق
خطامها الشجرة وبان قريشا بعد الاحزاب لا يغزونه وباستشهاد امير
الجيش الذي ارسله لموتة بلد بارض الشام يوم قتلهم زيد بن حارثة فجعفر
بن ابي طالب فعبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنهم وبان بنته فاطمة
رضي الله تعالى عنها اول اهله لحوقا به فعاشت بعده ثمانية اشهر او ستة
وبان اشقى الاولين والاخرين قاتل علي كرم الله تعالى وجهه بضربة في يافوخه
فتبتل من دمها لحيته فضربه الشقي ابن ملجم ضربة كذلك ومات فيها منها
وبان معاوية رضي الله تعالى عنه يلي امر امته وبانه لم يغلب رواهما ابن عساكر

ومن ثم قال على كرم الله وجهه يوم صفين لو ذكرت هذا الحديث ما قاتلته وبان
عثمان يقتل ظلما وروايه تقتل وانت تقرأ فى البقرة فتقع قطرة من دمك
على فسيكفيكهم الله موضوع وبوقعة الحرة من عسكر يزيد عامله الله
تعالى بعدله بالمدينة فابيحت نفوس اهلها وابضاعهم واموالهم وقتل
سبعمائة يحفظون القران منهم ثلاث مائة صحابى وافتض فيها الف عذرا
وبوقعة الجمل وصفين وقتال عايشة والزبير لعلى رضى الله تعالى عنهم
ولذلك قال على للزبير رضى الله تعالى عنهما لما برز له يومئذ انشدك
الله هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقاتله وانت له
ظالم فانصرف الزبير فقال بلى ولكن نسيت وقد يستشكل الوصف
بالظلم مع ان الزبير مجتهد فغايته انه مخطى وهو له اجر بنص الحديث
الصحيح ويجاب بان اصل الظلم وضع الشى فى غير محله خطا منك لا تعمدا
او فانت له ظالم حقيقة لو نظرت فى الدليل حق النظر بقرينة ما تقرر ان
المجتهد المخطى له اجر وبقوله فى الحسن كرم الله تعالى وجهه ان ابنى
هذا سيد وسيصلح الله به بين فيئتين عظيمتين من المسلمين وكان كذلك
فانه بويع بعد ابيه فمكث خليفة ستة اشهر ثم سار لمعاوية باربعين
الفا فلما تراا الجمعان علم كثرة الفريقين وانه لا يغلب احدهما حتى يقتل
الفريق الاخر فرق على المسلمين ورحمهم ورفض الملك فى جنب ذلك
ابتغا لوجه الله تعالى كما جاعنه كرم الله تعالى وجهه ثم ارسل لمعاوية
يشترط عليه شروطا وينزل له عن الخلافة فارسل له قرطاسا ابيض وقال اشترط

ماشئت

ماشئت فاشترط ونزل له عن الملك فصار معاوية يومئذ خليفة حقيقة وبقتل
الحسين كرم الله تعالى وجهه بالطف واخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه
وصح خبر استاذن ملك القطر ربه ان يزور النبى صلى الله عليه وسلم فاذن له وكان
فى يوم ام سلمة فجا الحسين فاقتحم فقبله صلى الله عليه وسلم فقال له اتحبه
قال نعم قال ان امتك ستقتله وان شئت اريتك المكان الذى يقتل فيه
فاراه فجا بسهلة بالكسر رمل خشن او تراب احمر فاخذته ام سلمة فجعلته فى
ثوبها قال الراوى كنا نقول انها كربلا وفى رواية انه قال لها اذا صار
دما فاعلمى انه قد قتل واخبر ابن عمر بانه سيعمى لما راى جبريل معه فى صورة
رجل واخبر ام عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهم بانها ستلده وبانه
ابو الخلفا وبان منهم السفاح والمهدى واخبر بان الترك ستغلب على
العرب حتى تلحقها بمنابت الشيح والقيصوم وبقوله يوشك الناس
ان يضربوا اكباد الابل فلا يجدون عالما اعلم من عالم المدينة قال
ابن عيينة وغيره هو مالك ابن انس ومن ثم كان الناس يزدحمون على
بابه لاخذ العلم حتى يقتتلون وممن روى عنه من الاكابر الزهرى
والسفيانان والشافعى والاوزاعى امام اهل الشام والليث امام اهل
مصر وابو حنيفة وصاحباه ابو يوسف ومحمد وذو النون المصرى والفضيل
وابن المبارك وابن ادهم رحمهم الله تعالى وبعالم قريش وانه يملا
طباق الارض علما قال احمد وغيره نراه الشافعى لانه لم ينتشر فى
طباق الارض لقرشى صحابى او غيره ما انتشر للشافعى اى والذى انتشر

لعلي وابن عباس ونحوهما مسايل قليلة جدا كما يعلم ذلك من سبر كلامهم واطلع
عليه وزعم الصاغاني ان الحديث موضوع تهور منه وانما فيه نوع ضعف
ذكروا له شواهد تجبره وقد جمع الحافظ العسقلاني طرقه في كتاب مستقل واخبر
بالخوارج الذين خرجوا على علي كرم الله تعالى وجهه وان فيهم رجلا اسود احد
عضديه مثل ثدي المرأة فقاتلهم علي واخرج ذلك الرجل حتى راه الناس
بالوصف الذي وصفه صلى الله عليه وسلم واخبر بالرافضة وانهم يرفضون
الاسلام وبالقدرية والمرجئة وبان امته ستفترق على ثلاثة وسبعين
فرقة وبانها كلها في النار الا الفرقة التي على ما كان عليه هو واصحابه
وهم الطايفة الذين اخبر عنهم بانهم لا يزالون على الحق لا يضرهم من
خالفهم الى قيام الساعة اي قربه بقليل وبامارات الساعة الكثيرة
جدا فوقع كثير منها وينتظر وقوع الباقي ومما وقع منها النار التي
قال عنها صلى الله عليه وسلم كما رواه الشيخان لا تقوم حتى تخرج نار من ارض
الحجاز يضي لها اعناق الابل فخرجت نار عظيمة على نحو مرحلة من المدينة ببصرى صح
المشرفة وتقدمتها زلزلة عظيمة ~~على نحو مرحلة من المدينة المشرفة~~ بعد
عشاء الاربعاء ثالث جماد الاخر سنة اربع وخمسين وستمائة ولم تزل تغلي
كغليان البحر الى ان ارتجت منها الارض ومن عليها حتى ايقن اهل
المدينة بالهلاك وكثرت الزلزال حتى وقع منها في يوم واحد ثمانية الزلازل صح
عشر زلزلة لكن ببركته صلى الله عليه وسلم كان يغشى المدينة نسيم بارد
ورؤيت من مكة وجبال بصرى وانطفت ليلة الاسرا سابع عشري رجب

وقد

وقد اوسع المورخون في اخبارها بما يطول استقصاؤها واذا تاملت ما
اطلعه الله تعالى عليه من الغيوب لا سيما ما يتعلق بامر الصحيفة علمت ان ذلك
من تمام عناية ربه تعالى به وانه لا يضيعه قط ومن ثم عقب الناظم ذلك بقوله
لا تخل بفتح الفوقية والمعجمة من خلت الشي خيلا ومخيلة ظننته **جانب** هو في
الاصل شق الانسان واريد به هنا كله تعبيرا بالبعض عن الكل فالاضافة
بيانية **النبي مضاما** اي مضيما **حين** وفي نسخة حين والاولى اظهر وهو
ظرف لمضاما **مسته** صلى الله عليه وسلم **منهم** متعلق بقوله **الاسوا** اي الاذايات
الكثيرة حال كونها صادرة منهم كضربه وخنقه واغرا سفهايهم به فرموه
حتى سال الدم على نعليه وشج وجهه وكسر رباعيته وغير ذلك مما لو حمله
جبل لم يحتمله بل جانبه مع ذلك لم يزل يترقى في مراتب النصر والفتح الى ان
بلغ غاية العزة والجلالة وجانبهم لم يزل يتقهقر ويضمحل حتى وصل الى
حضيض الذل والهوان قال تعالى اذا جا نصر الله الايات ليظهره على الدين
كله والله يعصمك من الناس ثم ما اصابه صلى الله عليه وسلم من اذايات اممهم
مثل ذلك او اكثر لكن **كل امر** من الامور العظيمة **ناب** اي اصاب **النبيين**
فالشدة فيه التي تحصل لهم **محمودة** لانها لرفع درجاتهم العلية **والرخا** اي
السعة فيه محمودة ايضا لانه لتكثير اتباعهم وتفني اعداوهم ومما يبين ذلك
ويوضحه ان من المقرر في المعقول انه **لو يمس النضار** اي الذهب **هون** بالضم
اي هوان **من** ادخاله الى **النار** لاختبار خلوصه من الغش والنقص **لما اختير**
للنضار الحلا اي العرض على النار لعزته على النفوس وشحها به من اذى

فيه اسوة بالانبيا من اذاياتهم له قبله او اصابهم

نقص يصيبه فالانبيا كالذهب والشدايد التي تنوبهم كاصابة النار للذهب
فكما ان النار لا تزيد الذهب الا حسنا فكذلك الشدايد لا تزيد الانبياء
الا رفعة وفي لا تخل الى هنا الكلام الجامع البالغ من الحكم والبلاغة ما لا
يخفى عظيم وقعه ولما ذكر ما يناسب قوله لا تخل جانبا لنبي مضاما برهن
عليه بقوله كم يد اي جارحة عن نبيه كفها الله اي منعها وحذلها فلم تصل
اليه بسوء قصده صلى الله عليه وسلم به و الحال انه قد وجد في الخلق اي المخلوقين
الذين هم اعداوه المريدون لاهلاكه كثرة واجتراء اي شجاعة وتهور
واقدام على فعل ما خطر بالنفس من غير نظر في عاقبته اذ ظرف لكف اي وقت
ان دعا طلب حال كونه وحده العباد كلهم الى طاعة الله وترك ما هم عليه من الجهالات
والاباطيل والضلالات وان امست اي حصلت اذ امسى تستعمل كثيرا في ذلك
منه في كل الازمنة في كل مقلة منهم وهي شحمة العين التي تجمع السواد والبياض
اقذاء جمع قذى وهو ما يسقط في العين مما يولمها ويكدرها وذلك لانه
صلى الله عليه وسلم في ابتداء امره مع وحدته وقلة عضده وناصره كان يدعوهم
الى الايمان بالله وينادي عليهم في انديتهم بتسفيه احلامهم وسب الهتهم
ورميها بكل عيب وسوء فيبالغون حتى اقرب اقاربه كعمه ابي لهب في اذابته
والتجري عليه لكثرتهم ووحدته وهو مع ذلك محروس بحراسة الله تعالى مكلوء
بكلاءته محفوظ بحفظه متماد على ما هو فيه غير ملتفت لاذاهم بل صابرا عليهم
الصبر الجميل وامره لا يزداد الا ظهورا وعلوا واصحابه واعوانه يكثرون
ويتفوقون على اعدائهم شيا فشيا الى ان مكنه الله تعالى من نواصي اعدائه

فاذاق

فاذاق من بغى على كفره الهوان واحل من خضع منهم لعزته مامن البقاء والامان
ومما ينبيك بعظيم اذايتهم له وتنصره عليهم ما ذكره اهل السير ان عمرو بن
العاص قال للزبير ما اكثر ما رايت قريشا اصابوا من رسول الله صلى الله عليه
وسلم فذكر له ان اشرافهم اجتمعوا في الحجر فذكروا ما يفعله بهم من سبهم وسب الهتهم
فطلع عليهم صلى الله عليه وسلم فاستلم الركن وطاف فلما مر بهم انتقصوه فساءه
ذلك ثم مر بهم فاساوه فوقف ثم قال اتسمعون يا معشر قريش اما والذي
نفسي بيده لقد جيتكم بالذبح فاخذ تهم كلمته وارتعدت منها فرايصهم فاكانوا
له القول وقالوا انصرف يا ابا القاسم فوالله ما كنت جهولا فاجتمعوا له في الغد
في الحجر وفعلوا معه مثل ما ذكر ثم وثبوا اليه وثبة رجل واحد يؤنبونه لسب
الهتهم واخذ بعضهم بمجمع ردايه فقام اليه ابو بكر وحال بينهم وبينه كما مر
تنبيه قرينة سياق النظم مصرحة بان القذى في العين مستعار
لما حصل لهم في عيون بصايرهم من اذاه صلى الله عليه وسلم لهم بما مر انفا واما
قول بعضهم يحتمل انه يريد بالقذى ما على اعينهم من الغشاوة المانعة من
النظر في امره الحاجبة لهم عن اتباعه او يريد ما على قلوبهم من الران والصدا
الحاجب عن الايمان فيكون عبر بالمقلة عن عين البصيرة عما يعلوها من الران
والصدا انتهى فهو غفلة عن سياق المتن او عدم تامل له بالكلية لانه اما
حكم بانه صلى الله عليه وسلم اسكن القذى لكل مقلة منهم وح فلا يصح تفسير القذى
بشي مما ذكره وانما يصح تفسيره بما ذكرته فتامله والدليل على تلك الحراسة الباهرة
انه هم قوم تدخل فيهم النسا تبعا بقتله بالسيف فانى السيف اي امتنع

من الوصول اليه والتاثير فيه وفا اى لاجل وفايه بما اخذ عليه كبقية الخلق
من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واجلاله وتوقيره وتعظيمه وذلك الامتناع
وقع غير ما مرة فقد جا انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له اصحابه
شجرة تظله فبينما هو تحتها اذ جاءه اعرابى فاخترط سيفه ثم قال له من يمنعك
منى قال الله عز وجل فرعدت يده وسقط السيف وضرب براسه الشجرة
حتى سال دماغه كما روى وصح ان غورث بن الحارث اخترط سيفه صلى الله
عليه وسلم وهو نائم فاستيقظ فوجده فى يده صلتا فقال من يمنعك منى قال
الله فسقط من يده فاخذه صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك منى قال كن خير
اخذ فعفا عنه فرجع الى قومه وقال جيتكم من عند خير الناس وروى انه
صلى الله عليه وسلم وقع له نظير ذلك فى غزوة بدر مع منافق تبعه لما خرج لقضاء
حاجته ووقع نظير ذلك مع رجل سيد لقومه شجاعة وغيرها اغروه على قتله
فجاءه ثم رجع اليهم مسلما فانكروا عليه فقال نظرت الى رجل طويل ابيض دفع
فى صدرى فوقعت لظهرى وسقط السيف من يدى فعلمت انه ملك واسلمت
وفات اى رجعت على راميها وبينه وبين وفا الجناس اللاحق الصفواء
اى رجعت الحجارة عن اصابته بل جمدت فى يد راميها الذى هم ايضا بقتله
وهو ابو جهل بن هشام بن المغيرة المخزومى وكان من اشد الاعداء على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه اجتمع هو وقريش يوما فجاهرهم صلى الله عليه
وسلم وبالغ فى انذارهم وتسفيه احلامهم وسب الهتهم فاظهروا له شدة الاباء
والتعنت فانصرف عنهم حزينا عليهم فقال لهم ابو جهل اللعين يا معشر قريش

ان محمدا قد ابى الا ما ترون وانى اعاهد الله لاجلس له بحجر ما يطيق حمله فاذا
سجد فى صلاته رضخت به راسه فاسلمونى عند ذلك او امنعونى فليصنع
بى بنو عبد مناف ما بدا لهم فقالوا والله ما نسلمك لشىء ابدا فلما اصبح
اخذ حجرا كما وصف فلما سجد صلى الله عليه وسلم كعادته وقريش ينظرون
احتمل اللعين الحجر ثم اقبل نحوه اذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه مرعوبا
قد يبست يداه على حجره حتى قذفه فقاموا اليه فقالوا ما لك يا ابا الحكم
قال قمت اليه لافعل ما قلته لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لى دونه فحل من
الابل لا والله ما رايت مثل هامته ولا مثل صورته وانيابه لفحل قط فهم
بى ان ياكلنى فذكر انه صلى الله عليه وسلم قال ذاك جبريل لو دنا منه لاخذه
اذ ظرف لهم المقدر قبل ابو جهل لانه معطوف على قوم بقتله اى وهم
ايضا ابو جهل بقتله بالحجر الذى حمله وقت ان راى عنق بسكون النون
وضمها الفحل وقد برز اليه كانه العنقا اى الداهية العظيمة او الطير
العظيم المعروف وبين عنق وعنقا جناس الاشتقاق او شبهه وما ذكر من
ان ابا جهل معطوف على قوم وان اذ ظرف لهم هو ما جزم به الشارح وهو
بعيد لانه يلزم عليه انه وقت رؤية الفحل هم بقتله وذلك غير واقع بل
حصل له من الهيبة والخوف والذلة ما اذهله والحق انه معطوف
على الصفوا اى رجعت الصفوا عن الوصول اليه ورجع ابو جهل عن
الرمى بها وقت رؤيته الفحل فاذ حينئذ ظرف لغات مع فاعلها وما عطف
عليه واقتفاه معطوف على هم قال الشارح وكانه على نزع الخافض اى اقتفى

منه وظاهر قول القاموس فلانا طلب اليه ان يقضيه وتقاضاه الدين قبضه انه متعد بنفسه اى طلب النبى صلى الله عليه وسلم من ابى جهل ان يؤدى دين كهلة بن عصام بن كهلة بن اراش بن الغوث بن عمرو بن الغوث الاراشى بكسر الهمزة لكونه لما قدم مكة بابل له ليبيعها اشتراها منه ابو جهل ثم مطله باثمانها فوقف الاراشى على نادٍ من قريش فقال هل من رجل يخلصنى من ابى الحكم فانى غريب وابن سبيل وقد غلبنى على حقى فقالوا لا نخلصك منه الا ذاك الرجل اى محمد صلى الله عليه وسلم قالوا له ذلك استهزاء به فجاء اليه صلى الله عليه وسلم فقال له يا عبد الله ان ابا الحكم قد غلبنى على حقى وقد سالت اولئك القوم فاشاروا الى اليك فخلصنى منه يرحمك الله فقام معه ليخلصه منه كيف وقد شاء بعد ذكر مع ان الكلام ليس الا فى الشراء لانه نظيره فهو من مراعاة النظير والشراء اى وشراؤه مع هذا الرجل وغيره ولما ذهب اليه امروا واحدا منهم ان يتبعه لينظر ماذا يصنع فضرب صلى الله عليه وسلم بابه عليه بابه فقال من ذا قال محمد فاخرج الى فخرج اليه وقد انتقع لونه فقال اعط هذا الرجل حقه قال نعم لا يبرح حتى ياخذه فدخل فاخرجه اليه فجاء الى اولئك واخبرهم بما وقع له فجاء ابو جهل فقالوا له ويلك والله ما راينا مثل هذا الذى صنعت قط قال ويحكم والله ما هو الا انه ضرب على بابى فسمعت صوته فمُلئت رعبا ثم خرجت وان فوق راسى لفحلا من الابل ما رايت مثل هامته ولا صورته ولا انيابه لفحل قط والله لو ابيت لاكلنى ومن ثم راى ابو جهل المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد اتاه بما اى بفحل ابل لم ينج بفتح

ثم ضم وبضم ثم كسر مع تخفيف الجيم ويجوز كما هنا لاجل الوزن تشديدها من نجا ينجو ونجى ينجى فهو ناج ونجى منه دون الوفا لذلك الدين الذى للاراشى النجاء بوزن الضراب مبالغة فى ناج فالوفا مقصور ويجوز تخفيف الجيم مصدرا فالوفا ممدود وفى القاموس نجا ينجو نجوا ونجاء ونجاة ونجاية خلص كنجى واستنجى وانجاه الله ونجاه وعلى كل هو فاعل ينج ونظيره فى المصدر قول الحاجرى ملاء الوجد فؤادى وبرح التبريح اى وذلك الفحل لا ينجى او لا ينجو منه النجاء بالمبالغة اى من تكررت نجاته من الامور الصعبة الا ان وفى ذلك الدين او لا ينجو منه النجا بالتخفيف اى النجاة الا بعد ذلك الوفا هو اى الفحل المرئى فى هذه الواقعة ما اى الفحل الذى قد راه من قبل فى الواقعة السابقة فى قوله وفات الصفوا الخ لكن لا استغراب فى ذلك لان هذا اللعين ما على مثله فى العتو والتهور السابقين لادراكه والموجبين لهلاكه وهو ابلغ من عليه لانه اثبات للحكم عليه ببينة على حد مثلك لا يبخل يعد الخطا لان خطاه لا ينحصر فلا يعد ومد الخطا لغة شهيرة

تنبيه —— قد يسال عن الحكمة فى كون ابى جهل منع فى هاتين الواقعتين من ان ينال رسول الله صلى الله عليه وسلم بموذ مطلقا اشد المنع ولم يمنع من القاء سلا الجزور على ظهره صلى الله عليه وسلم وهو يصلى قلت —— كان سر ذلك امهاله حتى تنفذ دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وفى امثاله ممن كانوا اشد الناس عليه صلى الله عليه وسلم فيظهر عزه صلى الله عليه وسلم ونصره عليهم للناس باهلاكهم بدعوته والقائهم فى

القليب على اخس حالة واقبحها ولو منع اللعين من ذلك لم تحصل هذه
الكرامات فكان تمكينه من ذلك الفعل هو عين اهلاكه واهلاك نظايره
ومختصر تلك القصة انه صلى الله عليه وسلم كما فى البخارى كان يصلى عند
الكعبة وجمع من قريش فى مجالسهم اذ قال قايل منهم الا تنظرون الى هذا
المرائى ايكم يقوم الى جزور آل فلان فيعمد الى دمها وفرثها وسلاها فيجى
به ثم يمهله حتى اذا سجد وضعه بين كتفيه فانبعث اشقاهم فلما سجد
وضعه بين كتفيه وثبت صلى الله عليه وسلم ساجدا اى لانه لم يعلم خصوص
ما وضع وانما لم ينقل انه اعاد لاحتمال انه كان فى نافلة بل هو الواقع
لان هذه الواقعة قبل فرض الخمس ولم تكن فرض من الصلاة يومئذ الا
ما فى سورة المزمل وهو صلاة الليل فلما راوا ذلك ضحكوا حتى مال
بعضهم على بعض فانطلق منطلق الى فاطمة وهى جويرية رضى الله تعالى عنها
فاقبلت تسعى وثبت النبى صلى الله عليه وسلم ساجدا حتى القته عنه واقبلت
عليهم تسبهم فلما قضى صلى الله عليه وسلم الصلاة قال اللهم عليك بقريش
ثم سمى اللهم عليك بعمرو بن هشام وهو ابو جهل وقدمه لانه اشقاهم
واشدهم واشدهم اذاية له صلى الله عليه وسلم وعقبة بن ربيعة وشيبة
بن ربيعة والوليد بن عقبة وامية بن خلف وعقبة بن ابى معيط
وعمارة ابن الوليد قال عبد الله فوالله لقد رايتهم صرعى يوم بدر ثم
سحبوا الى القليب قليب بدر ثم قال صلى الله عليه وسلم واتبع اصحاب
القليب لعنة وظاهر السياق انه صلى الله عليه وسلم قال ذلك عقب

الدعا

٢٥

الدعا فيكون من تمامه وفيه علم من اعلام نبوته ويحمل على بعد انه انما قال
ذلك عند القائهم فى القليب وقول عبد الله بن مسعود درايتهم صرعى فى القليب
مراده اكثرهم فان عمارة انما مات بارض الحبشة لكن على اثر قتله فانه
تعرض لزوجة النجاشى فامر ساحرا ان ينفخ فى احليله من سحره عقوبة له
فتوحش وسار مع البهائم الى ان مات فى خلافة عمر وايضا عقبة بن ابى
معيط انما قتل صبرا بالصفرا بعد بدر والقى ثم وامية بن خلف وان
قتل ببدر لم يطرح بالقليب واعدت عطف على هم اى هيأت ام
جميل بنت حرب ابن اميه حمالة الحطب لقبت به لانها كانت تحمل الشوك
وتطرحه فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ارصادا لزوجها [redacted]
الفهر اى الحجر الذى يملا الكف لما انزل فيها وفى زوجها تبت يدا ابى
لهب وتب السوره والحال انها قد جاءت اليه وهو فى المسجد وابو بكر
عنده بذلك الحجر لترميه به وهى فى غاية السرعة والعجلة كانها الحمامة
الورقاء اى الشديدة الاسراع اى حال كونها شبيهة بها فى ذلك فهى حال متداخله
يوم ظرف لاعدت جاءت فى حال كونها غضبى من شدة ما سمعت من ذمها
فى تلك السورة وفى نسخة غيظا فهو تمييز والغضب نار كامنة فى طى الفؤاد
يأججها طرو السبب المحرك لها فان لم يقدر على انفاذ شىء فى المغضوب عليه سمى
غيظا كذا قيل وفى القاموس الغيظ الغضب او اشده او سورته او اوله
وحال كونها تقول أفى مثلى وانا بنت سيد بنى مخزوم متعلق بيقال من
احمد حال من الهجا يقال الهجا اى السب والذم ونسبة القول اليه

قصة ما ألقى الشيطان في أمنية صلعم

اما حقيقة وهو الظاهر لانهم لا يعتقدون الها غير الهتهم فمن ابتدائيه
نعم فيهم فرقه يعتقدون الاله وان اصنامهم تقربهم اليه فان كانت من
هولا فمن تعليلية ان يقول الهه ذلك لاجله ونزلت عطف على اعدت والحال
انها ما رأته وكيف تراه وهو في ظهوره للقلوب السليمة والعقول
المستقيمة كالشمس وهي اعمى تلك المرأة في غاية من عمى البصيرة وفساد
السريرة ومن اين ترى الشمس مقلة اي عين عميا ولما راها ابو بكر قال
يا رسول الله انها امراة بذية فلو قمت قال انها لن تراني فجات فلم تره
فقالت يا ابا بكر اين صاحبك كيف يهجوني فوالله لو وجدته لضربت بهذا
الفهر فاه والله اني لشاعرة وذكرت هجوا قبيحا فقلت لا وهو لا يقول الشعر
فقالت انت عندي مصدق وانصرفت فقلت يا رسول الله لم تر ك فقال
لم يزل ملك يسترني منها بجناحه وفي رواية قد اخذ الله ببصرها عني
فكان صلى الله عليه وسلم يقول اما تعجبون لما يصرف الله عني من اذى
قريش يسبون ويهجون مذمما وانا محمد صلى الله عليه وسلم تتمة
قرا صلى الله عليه وسلم سورة النجم حتى بلغ افرايتم اللات والعزى ومناة
الثالثة الاخرى فالقى الشيطان في امنيته اي تلاوته تلك الغرانيق
العلى وان شفاعتهن لترتجى وفي رواية القى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق
الخ فعند سجوده اخر السورة سجد المشركون معه لتوهمهم انه مدح الهتهم
وفي رواية ما ذكر الهتنا بخير قبل اليوم فسجد فسجدوا فنزلت هذه
الاية وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان

في امنيته الاية ففشا ذلك في الناس واظهره الشيطان حتى بلغ المسلمين بالحبشة
فاقبلوا اسراعا ثم لما تبين للمشركين خلاف ذلك رجعوا الى اشد ما كانوا عليه
والغرانيق جمع غرنوق او غرنيق وهو طير الما شبهت الاصنام لاعتقادهم
انها تقربهم من الله بطيور الما لانها تعلو في السما وترتفع تنبيه
كثر كلام العلما في هذه القصة فمن منكر لوقوعها ومبالغ في بطلانها وانه لا
يجوز لاحد القول بها كعياض والفخر الرازي وسبقهما لنحو ذلك البيهقي
وايدوا ابان البخاري وغيره رووا ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا
سورة النجم وسجد معه المسلمون والمشركون والانس والجن ولم يذكروا فيها
قصة الغرانيق وبان من جوز على نبي تعظيم وثن فقد كفر وبانها من وضع الزنادقة
والحق خلاف ذلك بل لها اصل اصيل فقد خرجها من طرق كثيرة جدا ابن ابي
حاتم والطبراني وابن المنذر وابن مردويه والبزار وابن اسحاق في السيرة
وموسى بن عقبة في المغازي وابو معشر كما نبه على ذلك الحافظ ابن كثير
وغيره لكن قال ان طرقها كلها مرسلة وانه لم يرها مسندة من وجه صحيح
انتهى ورد عليه وعلى عياض وغيره الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر بان طرقها كثيرة
جدا ثلاثة منها رجالها رجال الصحيح وباقيها اما ضعيف واما منقطع وبعضها
تفرد بوصله امية بن خالد وهو ثقة مشهور فزعم ابن العربي وعياض ان
رواياتها كلها لا اصل لها ليس في محله اذ لا يتمشى على القواعد فان الطرق
اذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على ان لها اصلا قال وقد ذكرنا
ان ثلاثة اسانيد منها على شرط الصحيح وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج



بالمرسل وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض وح يتعين تاويل ما وقع فيها
مما يستنكر كقوله القى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق الخ فلا يجوز حمله
على ظاهره لانه صلى الله عليه وسلم يستحيل عليه ان يزيد في القران عمدا او سهوا
واختلفوا في تاويله فاخرج الطبراني عن قتادة انه صلعم اصابته سنة فجرى على
لسانه ولم يشعر به فلما علم اظهر بطلانه واحكم ربه اياته واعترض بانه
لا ولاية للشيطان عليه في النوم وتجاب بان هذا لا يثبت للشيطان
ولاية عليه وانما غاية الامر ان الشيطان لما راه اصابته تلك السنة
حاكى قراته بصوت يشبه صوته ثم بين الله للناس على لسان رسوله صلى الله
عليه وسلم بطلان ما وقع من الشيطان حتى لا يغتر به احد ثم رايت من اجاب
عما يؤيد ما ذكرته وهو انه صلى الله عليه وسلم كان يرتل قراته فارتصد
الشيطان سكتته ونطق بتلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم
بحيث سمعه من دنا اليه منهم فظنها من قوله واشاعها واستحسن هذا
الجواب غير واحد من المحققين كعياض وابن العربي وايدوه بما جاء عن ابن
عباس من تفسير تمنى بتلا فمعنى في امنيته اي في تلاوته وفي ذلك
اخبار منه تعالى بان رسله اذا قالوا قولا زاد الشيطان فيه من قبل
نفسه محاكيا له ثم بين الله تعالى بطلانه فعلم ان هذا النص في ان الشيطان
زاد في قول نبينا صلى الله عليه وسلم لا ان نبينا هو قاله وقد سبق الى هذا
المعنى الامام المجتهد ابن جرير الطبري مع جلالة قدره وسعة علمه وشدة
ساعده في العلوم فصوبه وارتضاه واما الجواب بان الشيطان الجاه

ى

الى التلفظ بذلك من غير اختياره فرد وذ بان الشيطان لو قدر على ذلك لم يكن
احدا من طاعة الله او بانه علق بحفظه ما كان يسمعه منهم من مدح الهتهم
فجرى على لسانه سهوا فنبهوا فسر ما قبله او بانه قاله توبيخا للكفار فهو
بعيد وان ارتضاه عياض كالبا قلاني فقال هذا جائز مع قرينة تدل
على المراد لا سيما والكلام في الصلاة اذ ذاك كان جائزا او بانه لما وصل
الى قوله الثالثة الاخرى خشوا ان ياتي بذم الهتهم فبادروا بذلك الكلام
٢٦ وخلطوه بتلاوته صلى الله عليه وسلم على عادتهم في قولهم لا تسمعوا لهذا
القران والغوا فيه ونسب للشيطان لانه الحامل لهم عليه ففيه نوع بعد
او بان المراد بالغرانيق الملائكة وكان منهم من يعبدهم زاعمين انهم بنات الله
تعالى فنسق ذكر الكل ليرد عليهم بقوله ألكم الذكر وله الانثى فلما سمعوه حملوه
على الجميع وقالوا قد عظم الهتنا فنسخ تلك الكلمة واحكم اياته فتنبه ايعد
مما قبله ثم بعد ما وقع له صلعم من هذه الكرامات وقع له كرامة اخرى في غزوة
خيبر سنة سبع من الهجرة وهي انه سمت له زينب بنت الحارث امراة سلام
ابن مشكم اليهودية الشاة اي جعلت فيها سما قاتلا لوقته لانها شاورت يهود
جبيعها في سموم فاجتمعوا لها على هذا السم بعينه فسمت به الشاة جميعا لكنها اكثرت
منه في الذراع والكتف لما قيل لها انه صلى الله عليه وسلم يحب الذراع وكم
مرات كثيرة سام من السوم الذي هو مقدمة الشراء والذي هو الرعي
وبين سام وسمت تجنيس شبه الاشتقاق الشقوة اي ثابر عليها وتحلى بها
الاشقياء الذين صاروا كالانعام بل هم اضل سبيلا ومنهم تلك المراة ومنهم

تلك المواة وبينهما تجنيس الاشتقاق وقول الشارح ان سام وسمت من هذا هل
وفي البخاري انه صلى الله عليه وسلم لما علم ان فيها سما قال اجمعوا الى من هنا من
اليهود فجمعوا له فسالهم عن اشيا منها من ابوكم قالوا فلان قال كذبتم ابوكم
فلان قالوا صدقت وبررت ثم سالهم من اهل النار قالوا نكون فيها قليلا
ثم تخلفونا فيها فقال اخسؤوا والله لا نخلفكم ابدا ثم قال لهم هل جعلتم في
هذه الشاة سما قالوا نعم قال ما حملكم عليه قالوا ان كنت كذابا استرحنا منك
او نبيا لم يضرك وروى ابو داود انها سمت شاة مصلية ثم اهدتها اليه
صلى الله عليه وسلم فاكل منها واكل رهط من اصحابه فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم فارسل الى اليهودية فقال سممت هذه الشاة
فقالت من اخبرك قال اخبرتني هذه الذراع ومن ثم قال **فاذاع** اي
اظهر له صلى الله عليه وسلم **الذراع ما فيه من شر** اي سم **بنطق** معجز له
صلى الله عليه وسلم كما يصرح بذلك يعني انه اخبره بالنطق فقوله صلى الله عليه
وسلم اخبرتني هذه الذراع **اخفاؤه** عن الحاضرين **ابداه** له صلى الله عليه وسلم اي هو
ان خفي عليهم ظهر له صلى الله عليه وسلم وفيه طباق فلما قال لها ذلك صدقته
ثم قالت قلت ان كان نبيا فلم يضره وان لم يكن نبيا استرحنا منه فعفا
عنها ولم يعاقبها وتوفي اصحابه الذين اكلوا من الشاة واحتجم صلى الله
عليه وسلم على كاهله من اجل الذي اكل منها وفي رواية غير ابي داود انها
جعلت تسال اي الشاة احب اليه فقيل لها الذراع فعمدت الى عنز
لها فذبحتها وصلتها ثم عمدت الى سم موح اي يقتل لوقته فسمتها به

والحزن

ذاته ومعانيه فقال **فتنزه** قال الشارح هو من قولهم خرجنا نتنزه في الرياض
انتهى وكانه جرى في ذلك على العرف اذ التنزه كما في القاموس التباعد ثم قال
وارض نزهة بعيدة عن الريف اي الخصب والزرع وعمق المياه وذبان
القرى ومد البحار وفساد الهوى ثم قال واستعمال التنزه في الخروج الى
البساتين والخضر والرياض غلط قبيح **في** اوصاف **ذاته** من الكلام عليها في تلك
ذات العلوم **ومعانيه** اي صفاته الخارجة عن اوصاف ذاته **استماعا** اي
من جهة اصغائك الى استماع اوصاف ذاته وجميل صفاته الاتية في هذا النظم
الجامع البديع وبين ذاته ومعانيه جناس المقابلة كالاستماع والاجتلاء
الاتي **ان عز** اي فقد **منها** متعلق بقوله **اجتلاء** من جلوت العروس جلاء وجلوة
واجتليتها اذا نظرت اليها مجلية اي مكشوفة من بينه اي ان فاتتك رؤية ذاته
الكريمة ومشاهدة صفاته العلية فلا يفتك تفريغ سمعك لكل ما يتلى عليك
من اوصاف ذاته وعلي صفاته وبه يظهر ان من زائدة في الايجاب وهو ما اجازه
جماعة وخرجوا عليه قوله تعالى ولقد جاءك من نبإ المرسلين يحلون فيها من
اساور من جبال فيها من برد يغضوا من ابصارهم وفيه نظر لامكان نحو التبعيض
فلا زيادة فتامله **و** لا تقتصر على سماعك القليل من ذلك بل **املا السمع** بان
تكثر من سماع ذلك حتى لو فرض ان ما تسمعه شي محسوس وان سمعك اناء واسع
لملاه ذلك المسموع **من محاسن** اشتمل عليها صلى الله عليه وسلم لا يلحق احد اثارها
ولا يشق كامل غبارها وهو جمع على غير قياس لان مفرده حسن لا محسن الا
نقدبرا **يملئها** من املئته الكتاب ويجوز املته **عليك** من هذه القصيدة

وَغيرها الانشاد لهامن سجى الصوت قايم الاعراب فقد قالوا من اقوى الاسباب
الباعثة على محبته صلى الله عليه وسلم سماع الاصوات المطربة بالانشادات
بالصفات النبوية المعربة اذا صادفت محلا قابلا فانها تحدث للسامع
سكرا وارتجة وطربا وذلك يحدث عندها بشيين احدهما انها في نفسها
توجب لذة قوية ينغمر فيها العقل الثاني انها تحرك النفس الى جهة محبوبها
فيحصل بتلك الحركة والشوق تخيل المحبوب واحضاره في الذهن وقرب
صورته من القلب واستيلاوها على الفكر وفي هذا من اللذة ما يغمر العقل
لاجتماع لذة الالحان وكثرة الاشجان فيحصل للروح ما هو اعجب من سكر الشراب
واقوى في اللذة من عناق الشواب وقد ذكر الامام احمد وغيره ان الله
تعالى يقول لداود في الجنة مجدني بذلك الصوت الذي كنت
تمجدني به في الدنيا فيقول كيف وقد اذهبته فيقول انا ارده عليك
فيقوم عند ساق العرش ويمجده فاذا سمع اهل الجنة صوته استفرغ نعيم
اهل الجنة واعظم من ذلك اذا سمعوا كلام الرب جل جلاله وخطابه لهم
لا سيما ان انضم الى ذلك روية وجهه الكريم فان لذة ذلك تغني عن
الجنة ونعيمها بما لا تدركه العبارة ولا تحيط به الاشارة والانشا من ناظمه صح
واسناد الاملا اليهما مجاز ومما يحملك على استفراغ وسعك في ذلك
التنزه واملا السمع من تلك المحاسن انه يجب عليك ان تعتقد ان
محاسن ذاته وكمال صفاته لا يمكنك ان تحيط بها كيف وكل وصف له
من صفاته الذاتية والمعنوية ابتدات انت او انا به في الذكر او ابتداته

بذكره

بذكره لتحيط بغايته استوعب اخبار الفضل مفعول مقدم اي جميع اخبار الفضايل
والكمال منه متعلق بقوله ابتدا اي كلما ابتدات بوصف له صلى الله عليه وسلم
وتاملت ما اشتمل عليه صريحا وايما جمع ذلك الوصف المبتدا به جميع انواع
الفضل وغايات الكمال ولا تستبعد ذلك فان كل وصف من اوصافه
صلى الله عليه وسلم اخذ بحجز تلك الاوصاف اذ لا يتحقق كمال وصف من
صفات الانسان كالحلم مثلا الان بكمل في بقية اوصافه كالعلم والكرم
والشجاعة والخلق الحسن وغيرها وح فكل من صفاته صلى الله عليه وسلم
يدل على ما وضع له مطابقة وعلى ما عداه منه ايما او استلزاما كما لا يخفى
على من سبر ذلك وتامله وبهذا التحقيق الذي تنبه له الناظم يعلم انه
سقى الله عهده ثاقب النظر كامل المعرفة متضلع من العلوم والمعارف
وليس ذلك بكثير على من حل عليه نظر القطب الكبير والعلم الشهير سيدي ابي
العباس المرسي ووارث ابي الحسن الشاذلي قدس الله تعالى سرهما ونور ضريحهما
وبما قررته في شرح هذا البيت تعلم انه عزز ابيان هذه القضية وانه
لا تعقيد فيه خلافا للشارح وانه يجب عليك ان تعتقد ايضا ان
من تمام الايمان به صلى الله عليه وسلم الايمان بان الله تعالى اوجد خلق
بدنه الشريف على وجه الارض لم يظهر قبله ولا بعده في آدمي مثله وسر
ذلك ان محاسن الذوات دليل على ما بطن فيها من بدايع الاخلاق
وجلايل الصفات ونبينا صلى الله عليه وسلم قد بلغ الغاية التي لم يصل
اليها غيره في كل من ذينك ومن ثم قال الناظم في بردة المديح فهو

الذى تم معناه وصورته البيتين فبين ان حقيقة الحسن الكامل
لمنت فيه وحده ولم تنقسم بينه وبين غيره لانه الذى تم معناه دون
غيره ولو شورك لم يتم معناه وما احسن كلام بعضهم لم يظهر لنا تمام
حسنه والا لما اطاقت اعيننا النظر اليه وبين ابتدا وابتدا جناس
الاشتقاق تنبيه شرح الناظم بيان تمام معناه بما مر وياتى ولم
يشرح تمام حسن ذاته كذلك وانما اشار لذلك بقوله برؤية وجه الخ
ضحكة التبسم الخ او بتقبيل راحة الخ فتعين علينا ان نشير الى شى من ذلك
فنقول اما وجهه الشريف فصح عن البرا كان احسن الناس وجها واحسنهم
خلقا وعن ابى هريرة ما رايت شيا احسن منه كان الشمس تجرى فى وجهه
وعن البرا انه قيل له اكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم كالسيف قال
لا بل كالقمر اي لم يكن كالسيف بل كالشمس والقمر وكان مستديرا فنبه بهذا
انه جمع بين الحسن والاشراق والملاحة والاستداره وجا عن على لم يكن بالمكلثم
اى شديد استدارة الوجه بل فيه تدوير قليل وهو احلى عند العرب وهو معنى
قول ابى هريرة كان اسيل الخدين اي فيهما طول وسلامة من ارتفاع الوجنة
وتشبيه غير واحد لوجهه بشقة القمر اى عند النقاته وقيل احترازا عما
فى القمر من السواد وبرده تشبيه ابى بكر وغيره له بدارة القمر وفى النهاية
انه كان اذا سر صار وجهه كالمراة فيرى خيال الجدر فيه وفى رواية
يتلالؤ وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر وانما كان الاكثر تشبيهه بالقمر
دون الشمس لان من شاهده ينظره كمال النظر ويتانس به ولا يتاذى

منه

منه بخلاف الشمس فى الكل ولذا كان من اسمائه صلى الله عليه وسلم البدر ومن
ثم قال الخارجون لملاقاته مرجعه من تبوك طلع البدر علينا من ثنيات
الوداع ثم هذه التشبيهات جرت على عادة العرب والا فلا محدث
يعادل صفاته الخلقية كالخلقية واما بصره فيكفيك ما زاغ
البصر وما طغى وصح عن ابن عباس كان يرى بالليل فى الظلمة كما يرى
بالنهار فى الضوء وصح انه كان فى الصلاة يرى من خلفه كما يرى من امامه
اى روية ادراك كمى بالبصر اذ الروية الواقعة على جهة الكرامة لا تتوقف
عليه ولا على شعاع ولا على مقابلة عند اهل السنة وما قيل كان له عينان
بين كتفيه كسم الخياط يرى بهما ولا تحجبهما الثياب لم يثبت ما يدل عليه
والاصل عدمه كزعم ان صورهم كانت تنطبع فى قلبه او انها روية قلب
او ان المراد بها العلم بوحى او الهام وحديث انى لا اعلم ما ورا جدارى لم يعرف
له سند وانما ذكره ابن الجوزى فى بعض كتبه بلا اسناد وبفرض وروده
فهذا غير ما نحن فيه لان المنفى علم الغيب بما ورا الجدار حيث لم يعلم به بوحى
او الهام ومن ثم لما ضلت ناقته وقال بعض المنافقين هو يزعم علم الغيب
والله انى لا اعلم الا ما علمنى ربى وقد دلنى ربى عليها وهى فى موضع كذا
احتبستها شجرة بخطامها فذهبوا فوجدوها كما اخبر صلى الله عليه وسلم
وبفرض التعارض فما مر فى حالة الصلاة وهذا خارجها وجا انه كان
اذا التفت التفت جميعا ان لا يسارق النظر ولا يلوى عنقه يمنة ولا
يسرة كالطايش الخفيف وان جل نظره النظر بلحاظه وهو جانب

العين الذي يلي الصدغ وانه عظيم العينين اهدب الاشفار مشرب العين
بحمرة وروى مسلم اشكل العينين والشكلة الحمرة في بياض العين وهي محمودة
والشهلة حمرة في سوادها وفي رواية ادعج العينين اي شديد سوادهما
اهدب الاشفار اي طويلها واما سمعه فحسبك فيه خبر الترمذي اني ارى
ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السما وحق لها ان تئط ليس فيها
موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجد لله تعالى وفي رواية
لا في نعيم او قايم واما شعره فصح انه كان بين شعرين لا رجل اي
ليس بالسبط والجعد ولا تخالف لان فيه رجوله قليلة فالاولى لنفي كثيرها — والاسبط بفتح فكسر وهو ما يتكسر قليلا ولا جعد قطط كان بين اذنيه وعاتقه وانه رجل
وانه الى شحمة اذنيه وانه الى اسفلها وانه الى الكتفين ولا تخالف ايضا
لانه ربما ترك تقصيره فيطول وربما تداركه فيقصر وكان ان انفرق بنفسه
والا تركه معقوصا ولعل هذا كان اولا والا فالذي صح انه كان يسدله
اي يرسله ثم فرق ثم رايت العلما قالوا ان الفرق سنة لانه الذي رجع
اليه صلى الله عليه وسلم وكان في عنفقته وصدغيه شعرات بيض دون
العشرين وانما لم يكثر فيه مع انه نور لرواية ما شانه الله بالشيب اي
لان النسا يكرهنه غالبا ومن كره منه صلى الله عليه وسلم شيئا كفر واختلفت
الروايات في تغييره صلى الله عليه وسلم لشيبته بنحو الحنا ولا تخالف لانه فعله
كثيرا وتركه اكثر ومن ثم كان سنة عندنا وصح انه صلى الله عليه وسلم كان كثير شعر اللحية وجا
انه كان يكثر دهن راسه وتسريح لحيته وكان اشعر الذراعين والمنكبين

واعالي

واعالي الصدر ولم يرد انه حلق راسه في غير حج وعمرة ورواية انه كان
ياخذ من عرض لحيته وطولها غريبة بخلاف رواية اعفوا اللحا ومن ثم اخذ بها — اعفوا
ايمتنا وورد انه كان ينظر في المراة اذا سرح لحيته وانه كانت له مكحلة
يكتحل منها بالاثمد في كل عين ثلاثة قبل النوم واما جبينه وحاجباه
وانفه فقد جا انه صلى الله عليه وسلم واضح الجبين مقرون الحاجبين اي
شعرهما متصل وانه غير متصلهما ورجحه ابن الاثير وقد يجمع بانهما
كثيرا الشعر كما في رواية سابغين كما في اخرى دقيقين كما في اخرى فهما
مع كثرة شعرهما فيهما سبوغ الى اخر العين ودقة في طرفيهما فلكثرة
شعرهما يريان من بعيد كانهما متصلان وليسا في الحقيقة كذلك
وصح انه ضخم الكراديس اي رووس العظام وجا انه اقنى الانف اي طويله
مع دقة ارنبته وحدب في وسطه وعبر بعضهم بانه سايل مرتفع وسطه
وانه دقيق العرنين اي اعلا الانف وان من لم يتامله تحسبه اشم اي
طويل قصبة الانف واما فمه فقد صح انه واسعه بفتح الكلام
ويختمه باشداقه اي لسعة فمه والعرب تمدحه وتذم صغره وانه اشنب
اي الاسنان في غاية البريق واللمعان وانه اذا تكلم روي كالنور يخرج
من ثناياه وانه مفلج الاسنان اي متفرقها وفي رواية مفلج الثنيتين
اي اكثر من البقية واما ريقه فقد صح انه يوم خيبر تفل
في عين علي كرم الله تعالى وجهه وكان به رمد فبري منه لوقته واعطاه
الراية ففتح الله على يديه وجا انه مج في بير ففاح منها رايحة المسك

وانه بزق فی اخوی فلم یکن بالمدینة اطیب ماء منها وانه کان فی یوم عاشورا
یبصق فی فم رضعاته ورضعاء فاطمة وینهی عن رضاعهم فیجزیهم ریقه
الی اللیل وانه مضغ قطعة لحم واعطاه لخمس نسوة فمضغنها کل منهن ولم منهن صح
یوجد لافواههن ریح خلوف واما فصاحة لسانه وجوامع کلمه وبدیع
بیانه وحکمه فامر اظهر من ان یذکر واشهر من ان ینشر کیف وقد ارتقی من
کل ذلک الغایة التی لم یدرکها مخلوق حتی قال بعض العلما ان کلامه معجزة
کالقران واما صوته فروی ابن عساکر خبر ما بعث الله نبیا قط الا بعثه
حسن الوجه حسن الصوت حتی بعث الله نبیکم صلی الله علیه وسلم فبعثه حسن
الوجه حسن الصوت والبیهقی خطبنا رسول الله صلی الله علیه وسلم حتی اسمع
العواتق فی خدورهن وابو نعیم انه صلی الله علیه وسلم قال للناس یوم
الجمعة علی المنبر اجلسوا فسمعه عبد الله بن رواحه وهو فی بنی تمیم فجلس
مکانه وابن سعد انه خطب بمنی ففتح الله اسماعهم فسمعوه وهم بمنازلهم
واما ضحکه صلی الله علیه وسلم فمعلوم انه سید العالمین الاولین والاخرین
کما مر مبسوطا اول الکتاب ضحکه ای الذی یظهر به سروره هو التبسم مستجمعا ص
کما روی البخاری عن عایشة رضی الله تعالی عنها ما رایته مستجمعا قط ضاحکا
ای مقبلا علی الضحک بکلیته انما کان یتبسم ولا ینافیه خبر البخاری ایضا
فی المواقع اهله فی رمضان فضحک حتی بدت نواجذه وهی بالجیم والذال
المعجمة الاضراس وهی لا تکاد تظهر الا عند المبالغة فی الضحک لان عایشة
انما نفت رویتها وذلک لا ینافی وقوع غیرها التبسم منه نعم الذی دل علیه

مجموع

قهقهة

مجموع الاحادیث ان اکثر اوقاته هو التبسم وربما ضحک والمکروه انما
هو الاکثار او الافراط من الضحک سوا کان معه قهقهة ام لا ومن ثمه
روی البخاری فی ادبه وابن ماجة النهی عن کثرته وانه یمیت القلب والفرق
ان التبسم مبادی الضحک من غیر صوت والضحک انبساط الوجه حتی
تظهر الاسنان من السرور مع صوت خفی فان کان فیه صوت یسمع من
شقشقة بمعنی — بعید فهو القهقهة واما بکاؤه فکان من جنس ضحکه لم یکن بشهیق
ولا برفع صوت ولکن تدمع عیناه حتی تهملان ویسمع لصدره ازیز
ای غلیان یبکی رحمة للمیت وخوفا علی امته وخشیة الله وعند سماع القران
واحیانا فی صلاة اللیل وجا انه صلی الله علیه وسلم حفظ من التثاوب بل جاء
ان کل نبی کذلک واما یده فقد وصفه غیر واحد کما فی عدة طرق بانه
شثن الکفین ای غلیظ اصابعهما وبانه عبل الذراعین رحب الکفین وو صف
بان یده الین من الحریر والدیباج وابرد من الثلج واطیب ریحا من المسک
ولا ینافی هذا اللین ما مر انفا لانه جمع مع لین الجلد غلظ العظام وقوتها
وتفسیر الاصمعی الشثن بغلظ فی خشونة مردود بل نقل ابن خالویه عنه
انه قیل له ورد فی صفته صلی الله علیه وسلم انه لین الکفین فاقسم ان لا یفسر
شیا فی الحدیث وبتسلیمه فهو صلی الله علیه وسلم کان ربما حصلت له خشونة
فی کفیه او عمل فی مهنة اهله وتفسیر ابی عبید له بغلظ الاصابع مع قصرها
یرده ما جا انه کان سایل الاطراف فالتحقیق ان الشثن الغلظ من غیر
خشونة ولا قصر روی الحاکم وغیره انه صلی الله علیه وسلم مسح بیده الدم عن وجه

وصدر من جوح فى صدره وجهه فكان اثر به غرة سابلة كغرة الفرس وصح انه مسح
راس وطية ابى زيد الانصارى ثم قال اللهم جمله فبلغ بضعًا ومايه سنة
ما فى لجبنه بياض ولا فى وجهه انقباض وروى احمد وغيره انه مسح راس حنظلة
بيده وقال بورك فيك فكان يمسح بمحل يده صلى الله عليه وسلم الورم فيذهب
وَاما ابطاه فكانا ابيضين كما جا عن عدة من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم — فى الحقيقة لا تعارض فتامل
لكن يعارضه الرواية الصحيحة كنت انظر الى عفرة ابطيه والعفرة بياض ليس
بالناصع وقد يجمع بحمل البياض فى الاول على البياض غير الناصع وذكر بعضهم
انه لا شعر بابطيه ورد بانه لم يثبت بوجه وكان يسيل منها مثل ريح المسك وكانت
له مسربة وهى خيط الشعر الذى هو بين الصدر والسرة بل فى رواية — الصدر
له شعرات من لبته الى سرته تجرى كالقضيب ليس على صدره ولا بطنه
غيره • واما بطنه وظهره فجا انه مفاض البطن اى واسعه وقيل مستوى
الظهر مع الصدر وان بطنه كالقراطيس المثنى بعضها على بعض وانه
بعيد ما بين المنكبين اى عريض الصدر وَاما قلبه فهو اول قلب
اودع الاسرار الالهية والمعارف الربانية لانه اول الخلق كما مر وصورته
اخر صور الانبيا صلى الله عليهم وسلم فهو اولهم واخرهم فى حيازه اعلى
الكمالات الخلقية والخلقية ومما ينبيك بان قلبه اودع ما لم يودعه غيره
تكرر شقه وملئه ايمانا وحكمة واخراج حظ الشيطان منه كما مر ذلك مبسوطا
فى مبحث رضاعه صلى الله عليه وسلم ومحاسنه الظاهرة التى هى اعلام على
الاخلاق الباطنة فكما ان تلك لم يساوه فيها مخلوق فلذلك هذه وامّا

محله

جماعه فقد صح عن انس كنا نتحدث انه اعطى قوة ثلاثين رجلا فى الجماع وروى
الاسماعيلى قوة اربعين زاد ابو نعيم عن مجاهد كلهم من رجال اهل الجنة والرجل
فى الجنة يعطى قوة مايه كما صححه الترمذى وقال غريب واربعون فى مايه باربعة
الاف ومع ذلك كان على غاية من تقليل الغذا انخرق الله له العادة فى الامرين
ولم يحتلم قط وكذا الانبيا لانه من الشيطان لكن ظاهر قول عايشة يصبح صايما
جنبا من جماع غير احتلام انه يحتلم وبتسليمه فالاول محمول على ما اذا كان عن رويه
وقاع هذا هو الذى من الشيطان بخلاف مجرد نزول المنى فى النوم واما •
قدمه صلى الله عليه وسلم فجا عن غير واحد انه شثن القدمين اى غليظ اصابعهما
وكانت سبابة قدميه اطول من بقية اصابعهما ومن روى ذلك فى اليد
فقد غلط كما بينه غير واحد وكانت خنصرهما متظاهره وكانا لا اخمص لهما •
اى ليس فى باطنهما كبير انخفاض بحيث يطابه كله فهو معتدل الخمص ومعنى
رواية مسيح القدمين ان فيهما مع ذلك لينا وملاسة دون تكسر وتشقق
فاما طوله فكان ربعة لكنه الى الطول اقرب كما جاءت به الاحاديث
الكثيرة وفى حديث ما يفيد ان هذا ان مشى وحده او مع قصير والا طال على
من ماشاه وهو ينسب الى الطول بل لو اكتنفه طويلان طالهما فاذا فارقاه
نسب الى الربعة واما مشيه فقد صح عن على كرم الله تعالى وجهه انه
كان اذا مشى تكفأ تكفيا كانما ينحط من صبب وفى رواية عنه كان اذا مشى
تقلع والتقلع الانحدار من الصبب قريب اذا انه كان يستعمل التثبت
ولا يتبين منه فى هذه الحالة استعجال ومبادرة وهذا هو مراد الناظم

بقوله والمشي الكاين منه الهوينا تصغير الهون وهو السكينة والوقار
للتعظيم نحو • وكل أناس سوف تدخل بينهم •
• دويهية تصفر منها الأنامل •
وقد مدح تعالى من يمشون كذلك فقال عز قائلا وعباد الرحمن الذين يمشون
على الأرض هونا ولا ينافي ذلك رواية الترمذي عن أبي هريرة ما رأيت
أسرع من مشيته رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الأرض تطوى له أنا لنجهد
أنفسنا وهو غير مكترث لأن عجزهم عن لحوقه ليس لأنه كان يجهد نفسه في
المشي كما يدل عليه قوله غير مكترث بل لأنه كان يبارك له في مشيه كما يدل
عليه قوله كأن الأرض تطوى له فهو مع هون مشيته لا يلحق ومعنى رواية
ذريع المشي أي واسع الخطوة وقال ابن القيم في رواية كان إذا مشى تقلع
التقلع الارتفاع من الأرض بجملته كحال المنحط في الصبب وهي مشية أولي
العزم والهمة وهي أعدل المشيات وأروحها للأعضا فكثير من الناس
يمشي قطعة واحدة كأنه خشبة محمولة فهي مذمومة كالمشي بالانزعاج
كالجمل الأهوج وهذه تدل على قلة عقل صاحبها لا سيما إن أكثر فيها ۝
الالتفات وكان صلى الله عليه وسلم إذا مشى معه أصحابه قدمهم إمامه
وقال خلوا ظهري للملايكة وكان إذا مشى في قمر أو شمس لا يظهر له نور
ومن قوله صلى الله عليه وسلم في دعائه واجعلني نورا وأما لونه
فقد وصفه جمهور أصحابه بالبياض كما صح عنهم من طرق متعددة لا ينافيه
رواية مشرب بحمرة لأنه مع ذلك يسمى أبيض ثم قد بينا فيها رواية أبيض

شديد

شديد البياض لأن تحمل المشرب بالحمرة على الوجه فقط وما عداه شديد
البياض كما يدل عليه رواية فنظرت إلى ظهره كأنه سبيكة فضة وعليه تحمل
رواية أمهق أي أحمر ليس بأبيض وقول عياض أنها وهم غير صحيح وكذا
رواية ليس بالأبيض ولا بالآدم أي وقول عياض أن هذه ليست بصواب
مردود بأن المراد ليس شديد البياض ولا شديد الأدمة وإنما يخالط
بياضه حمرة والعرب تطلق على من هو كذلك أنه أسمر الوارد في
رواية أحمر ويوافقها رواية أبيض بياضه إلى السمرة ورواية أحمر
إلى البياض أو المراد أنه كان تحصل له السمرة إذا سافر لتأثره من الشمس
وتظليل الغمام وغيره له إنما كان إرهاصا كما مر وقد انقضى وقته وذهب
بعض المالكية إلى أن من زعم أنه كان أسود يقتل لأن السواد يشعر
بالنقص وأما طيب ريحه وعرقه وفضلاته فكان في ذلك الغاية
العليا وإن لم يمس طيبا كما صح عن أنس وغيره وروى أبو يعلى والطبراني
أن رجلا استعان به في تجهيز بنته فاستدعى بقارورة وسلت فيها من
عرقه وقال مرها فلتطيب به فكانت إذا تطيبت به شم أهل المدينة
ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين ومر أنه كان إذا مر بطريق عرف الناس
منه وجدوا ريحه وعرفوا بذلك أنه مر منه وحديث خلق الورد من
عرقه أو من عرق جبريل أو من عرق البراق موضوع وجاء من وجه غريب
أن ما كان يخرج منه صلى الله عليه وسلم تبتلعه الأرض وأيده الحافظ
عبد الغني بأن أحدا من الصحابة لم يذكر أنه رآه بخلاف البول

علم موضوعية خلق الورد من عرق

فانهم كانوا يستشفون به كدمه ومن ثم اختار جماعة من ائمتنا طهارة جميع
فضلاته **واما نومه فهو الاغفاء** اي اخف النوم بحيث لا يستغرق لان الاستغراق
انما يتولد عن نوم القلب وغفلته المتولد عن الشبع المفرط وهو صلى الله
عليه وسلم كسائر الانبياء كان تنام عينه ولا ينام قلبه كما صح عنه صلى الله
عليه وسلم ومن ثم لم ينتقض وضوءه بالنوم وسر ذلك كمال حياة قلبه
ويقظته ودوام شهوده لربه ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم اذا نام لا
يوقظ لانه لا يدرى ما هو فيه ولا ينافيه نومه صلى الله عليه وسلم بالوادى
عن صلاة الصبح حتى حميت الشمس لان رؤيتها من وظيفة العين والقلب
انما يدرك نحو الحدث والالم مما يتعلق به دون العين فهى نائمة والقلب
يقظان وكانه انما لم يدرك مرور الوقت الطويل فانه نام قبل الفجر الى ان
حميت الشمس لانه كان مستغرقا فى شهود ربه وما يفيضه عليه من معارفه
وانما لم ينبه على ذلك ليقع التشريع بتلك الاحكام الكثيرة جدا الذى
استفيدت من تلك الواقعة كسهوه فى الصلاة وقيل كان له نوم ينام فيه قلبه
ايضا وهو الذى كان حينئذ وردوه بانه لم يثبت فهو مردود على قائله
كما ورد بعضهم قوله لا ينام قلبى بما يخرجه عن ظاهره من غير دليل واذ قد
انتهى الكلام على شى من محاسن ذاته التى لم يخلق الله تعالى ذاتا اشرف منها
فلنذكر شيئا مما يتعلق بمحاسن اخلاقه وصفاته التى لم يخلق الله تعالى اشرف
منها ايضا فنقول **ما سوى** اى ليس غير **خلقه النسيم** اى الريح التى فى غاية
اللطافة واللين والطيب يعنى لا يشبهها خلق احد الا خلقه الكريم وهذا

مقتبس

مقتبس من قول بن عباس رضى الله تعالى عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اجود
الناس بالخير ثم قال ولرسول الله صلى الله عليه وسلم اجود بالخير من الريح المرسلة فان
قلت صريح هذا ان خلقه افضل من النسيم بل لا نسبة بينهما فكيف التشبيه
المؤذن بشرفها عليه **قلت** هذا الايذان انما هو باعتبار الغالب والا فقد
يشبه الافضل بالمفضول لنكتة كما فى صليت على ابراهيم الخ فكذا هنا
تشبيهه بها البليغ انما هو باعتبار ما فيها مما يحيى الروح ويحيى القلب
ويجلو صدا النفس وغير ذلك مما لا قيام لحقيقة الحيوان الا به وانما
قلت يعنى لا يشبهها الخ لا يبين ان هذا المراد من العبارة لا نفى هى به وذلك
لان نفى مشابهة غير خلقه لها لا يفيد انه لا يشبهها الا خلقه لان هذا الحصر
لا دليل عليه فى الكلام بل كلام صريح كلام الراغب انه لا مفهوم للنفى بغير
وعبارته غير يقال على اوجه الاول ان تكون للنفى المجرد من غير اثبات معنى به
نحو مررت برجل غير قائم وقال الله تعالى ومن اضل ممن اتبع هواه بغير
هدى من الله وقال وهو فى الخصام غير مبين انتهى المقصود منه ويأتى
فى شرح قوله وما سواى هو العاص ماله بما هنا تعلق فاستحضره والخلق
بضم فضم او سكون قال الراغب وهو والمفتوح فى الاصل بمعنى واحد
لكن خص المفتوح بالهيئات والصور المبصرة والمضموم بالسجايا والقوى
المدركة بالبصيرة ثم قيل المضموم غريزى لخبر البخارى ان الله قسم بينكم
اخلاقكم كما قسم ارزاقكم والحق ان اصله غريزى وتمامه مكتسب لما
صح انه صلى الله عليه وسلم قال للاشج ان فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله

الحلم والاناة قال يا رسول الله قديما كان فيّ او حديثا قال قديما قال
الحمد لله الذى جبلنى على خلقين يحبهما الله ورسوله صح فترديده السؤال وتقرير النبى صلى الله
عليه وسلم له على ذلك يدل على ان بعضه غريزى وبعضه مكتسب ويدل له ايضا
الحديث الصحيح اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى وما صح انه كان يقول
فى دعا الافتتاح واهدنى لاحسن الاخلاق لا يهدى لاحسنها الا انت
فهو جبلة فى نوع الانسان وهم متفاوتون فيه فمن عدم حسنه او كماله امر
بالمجاهدة والرياضة حتى يقوى ويصير محمودا وقد عرف الخلق الحسن
بانه ملكة تسهل على ذيها فعل الجميل وتجنب القبيح ولما اجتمع فيه صلى الله
عليه وسلم من خصال الكمال وصفات الجلال والجمال ما لا يحصى حصره ولا يحيط
به عد اثنى الله تعالى عليه فى كتابه الكريم فقال عز من قايل وانك لعلى خلق عظيم
فوصفه بالعظم وزاد فى المدحة باتيانه بعلى المشعرة بانه صلى الله عليه وسلم استعلى
على معانى الاخلاق واستولى عليها فلم يصل اليها مخلوق غيره ووصفه بالعظم
دون الكرم الغالب فى وصفه به لان كرمه يراد به السماحة والديانة والامانة
وخلقه صلى الله عليه وسلم غير مقصور على ذلك بل لما كان عنده غاية الرحمة
للمؤمنين عنده غاية الغلظة والشدة على غيرهم فاعتدل فيه الانعام
والانتقام ولم يكن همه سوى الله تعالى فعاشر الخلق بخلقه وباينهم وباينهم باطنه
بقلبه ومن ثم ورد بسند فيه ضعف ان الله بعثنى بتمام مكارم
الاخلاق وكمال محاسن الافعال وفى رواية الموطا بلاغا بعثت لاتمم
مكارم الاخلاق فكل خلق حميد اندرج تحت خلقه ومن ثم قالت عايشة
كان

كان خلقه القران قال السهروردى رحمه الله تعالى ويقع به فى عوارفه فى قولها
ذلك رمز غامض وايما خفى الى الاخلاق الربانية فاحتشمت الحضرة الالهية
ان تقول كان متخلقا باخلاق الله فعبرت عن المعنى بقولها كان خلقه القران
استحياء من سبحات الجلال وسترا للحال بلطف المقال وهذا من وفور
عقلها وكمال ادبها وقال بعض العارفين لما كان خلقه اعظم خلق بعثه الله
تعالى الى جميع العالمين وعلم من كلام عايشة رضى الله تعالى عنها ان كمالات
خلقه لا تتناهى كما ان معانى القران لا تتناهى وان التعرض لحصر جزئياتها
غير مقدور للبشر ثم ما انطوى عليه صلى الله عليه وسلم من كريم الاخلاق
لم يكن باكتساب ورياضة وانما كان فى اصل خلقته وحصل بالجود الالهى
والامداد الرحمانى الذى لم يزل تشرق انواره فى قلبه الى ان وصل لاعظم
غاية واتم نهاية واعلم ان كمال الخلق انما ينشأ عن كمال العقل لانه
الذى به تقتبس الفضايل وتجتنب الرذايل والعقل لسان الروح وترجمان
البصيرة فهو جوهر الانسان ولكن جوهره البصيرة وفى القاموس بعد الاشارة
الى الخلاف فى تعاريفه والحق انه روحانى به تدرك النفوس العلوم الضرورية
والنظرية وابتدا وجوده عند اجتنان الولد ثم لا يزال ينمو الى ان يكمل
عند البلوغ انتهى والحديث المشهور اول ما خلق الله العقل قال له
اقبل الخ موضوع وعقل نبينا صلى الله عليه وسلم وصل فى الكمال الى غاية
لم يصل اليها ذو عقل ومن ثم روى ابو نعيم وابن عساكر عن وهب انه وجد
فى احد وسبعين كتابا ان الله لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضايها

من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم ولا كحبة رملة بين رمال جميع اهل
الدنيا ومما يقطع بصحة ذلك سياسته صلى الله عليه وسلم للعرب الذين
هم كالوحوش الشاردة وصبره على طباعهم المتنافرة المتباعدة حتى قاتلوا
دونه اهاليهم وهجروا في رضاه اوطانهم واحباءهم مع انه لم يطلع على سير
الماضيين ولا تعلم من العقلاء الحدثين وفي هذا ما في الذي قبله مما مر
انفا ولا غير محياه اي وجهه الروضة الغنا اي الكثيرة النبات والازهار
والثمار اي ليست الروضة الغنا الا وجهه لانه احسن الخلق وجها
كما مر مبسوطا هو رحمة وهي عطف وميل نفساني غايته التفضل والانعام
اي عينها مبالغة او ذوها وهو خبر مقدم واخبر بهذه وما بعدها بلفظ
المصدر اشارة الى انها قد امتزجت بذاته واستحال انفصالها عنه
حتى كانها هو وكانه هي اي ركب منها وطبع عليها وخلق منها كله كما قال
تعالى وما ارسلناك الا رحمة ويجوز نصب رحمة على الحال على انها اسم
فاعل ومفعولا لاجله وعلى حذف مضاف اي ذا رحمة والعالمون هنا قيل
الجن والانس وعليه الجمهور وقيل الملايكة وعليه غير واحد من المحققين
ويدل عليه ايضا ليكون للعالمين نذيرا ونقل الرازي وغيره الاجماع
على انه لم يرسل للملايكة مردود بل اخذ بعض متاخري ايمتنا المحققين
بظاهر خبر مسلم وارسلت الى الخلق كافة كما مر وعلى كل فهو رحمة للمومنين
بالهداية وبالامان من القتل وللكافر بتاخير العذاب ولساير الحيوانات
لان بوجهه يستسقى الغمام ويدعايه ينزل قطر السما فينبت النبات ويكون

لها

لها سقيا ورعيا وللمنافق وقال ابن عباس رحمة للبر والفاجر لان كل نبي
اذا كذب اهلك الله من كذبه ومحمد صلى الله عليه وسلم اخر من كذبه الى الموت
او الى القيمة واما من صدقه فله الرحمة في الدنيا والاخرة فعلم ان
ذاته رحمة للمومن والكافر كما قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم وروى الدارمي والبيهقي حديث انما انا رحمة مهداة وقال بعضهم زينه
ربه بزينة الرحمة فكان وجوده وجميع شمايله رحمة على الخلق وقال اخر
الانبيا خلقوا كلهم من الرحمة ونبينا صلى الله عليه وسلم عين الرحمة لا يقال
كيف هو عين الرحمة وقد جاءهم بالسيف واستباحة الاموال لانا نقول
انما ذلك لمن ادبر واستكبر ولم ينفع فيه وعظ ولا ارشاد ومن اوصافه
تعالى الرحمن الرحيم والجبار والمنتقم وفي الشفا وحكي انه صلى الله عليه وسلم
قال لجبريل هل اصابك من هذه الرحمة شي فقال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت
ولما شج وجهه وكسرت رباعيته يوم احد قالوا لو دعوت عليهم فقال اني
لم ابعث لعانا ولكن بعثت داعيا ورحمة اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون
اي اغفر لهم هذا الشي المخصوص لا مطلقا والا لاسلموا كلهم صح ذكره ابن حبان واما
دعا عليهم يوم الخندق بان الله تعالى يملا بطونهم نارا لانهم شغلوه عن
الصلاة الوسطى فكان الدعا لله لا لحظ نفسه وحزم كله صح اي جميع احواله
التي تصدر منه على غاية من الضبط والقوة والشدة الباطنة والظاهرة
لان منشا ذلك العقل الكامل وقدمنا انه لا اكمل من عقله بل صح لا مساوي له من
نبي ولا ملك وعزم كله من عزم على الشي قطع به اي جميع ما يفعله بوحي او اجتهاد

انما يفعله مع امتضايه والقطع به من غير اعراض عنه ومن ثم كان من خصايصه
صلى الله عليه وسلم انه اذا فعل خيرا لزمه او امته كما وقع له ان اناسا شغلوه
عن سنة الظهر البعدية حتى دخل وقت العصر فصلاها ثم واستمر يصلى
ركعتين بعد العصر الى وفاته ووقار كله لان الله تعالى القى عليه من المهابة
ما لا غاية له ومن ثم قال خارجة بن زيد كما رواه ابو داود كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اوقر الناس فى مجلسه وعن ابى سعيد الخدرى كان
اذا جلس فى المجلس احتبى بيديه وكان كثير السكوت لا يتكلم فى غير حاجة وكان
ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير وكان ضحك اصحابه عنده
التبسم مجلسه مجلس علم وحيا وخير وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تنتهك
فيه الحرم اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير وجا اليه رجل فقام
بين يديه فاخذته رعدة شديدة ومهابة فقال له هون عليك فانى
لست بملك ولا جبار انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد بمكة فنطق
الرجل بحاجته فقام صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس انى اوحى الى ان
تواضعوا الا فتواضعوا حتى لا يبغى احد على احد ولا يفخر احد على احد وكونوا
عباد الله اخوانا وراته قيلة بنت مخرمة فى المسجد قاعدا القرفصا فارتعدت
من الفرق رواه ابو داود وروى مسلم عن عمرو بن العاص رضى الله عنه
قال صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملات عينى منه قط حيا منه
وتعظيما له ولو قيل لى صفه لما قدرت واذا كان هذا وهو من اجلا الصحابة
كذلك فما بالك بغيره فعلم انه صلى الله عليه وسلم لو لا انه كان يباسطهم

ويمزح

ويمزح معهم ومع ذلك لا يقول الا حقا ويتواضع لهم ويونسهم لما قدر
احد منهم ان يجالسه ولا يحادثه لما القى الله تعالى عليه من المهابة والجلالة
وقد خير صلى الله عليه وسلم بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاشار لجبريل
ليستشيره فاشار اليه ان تواضع وعصمة كله اى حفظ فيستحيل شرعا
وقوع خلافه من ساير الذنوب صغيرها وكبيرها عمدها وسهوها قبل
النبوة وبعدها فى ساير حركاته وسكناته فى باطنه وظاهره سره وعلانيته
جده ومزحه رضاه وغضبه والخلاف فى بعض ذلك لا يعول عليه
كيف وقد اجمع الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وعلى اتباعه والتاسى
به فى كل ما يفعله من قليل وكثير وصغير وكبير لم يكن عندهم فى ذلك
توقف حتى اعماله فى السر والخلوة يحرصون على العلم بها وعلى اتباعها
علم بهم او لم يعلم ومن تامل احوالهم معه استحيا من الله تعالى كما قال
العلامة المجتهد التقى السبكى ان يخطر بباله تشكك فى انه معصوم فى
كل ما ذكرناه وكذلك الانبيا كلهم معصومون كما ذكر وحكى فى عصمتهم
قبل النبوة خلاف ومحله فى غير الجهل بالله وصفاته اما هو فهم معصومون
منه اجماعا بل لم ينشاوا الا على اكمل الاحوال من الايمان بالله ومعرفته
كما ينبغى وحكى فى عصمتهم قبل النبوة خلاف ومحله فى تخير الجهل من الصغاير
بعد النبوة خلاف ايضا وهو فى غاية الضعف بل الزم قايلوه بخرق الاجماع
وما لا يقول به مسلم ومحله فى غير صغاير الخسة كسرقة لقمة وفى غير ما يتعلق بطرق
التبليغ اما هذا ان فهم معصومون منهما اجماعا واما قوله تعالى ووجدك ضالا

فهدى فللمفسرين فيه اقوال كثيرة احسنها ما جاء عن ترجمان القرآن ابن عباس رضى الله
تعالى عنهما وآخرين من صحابة وتابعين وجدك ضالا عما اتاك من معالم النبوة
فهداك اليها وبوحيه قوله تعالى ما كنت تدرى اى قبل الوحى ما الكتاب اى القرآن صح
ولا الايمان اى الدعاء اليه اى ولا الفرايض والاحكام اذ الايمان يطلق
عليها حقيقة نحو وما كان الله ليضيع ايمانكم اى صلاتكم الى بيت المقدس
كما يصرح به سبب النزول وما جاء مرفوعا اى وجدك ضالا عن جدك عبد
المطلب حتى كاد الجوع يقتلك فردك اليه او هو من ضل الماء فى اللبن
اذا انغمر فيه اى وجدك مغمورا بين كفار مكة فنصرك عليهم واما قوله
ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك فاختلف المفسرون فيه على
اقوال كثيرة بها يبطل الاحتجاج به للقول الساقط السابق ايضا ومن
احسنها ان المعنى خففنا عنك اعباء النبوة التى اثقلت حقوقها
والقيام بموجبها ظهرك حتى كاد ان يكون له نقيض اى صوت او المراد
عصمناك من الوزر الذى لو تحملته صوت ظهرك من ثقله فسمى العصمة
وضعا مجازا او رفعنا عنك اوزار امتك التى اثقل ظهرك خوف غايلتها
حتى امنك الله ذلك فى العاجل بقوله عز قايلا وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم واعطاك الشفاعة فيهم فى الآجل واما قوله ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تأخر فاختلفوا فيه كذلك واحسن ما فيه
ايضا قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انك مغفور لك غير مؤاخذ
بذنب ان لو كان او المراد بالذنب ذنوب امته على وزان ما مر او ترك الاولى

والاخرى

والاخرى كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين وعليه قوله تعالى عفا الله
عنك لم اذنت لهم اى محا عنك ما ارتكبته من خلاف الاولى ووقع لبعض
مشاهير المفسرين فى بعض هذه الايات ما لا ينبغى من التساهل وسوء الادب
فاحذره وحفظ ايضا صلى الله عليه وسلم من اعدايه الحريصين على قتله فكان
اصحابه يحرسونه حتى نزل والله يعصمك من الناس فاخرج صلى الله عليه وسلم
راسه من القبة وقال يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمنى ربى وتواعد جماعة
على قتله فلما هموا به سمعوا صوتا مهولا فغشى عليهم ثم تواعد وامرة اخرى
فلما راوه جاء الصفا والمروة حال التا بينه وبينهم وواعد ابو جهل
قريشا ان راه ليطان على عنقه فاعلموه به فذهب اليه فولى هاربا فسئل
فقال لما دنوت منه اشرفت على خندق مملو نارا فكدت ان اهوى فيه
وابصرت هولا عظيما وخفق اجنحة قال صلى الله عليه وسلم تلك الملايكة
لو دنا لاختطفته عضوا عضوا ووفد عليه عامر بن الطفيل واربد
ابن قيس ليقتلاه فشغله عامر فاراد اربد قتله فلم ير الا عامرا وحياء
كله كما يصرح به خبر البخارى عن ابى سعيد رضى الله تعالى عنه كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اشد حيا من العذرا اى البكر فى خدرها قيل ذكره
من باب التتميم لان العذرا فى خدرها يشتد حياؤها اكثر مما تكون خارجه
عنه لان الخلوة مظنة وقوع الفعل لها وقيل الظاهر ان المراد تقييده بما
اذا دخل عليها فى خدرها لا حيث تكون وحدها والحيا بالمد لغة تغير يعترى
الانسان من خوف ما يعاب به وشرعا خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع

من التقصير في حق ذي الحق من الحياة وكذا الحيا المقصور وهو المطر وقوته
وضعفه بقوة حيا القلب وضعفه وهو اقسام ثمانية يطول استقصاؤها منها
حيا الكرم كحيائه صلى الله عليه وسلم ممن دعاهم الى وليمة زينب فطولوا عنده المقام
ان يقول لهم انصرفوا ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم لا يواجه احدا بمكروه بل اذا
بلغه من احد شي قال ما بال اقوام ولم يقل ما بال فلان قالت عايشة ما رايت
منه ولا راى مني ومنها حيا المحبة وهو ما يخطر بقلب المحب في غيبة محبوبه
لبهجته اليه ومنها حيا العبودية وهو ممتزج بين محبة وخوف وغايته شهود
عدم صلاح عبوديته لمعبوده فيستحي منه لا محالة ومنها حيا المرء من نفسه
ان رضيت بالنقص او قنعت بالدون حتى كأن له نفسين يستحي باحدهما من الاخرى
وهذا اكمل ما يكون من الحيا وهو حيا النفوس الشريفة الرفيعة وهو الذي
قال فيه صلى الله عليه وسلم الحيا لا ياتي الا بخير والحيا من الايمان رواهما البخاري
وجعله من الايمان مع انه غريزة لان استعماله على قانون الشرع محتاج الى قصد
واكتساب وعلم فالحيا المكتسب هو الذي جعله الشارع من الايمان وهو
المكلف به دون الغريزي غير ان من كان فيه غريزة منه فانها تعينه على
المكتسب حتى يكاد يكون غريزيا وهو صلى الله عليه وسلم جمع الله له النوعين
فكان في الغريزي اشد حيا من العذراء في خدرها ومر ان عقله صلى الله عليه وسلم
اوسع العقول ولذلك اتسعت اخلاق نفسه الكريمة اتساعا لا يجد من
ذلك اتساع خلقه العظيم في الحلم والعفو مع القدرة وصبره على ما يكره
لا سيما في الشدايد حتى انه لا يحل الباس اي الشدة وان افرطت لا سيما في الحروب

علم اقسام الحياء

ع

وقد

وقد اسعرت نيرانها واصطلمت عقول شجعانها منه متعلق بما بعده من المضاف
او المضاف اليه او يحل عرى الصبر وهو حبس النفس على ما تكرهه اي اسبابه من
الحلم والعفو والصفح والشجاعة المشبهة في اشتمالها على من قامت به حتى
منعته من وقوع نادرة منه عند ثوران نار الغضب بحبال ربطت على شي
واحكمت في عرى فاستمسكت عليه فلم يمكن حلها ولا نقضها فذكر العرى
استعارة تخييلية وتشبيه الصبر بالثوب ذي الازرار والعرى المحكمة
استعارة بالكناية وذكر الحل ترشيح وحسبك صبره على من حاربوه يوم
احد في اشد ما نالوه به من كسر رباعيته وشج وجهه فسال الدم على وجهه
الشريف وشق ذلك على اصحابه فقالوا يا رسول الله لو دعوت عليهم فقال
اللهم اغفر لقومي او واهد قومي فانهم لا يعلمون اي لا تعاجلهم بالعقوبة من اجل
فانهم لا يعلمون تفاصيل ما يترتب عليهم في ذلك من انواع العذاب واصناف
العقاب وروي عن عمر رضي الله تعالى عنه انه قال بابي وامي يا رسول الله
لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض الاية ولو دعوت علينا
مثلها لهلكنا من عند اخرنا فلقد وطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت
رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون
وانما قال صلى الله عليه وسلم يوم الخندق حين شغلوه عن صلاة العصر
اللهم املا قلوبهم نارا لان الحق لله تعالى وهو صلى الله عليه وسلم لم يكن
يغضب لنفسه وانما يغضب ان انتهكت حرمات الله امتثالا لقوله
الله سبحانه وتعالى له جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومن ثم

نع

غضب صلى الله عليه وسلم في اماكن متعدده لاسباب مختلفه لكن مرجعها الى انه لم
يغضب لنفسه بل لربه وقد صح عن زيد بن سعنة بمهملة ونون مفتوحتين
وهو من اجل احبار اليهود الذين اسلموا انه قال لم يبق من علامات النبوة شي الا
وقد عرفته في وجه محمد صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه الا اثنتين لم اخبرهما منه
يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل الا حلما فكنت اتلطف له لان اخالطه
فاعرف حلمه فابتعت منه تمرا الى اجل فاعطيته الثمن فلما كان قبل محل الاجل بيومين
او ثلاثة اتيته فاخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت اليه بوجه غليظ ثم
قلت له الا تقضيني يا محمد حقي فوالله انكم يا بني عبد المطلب مطل فقال عمر اي عدو
الله اتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمع فوالله لولا ما احاذر فوته لضربت
بسيفي راسك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى عمر في سكون وتؤدة وتبسم
ثم قال انا وهو كنا احوج الى غير هذا يا عمر تامرني بحسن الاداء وتامره بحسن
التقاضي اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعا مكان ما رعته ففعل
فقلت يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا اثنتين فذكر له ما مر وقد عرفتهما فاشهد اني قد اسلمت وروى
ابو داود ان اعرابيا جاء اليه صلى الله عليه وسلم فجذبه بردائه وكان خشنا حتى
اثر في عنقه الشريف وقال له احملني على بعيري هذين فانك لا تحملني من
مالك ولا من مال ابيك فقال صلى الله عليه وسلم لا واستغفر الله وكررها ثلاثا
حتى تقيدني من جذبتك التي جذبتني كل ذلك والاعرابي يقول له لا اقيدكها لا اقيدكها
ابدا ثم امر له بحمل بعير تمرا وبعير شعيرا وروى البخاري ان اعرابيا جذبه حتى

اذن

اثرت حاشية البرد في عنقه الشريف من شدة جذبته وقال يا محمد مر لي من مال
الله الذي عندك فضحك صلى الله عليه وسلم ثم امر له بعطا وروى الترمذي عن
عايشة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا يجزي
بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح اي لم يكن له الفحش خلقا ولا تكسبا
وروى البخاري ان رجلا استاذن عليه فلما راه قال بيس اخو العشيرة وبيس
ابن العشيرة فلما جلس لبه الان له القول وانبسط اليه فلما مضى سالته
عايشة عما قال وعما فعل فقال متى عهدتني فحاشا والعشيرة القبيلة ٥
وانبساطه اليه تالفا له لانه رييس قومه وتعليم للامة وفيه جواز
المداراة اتقاء الشر وهي بذل الدنيا لصلاح الدين او الدنيا او هما
بخلاف المداهنة فانها بذل الدين لصلاح الدنيا وهو صلى الله عليه
وسلم انما بذل له من دنياه حسن عشرته ولم يمدحه فكان قوله فيه حق وفعله معه
حسن عشرة وهذا الرجل بين بعضهم انه عيينة بن حصن الفزاري وقد
كانت منه امور في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد موته تدل على ضعف ايمانه
بل ارتد في زمن الصديق وحارب ثم اسلم في زمن عمر فما قاله صلى الله عليه
وسلم فيه من علامات النبوة ولاينا في ما مر انه لم ينتقم لنفسه امره بقتل
عقبة بن ابي معيط وعبد الله بن خطل وغيرهما ممن كان يوذيه صلى الله عليه
وسلم لانهم كانوا مع ذلك ينتهكون حرمات الله تعالى فايس من ايمانهم ومن ثم
لما طمع في ايمان المنافقين امهلهم مع شدة ايذايهم له بما لا يصبر عليه
بشر وصبره على من اعلم بعدم ايمانه للمصلحة العامة كما اشار لذلك

علم جواز المدارا للاعتبار

صلى الله عليه وسلم بقوله لمن قال له اقتلهم لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وصح
عن انس كان صلى الله عليه وسلم احسن الناس واجود الناس واشجع الناس وان
اهل المدينة فزعوا ليلة فخرجوا فرأوه راجعا من جهة الصوت متقلدا بسيفه
على فرس لابى طلحة فقال لهم لن تراعوا ما رأينا من باس وصارع صلى الله عليه
وسلم ابطالا معروفين لا يصرعون فصرعهم وفى البخارى عن البرا انه قيل له
افررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال لكن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يفر كان هوازن رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فاكببنا على
الغنائم فاستقبلونا بالسهام ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته
البيضا وان ابا سفيان بن الحارث اخذ بزمامها وهو يقول ٥
انا النبى لا كذب • انا ابن عبد المطلب • وثبوته فى نهاية الشجاعة كيف وقد
فر جيشه عنه ولم يبق معه الا بضعة عشر رجلا فوقف فى نحر الوف مؤلفة على
بغلة لا تصلح لكر ولا فر وهو مع ذلك يركضها الى وجوههم وينوه باسمه
ليعرفه من جهله ومن ثم قال الصحابة كنا اذا احمر الباس اتقينا برسول
الله صلى الله عليه وسلم اى جعلناه بيننا وبين العدو وقمنا خلفه محتمين
به ولما قال اللعين ابى بن خلف يوم احد اين محمد لا نجوت ان نجا تناول
صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة وقال لاصحابه بعد ان ارادوا
التعرض له خلوا سبيله فطعنه فى عنقه طعنة كان فيها اتلاف نفسه
اللعينة الخبيثة **ولا تستخفه** اى لا تخرجه عن ثباته وتواضعه ووقاره
السرا اى الرخا والسعة فى الجيوش والفتوح التى منحها فى اواخر حياته

المعنوى الاعظم على جميع اتباعه حتى **كان الغمامة** لما اظلته قبل النبوة ارهاصا
وتاسيسا لما سيصير اليه امره اعلمته بانها **استودعته** الامة باسرها لكن اصحابه
بلا واسطة وهم الرفقا ومن بعدهم بواسطة استمداد الاولين من ظله وامدادهم
لمن بعدهم من ذلك الظل فالذين بواسطتهم **من** اى الذين **اظلت** هم **من**
بعض **ظله** الاعظم **الرفقا** جمع راف كعلما جمع عالم وهم جيوشه سمى الجيوش بذلك
لانهم يدفون نحو العدو اى يسيرون اليه لدفعه واستيصاله وحاصل
الجواب ان ذلك التظليل الذى كان قبل النبوة كان لحكمتين احداهما الارهاص
كما تقرر وثانيهما اعلامه صلى الله عليه وسلم بما سيؤول اليه امره من ان الله سيجعل
له امة اكرم الامم وانهم قرون متفاوتون وان كل قرن يستمد من القرن الذين
قبلهم وان الكل مستمدون وممدون من ظله فسائر القرون مستمدون من اصحابه
واصحابه مستمدون وممدون من ظله وح فلا تنافى بين محو نوره الظل وبقا
الظل مع نوره عند تظليل الغمامة له لان المحو هو الاصل المستمر والبقا انما كان
على خلاف الاصل للحكمتين المذكورتين احديهما الارهاص والثانية الاعلام
له بعموم ظله المعنوى على الامة من اولهم الى اخرهم فتامل ذلك فانه مهم بل
لتعلق على الائمة معنى هذا البيت على الشارح قال انه وجد هذا البيت فى
بعض نسخ وانه غير مفهوم المعنى وسببا لخلافه عليه جعله الضمير المفعول
فى استودعته للظل لا يقال بل ما قاله من رجوعه للظل يتضح به المعنى لكن
ان جعلنا الرفقا الطيور ويكون فى البيت ح التلميح الى قصة هى ان الطيور
كانت تظل الانبيا قبله كداود وسليمان بن نبى اسرايل وظللنا عليهم الغمام وح

فكانه يقول الغمامة لما اظلته استودعت الظل الانبيا الذين اظلتهم الطيور من
ظله لا انا نقول هذا المعنى لا يطابق اللفظ سلمناه مع ما فيه من البعد
والتكلف فوزن دفقا فعلا وهو انما يكون جمعا لفعيل اذا كان وصف ذكر عاقل
بشروط اخر او لما دل على سجية حمد او ذم بشروط اخر كشجاع وشجعا وصالح وصلحا
وشاعر وشعرا وجاهل وجهلا فعلى لا يصح لا حمله على الطيور اصلا لانه انما يكون
جمعا لصفة عاقل مذكر او سجية حمدا وذم بشرطهما على ان الذى سمع في الطيور
دفوف في العقاب وفعلا لا يجمع عليه اصلا وداف فيما يطير بجناحيه ولا يصف
وهو وصف لغير عاقل ودفيف وهو ليس وصفا للطاير بل لحركته وبتسليم انه وصف
له هو غير عاقل فان قلت المعنى الصحيح ان الغمامة لما اظلته استودعت
الظل الطيور التى اظلت الانبيا من قبله فهلا يحمل النظم عليه قلت يعارضه
ما تقرر في قاعدة جمع فعلا وبتسليمه تجوزا في الجمع فالنظم ينبو عن هذا المعنى
بكل وجه كما هو واضح فان قلت ظاهر كلام الناظم في البردة انه احتاج
لتظليل الغمامة لتقيه حر الشمس فينافي ما مر من ان تظليلها للحكمتين السابقتين
قلت ما افهمه كلامه ثم يعارضه ان تظليلها لم يكن الا قبل النبوة اوحاما
كما مر ولو كان لما ذكره لكان بعد النبوة ايضا فان قلت قد ظلل عليه
صلى الله عليه وسلم عند رميه للجمرة بثوب وهو يشعر بالاحتياج قلت هذا
من ضرورة الجبلة البشرية وما نحن فيه من حيث الحقيقة والامور الاصلية
فتامله وايضا فهو صلى الله عليه وسلم برز للشمس في عرفة ولم يظلل اشارة
الى ان السنة للمحرم ان يبرز للشمس وظلل عند الرمي اشارة الى انه لا بأس البروز

للشمس

واكثرت منه في الذراع والكتف ثم وضعتها بين يديه ومن حضر من اصحابه
وفيهم بشر بن البرا فتناول صلى الله عليه وسلم الذراع فانتهش منها وتناول
بشر عظما اخر فازدرد لقمتيهما واكل القوم فقال صلى الله عليه وسلم
ارفعوا ايديكم فان هذه الذراع تخبرني بانها مسمومة وفيه ان بشرا مات
وانه صلى الله عليه وسلم دفعها الى ولي بشر فقتلوها رواه الحافظ
الدمياطي ورواية انه قتلها تعارضها رواية البيهقي عن ابي هريرة
رضي الله تعالى عنه وجابر انه لم يعاقبها ومن ثم قال ومخلوق من
النبي كريم بل لا اكرم منه قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم اي بسبب ما
تحلى به من كمال العلم والعفو والصفح لم تعاصيض بجرحها بواطنهم بذلك الحلم
السم اذ هو يجرح الباطن كما يجرح الحديد الظاهر العجماء اي المراة
ويقال ايضا للبهيمة وقال الزهري اسلمت فتركها وفي مغازي سليمان
التيمي نحوه وانها قالت استبان لي الآن انك صادق واني اشهدك
ومن حضر اني على دينك وان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وجمع
البيهقي بانه يحتمل ان يكون تركها اولا فلما مات بشر قتلها به وبذلك
اجاب السهيلي وزاد انه تركها لانه كان لا ينتقم لنفسه ثم قتلها ببشر
قصاصا ويحتمل انه تركها لاسلامها فلما مات بشر تحقق بموته وجوب
القصاص عليها فقتلت وقوله انه قتلها قصاصا فيه نظر اذ لم نر
احدا روى عن الصحابة انه قتلها قصاصا وانما الوارد انه قتلها
وهو محتمل لكونه قتلها بنقضها العهد بما فعلته ويدل عليه ما جاء

في رواية انه صلبها اذ لو قتلت قصاصا لم تصلب بل لو فرض انه لم يصلبها
لم يكن قتلها بالسيف دليلا للقصاص لان المماثلة فيه معتبرة فقياسه
ان يقتلها بمسموم كما ان اليهودي الذي رض راس الجارية بحجر
امر به صلى الله عليه وسلم فرض راسه بمثل ذلك الحجر ايثارا للمماثلة
المقصودة من مشروعية القصاص لا يقال الصلب لا يدل على انتفا
القصاص لان للامام ان يصلب من يريد قتله اذا راى ذلك زجرا
وتنكيلا لانا نقول ليس للامام الصلب في قتل القصاص كما يصرح به
كلام ايمتنا لما تقرر ان المدار فيه على المماثلة ما امكن فلا يجوز للامام
الزيادة عليها ولا النقص عنها ولم نر احدا من ايمتنا ولا من غيرهم
جوز الصلب في غير قاطع الطريق فمن ادعاه فعليه البيان بغير محل
النزاع الذي نحن فيه فان قلت هو يرد على هذا الحصر لانها غير قاطعة — لان هذه صح
طريق وصلبت قلت الذمي اذا نقض العهد ملحق بقاطع الطريق في احكام
لا يبعد ان هذا منها على انه اذ ذاك صار حربيا واحكام الحربيين لا يقاس
بها احكام المعصومين فان قلت فيكم لان المماثلة الخ انما يأتي
على القول بتعينها في القود اما التخيير بينها وبين السيف فيما ليس بمحرم
او التخيير بينها وبين السيف في القتل بمسموم فلا ينافي عليه ذلك البحث
قلت بل يأتي على التخيير ايضا لان القتل بالسيف لا يعين القود لانه
يحتمله ويحتمل انه لنقض العهد والمدعى انما هو ان قتلها بالسيف
لا يدل على خصوص كونه قودا وتاخير قتلها الى موت بشر لا يدل على

القود

القود ايضا لاحتمال انه ليتحقق عظم جنايتها وبهذا يعلم كله ان ما في
هذه القصة من قتلها بتقدير صحته لا يرد على قول ايمتنا من اضاف
انسانا فقدم له طعاما مسموما فاكل منه فمات لا قود عليه لانه تناوله
باختياره والمضيف لم يلجيه الى اكله وذلك لانه لم يثبت انه قتلها بقيد
كونه قودا وبهذا الذي قررته يعلم تحقيق الناظم حيث نفى القصاص مع
اطلاعه على الروايات المخالفة في ذلك فان قلت لا نسلم ان نفيه
لذلك بل لان ثبوته بقيد كونه قصاصا لم يصح والاصل عدمه قلت
هذا يحصل منه مدعانا ايضا لان ثبوته اذا لم يصح من اصله او بذلك
القيد فلا دلالة فيه للخصم بوجه وتخلق من النبي كريم من فهو معطوف — بحذف حرف العطف صح
على لم تقاصص خلافا لمن يوهمه كلام الشارح انه استيناف اي انعم نعمة
عظيمة فضلا مفعول مطلق كفرحت جذلا او مفعول لاجله وهو
الاولى لان المراد بالمن هنا ما ذكره الله تعالى بقوله عز قايلا فاما منا
بعد واما فدا فمن بتخلية سبيلهم بعد ان ملكهم المسلمون اي دفع
الرق عنهم لاجل فضله اي احسانه العام عليهم وعلى غيرهم بلا عوض وعلى
هذا فمعنى هذه العلة والعلة التي تليها المستفادة من اذ ان منه
معلل بشيئين عموم احسانه عليهم وعلى غيرهم وخصوص كونه نزل
فيهم وعليه فحرف العطف مقدر الثبوت ويصح ان تكون الثانية
علة للاولى وايهامه قصر فضله عليهم غير مؤثر لانه لم يرد مطلق الفضل
بل فضلا يتعلق بهم سوا اعلق هوازن بمن او بفضلا اكتفا بقرينة

التسابق على هوازن قبيلة حليمة السعدية رضي الله تعالى عنها وهم اهل حنين
المذكور في القران وهو واد قريب من ذي المجاز السوق المشهور من اسواق
الجاهلية بناحية عرفة بين ذلك الوادي وبين مكة نحو ثلاث ليال غزاهم صلى
الله عليه وسلم عقب فتح مكة لما اتفقت اشراف هوازن وثقيف على حربه صلى
الله عليه وسلم فخرج اليهم سادس شوال سنة ثمان في اثني عشر الفا عشرة
جابهم والفان من طلقاء مكة فلما هزمهم صلى الله عليه وسلم قصد الطايف
وامر ان يجعل سبي هوازن وغنايمهم بالجعرانة حتى ياتي اليهم وكان السبي
وهو النسا والذراري ستة الاف راس والابل اربعة وعشرين الفا
والغنم فوق اربعين الفا واربعة الاف اوقية فضة ولما رجع صلى
الله عليه وسلم من الطايف انتظر هوازن بضع عشر يوما ليقدموا عليه
مسلمين ثم اخذ في قسمة الغنايم فجاوا مسلمين فقالوا يا رسول الله انا
اهل وعشيرة وقد اصابنا من البلا ما لم يخف عليك فامن علينا من
الله عليك وقام رجل من فخذ حليمة فقال يا رسول الله انما في الحظاير
عماتك وخالاتك اي من الرضاع لانهن قرابات حليمة وحاضناتك
اللاتي كن يكفلنك ولو انا ارضعنا الحارث بن ابي شمر او النعمان بن
المنذر ثم نزل بنا بمثل الذي نزلت فيه رجونا عطفه وانت خير المكفولين
فقال لهم صلى الله عليه وسلم ان احسن الحديث اصدقه ابناوكم ونساوكم
احب اليكم ام اموالكم فقالوا ابناونا ونساونا فقال اما ما كان
لي ولبني عبد المطلب فهو لكم واذا صليت الظهر فقوموا فقولوا انا

نستشفع

نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسلمين وبالمسلمين الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في ابنائنا ونسائنا فساعطيكم عند ذلك واسال لكم ففعلوا
ذلك فقال صلى الله عليه وسلم اما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم فقال
المهاجرون وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت الانصار
مثل ذلك وامتنع بنوا تميم وبنوا فزارة وعباس بن مرداس من بني سليم
فوعدهم صلى الله عليه وسلم من اول سبي يصيبه بما طابت به نفوسهم
فردوا من بقي عندهم ومن صلى الله عليه وسلم اذ اي لاجل انه صلى الله عليه
وسلم كان له قبل ذلك اي وهو طفل فيهم ربا بفتح الرا والمد اي تربية
من ربوت في بني فلان وربيت فيهم اذا نشات بينهم او طول باعتبار
ما وصل اليهم من لبن حليمة وتربيتها تنبيه جعل الناظم اذ
تعليلية خلاف ما عليه الجمهور قالوا ولا دليل في ولن ينفعكم اليوم اذ
ظلمتم الاية لان التقدير بعد اذ ظلمتم وعلى الاول هل هي حينيذ حرف بمنزلة
لام التعليل او ظرف بمعنى وقت والتعليل مستفاد من قوة الكلام لا من اللفظ
قولان المنسوب الى سيبويه الاول وعلى الثاني في الاية اشكالات ليس هذا
محل بسطها وترد اسما للزمن الماضي وهو الغالب ثم قال الجمهور لا تكون
الا ظرفا او مضافا اليها الظرف نحو يومئذ تحدث اخبارها وقال الاقلون
تكون مفعولا به نحو واذكروا اذ كنتم قليلا وكذا المذكورة اوايل القصص
كلها بتقدير اذكر او بدلا منه بدل اشتمال او كل من كل ورده الجمهور
بان المفعول او المضاف اليه محذوف وزعم الزمخشري انها تكون في محل المبتدا

مما تفرد به وجوز كثيرون ورودها للمستقبل نحو فسوف يعلمون اذ الاغلال
فى اعناقهم لا استقبال تعلمون لفظا ومعنى واجيب بانه من تنزيل المستقبل
الواجب الوقوع منزلة الواقع وانى ذلك السبى واصله الاسر والمراد
هنا المسبى اى المأسورون الى الجعرانة بامره صلى الله عليه وسلم كما مر ليقسمه فيها
على المسلمين وكان ذلك السبى فيه اخت النبى صلى الله عليه وسلم من رضاع واسمها
الشيما كما مر ولما شقوا عليها عند سبيها قالت والله انى اخت صاحبكم فاتوا
بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله انى اختك قال وما علامة
ذلك قالت عضة منك فى ظهرى فعرفها لكن وضع اى خفض الكفر القائم
بها قدرها وكذلك وضع قدرها السبا اى الاسر القائم بها فاضمحل فى جنب
ذلك هذين ما فيها من اخوته صلى الله عليه وسلم كما اضمحل فى جنب الكفر ما فى
نحو ابى طالب من العمومة والتربية ومنع الاعدا بكل طريق امكنته ثم من
الله تعالى عليها بالاسلام وبمعرفته صلى الله عليه وسلم لها فحباها اى اعطاها
ما لم يكن فى حسابها وجاد على قومها لاجلها برا اى لاجل بره لها اذ رحم
الرضاع كرحم النسب ويجوز ان يكون هو المفعول الثانى ويؤيده انه
ابدل منه قوله بسط الخ كما ياتى ولما بسط لها رداه واجلسها عليه
خيرها وقال ان احببت فعندى محببة مكرمة وان احببت ان امتعك
وترجعى الى قومك فعلت فاختارت قومها فمتعها وزاد فى الاحسان اليها
كما هو شانه من مكارم الاخلاق صح وردها الى قومها واعطاها غلاما له يقال له مكحول وجارية
فزوجته بها فلم يزل فيهم من نسلهما بقية توهمت الناس الذين راوا ذلك

البراى وقع فى وهمهم اى ذهنهم واسناد ذلك اليهم باعتبار ما من شانه به
اى بسبب ذلك البر الذى وصل اليها منه انما بفتح الهمزة اداة حصر
كمكسورتها السبا اى المسبيات او النسا لانهن يسبين سبا ففى القاموس
والسبى ما يسبى جمعه سبا والنسا لانهن يسبين القلوب او يسبين فيملكن
وح يصح قراة النظم بسين ثم باء او بنون ثم سين والمعنى صحيح على كل منهما كما
يعلم من تقريرى الاتى فاملة اللواتى معها هدا بالكسر مصدر هدبت المراة
الى زوجها اى مهد بان كرجل عدل والجملة فى محل مفعول توهمت الناس
اى توهموا ان النسوة اللواتى معها فى السبى لم يسبين لعظيم ما قابلهن
به من الاكرام وانما جئن لاهداء عروس وجلائها عليه صلى الله عليه وسلم
لا لكونهن مسبيات لان ذلك الاكرام انما يفعل مثله للنسا يهدين عروسا لا للنسا
مسبيات تنبيه استعمال الناظم لانما هذه فى الحصر تبع فيه الزمخشرى
والبيضاوى وغيرهما وجعل الاولان منه قوله تعالى قل انما يوحى الى انما الهكم
اله واحد فقال انما لقصر الحكم على شئ او لقصر الشئ على حكم نحو انما زيد
قايم وانما يقوم زيد وقد اجتمعا فى هذه الاية لان انما يوحى الى مع فاعله
بمنزلة انما يقوم زيد وانما الهكم بمنزلة انما زيد قايم وفايدة اجتماعهما
الدلالة على ان الوحى اليه صلى الله عليه وسلم مقصور على استيثار الله بالوحدانية
وقول ابى حيان يلزم الزمخشرى انحصار الوحى فى الوحدانية مردود بانه
حصر مجازى باعتبار المقام ومن جملة ذلك البر انه بسط فهو بدل من
برا كما مر ويصح كونه بدلا من حبى المصطفى صلى الله عليه وسلم لها من الظاهر

فى بعض النسخ ونبيا اى التنبا وبين الناس المجليل القلوب ومن بعلنى المعرفى حكم بصدا انتهى

الهاذا ايد على مذهب الاخفش وجماعة ردآ كان عليه اى نشره وجعله لها
فراشا لتجلس عليه ويصح جعل من للتبعيض فيكون صلى الله عليه وسلم بسط
لها بعضه لتجلس عليه والاول اقرب وعلى كل فهنيئا لها ذلك الاكرام كيف
وهو ردآ اى فضل اى شرف عظيم لا غاية له حواه اى جمعه ذلك الردآ لمماسته
لجسده الشريف صلى الله عليه وسلم وما افهمه هذا التقرير من ان اى
فضل الخ جملة نعت لردآ ومن زايدة او بعضية فهو المتبادر كما لا يخفى
ويصح ان اى مفعول بسط وان فضل بمعنى فضله فمن تبعيضية وانه
على حاله فمن تعليلية داخلة عن مضاف اى نشر لها من اجل فرشه
رداه لها فضلا عظيما حواه ذلك الردآ اى تميزا ظاهرا على بقية نسآء
هوازن وفى الرداء رد العجز على الصدر فغدت اى صارت مندرجة
فيه اى ذلك الفضل والحال انها هى سيدة اوليك النسوة اللواتى معها
من سبى هوازن لما حصل لها من التميز الباهر عليهن وان اوليك النسوة
اللواتى هن السيدات قبل اسرهن فيه اى ذلك الفضل امآء اى صارت
كانها سيدتهن وكانهن مع كونهن سيدات امآء لها وبين السيدات
والاما طباق وهذه موكدة للجملة الاولى التى هى حال من فاعل غدت
كما علم مما قررته ولما ذكر ما اختص به صلى الله عليه وسلم من الرفعة والترقى
الى ما لم يصل اليه مخلوق وما يتعلق بذلك من صفات تنقطع اعناق
الاطماع عن ان تمتد اليها وخصال لم تقول امال الكمل الا عليها طلب
من كل سامع فانه منشا هذه روبته ان ينزه سمعه بالاصغا الى صفات

ذاته

قبيلة ان يمسك بطرف الثوب ثم يرفعوه فرفعوا الى ان بلغوا به محله فاخذه
صلى الله عليه وسلم فوضعه فى محله وصح ان رجلا قال وهو يقسم اعدل فقال
ويلك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل وكان يقول ابلغوا
حاجة من لا يستطيع ابلاغى فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها امنه
الله يوم الفزع الاكبر وكان لا يواخذ بقول احد ولا يصدق احدا فى احد
معطآ اى كثير العطآ الذى يعجز عن ادناه الملوك فقد صح عن انس كان
صلى الله عليه وسلم احسن الناس وانجع الناس واجود الناس واقتصاره على
هذه الثلاثة من جوامع الكلم التى منحها من امداده صلى الله عليه وسلم لانها
امهات الاخلاق اذ فى كل انسان ثلاث قوى الغضبية وكمالها الشجاعة
والشهوانية وكمالها الجود والعقلية وكمالها اكتساب الفضايل واجتناب
الرذايل وصح عنه ايضا ما سيل صلى الله عليه وسلم شيا الا اعطاه فجاءه رجل
فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه فقال اسلموا فان محمدا يعطى عطآء
من لا يخاف الفقر واعطى صفوان بن امية يوم حنين حين اسلم مائة من
الغنم ثم مائة ثم مائة وصح عن جابر ما سيل صلى الله عليه وسلم عن شى قط فقال
لا اى لا ينطق بالرد بلا بل ان كان عنده المسيول وساغ الاعطا اعطاه ان لم يرد
ما عنده لما هو اهم اعطاه والا سكت كما فى حديث مرسل فى لا ايا فى الحديث
الاية قلت لا اجد ما احملكم عليه فهو لا يقولها منعا للعطا بل اعتذارا حيث
لا ينفع السكوت لنحو جهل السايل وفى حديث الترمذى انه حمل اليه تسعون
الف درهم فقام اليها فما رد سايلا حتى فرغ منها وقال لسايل ما عندى شى

ولكن ابتع علي فاذا جاءني قضيناه فقال عمر ما كلفك الله ما لا تقدر فكره منه
ذلك فقال انصاري انفق يا رسول الله ولا تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم ولا تخشى
صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه وقال بهذا امرت وقوم ما اعطاه
يوم حنين فكان خمسماية الف الف قيل هذا نهاية الجود الذي ما سمع لاحد
مثله وصح انه اتي بمال البحرين فامر بصبه في المسجد وكان اكثر مال اتي به
صلى الله عليه وسلم وفي رواية مرسلة كان ماية الف فخرج للصلاة فلم يلتفت
اليه ثم بعدها جلس اليه ففرقه ومع هذا الجود الواسع كان صلى الله عليه وسلم
يعيش عيش الفقرا ويأتي عليه الشهران لا يوقد في بيته نار وربما ربط
الحجر على بطنه الشريف من شدة الجوع وجاء سبي فسألته فاطمة في خادم يكفيها
مؤنة بيتها فامرها ان تستعين بالتسبيح والتكبير والحمد وقال لا اعطيك
وادع اهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع واذا علمت اتصافه صلى الله
عليه وسلم بهذه الاوصاف الجليلة التي لم يوجد مثلها ولا ما يقاربها
في مخلوق غيره علمت ان من الواجب على كل من عرف ذلك ان يقول لمن لم
يعرفه حق معرفته لا تقس من قست الشي بغيره قدرته على مثاله اي لا تشبه
بالنبي الموصوف بما ذكر وهو نبينا صلى الله عليه وسلم في الفضل الجامع
لتلك الصفات بل ولا في كل وصف منها على حدته لان كل وصف من اوصافه
وصل الى غاية لم يلحقه مخلوق فيها خلقا نبيا او ملكا او غيرهما اي لا تعتقد
ان مخلوقا يساويه او يقاربه في وصف من اوصاف كماله لما مر اول الكتاب
في شرح قوله لم يساووك الى اخره فهو لا غيره البحر الجامع لكل وصف من اوصاف الكمال

البالغ

البالغ الى النهاية فيه والانام هو كما في القاموس كسحاب والانام بالمد والانيم
كأمير الخلق او الجن او جميع ما على وجه الارض انتهى والمراد هنا الاول
بدليل قوله الاتي في العالمين اضا بالكسر والمد جمع اضاة كقناة وهي
الغدير وتجمع ايضا على اضا كقنا وشتان ما بين البحر والغدير وفيه
مراعاة النظر وكيف لا وكل فضل وجد في العالمين الانس والملايكة والجن
فهو كائن من فضل ذلك النبي الاكرم على ربه من سائر الانبيا والمرسلين
والملايكة المقربين وبين فضل والفضلا تجنيس الاشتقاق استعاره
حال من ضمير الظرف المستقر الفضلا لانه الممد لهم اذ هو المتلقي عن
الحضرة الالهية المستمد منها بلا واسطة دون غيره فانه لا يستمد منها
الا بواسطته فلا يصل منها لكامل شي الا وهو من بعض مدده وعلى يديه فايات
كل نبي انما هي مقتبسة من نوره لانه الشمس وهم كالكواكب فهي غير مضيئة
بذاتها وانما هي مستمدة من نور الشمس فاذا غابت ظهرت انوارها فهم
قبل وجوده صلى الله عليه وسلم انما كانوا يظهرون فضله وانوارهم مستمدة
من نوره الفايض ومدده الواسع اما ترى ان ظهور خلافة ادم واحاطته
بالاسما كلها انما هو مستمد من جوامع الكلم المخصوص به نبينا صلى الله عليه
وسلم ثم توالت الخلايف الى زمن بروز جسمه فلما برز كان كالشمس اندرج
في نوره كل نور وانطوى تحت منشور اياته كل اية لغيره من الانبيا فلم
يعط احد منهم كرامة وفضيلة الا وقد اعطي مثلها او اعظم منها كما سبره
الايمة وصححوه ومنه ان ادم لما اعطي خلق الله تعالى بيده اعطي نبينا

٥٦

انه شق صدره وملاه ذلك الخلق النبوي فتولى من ادم الخلق الجسمي ومن
نبينا الخلق النبوي ولذا كان هو المقصود من خلق ادم ومن ثم لم يكن سجود
الملائكة الا للنور المحمدي الذي في جبهة ادم كما قاله الفخر الرازي وادريس لما
اعطي المكان العلي اعطي نبينا المعراج الافخم الاعظم ونوح لما نجا هو وقومه اعطي
نبينا ان الله لم يهلك امته بعذاب عام ووقع في تفسير الرازي انه اعطي
مكان السفينة انه دعا حجرا وهو على شط ما فانقلع وسبح الى ان جاء
اليه وشهد له بالرسالة وابراهيم لما نجا من النار نجا نبينا من نار
الحرب قال الله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله وروى النسائي
انه احترق جلد طفل كله فمسحه صلى الله عليه وسلم فصار صحيحا ولما اعطي مقام
الخلة اعطي نبينا ذلك وزاد بمقام المحبة الارفع من كل مقام ومن ثم يقول
ابراهيم في الموقف لما يسال في الشفاعة العظمى انما كنت خليلا من وراء
وراء ولما اعطي بنا الكعبة اعطي نبينا وضع الحجر الذي هو روحها في محله
لما بنته قريش ولما اعطي موسى قلب العصا حية اعطي نبينا حنين الجذع
الذي هو ابهر واغرب وذكر الرازي وغيره ان ابا جهل اراد ان يرميه
بحجر فراى على كتفيه ثعبانين فانصرف مرعوبا واليد البيضا التي بياضها
يغشي البصر اعطي نبينا انه كان عنده عباد بن بشر واسيد بن حضير ليلة
فخرجا وبيد كل عصا فاضا لهما عصا احدهما فمشيا في ضوئها فلما افترقا
اضات عصا الاخر صححه الحاكم واخرج البخاري في تاريخه والبيهقي وابو
نعيم عن حمزة الاسلمي قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فتفرقنا

في

في ليلة ظلما فاضات اصابعي حتى جمعوا عليها ظهرهم وما هلك منهم
وان اصابعي لتنير وانفلاق البحر اعطي نبينا انشقاق القمر الذي
هو ابهر لانه تصرف في العالم العلوي على انه نقل ان بين السما والارض
بحرا يسمى المكفوف بحر الارض بالنسبة اليه كقطرة من البحر المحيط
فعليه يكون انفرق لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا وتفجير الما
من الحجر اعطي نبينا تفجيره من بين اصابعه فهو ابلغ لان الحجر من جنس
الارض التي ينبع منها الما والكلام اعطي نبينا مثله ليلة الاسرا
وزيادة الدنو والروية بعين البصر وشتان بين جبل الطور الذي
نوجي موسى عليه وما فوق العرش الذي نوجي نبينا عليه وهارون
الفصاحة اعطي نبينا ابلغ منها والبهر على انها في العبرانية والعربية
افصح منها ومن ثم لم تكن فصاحته معجزة بخلاف فصاحة نبينا
فانها معجزة عند بعضهم وكذا عند الكل لكن بالنسبة لما اشتملت
عليه من الاخبار بالمغيبات ولم يتحد بها الا نبينا ولقد
قال له بعض اصحابه ما راينا الذي هو افصح منك فقال وما
يمنعني وانما نزل القران بلساني لسان عربي مبين ويوسف
شطر الحسن وتاويل الرويا اعطي نبينا الحسن كله كما في الحديث
وعبر من المرائي فوق ما عبر مما لا يدخله الحصر وتعبير يوسف
انما كان في ثلاث مرائي كما في سورته وداود تليين الحديد اعطي
نبينا ان العود اليابس اخضر بين يديه وان شاة ام معبد

ددت ببركة يده ولم تلد قط كما مر وسليمان كلام الطير اعطي نبينا انه
كلمه الحجر وسبح في كفه الحصى وكلمه ذراع الشاة المسمومة والظبي وشكى
اليه البعير والريح التي غدوها شهر ورواحها شهر اعطي نبينا البراق
وهو اسرع من الريح بل من البرق الخاطف فحمله من الفرش الى العرش في
لحظة واحدة واقل مسافة ذلك فوق سبعة آلاف سنة وما فوق العرش
الى المستوى والرفرف لا يعلمه الا الله تعالى وايضا الريح سخرت
لسليمان تحمله الى نواحي الارض ونبينا صلى الله عليه وسلم زويت
له الارض اي جمعت حتى راى مشارقها ومغاربها وفرق بين من
يسعى الى الارض ومن تسعى له الارض وتسخير الجن اعطي نبينا ان الله
مكنه من شيطان تفلت منه في صلاته فادرا ان يربطه بسارية
وسخر له الجن حتى اسلموا ولم تسخر لسليمان الا في العمل وعد الطير
من جملة جنوده اعجب منه حمامة الغار وعنكبوته بل هذا اعجب لان
فيه الحماية من العدو الكثير بالشيء القليل وعيسى ابرء الاكمه والابرص
واحيى الموتى اعطي نبينا رد العين الى محلها بعد ما سقطت فعادت
احسن ما كانت وذكر الرازي انه صلى الله عليه وسلم مسح برصا فشفيت
والبيهقي ان رجلا قال لا اومن بك حتى تحيي لي ابنتي فاتى قبرها فخاطبها
فاجابته وتسبيح العصا وحنين الجذع ابلغ من تكليم الموتى لان هذا
من جنس ما يتكلم وبالجملة فقد اوتي صلى الله عليه وسلم مثلهم وزاد
بخصائص لا تحصى اعلاما بانه الممد لهم دائما وعدل عن استعاده وم

وفيه التجنيس الاشتقاق

لبعضهم

لبعضهم بالفضل اي هم مع كونهم فضلا كاملين على بقية العالم انما يستمدون
من محمد صلى الله عليه وسلم لا على وجه الاصالة والاستقلال بل على وجه الاستتباع
المستحقة الرد اذا اراده المعير ولم لا يكن كذلك وقد شق عن صدره الكريم
وفي نسخة عن قلبه وكل منهما صحيح لانه شق عن صدره اولا ثم قلبه المرة
بعد المرة الى ان تكرر ذلك الشق اربع مرات او خمسا مبالغة في التطهير
والتخليص من الاغيار ولم يحصل لاحد من الكمل نظير ذلك ولا ما يقاربه
وقد مر الكلام على ذلك مستوفى في مبحث رضاعه صلى الله عليه وسلم فراجعه
فانه نفيس وشق له اي لاجله البدر اي القمر بمكة قبل الهجرة بنحو خمس سنين
لما كذبه كفار مكة وبالغوا في عناده فطلبوا منه اية بينها اياهم تدل على
صدقه وهي ان يشق لهم القمر نصفين فسأل ربه فانشق له كذلك كما نص
عليه القران وتواترت به الاحاديث كما حققه التاج السبكي وغيره واجمع
عليه المفسرون واهل السنة اعلاما بصدقه في دعواه الرسالة والوحدانية
لله تعالى وان الهتهم يعبدونه باطل لا يضر ولا ينفع ولم يقع انشقاقه ان ماصح
لغيره صلى الله عليه وسلم وهو من امهات معجزاته لا يكاد يعدلها شيء
من ايات الانبياء لظهوره في ملكوت السموات خارجا عن جملة طباع
ما في هذا العالم المركب من الطبائع فلم يطمع احد منهم في الوصول
اليه بحيلة وفي روايات ما يوهم تعدد الانشقاق مرتين وظاهر
كلام بعضهم حكاية الاجماع عليه لكن رد بان احدا من ايمة الحديث
لم يجزم بذلك وبان من قال مرتين اراد فرقتين كما في روايات او فلقتين

كما في اخرى وفي روايات ان فرقة كانت فوق جبل حرى واخرى كانت اسفله
وفي رواية انه كان بمكة المراد منها ان ذلك كان وهم بمكة قبل الهجرة فلا دليل فيه
على انه صلى الله عليه وسلم كان بمكة ليلتين وفي رواية لاحمد فصار فرقتين ليلتين صح
فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل وفي رواية انه قال لهم اشهدوا
فقالوا سحرنا محمد ثم اتفقوا على ان ينتظروا السفار فجاؤا من كل جانب
واخبروا به فقال بعضهم لبعض لا يستطيع محمد ان يسحر الناس كلهم وانكار
جمهور الفلاسفة ومن وافقهم من المبتدعة ذلك مبني على انكارهم خرق
الاجرام العلوية والتيامها وذلك من جملة كفرهم وتقولهم بمقتضى
عقولهم معاندين للشرايع فيما وردت به واما قول بعض الملاحدة
لو وقع هذا النقل متواترا واشترك اهل الارض كلهم في معرفته
ولم يختص بها اهل مكة لتوفر الدواعي على نقل العجايب فهو من تمورداته
لان ما قاله انما يتوجه لو كان نهارا او اول الليل والناس مستيقظون
اما اذا وقع لحظة والناس الا القليل قد ناموا ومن لم ينم لم ينظر للسما
فلا يلزم ما ذكره بوجه على ان الاجماع الموافق للقران والسنة لا يخدش
فيه مثل هذه التخيلات الفاسدة وكان هذا الملحد لم يسمع بما هو
الواقع البديهي ان الكسوف قد يدركه اهل قطر دون قطر اخر وما قيل اهل صح
ان القمر دخل في جيبه صلى الله عليه وسلم وخرج من كمه باطل لا اصل له
تنبيه البدر القمر ليلة اربعة عشر وظاهر تعبير الناظم به
دون القمران الشق كان ليلة اربعة عشر ولم اره في ذلك سلفا ولعله

اراد

اراد بالبدر مطلق القمر وسمي بذلك لانه يبادر الشمس بالطلوع كانه يعجلها
المغيب وقيل لتمامه ويناسب هذه المعجزة رد الشمس له صلى الله عليه وسلم بعد علامة رد الشمس بعد غروبها
ما غابت حقيقة لما نام صلى الله عليه وسلم ورأسه في حجر علي بالصهبا قرب
خيبر حتى غابت ولم يمكنه ايقاظه لاحتمال انه يوحى اليه فلما استيقظ ساله
صلى الله عليه وسلم اصلى العصر قال لا فدعا الله ان يردها عليه لانه كان في
طاعة الله ورسوله فردت ليصلي العصر اداء كرامة له صلى الله عليه وسلم وهذا
الحديث طعن في صحته جماعة بل جزم بعضهم بوضعه وصححه اخرون
وهو الحق وقول اسما في الرواية الصحيحة فرايت الشمس طلعت بعد ما
غربت حتى وقعت على الجبال وعلى الارض وقام علي فتوضأ وصلى العصر
ثم غابت رد لزعم انها انما وقفت ولم ترد ولزعم ان حركتها انما ابطات فقط
وفي رواية سندها حسن امر صلى الله عليه وسلم الشمس فتاخرت ساعة
من نهار ومر انها ردت عليه بعد الاسرا لما اخبرهم بعيرهم ولا ينافي دض
ذلك كله الحديث الصحيح لم تحبس الشمس لاحد الا ليوشع بن نون حين
قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما ان ادبرت الشمس خاف ان تغيب قبل ان
يفرغ منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه فدعا الله فرد عليه الشمس
حتى فرغ من قتالهم وذلك لان المراد على احد غيري على ان كثيرين او الاكثرين
من الاصوليين ان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه وروي حبسها يوم
الخندق حين شغل عن صلاة العصر وذكر البغوي في تفسيره ردوها
علي انها حبست لسليمان صلى الله على نبينا وعليه وسلم ورد بان

المراد الصافنات لان المذكورة دون الشمس وبين وشق الجناس التام وهو
ان يتفق اللفظان حروفا وعددا وهيئة ومنه قوله تعالى ويوم تقوم
الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة واعترض بان الساعة في
الموضعين بمعنى واحد وشرطه اختلاف المعنى وان لا يكون احدهما حقيقة
والاخر مجازا بل حقيقتين وزمان الساعة وان طال لكنه عند الله
تعالى في حكم الساعة الواحدة واطلاق الساعة على القيمة مجاز وعلى
الاخر حقيقة وذلك يخرج الكلام عن التجنيس كما لو قلت ركبت حمارا
ولقيت حمارا يعني بليدا انتهى فان قلت هذا ات هنا لان الشق في
الموضعين بمعنى واحد وبتسليم الاختلاف فهو في احدهما حقيقة
وفي الاخر مجاز قلت يمكن ان يقال انه فيهما مختلف وحقيقي اذ شق
الاجرام الجمادية غير شق الاجرام الحيوانية من حيث الالة والصورة والالة
فشق القمر شق جرمه كله وشق الصدر ازالة غشاه لا غير وكفى بهذا اختلافا
ثم المتبادر من كل منهما انه حقيقي كما لا يخفى قيل ليس في القران من الجناس
التام غير هذه الاية واستدرك عليه شيخ الاسلام ابن حجر باية يكاد سنا
برقه يذهب بالابصار فانه استعمل الابصار اولا بمعنى العيون وثانيا
بمعنى المبصار وقد ينظر فيه بان استعمال الابصار في البصائر مجازي
وقد تقرر انه لا يكفي وقد يجاب بادعاء انه حقيقة عرفية وعلى
كل فاقول في القران اية اخرى اظهر من تينك وهي يلوون السنتهم بالكتاب
لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب فالاول ما كتبوه بايديهم المذكور

يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار الاية

في

في فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم والثاني التوراة والانجيل والثالث
الجنس الشامل لكتب الله اي ما هو من شيء من كتب الله فان قلت هذا اعم
من الثاني فليس مغايرا له من كل وجه قلت بل يسمى مغايرا لحقيقة كما
صرحوا به وعلى التنزل وان هذا التغاير لا يكفي هنا فكفى التغاير بين
اللفظين الاولين لتحقق الجناس التام فيهما فان قلت لم لم يعدوا
منه ان النفس بالنفس الى اخره قلت كان هنا مميزا يمنع تمام
التجنيس وهو الباء الدالة على المقابلة فتامله فان قلت لم اكتفوا
في التورية بكون احدهما مجازا لا هنا قلت لوضوح الفرق اذ
مبنى التورية على قصد المعنى البعيد والمجاز قد يكون كذلك ولا
كذلك الجناس التام فلم يكف فيه كون احدهما مجازا ومن ثم افتى
بعض المحققين بشرط كونهما حقيقتين وعليه يحتمل ان يقال لا بد
ان يكونا حقيقة في الشرع او في العرف او في اللغة فلا يكفي كون احدهما
حقيقة شرعية والاخر حقيقة لغوية مثلا لان هذين كالحقيقة
والمجاز وقد تقرر انهما لا يكفيان ويحتمل ان يقال يكفي ذلك
ويؤيده اطباقهم على ان الاية فيها الجناس التام مع ان حقيقة الساعة
لغة او عرفا او شرعا شيء واحد وانما الاختلاف من حيث انها في
مطلق الزمن حقيقة لغوية وفي القيمة حقيقة شرعية وهذا
الثاني اقرب ومما يؤيده اشتراط كونهما حقيقتين انه مما من لفظ
غالبا او دائما الا وله حقيقة ومجاز فلو قلنا بانه يكفي كون احدهما

بجاز الزم وجود التجنيس في غالب الالفاظ او كلها وهو بعيد جدا ولك
ان تأخذ من قولهم ليس في القران جناس تام الاما مر مع ما فيه من نحو
النفس بالنفس الذين قال لهم الناس ان الناس الحر بالحر ونحو ذلك
ان شرط الجناس التام ان لا يكون في اللفظ قرينة ظاهرة تدل على مغايرة
معنى اللفظ المتحد وهو متجه لانه مع فهم التغاير ليس فيه تعمية
اصلا ومبنى الجناس التام انما هو التعمية على السامع ما امكن نظير
التورية ولم ار احدا من اهل البديع في هذا المبحث ما يشفي فتامله
فان قلت ما ذكر في شق من الاختلاف انما هو بالنظر المتعلق الشقين
دون موضعهما وذلك لا يكفي قلت هذا وان كان ظاهر كلامهم
الا انه لا يمنع من ان يلحق به اختلافهما حيث المتعلق اذا تباينت به
صورتهما وانما شق له القمر لانه شق عن صدره صبي اخرج قلبه ثم شق
وطهر فجوزي على ذلك اذ من شرط كل شرط وقع في البدن لغرض مقصود
ان يكون له جزاء اي برء من مرض او غيره فكذا هنا لما روع صلى الله
عليه وسلم بشق قلبه المرة بعد المرة وبما حصل له من الخوف والتالم
جوزي على ذلك بجبر اعظم مشابه له في الصورة هو شق القمر الذي هو
اظهر معجزاته وابهرها بعد القران وفي كلامه الجناس التام بين
شرط وشرط اذ هما مختلفان معنى وحقيقيان ولا يقدح فيه كون
الاول حقيقة نحوية والثاني حقيقة عرفية على ان الاول يحتمل ان
يكون بمعنى العلامة فيكون مع كون الثاني بمعنى الجرح كل منهما

حقيقة

حقيقة لغوية فجاء التجنيس التام اتفاقا وبفرض ان احدهما مجاز يكون فيه
التورية او حقيقة ايضا لكنه ابعد فهما من اللفظ يكون فيه الجناس التام
والتورية ومر الكلام فيهما مستوفى اذ الشرط المراد به في الاول ما علق
بحصوله حصول شيء اخر يسمى جزاء وفي الثاني شق الجلد واللحم والجزا
فيه تورية ايضا اذ هو يطلق على الجزاء النحوي والجزاء العرفي وهو
المجازاة على صنيع وقع منه ومنه جزيته وجازيته بما صنع جزاء ومجازاة
ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم انه في غزوة بدر وغزوة حنين رمى
اعداه بالحصى فاقصد اي اصاب فاهلك ففي القاموس اقصد السهم
اصاب فقتل مكانه جيشا عظيما كانوا البوا عليه حتى ظن ظانّ
انهم لا يبقون احدا من المسلمين وبيان ذلك انه لما التقى الجمعان
يوم بدر تناول صلى الله عليه وسلم كفا من الحصا فرمى به وجوههم
وقال شاهت الوجوه اي قبحت وانهزمت فلم يبق مشرك مع كثرتهم
وقلة ذلك الحصا الا دخل في عينيه ومنخريه منها شيء فانهزموا
فقتل الله من قتل من صناديد قريش واسر من اسر من اشرافهم قال
عبد الرحمن بن زيد بن اسلم في قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن
الله رمى قال هذا يوم بدر اخذ صلى الله عليه وسلم ثلاث حصيات
فرمى بحصاة في ميمنة القوم وبحصاة في ميسرة القوم وبحصاة
بين اظهرهم وقال شاهت الوجوه فانهزموا ولذلك روي في غيره
ولاهل الجبر في هذه الاية غلط لا باس بذكره ثم رده قالوا فيها سلب

معجزة رمي الحصا واهلاك عدوها

روى غير واحد انها نزلت في رميه يوم بدر وان كان رحي صح

فعل النبي صلى الله عليه وسلم عنه واضافته الى ذاته وهو عين الجبر وابطال نسبة
افعال العباد اليهم وليس كما زعموا والا لزمهم ان لا تكليف ولا عقاب
وسر ما في الاية ان تلك الرمية من البشر لما لم تبلغ هذا المبلغ كان منه
صلى الله عليه وسلم مبداوها وهو الحذف ومن الرب سبحانه نهايته وهو
الايصال فاضاف اليه رمي الحذف الذي هو مبدوه ونفى عنه رمي
الايصال الذي هو نهايته ونظير هذا ما في الاية نفسها فلم تقتلوهم
ولكن الله قتلهم فاخبر تعالى انه المنفرد بالتاثير وان غيره ليس منه الا اسباب
تظهر للناس قيل ورماهم بالحصى يوم الاحزاب وفيه نظر وانما الذي نقل
انه صلى الله عليه وسلم لما بلغت القلوب الحناجر دعا عليهم فقال اللهم منزل
الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم فارسل
الله تعالى عليهم الريح فرمتهم بالحصا وسفت عليهم التراب وقلعت اوتاد
خيامهم فسقطت عليهم وكفت قدورهم وسمعوا في ارجا معسكرهم
التكبير وقعقعة السلاح فارتحلوا خايبين ايسين ومن ثم اخبر صلى الله
عليه وسلم انهم لا يغزونهم بعد اليوم فكان كذلك ولما التقا الجمعان
يوم حنين فكان كذلك استقبل المسلمين من هوازن ما لم يروا مثله
في السواد والكثرة فحملوا حملة واحدة فانهزم المسلمون ولم يبق معه
صلى الله عليه وسلم يومئذ الا ناس قليلون من اهل بيته العباس وابي
سفيان بن الحارث وعلي والفضل واصحابه ابي بكر وعمر واخرين رضي الله
تعالى عنهم فامر صلى الله عليه وسلم أن ينادي في الناس ليرجعوا فلما سمعوا نداه

اقبلوا

اقبلوا كانهم الابل اذا حنت على اولادها يقولون يا لبيك يا لبيك فاقتتلوا مع الكفار
واشتد القتال حتى قال صلى الله عليه وسلم حمي الوطيس وهو التنور يخبز فيه اي
اشتد حر الحرب حتى اشبهت التنور وح تناول صلى الله عليه وسلم حصبات من
الارض ثم قال شاهت الوجوه ورمى بها في وجوه المشركين فما خلق الله
٦٤ منهم انسانا الا ملا عينيه من تلك القبضة وفي رواية لمسلم قبضة من تراب
والجمع انه يحتمل انه رمى بكل مرة او انها قبضة واحدة لكنها مختلطة وفي
رواية عند احمد وغيره ان المسلمين لما ولوا قال صلى الله عليه وسلم انا عبد الله
انا عبد الله ورسوله ثم اقتحم من فرسه واخذ كفا من تراب فضرب وجوههم وقال
شاهت الوجوه فلم يبق احد منهم الا امتلات عينه وفمه ترابا ولاحمد والحاكم عن
ابن مسعود فحادت به بغلته فقلت ارتفع رفعك الله فقال ناولني كفا
من تراب فضرب وجوههم وامتلات اعينهم ترابا وجاء المهاجرون والانصار
بسيوفهم بايمانهم كانها الشهب فولى المشركون للادبار واذ قد علمت ما ترتب
على رميته صلى الله عليه وسلم بالحصى من تشتيت جمعهم وافتراق شملهم وهزيمتهم
آن لك ان تقول لمن قال لك ان القا موسى لعصاه والسحرة لحبالهم وعصيهم
يعادل الرمي بالحصا لا تقل ذلك ما استفهام انكاري العصا التي القاها
موسى على حبال سحرة فرعون وعصيهم حتى ابتلعت ذلك عنده اي الحصا المرمي
وما الالقا لتلك العصا على تلك الحبال والعصي الذي فعله سحرة
فرعون اي لا تقاس معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم في القا ذلك الحصا بمعجزة
موسى صلى الله عليه وسلم في القا عصاه على ما ذكر لان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم

اظهر و ابحر اذ القا موسى لعصاه حاكى القا موسى لعصاه السحرة لحبالهم
وعصيهم ومعجزة نبينا لم تحاك قط ووصول تلك الحصيات القليلة الى جميع
ذلك الجيش الذى هو الوف مؤلفة حتى هزمهم عن اخرهم وشتت شملهم
ابهر من قلب العصا ثعبانا و ابتلاعها لتلك الحبال من حيث انها مع ذلك
لا تقهر العدو ولا تشتت شمله بل زاد بعدها طغيانه وعتوه على موسى
وقومه وجانس بين العصا والحصا وتعين بين رمى والالقا تنبيه
اكثر معجزات بنى اسرايل كانت حسية لبلادتهم وعمى بصيرتهم واكثر معجزات
هذه الامة عقليه لفرط ذكايهم وكمال افهامهم ولان هذه الشريعة لما كانت
باقية على صفحات الدهر الى يوم القيمة خصت بالمعجزة العقلية الباقية
ليراها ذووا البصاير كما قال صلى الله عليه وسلم فى حديث البخارى ما من
الانبيا نبي الا اعطى ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذى اوتيته
وحيا اوحاه الله تعالى فارجوا ان اكون اكثرهم تابعا وفى معناه
قولان غير متنافيين اذ يرجع حاصلهما الى ان المراد معجزات الانبيا
انقرضت بانقراض اعصارهم مع كونها حسية تشاهد بالابصار كعصا
موسى وناقة صالح فلم يشاهدها الا من حضرها ومعجزة القران تشاهد
بالبصيرة وتستمر الى يوم القيمة لا يمر عصر الا ويظهر فيه شى اخبر
بانه سيكون فكان من يتبعه لاجلها اكثر اذ ما يدرك بالعقل يشاهده
كل من جا بعد الاول ومن معجزاته ايضا انه دعا للانام من نفس تيره
لكن المراد به هنا غيره ثم اذ هم هنا اهل المدينة ومن ضاهاهم اذ اى وقت

اولاجل

اولاجل ان دهمتهم اي غشيتهم سنة من اجل محولها متعلق بما بعده اى
شدة جدبها وقحطها شهبا اى لا خضرة فيها ولا مطر والسنة زمن الجدب
والمحل ومطلق الزمن المخصوص فعلى الاول شهبا تاكيد وعلى الثانى تاسيس
وسبب دعايه ما فى الصحيحين ان الناس اصابتهم سنة على عهده صلى الله
عليه وسلم فقام اعرابى وهو صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقال يا رسول
الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا فرفع يديه وما يرى فى السما
قطعة سحاب فما وضعهما حتى صار السحاب امثال الجبال فلم ينزل حتى
اصابه المطر واستمر الى الجمعة الاخرى فقام ذلك الاعرابى او غيره فقال
يا رسول الله تهدم البنا وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه فقال اللهم
حوالينا ولا علينا فاقلعت السحاب وخرجوا يمشون فى الشمس وسال
وادى قناة شهرا ولم يجى احد من ناحية الا حدث بالجود وهو بفتح
الجيم المطر الواسع الغزير بسبب دعايه فبسبب دعايه استهلت
بالغيث اى صبت المطر بشدة سبعة ايام كوامل لما علمت انه من خطبة
الجمعة الى خطبة الجمعة الاخرى فالقى الكسر عليهم سحابة فاعل استهلت
دلفا اى مسترخية الجوانب لكثرة مايها حال كونها تحرى اى تقصد تلك السحابة
بمايها واسناد ذلك اليها مجاز نظيرها ياتى فى جدار تلك السحابة يريد ان
ينقض الان يراد الملايكة الموكلون بها مواضع الرعى اى الكلا الذى يرعى
ومواضع السقى التى يجتمع فيها الما ليشرب منها البهايم وفى الرعى والسقى
مراعاة النظير والسقى والسقا تجنيس شبه الاشتقاق وتحرى ابضنا

حيث العطاش مواضعهم التي تؤهى بالبنا للمفعول اى تخرق السقا منهم
فيها اى ان تلك السحابة عمت جميع الاماكن بمايها حتى انها تحرى الامكنة
المعطشة التي تخرق اسقية العطاش فيها فيحتاجون الى الغدران للشرب
منها وهذا الظهر واولى مما سلكه الشارح كما يعرف بتاملها لايقال مواضع
السقي تشمل مواضع الشرب فلا يحتاج لقوله وحيث الخ لانا نقول قرينة
قرن السقي بالرعي تصرفه الى سقي البهايم فاحتاج في افادة عمومها الى
التصريح بمواضع شرب العطاش الى آخره اقتباس المثل وهو قولهم خل
سبيل من وهى سقاوه ومن اهريق في الغدير فآ... يضرب لمن لا يستقيم امره
فضرب به المثل هنا في المحل والجدب ... تمعى ملخصا وفيه نظر لبعد معنى المثل
مما نحن فيه الا بتكلف لما تقرر ان مراد الناظم ما دلت عليه عبارته
من ذلك النص على عموم الغيث لجميع الاماكن ولما استمرت عليهم سبعة
ايام وكادت ان تهلكهم اتى الناس اليه صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر
لحاله يوم سألوه ان يدعو لها يشكون اذاها اى تلك السحابة اي
الما النازل منها لقطعه السبل وتعطيله المعاش وتخريبه البيوت وذكر
الناس مع ان الشاكي واحد لان ما به بهم فكان الكل شاكين بلسان الحال
فلذا اسنده الى كلهم ونظيره قوله تعالى الذين قال لهم الناس ان
الناس قد جمعوا لكم اذ المراد بالناس الاول واحد كما هنا ورخا اى سعة
من المطر يؤذي الانام غلا اى شدة عظيمة واصله ارتفاع السعر المؤدي
الى الشدة وبين اذاها ويؤذي جناس الاشتقاق والرخا والغلا جناس

التضاد

٦٦

التضاد فبسبب ان هذا الرخا المقصود منه حياة النفوس انتقل الى ضده وهو
اهلاكها دعا صلى الله عليه وسلم ربه ان يكشفه عنهم فانجلى الغمام اى السحاب
عقب دعائه وخرجوا يمشون في الشمس كما مر واذا تقرر هذا فقل ايها العالم
لهذه الواقعة ما شيت من الكلام الدال على التعجب او فتعجب في وصف
غيث اقلاعه اى انكشافه استسقا اى ذو استسقا على خلاف المتعارف
اذ الاستسقا انما يكون لطلب وجوده لا الطلب دفعه وبهذا يندفع
قول الشارح الاحسن ان الاستسقا بمعنى السقي لانه يلزمه فوات هذه
النكتة التي هي سبب التعجب ثم بعد ذلك الغيث الواسع النافع ببركة دعائه
صلى الله عليه وسلم اثرى الثرى اى كثر المطر الواقع عليه حتى كثرت فوايد التراب لكثرة
انباته الزرع والثمار المؤدية الى كثرة الاموال من اثرى الرجل كثر ماله فبسبب
هذه الكثرة قرت اى فرحت واطمأنت من اقر الله عينه اى اعطاه حتى
لا تطمح عينه الى من هو فوقه عيون لاهل المدينة بسبب ما زال عنهم من
الكرب وحصل لهم من الخصب وبسبب عمارة قراها اى العيون او المدينة
وبلادها بتلك الفوايد الكثيرة بعد خرابها واحييت بعد ما حصل لها من
الجدب والشدة ما صيرها كالموتى من احياه الله تعالى يحيي بالفك وحي بالادغام
وهو الاكثر احيا جمع حي اى قبايل العرب بواسطة احيا نفوسها ومواشيها
وفيه تجنيس الاشتقاق في اثرى الثرى وقرت قراها واحييت احيا فترى انت
لو شاهدت تلك الواقعة الارض عقبه اى عقب ذلك الغيث المتولد
عنه ما يدهش الابصار من النبات والزهور كسماء حال اى جعلت راي

بضربة وهو الظاهر او مفعول ثان ان جعلت عليه اشرقت اى زالت عنها من اجل
نجومها الظلما ففيه تجوز اذ الاشراق انما يستعمل للنور ووجه الشبه ما حصل
للارض باصابة الغيث وللسما من النجوم من زوال ظلمتها الحقيقية فى السما
والمجازية فى الارض وبين الارض والسما والاشراق والظلمة الطباق،
وتراها ايضا تخجل اى تحير وتدهش الدر اى اللولو واليواقيت وهى فارسى
معرب واسناد الخجل اليها مجاز او هو على حذف مضاف اى اهلها بمعنى أن
من بايديهم تلك الجواهر بشاهدو لها ليلا ونهارا لا يملكون نفوسهم عن روية
تلك الازهار الغريبة والاعشاب العجيبة من نور بفتح النون اى زهر
وهو بيان لفاعل الخجل الاتى رباها بضم الرا اى الجبال المرتفعة وخصت
لان ما بها انضر وابهى من بقيتها البيضا راجع للدر والحمرا راجع لليواقيت
اى تخجل نورها الابيض الدر ونورها الاحمر اليواقيت ففيه اللف والنشر المرتب
ومراعاة النظير بذكر المعدنين والتقابل بذكر الضدين ويسمى التدبيج لانه
الوان وما تقرر ان الناظم انما اراد القصة المذكورة التى كانت بالمدينة
وصحت بها الاحاديث هو الظاهر ويجوز ان يريد ايضا ما وقع بمكة على ما
ورد ان قريشا لما ابطاوا عن الاسلام ودعا عليهم صلى الله عليه وسلم بالقحط
فاخذتهم سنة حتى هلكوا فيها واكلوا الميتة والعظام جاء ابو سفيان فقال
يا محمد جئت تامر بصلة الرحم وان قومك هلكوا فادع الله فدعا فسقوا
الغيث فاطبقت عليهم سبعا فشكا الناس كثرة المطر فسال الله رفعه ۞
ولما ذكر من صفاته صلى الله عليه وسلم الباهرة ما يشوق كل سامع لشئ

منها

منها الى رؤية وجهه الكريم تمنى ذلك فقال ليته هى لتمنى ما لا طمع فى
حصوله او ما فيه عسر خصنى برؤية وجه اى ليتنى ادركت زمنه لاكون
من اصحابه اذ هم افضل من جميع من بعدهم عند الاكثرين وذهب ابن عبد
البر الى انه يمكن ان يكون فيمن بعدهم من هو افضل من بعضهم للخبر الحسن
بل قيل انه يرتقى الى درجة الصحة مثل امتى مثل المطر لا يدرى اخره خير
ام اوله وللخبر الحسن ايضا ليدركن المسيح اقواما انهم لمثلكم او خير ثلاثا
وفى حديث ابى داود والترمذى باتى ايام للعامل فيهن اجر خمسين قيل منهم
او منا قال منكم ويجاب عن الاول باحتمال انه قيل قبل ان يعلم فضيلة
اصحابه فلما علمها صرح بها بقوله لو انفق احدكم ملء الارض ذهبا لم
يبلغ مد احدهم ولا نصيفه وبقوله خير القرون قرنى وعن الثانى بان
او فيه تحتمل ذلك ايضا وعن الثالث بانهم صرحوا بان مجرد زيادة الثواب
لا تقتضى الافضلية على ان فضيلة الصحبة لا يعادلها عمل ومن ثم لما
سئل ابن مبارك عن عمر بن عبد العزيز ومعاوية رضى الله تعالى عنهما
ايهما افضل قال للغبار الذى دخل فى انف فرس معاوية مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم خير من مائة مثل ابن عبد العزيز واشار بعضهم الى ان محل
الخلاف فى صحابى لم يحصل له الا مجرد الرؤية واما من زاد على ذلك بنحو
رواية او غزو فلا نزاع فيه او ليتنى اراه فى الموقف وعلى الحوض وفى
الجنة شافعا نافعا او ليتنى اراه فى النوم رؤية تدل على اعتنائه بى عظيم
لاخباره صلى الله عليه وسلم فى الاحاديث الصحيحة بان من راه فقد راه

هل الصحابي افضل ام من بعدهم ام يوجد فيهم من يفضل الصحابي

حقا وان الشيطان لا يتمثل بصورته ولا يتشبه بها وبان من راه فيه
فقد راه في اليقظة اي كانه راه في اليقظة لما تقرر ان الشيطان لا يتشبه
به فهو وان مكن من التصور باي صورة اراد لم يمكن من التصور بصورة
نبينا صلى الله عليه وسلم مطلقا وقال جمع ان راى بصورته التي كان عليها
وقال بعضهم ان روي بصورته التي كان عليها وقال بعضهم ان روي
بصفته التي قبض عليها حتى عدد شيبه وصح هذا عن ابن سيرين عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما ما يفهمه وفي حديث ضعيف اني اري في كل صورة
وصح النووي وغيره انه يرى حقيقة ولو على غير صفته قال ابن العربي
وغيره لكن رؤيته على غير صفته مثال فرويته مقبلا او بصورة حسنة كاملة
تدل على خير وعكسه بعكسه وقال عياض عن رواية مسلم من راني فسيراني
في اليقظة يحتمل ان المراد رؤيته على صفته موجبة لرؤيته في الاخرة على نوع
مخصوص من قربه او شفاعته لهم في هذا اقوال اخر كثيرة وقال الغزالي في رؤيته
على صفته ليس المراد رؤية ذاته حقيقة بل مثال تحكيها على التحقيق كما في رؤية
الله تعالى اذ لا صورة له ترى بل معرف لها من نور او غيره او ليتني اراه في
يقظتي بنا على امكان ذلك وهو ما حكاه ابن ابي جمرة والبارزي واليافعي وغيرهم
عن جماعة من التابعين ومن بعدهم انهم راوه في المنام فراوه بعد ذلك في
اليقظة وسالوه عن اشيا غيبية فاخبرهم بها فكانت كما اخبر قال ابن ابي جمرة
وهذه من جملة كرامات الاوليا فيلزم منكرها الوقوع في ورطة انكار كراماتهم
ومعتقد الغزالي ان ارباب القلوب في يقظتهم قد يشاهدون الملائكة وارواح

عل جواز رؤية النبي يقظة

في

الانبيا

١٦٨

الانبيا ويسمعون منهم اصواتا ويقتبسون منهم فوايد وقال البدر حسين
الاهدل وقوعها للاوليا تواترت باجناسها الاخبار وصار العلم بذلك
قويا انتفى عنه الشك وما تواترت عليه اخبارهم لم يبق فيه شبهة ثم اخذ
يبطل ذلك ويفسده ويغلظ النكير على مجوزه بما لا حجة فيه ومما يبطل جميع ما
دندن به وجاوز فيه الحدان من المعلوم انه صلى الله عليه وسلم حي في قبره
وانه لا يراه في اليقظة الروية النافعة الاولى وانه لا يبعد ان من اكرم بروية
ان يكرم بازالة الحجب بينه وبينه فهو صلى الله عليه وسلم مع كونه في قبره
يراه الاوليا في اليقظة في قبره ويحادثونه وان بعدت ديارهم واختلفت
مراتبهم في الحالة الواحدة ولا يلزم من وقوع ذلك لهم على جهة الكرامة
الباهرة انهم اصحابه لان الصحبة انقطعت بموته واذا كان من راه بعد
موته وقبل دفنه غير صحابي فهو لا كذلك بالاولى فاندفع قول البارزي
هذا مشكل جدا ولو حمل على ظاهره كانوا اصحابه انتهى ومما يؤيد ان الناظم
يحتمل انه اراد ذلك انه تلميذ القطب ابي العباس المرسي فهو الذي حلت عليه
بركته حتى وصل الى النظم البالغ الذروة العليا والقطب المذكور وارث القطب
الاكبر ابي الحسن الشاذلي وكل منهما حفظت عنه روية النبي صلى الله عليه وسلم
يقظة بل قال ابو الحسن لو حجب عني النبي صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت
نفسي مسلما والقطب علي بن القطب محمد بن ابي الوفا وهما من جلة المنتسبين
الى القطب الشاذلي ومن ثم قالوا طريقة الوفائية خلاصة طريق الشاذلية
ممن حفظت عنه روية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة مرارا لا سيما عند قبر

منتج صح

والذي بالقرافة كما هو مسطور في كراماته فكون الناظم منسوبا لهولا الواقعة لهم
الروية يقظة يقرب انه سال في وقوع ذلك له كما وقع لهم ولقد كان شيخي
وشيخ والدي الشمس محمد بن ابي الحمايل يرى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة كثيرا حتى
يقع له انه يسال في الشي فيقول حتى اعرضه على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدخل
راسه في جيب قميصه ثم يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه كذا فيكون
كما اخبر لا يتخلف ذلك ابدا فاحذر من انكار ذلك فانه السم الموحى
تنبيه ما ذكرته من مناسبة الاول والثاني بعيد اذ لا يناسبه تماما صح
لفظ خصني بل ولا معناه لان الذي يسال رويته في حياته ليكون من المعنى صح
اصحابه او في الموقف والجنة وكل مسلم يتمنى ذلك فالتمني امر عام لا خصوصية
فيه ومن الثالث قريب فيما يناسبه لفظ خصني ومعناه اي ليته خصني يناسبه
فيما مضى برويتي له في النوم الروية السابقة فالمعنى فيه صحيح وكذا
الخصوصية لان مراى الناس له في النوم متعددة الانواع والدلالات
فلا يبدع ان يتمنى وقوع روية تخصه دون غيره باعتبار ما تدل عليه
من الحظ والامداد وغيرهما ولا نظر الى كونه مفضولا بالنسبة لاكثر
الاولياء والعلما لان ذلك لا يمنع ان تحصل لغيره ومن المعنى الرابع قريب ايضا
لكن على القول بوقوعه وحينيذ ينبغي ان احسن هذه الاحتمالات الذي
لا نزاع فيه هو الثالث تنبيه اخر من المقرر عند المحققين ان
الباقي حيز الاختصاص وما اشتق منه يجوز دخولها على المقصور والمقصور
عليه فهي هنا داخلة على الاول على كل من الثالث والرابع واما على الاولين

تخصني

تخصني فيهما بمعنى اعطاني والماضي قد يستعمل مرادا به الاستقبال ايضا
تنبيه اخر ما تقرر الان من خص وما اخذ منه يفيد الحصر وانه
يفيد في نحو خصه بكذا قصر عليه قصر قلب تارة وافراد اخرى هو المشهور
ايضا خلافا لمن فرق بين الاختصاص والحصر وفي القاموس خصه بالشي
٦٢ خصا وخصوصا وخصوصية وقد تفتح وخصيصى ويمد وخصية
وتخصة فضله وبالرد لذلك ثم قال والتخصيص ضد التعميم ولا يتوهم
منه ان الاختصاص غير الحصر لانه لا يسمى فضله به الا ان حصره فيه
ويويده قوله التخصيص ضد التعميم الصريح في ان التخصيص قصر العام
على بعض افراده فتامل ذلك كله فانه نفيس زال اي تحول فزال هنا تامة
لا ناقصة عن كل من يراه مومنا في حياته او بعد موته في يقظة الرائي لان
ذلك لا يقع الا لاكابر الاوليا او في النوم على صفته التي كان عليها كما
مر اذ ذلك يدل على الخير وروية المخصوصة في الاخرة الشقا
اي جميع انواعه لان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم كلهم عدول كما يشهد
له الكتاب والسنة نحو اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وما
وقع لبعضهم مما يخالف ذلك تداركه الله فيه برحمته فوفقه للتنصل
من وصمته وحباه بجعله من احبته ببركة حلول نظر نبيه صلى الله عليه
وسلم ولما ذكر الوجه الكريم وزوال الشقا عن كل من راه اتبعه بذكر
صفات وخصوصيات له ذاكرا مع كل ما يناسبه كما هو شان البلغا
فقال مسفر ذلك الوجه حسنا فهو صفة ثانية لوجه اي مشرق نوره

الذى يكاد يخطف الابصار **بلتقى** ذلك الوجه ايضا **الكتيبة** اى الجيش
بالمثلثة او المثناة من تكتبت بنوا فلان اذا اجتمعوا حال كونه **بساما**
اى متبسما يفتر عن سنا البرق او عن مثل حب الغمام **اذا اسهم** اى غيره من
سهم بفتح عينه او ضمها وجهه اذا احمر و تغير **الوجوه اللقا** للعدو فهو فى
الحالات التى فيها يتزعزع غيره و يضطرب و يتغير وجهه على غاية من الطمانينة
والثبات و التبسم لعظيم ما اتاه الله من الشجاعة التى لم يصل غيره الى
ادناها وقد صح كما مر عن انس انه كان اشجع الناس وان صياحا وقع
بالمدينة ليلا فخرج صلى الله عليه وسلم الى ان بعد فلم يرى شيا فلما رجع
راى الناس خارجين فقال لن تراعوا اى روعا عن حقيقة ما رأينا
من شى وصح انه صرع ركانة مرات ولم يصرع قط فقال له متعجبا منه
ان شانك لعجيب وصرع اخر بلغ من شدته انه كان يقف على جلد البقرة
ويتجاذب اطرافه عشرة لينزعوه من تحت اقدامه فيتمزق الجلد ولم يتزحزح
عنه وصح انه فى غزوة حنين لما نفروا عنه اصحابه ولم يبق معه الا بضعة
عشر ثبت على بغلته مع انها لا تصلح للكر ولا للفر وهو مع ذلك يركضها
الى وجه العدو و ينوه باسمه ليعرفه من لا يعرفه قايلا انا النبى لا كذب انا
ابن عبد المطلب فلا شجاعة وراء ذلك ومن ثم قال الصحابة رضى الله تعالى
عنهم كنا اذا احمر الوطيس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم اى جعلناه
امامنا واستقبلنا العدو به فقمنا من خلفه وذهب بعض المالكية الى
ان من قال ان النبى صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب والا قتل لانه

تنقصه اذ لا يجوز ذلك عليه فى خاصة نفسه لعلمه بان الله تعالى ناصره وحافظه
واعترضه بعض المالكية بما حاصله انه حيث كان ذلك تنقيصا لم يستتب
ولم تقبل له توبة انتهى وقياس مذهبنا خلافا لمن اخطا فيه انه ان نوى
بذلك تنقيصه كفر والا فلا واذا قلنا بكفره فذهب بعض ايمتنا الى انه
لا تقبل توبته وحكى فيه الاجماع والمعتمد قبولها منه **جعلت مسجدا له**
اى لذلك الوجه المكرم ولامته بطريق التبع له **الارض** كلها كما اخبر بذلك
صلى الله عليه وسلم فى الاحاديث الصحيحة حيث قال اعطيت خمسا لم يعطهن
احد قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا فايما رجل
من امتى ادركته الصلاة فليصل الحديث والمراد بقوله مسجدا موضع سجود
اى ان السجود لا يختص بموضع منها دون غيره قيل ويمكن ان يكون مجازا
عن المكان المبنى للصلاة وهو من مجاز التشبيه لانه لما جازت الصلاة
فى جميعها كانت كالمسجد فى ذلك وقيل المراد جعلت لى الارض مسجدا وطهورا
ولغيرى مسجدا لا طهورا لان عيسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم كان يسيح فيها
ويصلى حيث ادركته الصلاة وقيل المراد ان الصلاة لم تبح الا فى محل يتيقنون
طهارته بخلاف هذه الامة ابيحت لها فى كل الارض الا ما يتيقنون نجاسته
والاصح الاول وهو انها لم تبح لمن قبلنا الا فى اماكن مخصوصة كالبيع
والكنايس والصوامع للخبر المصرح بذلك وكان من قبلى انما يصلون فى
كنايسهم وتوافقه رواية ولم يكن من الانبيا احد يصلى حتى يبلغ محرابه
وهذين يرد الاحتجاج بقضية عيسى المذكورة بمنع ما ذكر فيها الدلالة

هذين على خلافه وبفرض صحته فهو لا ينافي الخصوصية لانها ثابتة لنبينا وامته
بخلاف عيسى فبسبب هذا الجعل اهتز اي تحرك طربا وفرحا به صلى الله عليه
وسلم للصلاة اى لاجلها فيها اى الارض حراء بالكسر والمد وتجوز قصره وصرفه
وعدمه باعتبار المكان والبقعة كساير اسما الامكنة وهو الجبل الذي
كان صلى الله عليه وسلم يتعبد فيه قبل النبوة وهو مشهور ودليل ذلك انه
صلى الله عليه وسلم كان على حرا هو وابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير
فتحركت الصخرة فقال صلى الله عليه وسلم اسكن حرا فما عليك الا نبي
او صديق او شهيد وفي رواية وسعد بن ابي وقاص ولم يذكر عليا اخرجهما
مسلم وخرجه الترمذي وذكر انه كان عليه العشرة الا ابا عبيدة وقال
اثبت حرا وفي رواية اهدا حرا ورواه البخاري في احد بلفظ انه كان
مع ابو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه صلى الله عليه وسلم برجله وقال
اثبت احد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان ورواه النساي والترمذي
في ثبير وهو جبل مقابل لحرا انه صلى الله عليه وسلم كان عليه ومعه ابو بكر
وعمر وعثمان فتحرك حتى تساقطت حجارته الحضيض اى التي في قراره
واسفله فركضه صلى الله عليه وسلم برجله وقال اسكن ثبير فانما عليك نبي
وصديق وشهيدان ومما اشار اليه الناظم بتعبيره باهتز من ان ذلك التحرك
انما كان للطرب والفرح لا للغضب نقله شارح البخاري ابن المنير في احد
فقال قيل الحكمة في ذلك انه لما رجف اراد صلى الله عليه وسلم ان يبين
ان هذه الرجفة ليست من جنس رجفة الجبل بقوم موسى لما حرفوا الكلم وان

٧١
تلك رجفة الغضب وهذه هزة الطرب ولهذا نص صلى الله عليه وسلم على مقام
النبوة والصديقية والشهادة التي توجب سرور ما اتصلت به لا رجفانه
فاقر الجبل بذلك فاستقر انتهى واستشكل ما ذكر بان الهز طربا فرع العلم
بموقعه وقوله اثبت الى اخره يقتضي ان تحركه لغير سرور وتجاب
بانه علم من الاحاديث الصحيحة التي منها احد يحبنا ونحبه ان احدا اودع
علما به صلى الله عليه وسلم بوطء رجله الكريمة ومحبة له وميلا اليه فاذا اهتز
لاجل ذلك دل على نوع طيش وخفة فناسب ان يركضه صلى الله عليه وسلم برجله
الكريمة وان يذكره بان مقام النبوة والصديقية والشهادة كل منها
يقتضي الرزانة وعدم التحرك فلما علم الجبل ذلك سكن وخضع فكان ما منه
اولا هزة الطرب واخرا سكون الحيا والامتثال والادب ويحتمل انه
ارتعد هيبة وجلالة له صلى الله عليه وسلم فامره صلى الله عليه وسلم بترك ذلك
وذكره بان ما عليه من المقامات الثلاث التي بعث يقتضي هزة الجمال
واللقا المنبيين عن غاية الفرح والسرور قال الطبري وغيره واختلاف
الروايات يحمل على انها قصص تكررت وهو واضح لان كل منها صحيح فلا
وجه الا التعدد وايده واستنده شيخ الاسلام الحافظ العسقلاني بعدما
توقف فيه بان الذين معه بحرا ازيد ممن معه باحد فان قلت ما وجه
التعليل في قول الناظم للصلاة فيها قلت كانه يشير الى ان الله تعالى
لما اقطع نبيه الارض وجعلها كلها مسجدا له وشرفها بصلاته فيها
دخل في ذلك جبالها فاذا صعد بعضها تذكر الجبل ذلك الجعل وتلك الصلاة

عبارة المالكى من خصايصه صلى الله عليه وسلم ان جعلت له الارض مسجدا اى مكانا للصلاة وطهورا اى مكانا للتيمم ثم قال ومن جملة ذلك فى جبل حرا وهو الجبل الذى كان يتعبد فيه قبل البعثة فانه اهتز اى تحرك وهو طرب لما كان على ظهره مع جماعة من اصحابه ثم ذكر الحديث اعطيت خمسا وعين فاطمه

الذين حصل بهما للجبل كبقية الارض غاية الشرف فحينئذ تحرك اعلاما للامة بما حصل له مما يوجب السرور والطرب ثم رايت بعضهم جعل ضميرفيها للجبل وجعل المراد بالصلاة صلاته صلى الله عليه وسلم فيه لما كان يختلى فيه قبل البعثة وهذا الكلام ساقط لانه لم يعرف انه صلى الله عليه وسلم صلى قبل النبوة ولان الاهتزاز بعد النبوة بكثير لرواية ان العشرة الا واحدا كانوا معه **مظهر** ذلك الوجه الكريم **شجة الجبين** اى جرح جبينه وهو المنحرف عن الجهة فوق الصدغ وفى التعبير به مسامحة وتجوز لما يانى ان الذى شج جبهته وفى رواية وجنته والجبين غيرهما فالتعبير بالجبين من مجاز المجاورة **على البرء** اى فيه او معه من برى من المرض بالكسر برءا بالضم وبرا برا بالفتح فيهما وهذه الشجة كانت يوم احد اخرج ابن هشام عن ابى سعيد الخدرى ان عتبة بن ابى وقاص اخا سعد بن ابى وقاص اول من رمى بسهم فى سبيل الله وكان صلى الله عليه وسلم يناوله السهام يوم احد ويقول له ارم فداك ابى وامى قال فلم يجمع ابويه لغيرى وكان يفتخر به ويقول هذا سعد خالى اى لانه زهرى فليرنى امرؤ خاله فشتان ما بين هذين الاخوين رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد كسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وان عبد الله بن هشام الزهرى شجه فى جبهته وان ابن قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من المغفر فيها ووقع صلى الله عليه وسلم فى حفرة وفى رواية وهشموا البيضة على راسه ورموه بالحجارة حتى رموه لشقه فى حفرة الحديث وروى الطبرانى وغيره ان عبد الله بن قمئة رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم

تقو

قال الملا الكورانى واستعار الهلال للشجة لانها تشبهه شكلا

وكذا الشارح المالكى

يوم احد فشج فى وجهه وكسرت رباعيته فقال خذها وانا ابن قمئة فقال صلى الله عليه وسلم وهو يمسح الدم عن وجهه اقماك الله فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة واحمد والترمذى والنسائى عن انس كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم يوم احد فشج وجهه وجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسحه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل الله تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون وفى مرسل قوى ان وجهه صلى الله عليه وسلم ضرب يومئذ بالسيف سبعين ضربة وقاه الله شرها كلها **كما** مصدرية **اظهر الهلال البراء** بفتح الموحدة وهو اول ليلة من الشهر اى ان وجهه المكرم اظهر اثار تلك الشجة مع برءها ظهورا واضحا ليس فيه اذى شين بل فيه غاية الجمال كظهور الهلال ليلة استهلاله لحكمتين ليتذكر الراوون لذلك والراوون عنهم ما وقع صلى الله عليه وسلم من المحنة وعظم الصبر عليها حتى يقتدى به فى ذلك وليعلموا ان تلك الشجة لم تشنه حاشاه من ذلك بل زادته جمالا على جماله لانها صارت بعد البرء كالهلال فى وجهه الاحسن من الهلال كما قال **ستر** ذلك الوجه **الحسن** الاصلى **منه بالحسن** العارض من الشجة **فاعجب لجمال اصلى له الجمال** العارض وفى هذا كالذى قبله الجناس التام المتماثل بناء على ما مر مع الكلام عليه فى شرح شق عن قلبه وشق له البدر واما جزم الشارح بانه من ذلك مع اختلاف موضعه باعتبار الاصلى والعارض كما تقرر لا من حيث الوضع فغير الصحيح ولو حصل تمام التجنيس من اللفظين مع اتفاق الوضع

موضوعه

قوله نعم تقدم دعواه لذلك في شق من قلبه وشق له البدر

واختلاف المراد لعدواسه الذين قال لهم الناس ان الناس ان النفس بالنفس
الى اخره نعم يمكن ان يقال قد يقاس اختلاف المراد باختلاف الوضع حيث
لا قرينة مميزة كما هنا بخلاف ما في الايات فان قرينة التغاير فيها ظاهرة
تمنع التجنيس فلو عبر الشارح بيحتمل او نحوه لسلم من الجزم بما كلامهم كالصريح
في رده وفي البر والبرا الجناس المطرف وقا وسبب ذلك ان الله تعالى اعطى
نبيه غاية الجمال التي لم يعطها لمخلوق كما مر بدليله في باطنه وظاهره
ويكفيك شاهدا على ذلك ما مر ان الله تعالى جعله كله نورا ولم يظهر له ظل
فكان جلده ساترا لجماله الباطن فاذا ازالته الشجة ظهر من انواره الباطنة
ما صيرها كالهلال في وجهه وصار حسن ظاهره مستورا بما ظهر من حسن
باطنه فهما جمالان عظيمان صار باطنهما وقاية لظاهرهما وهذا امر يستغرب
ويتعجب منه ولذلك شبهه بتشابيه توضح ذلك وتكشفه فقال فهو اي
ما ظهر بالشجة من باطن بدنه كالزهر اي نور النبات اذا لاح اي ظهر من سجف
بفتح اوله وكسره اي ستر الاكمام هو كالاكمة جمع كم بالكسر وهو غطا النور المشبه
به هنا ظاهر الجلد وهو ايضا مثل العود الذي يتطيب به اذا شق عنه اللحا
وهو قشر الشجر من لحوته الحاه اي قشرته بالمحافظ ظاهر الجلد كاللحا وباطنه
كالعود وفي هذين التشبيهين ما يعلمك ان جمال باطنه ربما فاق جمال
ظاهره ومن ثم قال كاد اي ما ظهر بالشجة ان يغشي وهو بالعين المعجمة اظهر
من المهملة وهي وما بعدها مصدر مسد مرفوع كاد وخبرها العيون اي
يغطي عليها سنى بالقصر اي ضوء عظيم خارج منه لبشر عظيم وفي نسخ لسر فيه

٧٢

اي في ذلك الباطن الذي ظهر هو مصيره كله ضياء اعظم من ضياء الشمس ومن
ثم كان اصل ذلك السر لا كماله حكته اي شابهته ذكاء بضم المعجمة وعدم
الصرف ويمتنع دخول ال عليها اي الشمس وذكرها بعد سنا من مراعاة النظير
وبما تقرر علم ان من اسباب عدم تشبيه بتلك الشجة ما اوتيه من الحسن
الذي لم يوته غيره ومن ثم صانه ذلك الحسن لو انفرد فكيف وقد انضم
اليه السكينة اي وقار الظاهر مع طمانينة القلب وعدم تحركه مما يحتج
به من الموذيات التي لا يسكن عندها غيره ان يظهر فيه اثارها هو ضمير
الفاعل المتقدم رتبة وهو الباسا اي الشدايد فلذلك لم يظهر عليه من
تلك الشجة الا غاية الطمانينة ونهاية الجمال كما مر فعلم انه لما اودعه
الله تعالى فيه من كمال الجمال وتمام البها في حالة السرا كهو في حالة الباسا
فلا توثر فيه الباسا البته وتخال اي تظن انت الوجوه ان قابلته اي عاينت
وجهه وجواب ان محذوف لدلالة ما قبله عليه خجلت من فرط جماله وتلونت
بالالوان المختلفة كما يشاهد ممن قوي خجله حتى كان تلك الوجوه عند ذلك
التلون البسنها الواو فاضمير الفاعل المتقدم رتبة وهو الحربا المشهورة
ومن شانها انها تستقبل الشمس وتدور معها كيف دارت وتتلون بالالوان
العجيبة المختلفة فبسبب هذا الجمال الباهر الملتزم لباهر الافضال
والاحسان اذا شمت بالمعجمة من شمت البرق نظرت الى سحابه بشره اي
طلاقة وجهه ونداه اي جوده اي اذا نظرت الى مخايله ببصرك منتظرا
اليه اذهلتك اي انستك ما كنت بصدده الانوار الباهرة التي تحصل

الانوار

لكن من بشره عند رؤية وجهه والانوآ جمع نوء وهو ما تضيف العرب الأمطار
اليه من النجم او وقته نحو مطرنا بنوء الثريا وهي هنا كناية عن الخيرات الواصلة
منه صلى الله عليه وسلم لمن قصد نداه واملّه ففيه لف ونشر مرتب لرجوع الانوار
للبشر والانوآ للندى وفيهما الجناس اللاحق ونوع من مراعاة النظير يسمى تشابه
الأطراف وهو ان تختم الكلام بما يناسب ابتداه في المعنى نحو لا تدركه الابصار الآية
فاللطيف يناسب لا تدركه الابصار والخبير يناسب وهو يدرك الابصار ولما
تمنى رؤية الوجه المكرم واستتبعه باوصافه العلية اخذ في تمنى تقبيل راحته
الكريمة ووصفها باوصافه العلية فقال او ليته خصني بتقبيل راحة اي
بلثمي في اليقظة او في النوم نظير ما مرّ لكفه التي كان لله اي لاجله ابتغا لوجهه
لا لغرض اخر وبالله اي بسبب شهود اعانته وقدرته اخذها والعطآ اي
واعطاوها لبراءتها من كل غرض ينافي الكمال الاعظم فلم يقع تصرف منها في شيء
منذ افاض الله تعالى عليها خوارق جوده الاعم شهود سلب كل حول
وقوة عما سواه تعالى ولهذا الشهود الاعظم في تصرفها كانت تتقى بفتح
التا بن اي تخاف وتحذر بأسها اي شدتها في الحرب الملوك كقيصر
وكسرى والمقوقس الى ان ظفرها الله بجميعهم وكانت تغني اي تفوز
بالغنى الحسي والمعنوي من بعض نوالها اي عطاياها الفقرآ لانه
كان اجود الناس فيعطي عطا تعجز عنه الملوك ومع ذلك يعيش عيش
الفقرا لايثاره على نفسه وعياله وكان جوده كله لله وفي ابتغا مرضاته
ببذل المال تارة للفقير والمحتاج وتارة ينفقه في سبيل الله وتارة يتألف

به من يقوى اسلامه او من يسلم باسلامه نظراؤه وبين الاخذ والعطآ
والملوك والفقرا وتتقى وتغنى تجنيس التقابل لا تسل اصله بالهمزة
ثم خفف بحذفه كما قرئ به في سال سايل سيل هو الما الكثير الجاري
وبينهما تجنيس التحريف والتصحيف جودها بفتح الجيم وهو المطر الغزير
اي لا تسال هذا الامر المكني به عن سعة عطائه وجوده فان هذا لا يقدر
احد من البشر قدره بل انما الذي يليق بك ان تسال ما يكفيك وهو
ان يصل اليك من وكف اي قطر سحبها جمع سحاب الانداء جمع ندى وهو
البلل على ان بلل هذا القطر فيه الغنآ الكلي فمن وصلت اليه بلة من قطرة
منه كانت سببا لغناه في الدنيا والاخرة ومن اوصاف تلك اليد العلية
ايضا انها درت الشاة اي ارسلت لبنها الغزير حين مرت عليها فبسبب
ذلك صار لها بعد فقدان اللبن منها بالكلية اذ لم يطرقها فحل قط ثروة
اي كثرة اللبن لها اي تلك الراحة الكريمة ونما اي زيادة في تلك الكثرة
وهذه القصة وقعت له صلى الله عليه وسلم لما خرج من غار ثور مهاجرا
الى المدينة ومعه ابو بكر ومولاه عامر بن فهيرة فاخذ بهم الدليل طريق
الساحل فمروا بقديد قرب رابغ على ام معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية
وكانت برزة تسقي وتطعم وكانوا في غاية القحط والجهد فطلبوا منها
لبنا ولحما يشترونه فلم يجدوا عندها شيئا فنظر صلى الله عليه وسلم
الى شاة في كسر الخيمة تخلفت عن الغنم لشدة الجوع فسالها هل بها من
لبن فقالت هي اجهد من ذلك والله ما ضربها من فحل فقال اتاذنين
قطرة

لى ان احلبها قالت نعم ان رايت بها حلبا فاحلبها فدعا بالشاة فاعتقلها
ومسح ضرعها وسمى الله تعالى فتفاجت ودعا باناء يشبع الجماعة فملاه من
حلبها وسقى القوم حتى رووا ثم شرب اخرهم ثم حلب فيه مرة اخرى علالا
بعد نهل ثم تركه عندها وذهبوا ذكر ذلك اصحاب السير وغيرهم ومن
اوصاف تلك الراحة الجليلة ايضا انه نبع الما اى بسببها وعدل اليه
عن منها المتبادر ليفيد انه نبع تارة منها وتارة ببركتها من غيرها اما
الاول فقد قال القرطبي قصة نبع الما من بين اصابعه قد تكررت
منه صلى الله عليه وسلم في عدة مواطن في مشاهد عظيمة ووردت من طرق
كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوى ولم يسمع من
هذه المعجزة عن غير نبينا صلى الله عليه وسلم حيث نبع الما من بين عظمه ولحمه
وعصبه ودمه وذكر المزني صاحب الشافعي رضي الله تعالى عنهما ان هذا
ابلغ من نبع الما من الحجر بضرب موسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم لان الحجر يؤلف
منه خروج الما ولا كذلك البدن فمن جملة تلك المواطن ما في الصحيحين
عن انس ان الناس احتاجوا لصلاة العصر فلم يجدوا الما فاتى صلى الله عليه وسلم
بوضوء فوضع يده في ذلك الانا فنبع الما من بين اصابعه حتى توضؤا كلهم
زاد البخاري كانوا ثمانين وان الما نبع من بين اصابعه واطراف اصابعه
وفي رواية لابن شاهين انه وقع نظير ذلك في غزوة تبوك لما شكوا اليه
فطلب فضلة ماء فاتى بها وصبها في صحفة ثم وضع راحته فيها
فتخللت عيون بين اصابعه ~~وفي رواية~~ فرووا هم وابلهم وتزودوا

من

نقاص

مع نبع الما من بين اصابعه

منه وفيهما عن جابر انه صلى الله عليه وسلم كان يتوضا من ركوة فجاؤه يشكون
العطش فوضع يده في الركوة فجعل الما يفور من بين اصابعه كامثال العيون
فتوضؤا كلهم وكانوا الفا وخمسماية بل قال جابر لو كنا ماية الف لكفانا وفي
رواية لاحمد عنه فو الذى ابتلاني ببصري لقد رايت العيون عيون الماء
تخرج من بين اصابعه وظاهر الروايات ان الما نبع من نفس اللحم الكاين
في الاصابع وهو ما صححه النووي وجزم به غيره وانما استدعى قليل ماء
تادبا مع ربه فانه المنفرد بايجاد المعدومات من غير اصل نعم في روايته
عند جماعة انه فعل ذلك مرة من غير ما لكن استدعى بشن يابسة ووضع
يده فيها فنبعت عيون الما واما الثاني ففي مسلم انكم ستاتون غدا ان
شا الله عين تبوك وانكم لن تاتوها حتى يضحى النهار فمن جاها فلا يمس
من مايها شيا حتى اتى فسبق رجلان ومساه قبل ان ياتي فسبهما ثم اغترفوا
له قليلا فغسل به وجهه ويديه ثم صب الغسالة في العين فجرت العين بماء
كثير ثم قال يا معاذ يوشك ان طالت بك حياة ان ترى ما هاهنا قد ملى
بساتين وعمرانا وفي رواية الموطا وغيره فانخرق من الما ما له حس
كحس الصواعق وصح على مقال في بعض رواته ان العطش اشتد بهم في
غزوة تبوك حتى كادت رقابهم تنقطع وكان الرجل ينحر بعيره فيعصر فرثه
فيشربه ويجعل الباقي على كبده فسال له ابو بكر ان يدعو لهم فقال اتحب
ذلك قال نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى سالت فانسكبت فملوا ما معهم
من انية ثم ذهبوا ينظرونها فلم يجدوها جاوزت العسكر وفي البخاري في غزوة

الحديبية

الحديبية نحو ذلك مرتين مرة امرهم بوضع سهم من كنانته ففاض ومرة بوضع
يده في الركوة فجعل الما يفور من بين اصابعه ومن اوصافه ايضا انه **اثمر**
النخل في عام اي في سنة غرسه **بها** اي بسبب مس تلك الراحة الكريمة لذلك
النخل في قصة سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه التي ذكرها اصحاب السير ابن هشام
وابن سيد الناس وغيرهما وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة اتاه
سلمان وامن به وكان مسترقا فامره صلى الله عليه وسلم ان يكاتب سيده فكاتبه
على غرس ثلثماية ودية وتعهدها حتى تثمر واربعين اوقية ذهبا ثم اخبره
صلى الله عليه وسلم بذلك فامر اصحابه ان يعينوه بالودي فاعانوه به
ثم وضعه صلى الله عليه وسلم بيده فما مات منها واحدة بل اثمرت كلها في
عامها وفي رواية فوقفت منها واحدة فقلعها صلى الله عليه وسلم واعادها
فساوت البقية فاداها وبقي عليه الذهب فجا النبي صلى الله عليه وسلم بمثل
بيضة دجاج من ذهب من بعض المعادن فاعطاها له فقال واين تقع هذه
قال خذها فان الله سيؤدي بها عنك فوزن لهم منها اربعين اوقية
ومن اوصافه ايضا انه **سبحت بها** اي في راحته **الحصبا** اي الحصا كما
رواه الترمذي والطبراني في الاوسط وغيرهما انه صلى الله عليه وسلم كان
عنده ابو بكر وعمر وعثمان فقبض حصيات فسبحن في كفه حتى سمع لهن
حس كحس النحل فناولهن ابا بكر فسبحن في كفه كذلك ثم عمر كذلك ثم عثمان
كذلك ثم اخذها الحاضرون فلم يسبحن مع احد منهم قال الحافظ شيخ الاسلام
والحفاظ العسقلاني ليس لحديث تسبيح الحصا الا طريق واحد مع ضعفها

لكنه مشهور عند الناس انتهى نعم اخرج البخاري من حديث ابن مسعود
كنا ناكل مع النبي صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام
وفي فتح الباري عن الشفا انه صلى الله عليه وسلم مرض فاتاه جبريل
بطبق فيه رمان وعنب فاكل منه فسبح تنبيه تسبيح الجماد
كالطعام والحصا معناه ان الله تعالى خلق فيه اللفظ الدال على التنزيه
حقيقة خرقا للعادة ومع ذلك اضافة التسبيح اليه مجاز لان اللفظ
انما يضاف حقيقة لمن قام به ومن اوصافه العلية ايضا انه **احيت**
المرملين اي الذين نفد زادهم من القحط على الموت فتسميتهم موتى
حتى وصفوا بالحياة مجاز كما ان اسناد الاحيا الى الراحة مجاز ايضا
فهو استعارة تبعية **من موت جهد** اي قحط شديد والاضافة بيانية
مبالغة بادعا ان ذلك الجهد لما كان سببا قريبا للموت اطلق عليه اسمه
اعوز القوم عدل اليه عن اعوزهم الذي هو القياس لازالة الابهام
لفظ المرملين انه خاص بذكورهم وان كان التغليب في مثله شايعا
فان قلت شمول القوم للاناث انما هو بطريق التبع فساوى المرملين
قلت الفرق بينهما واضح لان شمول القوم للاناث لفظي وان قلنا
بالتبعية ومن ثم لم يحتج لقرينة بخلاف المرملين فافاد القوم ما لم يفده
المرملين **فيه** اي في ذلك الجهد **زاد وما** من اعوزه الشي اذا احتاج
اليه وعبر بزاد مع انه انما يقال في طعام المسافر استعارا بانهم لما حصلت
لهم تلك الشدة التي ادت بهم الى الاشراف على الموت صاروا كالمسافرين

المشرفين على الهلاك وبين الموت والاحيا والزاد والما الطباق كالورد
والشبع المفهومين مما ياتي **ف**بسبب احيايه لهم كثر الله تعالى كرامة
ومعجزة له الطعام والما القليل جدا حتى **تغدى** بالدال المهملة
اى اكل وقت الغدا وهو ما قبل الزوال **بالصاع** الواحد وهو قدحان
بالكيل المصرى تقريبا **الف جياع وتروى بالصاع الف ظما** جمع ظامي
اى عاطش اما ترى الالف الظما بالما القليل النابع من بين اصابعه
تارة وببركة دعايه اخرى فقد مر الكلام عليه مستوفى والتعبير
بالصاع فيه المراد به الما القليل جدا كما يعلم مما مر وانما ذكره على
جهة مجاز المشاكلة لما قبله نحو وجزا سيية سيية مثلها ومكروا ومكر
الله تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك وبالالف المراد به العدد
الكثير ففى بعض المواطن كالحديبية كانوا الفا واربعماية اوخمسماية
وفى بعض المواضع كانوا ثلثماية وفى بعضها كانوا اقل وفى غزوة تبوك
كانوا الوفا مولفه واما تغدى الالف الجياع بالصاع فهو ما فى
الصحيحين عن جابر رضى الله تعالى عنه انه راى بالنبى صلى الله عليه وسلم في غزوة الخندق صح
جوعا شديدا فذهب لامراته واخبرها فاخرجت صاعا من شعير
وشاة داجنا اى سمينة فذبحتها وطحنت الشعير فلما وضعت اللحم
فى البرمة ذهب للنبى صلى الله عليه وسلم واخبره وطلب ان ياتى بنفر
معه فصاح النبى صلى الله عليه وسلم ان جابرا صنع سورا فحى هلا يا اهل الخندق صح
بكم ثم امره ان لا ينزل البرمة ولا تخبز العجين حتى يجى فلما جا بصق

فى العجين ثم فى البرمة وبارك ثم امرها ان تدعو خابزة تخبز معها وان
تغرف من برمتها ولا تنزلها فاكلوا وهم الف حتى تركوه وان عجينهم
وبرمتهم كما هما وفيهما ايضا الا بعض زيادات ففى مسلم عن انس رضى
الله تعالى عنه فى غزوة الخندق ايضا ان عمه زوج امه ابا طلحة عرف جوع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صوته فذكر ذلك لام سليم زوجته
فاخرجت اقراصا من شعير فذكر ذلك لام سليم ولفتها بخمار واعطتها
لانس ولفت طرف الخمار على راسه مرتين كالعمامة وارسلته الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فوجده بالمسجد اى الموضع الذى اعده لمحاضرة الاحزاب
ومعه الناس فقال له ارسلك ابو طلحة قلت نعم قال ابطعام قلت
نعم فقال لمن معه قوموا فتقدمهم انس فاخبر عمه فقال يا ام سليم قد
جا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا طعام نطعمهم فقالت
الله ورسوله اعلم فتلقى ابو طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى
الله عليه وسلم هلمى يا ام سليم ما عندك فاتت بذلك الخبز فامر به صلى الله
عليه وسلم ففت وعصرت عكة فادمته ثم قال فيه صلى الله عليه وسلم
ما شا الله ان يقول ثم قال ايذن لعشرة فاكلوا حتى شبعوا فخرجوا
فقال ايذن لعشرة وهكذا فاكلوا وشبعوا وهم ثمانون ثم اكل صلى
الله عليه وسلم واهل البيت وتركوا بقية وفى طرق هذه القصة ما يقتضى
تعددها وادخلهم عشرة عشرة لاتحاد القصعة وصغرها وقول
انس نعم اما لاستحيايه من كثرة الناس فقال ذلك ليتبعه النبى صلى الله عليه وسلم

وحده واما لان من ارسله ذكر له انه اذا رأى كثرة الناس دعاه وحده
وفى رواية ان ابا طلحة قال انما ارسلت انسا يدعوك وحدك ولم يكن
عندنا ما يشبع من ارى فقال ادخل فان الله سيبارك فيما عندك وفى
رواية انه صلى الله عليه وسلم مسح القرص فجعل ينتفخ ويتسع فى الجفنة
وفى اخرى ان ابا طلحة رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئ اصحاب الصفة
سورة النسا وقد ربط على بطنه حجرا وروى مسلم انهم فى غزوة تبوك
جاعوا فسأل عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو بفضل ازوادهم
ثم يدعو الله لهم عليها بالبركة ففعل فاجتمع شى يسير فدعا صلى الله عليه وسلم
بالبركة ثم قال خذوا فى اوعيتكم فما تركوا فى العسكر وعاء الا ملؤه فاكلوا
حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال صلى الله عليه وسلم اشهد ان لا اله الا الله
وانى رسول الله الحديث وفيهما عن انس ايضا ان امه ارسلته الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بحيسة فى تور وهو عروس بزينب فامره ان يدعو من لقى
فدعا من لقى فكانوا زهاء ثلثمائة فوضع صلى الله عليه وسلم يده على تلك
الحيسة وتكلم بما شاء الله ثم دعا عشرة عشرة فاكلوا حتى شبعوا فما
ادرى حين وضعت كانت اكثر ام حين رفعت وصح عن سمرة بن جندب
انهم تداولوا قصعة من غدوة الى الليل يقوم عشرة ويقعد عشرة
فقيل له مما كانت تمد فقال ما كانت تمد الا من هاهنا واشار الى السما
ومنها انه وفى قدر بيضة اى بيضة دجاج من نضار اى ذهب دين
سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه الذى كان من جملة ما كاتب عليه سيده

وهو

٧٨

وهو اربعون اوقية من الذهب كما مر آنفا مع صغر تلك البيضة وعظم
ذلك الدين لكن ببركة مسه صلى الله عليه وسلم لتلك البيضة براحته الكريمة
حين كان اى قرب الوفا اى حلول الاجل وبين وفى والوفا الجناس الناقص
والعجز على الصدر وبين دين وحين وكان الجناس اللاحق وسبب هذا
هذا الدين على سلمان انه كان يدعى قنا اى ارق بالباطل وملخص قصته
كما حكاه هو عن نفسه انه من اصبهان واجتهد فى المجوسية حتى صار
رئيسهم ثم مر بكنيسة للنصارى فاعجبوه فذكر ذلك لابيه فقيده وقال
دينك ودين ابائك خير من دينهم وكان سالهم عن اصل دينهم فقالوا
بالشام فارسل اليهم اذا جاءكم احد من الشام فاخبرونى ففعلوا فحل
القيد وتوجه اليها فسال عن اعلمهم فدل عليه فخدمه ثم خدم من
اقيم مقامه فلما احتضر قال له بمن توصينى قال بفلان بالموصل فجاءه
فاخبره وخدمه فلما احتضر قال له بمن توصينى قال بفلان بنصيبين
فجاءه واخبره وخدمه فلما احتضر ذكر ذلك له قال بفلان بعمورية
من ارض الروم فلما احتضر قال له ذلك فقال يا بنى ما اعلم احدا على ما
كنا عليه امرك ان تاتيه وانه اظل زمان نبى هو مبعوث بدين ابراهيم
يخرج من ارض العرب مهاجرا الى ارض بين حرتين به علامات لا تخفى
ياكل الهدية ولا ياكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت
ان تلحق بارضه فافعل ثم مات فمر بى نفر من كلب فقلت لهم احملونى
الى ارض العرب واعطيكم ما عندى فحملونى اليها فلما بلغوا وادى القرى

تمم قصة سلمان الفارسى

الى ان مات صح

ظلموه فباعوه من يهودى فباعه من ابن عم له من بنى قريظة بالمدينة قال
فحملنى اليها فعرفتها فبعث صلى الله عليه وسلم بمكة فلم اسمع له ذكرا ثم هاجر الى
المدينة فبينا انا اجنى لسيدى ثمرا جاءه ابن عمه فقال له قاتل الله بنى قيلة
وهى ام الاوس والخزرج انهم الآن لمجتمعون بقبا على رجل قدم اليهم من
مكة يزعمون انه نبى فاخذتنى رعدة شديدة حتى ظننت انى ساقط فنزلت
فقلت لسيدى ماذا قال لك هذا فغضب ولطمنى لطمة شديدة وقال
ما لك ولهذا اقبل على عملك فلما امسى اخذ شيئا جمعه وذهب الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو بقبا فقال له هذا صدقة فامر اصحابه باكله
ولم ياكل فجمع شيئا آخر واتى به وهو بالمدينة فقال له هذا هدية فاكل
هو واصحابه ثم جاءه بالبقيع وقد تبع جنازة فجعل ينظر الى ظهره فعرف
انه يتامله لشئ وصف له فالقى رداءه عن ظهره فراى خاتم النبوة فقص
عليه حديثه واسلم فامره صلى الله عليه وسلم ان يكاتب فكاتب نظر الحالته
الراهنة والا فهو من جملة الاحرار الذين هم اتباع حوارى عيسى عليه الصلاة
والسلام على غرس ثلثماية نخلة وتعهدها حتى تثمر واربعين اوقية ذهبا
فغرس له النخل فاثمرت من عامها واعطاه مثل بيضة من ذهب فوفت
الاربعين **فاعتق** باداء النجوم **لما انبعث** اى نضجت **من نخيله** حال من قوله **الاقناء**
جمع قنو وهو العذق اى العرجون ولاجل ما ذكر عن سلمان انه بمجرد سماعه
لذكر النبى صلى الله عليه وسلم اخذته الرعدة والشدة وهو على راس نخلة يجنيها
لسيده وشاهده سيده منه ومع ذلك الدال على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

وانه

٧٩

وانه بلغ امره ونعته الاباعد والاقارب لما فهم ان له تلفتا الى سماع خبر
البنى صلى الله عليه وسلم لطمه لطمة شديدة لانه كان من جملة اليهود الذين يفتخرون كانوا
عن الانصار بانه قرب زمن بنى عربى يكونون اول من يتبعه ويقتلونهم معه
قتل عاد وارم فلما جاءهم المدينة كفر به اكثرهم كما قال تعالى فلما جاءهم
ما عرفوا كفروا به عرض الناظم رحمه الله تعالى لموالى سلمان منكرا عليهم اذ لم
يؤمنوا بنبينا صلى الله عليه وسلم مع ما شاهدوه من حال سلمان بل زادوا
فى الطغيان بضربه فقال **أ**تلطمون سلمان وتمنعونه من الاجتماع بمحمد
صلى الله عليه وسلم حتى لا يؤمن به **فلا تعذرون سلمان** اى ترون له عذرا
بمنعكم من ايذايه ومنعه وقد صح الدليل عندكم على نبوته **لما** اى حين **ان** وقد وضح الدليل عندكم
عرته اى غشيته **من** اجل **ذكره** اى ذكر اليهودى لقربه النبى صلى الله
عليه وسلم واجتماع الناس به فى قبا **العرواء** اى قوة الحمى ومسها فى اول
اخذها للانسان بالشدة والرعدة وما ذكرته فى تقرير هذا البيت
المطابق لما فى قصة سلمان والذى فيه غاية المناسبة للمقام وغاية الانكار
على اليهود ورميهم بالعناد والبهتان اولى مما وقع للشارح فى تقريره
على ما فيه من النظر كما يعلم بتامله وبين عرته والعرواء تجنيس شبه الاشتقاق
ومن اوصاف تلك الراحة ايضا انها **ازالت بلمسها** لمن به امراض اعيت الاطبا
كل داء به **اكبرته** اى استعظمته وعجزت عن برئه **اطبة** جمع طبيب وهو
العالم بعلم الطب الذى هو حفظ صحة الانسان بمنع الواصل اليه ودفع
الحاصل **واساء** بكسر الهمزة اى مرض جمع اس كراع ودعاء روى الدارمى ان

[redacted]

ان امراة جات الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابنى به جنون
وانه لياخذه عند غدا ينا وعشا ينا فمسح صلى الله عليه وسلم صدره فقا من جوفه
مثل الجرو الاسود فشفى فائدة روى البخارى ان سلمة اصيب يوم
خيبر بضربة فى ساقه فنفث فيها صلى الله عليه وسلم ثلاث نفثات فما اشتكى
قط ومن او صافها ايضا انه برئ بها عيون باصرة مرت بها اى تلك الراحة وهى
رمد اى معطلة الابصار فاربها اى تلك الراحة تلك العيون ما اى الشئ البعيد
الذى لم تره فخبه مع ادتها جناس الاشتقاق الزرقا المشهورة بزرقاء
اليمامة التى كانت ترى من مسيرة ثلاثة ايام روى البخارى فى غزوة خيبر انه
صلى الله عليه وسلم قال اين على اى ليعطيه الراية ويكون الفتح على يديه كما فى رواية
اخرى قالوا يشتكى عينيه قال ارسلوا اليه فاتى به فبصق صلى الله عليه وسلم
فى عينيه ودعا له فبرا حتى كان لم يكن به وجع وعند الطبرانى عن على فما رمدت
ولا صدعت منذ دفع الى النبى صلى الله عليه وسلم الراية يوم خيبر وعند
الحاكم عنه فوضع صلى الله عليه وسلم راسى فى حجره ثم بصق فى راحته فدلك
بها عينى وعند الطبرانى فما اشتكيتهما حتى الساعة قال ودعا لى صلى
الله عليه وسلم فقال اللهم اذهب عنه الحر فما اشتكيتهما حتى يومى هذا
فائدة روى بن ابى شيبة والبغوى والبيهقى والطبرانى وابو نعيم
انه صلى الله عليه وسلم نفث فى عينى فديك وكانتا مبيضتين لا يبصر بهما
شيئا وكان وقع على بيض حية فكان يدخل الخيط فى الابرة وانه لابن ثمانين
سنة وان عينيه لمبيضتان ومنها ايضا انها اعادت على قتادة ابن النعمان

الحروحه

عينه

عيناه ذهبت فهى حتى اى الى ممالة النجلا اى الواسعة والمراد واسعة
النظر وقصته ان عينه اصيبت يوم احد فوقعت على وجنته فاتى به الى النبى
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لى امراة احبها واخشى ان راتنى
تقذرنى فاخذها صلى الله عليه وسلم بيده وردها الى موضعها وقال اللهم
اكسها جمالا فكانت احسن عينيه واحدهما نظرا وكانت لا ترمد اذا
رمدت الاخرى وقد وفد على عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه رجل
من ذريته فقال له عمر من انت فقال

• ابونا الذى سالت على الخد عينه • فردت بكف المصطفى ايما رد •
• فعادت كما كانت لاول امرها • فياحسن ما عين ويا حسن ما خد •

فوصله عمر واحسن جائزته قال السهيلى وفى رواية اصيبت عيناى يوم احد
فسقطتا على وجنتى فاتيت بهما النبى صلى الله عليه وسلم فاعادهما مكانهما
وبصق فيهما فعادتا تبرقان قال الدارقطنى هذا حديث غريب تفرد به عمار
ابن نصر عن مالك وهو ثقة واخرج الطبرانى وابو نعيم عنه كنت يوم احد
اتقى السهام بوجهى دون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اخرها
سهما ندرت منه حدقتى فاخذتها بيدى فسعيت الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما راها فى كفى دمعت عيناه فقال اللهم ق قتادة كما وقى وجه
نبيك فاجعلها احسن عينيه واحدهما نظرا ويجمع بين رواية الواحدة
ورواية الثنتين على تقدير صحتها بان احد الرواة ظن ان الساقط
واحدة وبعضهم علم انه ثنتان فاخبر كل بحسب علمه ومن قواعدهم ان زيادة

الثقة مقبولة ولها ترجح رواية التثنية أو كيته خصتي في اليقظة او النوم

نظير ما مر بلثم اي تقبيل التراب المنفصل من قدم له موصوف باوصاف جليلة

كسابقتها منها انها كانت اذا امشت على حجر لانت حيا اي لاجل او من جهة استحيائها

منها واجلالها لها من اجل مشيها اي تلك القدم الكريمة لها الصفواء اي

الحجارة الصلدة فاعل لانت واعيد ضمير مشيها وما بعده عليها لتقدمها رتبة

ونبه بذلك على انه ينبغي لك ايها العاقل ان تستحي من مخالفتك ما جاء عن

نبيك لانك اذا علمت ان الحجر الاصم استحيى منه ان يبقى على صلابته مع مشيه

عليه فانت اولى بالاستحيا منه ان تبقى على مخالفته مع علمك بجليل اوصافه

وعلي اخلاقه ثم هذا الذي ذكره الناظم ذكره غيره ممن تكلم على الخصايص

لكن بلا سند وعبارة الحافظ السيوطي في خصايصه ومما اورده رزين صاحب

الصحاح في خصايصه انه صلى الله عليه وسلم كان اذا وطئ على الصخر اثر فيه

وذكر الحافظ السرمري الحنبلي تلميذ ابن القيم في خصايصه فقال واما الانة

الحديد لداود عليه الصلاة والسلام فان الانة الحديد معروفة بالنار

وقد الان الله تعالى الحجارة لمحمد صلى الله عليه وسلم ولا يعرف لين الحجارة

بالنار ولا بغيرها وهذا ابلغ ثم قال واعجب من هذا انه كان اذا مشى على

الصخر لان تحت اقدامه واذا مشى على الرمل لا يوثر فيه خرقا للعادة الجارية

وقال في اول كتابه ونحن نذكر ما نقل عن كل نبي من المعجزات وما ثبت لنبينا

صلى الله عليه وسلم من الخصايص وما له من الفضايل والفواضل موطئ بدل

من التراب الاخمص بضم الميم المراد به الجنس اي الاخمصين وهو من التعبير

بالبعض

بالبعض عن الكل اذ الاخمص من القدم الموضع الذي لا يلتصق بالارض منها عند

الوطئ والخمصان المبالغ فيه ولا يرد على كلامه ما رواه البيهقي عن ابي هريرة

كان صلى الله عليه وسلم لا اخمص له يطأ على قدمه كلها لان المراد ان اخمصه معتدل

الخمص ومن ثم قال ابن الاعرابي اذا كان خمص الاخمص بقدر لم يرتفع جدا ولم يستو

اسفل القدم جدا فهو احسن ما يكون وان استوى او ارتفع جدا فهو ذم الذي

نعت للمضاف ولا يصح كونه نعتا للمضاف اليه الا بتكلف منه صفة للمبتدا الذي

هو وطأ تقدمت عليه فصارت حالا للقلب خبر المبتدا او هو الفواد وقد

يعبر به عن العقل ومن المراد بالقلب والخلاف في العقل وذكر القلب بعد

الاخمص فيه تجنيس ومراعاة النظير اذ امضجعي اي جنبي الذي اضطجع عليه اقض

بالقاف والمعجمة اي اصابه القضض وهو التراب الذي يعلو الفراش كما في القاموس

وطاء اي فراش وصف ذلك التراب اي ~~قلبه فانار~~ الذي هو موطئ القدمين

الشريفين بانه لو فرض ان مضجعه اصاب تراب فراشه الذي هو من جملة ذلك

التراب اي قلبه فاناره وازاحه من الاغيار وصيره على اكمل الاحوال وصانه

من قبايح الخطرات والاحوال كما ان الفراش يصون من فرشه له عن ذلك وهذا

اولى واظهر مما حل به الشارح هذا البيت فتاملهما ومن اوصافه ايضا انه حظي

المسجد الحرام يعني جميع حرم مكة اذ المسجد الحرام يراد به ذلك كثيرا كما في القران

في مواضع كثيرة بل كل ما ورد فيه المراد به مكة الا في نحو فول وجهك شطر

المسجد الحرام بممشاها اي بمشي تلك القدم فيه اي فضل حرم مكة ساير البقاع

ما عدا موضع قبره المكرم كما عليه اكثر العلما بواسطة ولادة النبي صلى الله عليه وسلم

زار او وطئ بقدمه ووطئ بكلا... ليس له اخمص ... ابن امامة كان ... عن ... صح

٣

وتربيته ونشأته فيه ومن ثم صح من غير نزاع فيه لأحد أنه صلى الله عليه وسلم
قال لمكة والله إنك لأحب أرض الله إلى الله ولولا أني أخرجت منك كرها
ما خرجت والحديث المعارض لذلك الذي يرويه مفضلوا المدينة المنورة
موضوع كما اعترف به إمام المالكية أبو عمر بن عبد البر وصرح بأن أفضلية مكة
هي الحق عند من ألهم رشده وبرئ من التعصب ولم ينس حظه منه إيلياء أي
بيت المقدس بل شرفه بمشيه فيه أيضا وصلاته فيه بالأنبياء ليلة الإسراء كما
جاء ذلك في الأحاديث الصحيحة ولم يذكر المدينة لأنه الذي أنشأ شرفها
كما قال في الحديث الصحيح اللهم إن إبراهيم حرم مكة وإني حرمت المدينة الحديث
فقوله حرمت المدينة أي نزل تحريمها على لساني ولم يسبق زمني بخلاف مكة
فإن تحريمها من يوم خلق الله السموات والأرض كما في حديث البخاري وغيره
لحديث البخاري وغيره أيضا أن إبراهيم حرم مكة معناه أظهر حرمتها لا غير
جمعا بين الحديثين فإنه متعين ما أمكن وليس الكلام فيما أنشأ حرمته وإنما
هو فيما عرفت حرمته من قبله على لسان غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
لكن ازدادت حرمته ببركة حلوله به ومشيه فيه ففضل غ ح ففضل مكة
وبيت المقدس ليس لتقدم حرمتهما قبله صلى الله عليه وسلم بل لأجل حلوله ومشيه
فيه ففضل فيهما وبين حظي وحظه كرمت وذي تجنيس شبه الاشتقاق ومن
أوصافها أيضا أنها ورمت كما في حديث الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قام
من الليل حتى تورمت قدماه فقيل له هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من
ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا وفي رواية لهما عن عائشة

رضي

رضي الله تعالى عنهما قام نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه وفي رواية حتى
تفطرت قدماه فقلت له لم تصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما
تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا فلما بدن وكثر لحمه صلى جالسا فإذا أراد
أن يركع قام فقرأ ثم ركع والفاء للسببية والتقدير أأترك تهجدي فلا أكون
عبدا شكورا والمعنى أن المغفرة سبب لكون التهجد لمحض الشكر فكيف أتركه
قال ابن بطال شارح البخاري في هذا الحديث أخذ الإنسان على نفسه بالشدة
في العبادة وإن أضر ذلك ببدنه لأنه صلى الله عليه وسلم إذا فعل ذلك مع علمه
بما سبق له فكيف بمن لم يعلم فضلا عمن لم يأمن أنه استحق النار انتهى قال
بعض المفسرين قام صلى الله عليه وسلم طول ليله على قدميه إلا قليلا فلما تورمت
قدماه كان يقف على أطراف أصابعه فأنزل الله تعالى عليه طه أي طأ الأرض
بكل قدميك واسترح مما أنت فيه من التعب فإنا ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى
إذا أي وقت أو لأجل أنه رمى بها ظلم الليل فيه استعارة بالكناية شبه القدم
الشريفة بسهم صائب من حيث إن قيام القدم في طاعة الله أوجب زوال
ظلمة الليل ووحشته كما أن رمي السهم في طاعة الله الموجب تعالى يزيل سورة
عدوه ووطأته فشبه القدم بالسهم في ذلك استعارة بالكناية لبنائها
على هذا التشبيه المكني في النفس وإثبات الرمي لها استعارة تخييلية
وبهذا التقدير البديع المبقي للباء على حالها يندفع زعم أن رحا أنها
بمعنى من أو عن وأنه لا يصح بقاؤها على حالها ولما كان قيام الليل كذلك
ينشأ إما عن مزيد خوف أو محبة رجا بين الناظم رحمه الله تعالى أن قيامه

صلى الله عليه وسلم لم يكن لاجل ذلك وانما كان لمحض الشكر كما افاده قوله افلا
اكون عبدا شكورا مع التلذذ بمناجاة الله تعالى والقيام بين يديه وان
خوفه ورجاه الهو لذين وصل فيهما الى الغاية لم يصل اليهما غيره انما كانا
لمحض التقرب بهما الى الله تعالى فقال الى الله خبر مقدم خوفه منه قال
صلى الله عليه وسلم انا اعلمكم بالله واخوفكم منه والرجا اى وسعة امله فيما عنده
لا الى غرض اخر لان الله تعالى عصمه عن ان ينظر او يميل الى غيره طرفة عين
بل هو دايم المثول فى حضرات الشهود الاقدس والتملى بمعان القران الانفس
ووقع للشارح رحمه الله تعالى حل هذا البيت على خلاف ما ذكرته وما ذكرته
اولى وانسب بمقامه صلى الله عليه وسلم كما لا يخفى على متامل ثم رايت القرطبى
اشار لما ذكرته حيث ظن من سأله فى حديث الصحيحين المذكور عن سبب
تحمل المشقة فى العبادة انه انما يعبد الله خوفا من الذنوب وطلبا للمغفرة
والرحمة فمن تحقق انه غفر له لا يحتاج الى ذلك فافادهم ان هناطريقا اخر
للعبادة وهو الشكر اذ هو الاعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة فمن كثر ذلك منه
سمى شكورا لكنه قليل كما قال تعالى وقليل من عبادى الشكور وفى الحديث بيان
ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الاجتهاد فى العبادة والخشية من ربه
قال العلما انما الزموا الانبيا انفسهم بشدة الخوف لعلمهم بعظمة نعمة
الله تعالى عليهم وانما ابتداهم بها قبل استحقاقها فبذلوا مجهودهم فى عبادته
ليودوا بعض شكره مع ان حقوق الله تعالى اعظم من ان يقوم بها العباد
انتهى وقيام الليل كان فى اول الاسلام واجبا عليه صلى الله عليه وسلم وعلى

عبارته ووصف القدم المذكورة بانها ورمت من طول قيامه عليها فى طاعة الله تعالى صلاة وخوفا ورجا وان كل ذلك الصادر منه تعالى عصمه الله من الميل به الى الاعراض الدنيا صلى الله عليه وسلم

امته

امته كما ذكره الله تعالى فى اول سورة المزمل ثم نسخ بما فى اخرها ثم نسخ عن الامة
بالصلوات الخمس وكذا عنه على الاصح كما نص عليه الشافعى رضى الله تعالى عنه
ولكن اكثر اصحابه على انه لم ينسخ عنه لقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة
لك اى عبادة زايدة فى فرايضك لان الامر للوجوب وقيل معناه زيادة خالصة
لك لان تطوع غيره يكفر ذنبه وتطوعه خالص له لكونه لا ذنب عليه فساير
تطوعاته صلى الله عليه وسلم لمحض زيادة الدرجات والقرب واما حديث
اللهم انى اسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار
وما قرب اليها من قول او عمل فهو تعليم لامته وبين الرجا والخوف المقابلة
ومن اوصافها ايضا انها دميت اى خرج دمها فى الوغى قال الشارح هو
الصوت وكثرة اختلاط الاصوات وهو المراد هنا انتهى لتكسب
والجلبة وتعالى الحرب لما فيها من الصوت والجلبة صح
طيبا مما اى الذى اراقت من الدم بيان لما الشهدا جمع شهيد فعيل
بمعنى فاعل لانه يشهد الجنة وما اعد الله له فيها عند طلوع روحه او
مفعول لان ملايكة الرحمة تشهده عند ذلك وهو فاعل اراقت اى
من حكم خروج الدم من رجله المشرفة ان يعود طيب ذلك الدم وبركته
على جميع دم الشهدا حتى تكون رايحة دمهم كريح المسك كما اخبر صلى الله عليه
وسلم عن دمهم بانه كذلك وكان ينبغى للناظم ان يذكر هذا من اوصاف يده
الكريمة لان الذى فى البخارى انه صلى الله عليه وسلم دميت اصبعه فقال
هل انت الا اصبع دميت وفى سبيل الله ما لقيت وقد يحمل كلام الناظم على ما
سبق انه صلى الله عليه وسلم خرج الى ثقيف يدعوهم الى الله تعالى فابوا واغروا

به سفهاهم فرموه بالحجارة الى ان ادموا رجليه فجلس من شدة الالم وزيد مولاه تحميه منهم فان قلت ليس هنا حرب والناظم قيد ذلك بالوغى قلت قد علمت ان اصل الوغى الصوت والجلبة وهذا موجود هنا على ان لنا ان نمنع قولك ليس هنا حرب وسند المنع انه اقام عندهم شهرا يدعوهم وهم لا يجيبونه بل يغرون به سفهاهم وعبيدهم يسبونه قال موسى بن عقبة ورجموا عراقيبه بالحجارة حتى اختضبت نعلاه بالدم زاد غيره وكان اذا اذلقته الحجارة قعد الى الارض فياخذون بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج فى راسه شجاجا وهذا حرب اى حرب لان من اقام بين ظهرانى العدو يواجههم بما يكرهونه من غير ان ينزجر بزجرهم ولا ينكف عنهم بضربهم محارب لهم اى محارب ويدل لذلك ان ايمتنا اعدوا من المتحاربين الصفين اذا تقابلا بحيث يصل سلاح كل الى الاخر وان لم يقع قتال بل ولا سل سيف ولا دى سهم تنزيلا لما بالقوة منزلة ما بالفعل فكذلك هنا بل اولى لانه وجد من جانبهم ضرب وجرح وغيرهما من جانبه غلظة عليهم وسب لهم ولالهتهم وبما قررته يعلم عذر الشارح فى صرفه الوغى عن معناه الحقيقى الى معناه المجازى وقال انه المراد هنا اى كما يقتضيه سياق النظم لكن كان عليه ان يبين ما يشهد لذلك المراد من كتب السير وغيرها واذا تقرر انه صلى الله عليه وسلم قام على قدمه حتى تورمت وانها دميت فى الحرب ليكتسب طيب دمها الشهداء طيبا فهى حينئذ قطب المحراب و قطب الحرب

اى انتهى اليها الثبات فى الصلاة والحرب الى حالة لم توجد فى غيرها لانه صلى الله عليه وسلم لا اتقى ولا اخشى لله منه ولا اشجع كما مر فهى قطب العبادات والجهاد فى سبيل الله لا تتحرك ولا تنتقل من مكانها فلذا دارت عليها قبائل العرب الذين اكرمهم الله بطاعته للاقتداء به والمجاهدة معها كما قال وكم اى مرات كثيرة دارت عليها فى طاعة لله حال من قوله ارحاء اى قبايل وهذا تذييل وقطب الرحا ما يدور عليه واستفيد من ذلك انها مركز دائرة الوجود فهى نقطة الكون المخلوق لاجله ابتداء والمنصرف فيه انتهاء وبين المحراب والحرب تجنيس الاشتقاق وراه اى علم انه صلى الله عليه وسلم لو هى مع شرطها وجوابها سدت مسد المفعول الثانى ويصح ان ما جنت هو المفعول وجواب لو محذوف دل عليه ما جنت واعلم ان الكلام على لو كثر اختلاف العلماء فيه وقد اردت هنا ايراد خلاصته لانه مما يضطر الى معرفته فاقول هو شرط للماضى غالبا واختلفت عبارات النحاة فى معناها حتى قيل انهم لم يفهموه قال سيبويه هو حرف لما كان سيقع لوقوع غيره وقال البصريون حرف امتناع لامتناع واختلف فى مرادهم بذلك فقال ابن الحاجب مرادهم امتناع الشرط لامتناع الجواب لا عكسه لان انتفاء السبب لا يدل على انتفاء مسببه لجواز ان يكون للشى اسباب واستدل لذلك بقوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا لانها مسوقة لنفى تعدد الالهة بامتناع الفساد لا عكسه اذ لا يلزم من انتفائها انتفاؤه اذ المراد فساد نظام العالم عن حالته وذلك جائز ان يفعله الاله الواحد سبحانه انتهى وردوا عليه واطالوا وصوبوا

وسميت امير الجيش قطب رحا الحرب لانه انما تدور عليه

مبحث لو

ان المراد امتناع جوابها لامتناع شرطها كما هو المتبادر للافهام واعترض
ذلك بان الجواب قد لا يمتنع فى اماكن كثيرة نحو ولو ان ما فى الارض من شجرة
اقلام الاية وقول عمر رضى الله تعالى عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم
يعصه لان عدم النفوذ محكوم عليه به وجد الشرط ام لا وكذلك عدم
العصيان وجد الخوف ام لا فلذلك حرر جمع محققون العبارة عن معناها
فقالوا الحرف تقتضى امتناع ما يليه واستلزامه لتاليه من غير تعريض
لنفى التالى فقيام زيد من لو قام زيد قام عمرو محكوم بانتفائه وبكونه
مستلزما ثبوته لثبوت قيام من عمرو وهل لعمرو قيام اخر غير اللازم عن قيام
زيد او ليس له لا تعرض لذلك ثم ان ناسبه بان لزم الثانى الاول عقلا
او شرعا او عادة ولم تخلف المقدم فى ترتيب الثانى عليه غيره لزم انتفاؤه
بانتفائه كلو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ففسادهما لازم لتعدد
الالهة على وفق العادة عند تعدد الحاكم من التمانع فى الشئ ولم تخلف
التعدد فى ترتيب الفساد غيره فينتفى الفساد بانتفاء التعدد المفاد بلو
وان خلفه لم يلزم كلو كان انسانا لكان حيوانا فالانسان لازم للحيوان
عقلا لانه جزؤه وتخلف الانسان فى ترتب الحيوان غيره كالحمار ويثبت
الثانى مع انتفاء الاول ان لم ينافى انتفاؤه ناسبه اما بالاولى كاثر عمر
المرتب فيه عدم العصيان على عدم الخوف وهو بالخوف المفاد بلو انسب
للترتيب عليه ايضا فى قصده والمعنى انه لا يعصى الله مطلقا لا مع الخوف
وهو ظاهر ولا مع انتفائه اجلالا له تعالى عن ان يعصيه او المساوى

لكونه

٧٥

كقوله صلى الله عليه وسلم فى بنت ام سلمة لو لم تكن ربيبتى فى حجرى ما حلت لى انها
لابنة اخى من الرضاعة رواه الشيخان اى لا تحل لى اصلا لان لها وصفين
متساويين المصاهرة والرضاع لو انفرد كل منهما حرم او الادون كلو انتفت
اخوة الرضاع ما حلت للنسب الادون منه الرضاع لم يسكن هو لها اي
بقدمه قبلُ بالبنا على الضم حراً مفعول يسكن بالصرف هنا لا غير
لئلا ينزحف الوزن وفى غير هذا يجوز كل منهما بالاعتبارين المعروفين
كما مر ماجت اى تحركت واضطربت به اى القدم او النبى صلى الله عليه
وسلم وفى نسخة بها الذلما اعلم ان الشارح تكلم على هذا البيت بما خفا
ونظر لانه قال فى الذاما بالمعجمة كانه اراد سرعة الحركة وقال فى حله
ومن اوصافه انه لو لم يسكن بالقدم المذكورة حرا لما اراد التحنث فيه
ماجت به سرعة الحركة واستمر اضطرابه به صلى الله عليه وسلم كما انه
لما صعد احدا تحرك به فقال اثبت احد فذاك تسكين بالقول وهذا
بالفعل انتهى ولم يظهر من هذا الحل معنى مطابق للنظم وجعل سرعة
الحركة فاعل ماجت فى غاية الخفا مع عدم المناسبة لما قبله على انه فى
القاموس لم يذكر الذاما بالمعجمة اصلا ولا للذامة بالمعجمة معنى مناسبا
لسرعة الحركة ولا مقاربا لها اصلا وانما ذكر لا ذامة ما قد يناسب سرعة
الحركة وهو الرعب وعبارته فى ذامه بالمعجمة كمنعه حقره وذمه وطرده
وخزاه والاذام الرعب وما سمعت له ذامة كلمة انتهى وانما ذكر الداما
فى المهملة فقال دام الحائط كمنع دعمه وتداما الماء التى عمره والنحل

[illegible]

بخ
وعلى هذا التعويل والضبط شرح المالكى

مع ما قبله من الاعراب

الناقة بخللها وتدأمه الامر كتفاعله تراكم عليه وتراحم والداما البحر ثم
قال وجيش مدام كبير عركب لكل شئ انتمى والذي يتجه في حله ان ماجت جواب لو
وان الداما بالمهملة والها البحر وان فيها الاستعارة المصرحة لانه شبه
الجبل بالبحر لانه لما تحرك به صلى الله عليه وسلم اشبه تحركه تحرك البحر لانها
براكبه وان ماجت استعارة مرشحة لانه يناسب المشبه به وهو البحر
اذ لا يستعمل ماج الا في الما كما يصرح به كلام القاموس وح فالمعنى واعلم
انه لو لم يسكن بقدمه حرا قبل اى عند ابتدا تحركه بقوله له اثبت حرا
الى اخر ما مر في شرح قوله واهتز به للصلاة فيها حرا لماج اى استمر اضطرابه
وتحركه الى اخر الدهر لما مر انها هزة الطرب والسرور برقيه صلى الله عليه
وسلم وكان القياس لو لم يسكن بقدمه قبل حرا ماج لكن لما احتاج الى التشبيه
الجبل بالبحر فيما ذكر عدل عن ذلك الى ماجت الداما لافادة ما في
تشبيه الجبل بالبحر من البلاغة المبنية على الاستعارتين المذكورتين
فان قلت الذي مر في حرا انه انما قال له اثبت حرا ونحوه ولم يضربه
بقدمه وانما الذي ضربه بقدمه احد وثبير فمن اين للناظم قوله لو لم
يسكن بها قبل حرا قلت كانه نظر الى ما في مسند الحارث بن ابي اسامة في بعض الطرق
اذ فيها احد او حرا بالشك وصح في رواية احد او في رواية حرا فاقتضى
ذلك ان الضرب بالقدم الكريمة في حرا كما انه في احد ولك ان تحمل
النظم على ان المراد لو لم يسكن حرا اى قبل طلوعه عليه هو واصحابه بقدمه
عليه اى مشيه عليه واقامته فيه للتعبد قبل النبوة لاستمر توجه

واضطرابه

واضطرابه حين طلع عليه ثانيا هو واصحابه وح لا يرد على الناظم
شئ الان يقال المسكن له كل قدمه وقوله له اثبت او اهدحرا فلا من ح
وجه لتخصيص القدم بالذكر وقد يجاب بانه لا مانع ان المسكن له كل
من الامرين فنسبته الى القدم لا تنافي انه لا مسكن غيرها ولك ايضا
ان تجعل الدلما الارض تسمية للمحل باسم الحال وح فالمعنى لو لم
يسكن بقدمه حرا اى يتعبد فيه قبل النبوة لماجت به الارض بعد
النبوة فرحا وطربا الى اخر الدهر وخص حرا لانه صلى الله عليه وسلم
خصه بتعبده فيه دون غيره تنبيه اشار صلى الله عليه
وسلم في احد الى ان سبب تحركه به محبته له فقال احد جبل يحبنا ونحبه
رواه الشيخان قال الخطابي والمراد يحب احد حب اهل المدينة نحو
واسئل القرية ورده البغوي وتبعوه بانه لا مانع من حمله على ظاهره
٨٦ ولا ينكر وصف الجمادات بحب الانبيا والاوليا واهل الطاعة نظير
ما مر في حنين الجذع لما فارقه صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابن حجر
اكان يسلم على قبل النبوة وروى البزار وابو نعيم حديث لما اوحى
الى جعلت لا امر بشجر ولا حجر الا قال السلام عليك يا رسول الله
ولما ذكر جملة كثيرة من معجزاته صلى الله عليه وسلم التي من شاهدها
امن لها من فوره بين ان الكفار الذين شاهدوها ولم يردهم
الا ضلالا لا حقيقون بان يقال لي شانهم عجبا بدل من اللفظ بفعله
وهو الامر المستغرب الخارج عن قياس العقول للكفار اى شانهم

حال كونهم زادوا ضلالا بالنجم القران وغيره الذي فيه اي في
كل فرد من افراده للعقول السليمة الخلية عن العناد والخذلان
والحسد ومر الكلام على العقل وما فيه من الخلاف اهتدا الى
الدين الحق الذي جا به محمد صلى الله عليه وسلم والى صحة ما تحدى به
ويصح ان يراد العقول لا بالقيدين المذكورين حملا للاهتدا على
ما بالقوة وما بالفعل اذ المعجزة فيها الاهتدا بالقوة وان قارنها
عناد او خذلان وبين الضلال والاهتدا والجن والانس الاتيين
الطباق ووجه التعجب منهم واضح فانهم كانوا مع ما يشاهدونه من
الايات والمعجزات التي ترشد العقول الى الحق لا يزدادون لما
عندهم من الحسد والتلبيس على الضعفا منهم الا ابا وكفرا وتمردا
كما قال تعالى عنهم وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وعجبا ايضا
من الذي يسالونه منه على جهة التعنت والعناد وهو كثير منه
كتاب منزل معه عليهم من السما قد اتاهم به وهم يشاهدونه
وارتقا منه اليها وغير ذلك مما حكاه الله تعالى عنهم بقوله وقالوا
لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل
وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او تسقط السما كما زعمت علينا
كتابا نقراوه وقالوا له ايضا لقد علمت انه ليس احد من الناس اضيق
بلدا ولا اقل مالا ولا اشد عيشا منا فسل ربك فليسير عنا هذه
الجبال التي ضيقت علينا وليبسط علينا لنا في بلادنا وليجرِ فيها

كسفا او تاتي بالله والملايكة قبيلا او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السما ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا صح

مايشمل

الهادا

الهادا كانهار الشام وليبعث لنا من مضى من ابابنا وليكن فيهم قصي
ابن كلاب فانه كان شيخ صدق فان صدقوك صدقناك وما قررته
في هذا البيت اولى مما قرره الشارح فيه من ان الذي مبتدا خبره
كتاب وارتقا معطوف عليه لانه لا تعلق له بما قبله ولا بما بعده مع
ما فيه من غموض المعنى بخلاف ما ذكرته فان مناسبته لما قبله وكذا
لما بعده كما يدل عليه الاستفهام التعجبي الانكاري عليهم في قوله
ا يقولون ذلك كله ويتعنتون به ولم يكفهم عن ذلك كله من الله
حال من فاعل يكف وهو ذكر واصل اليهم وتسميته ذكرا جات في اية
مرادا به الشرف كما في وانه لذكر لك ولقومك وفي اخرى مرادا
به انه مذكر لكل ما ينفع ومحذر عن كل ما يضر فيه للناس والجن بل
والملايكة رحمة باهتدا المومنين به وتاخيره عنه ابا لاستعمال
عن الكافرين بركة كونه بين ظهرانيهم وشفا من كل دا ظاهر او باطن
حسي او معنوي كما قال تعالى قل هو للذين امنوا هدى وشفاء
وتخصيص الهدى بالمومنين لانهم المقصودون بذلك بالذات
وغيرهم بطريق التبع وانما قلت والملايكة لقول بعض اكابر
ايمتنا ان الملايكة لم يعطوا فضيلة حفظ القران لكنهم حريصون
على استماعه من غيرهم قال العلما لم ينزل الله من السما شفا قط
اعم ولا انفع ولا اعظم ولا انجع في ازالة الدا من القران فهو
للدا شفا ولصدا القلوب جلا كما قال تعالى وننزل من القران

واضحة

٧٧

ما هو شفا ورحمة للمؤمنين قال الفخر الرازي وغيره ومن ليست
للتبعيض بل للجنس والمعنى وننزل من هذا الجنس الذي هو
القران شفا من الامراض الروحانية كالاعتقادات الفاسدة في الالهية
والنبوة والمعاد وفي القران من النصوص القاطعة بفساد تلك
ما يكفي ويشفي وكالاخلاق المذمومة وفيه اوضح بيان لانواعها
وحض على اجتنابها ومن الامراض الجسمانية بالتبرك بقراءته عليها
لكن مع الخلوص وفراغ القلب من الاغيار وقربه واقباله على الله
تعالى بكليته وعدم اكل الحرام وعدم رين الذنوب وعدم استيلاء
الغفلة على القلب وصح حديث ان الله تعالى لا يقبل الدعاء من قلب
غافل لاه وقراءته ممن هذه حالته على اي مرض كان مبرئة له وان
اعيى الاطبا ومن ثم قال بعض الائمة متى تخلف الشفا فهو اما
لضعف تاثير الفاعل او لعدم قبول المحل المنفعل او لمانع قوي
فيه يمنع ان ينجع فيه الدوا كما يكون ذلك في الادوية والادوا
الحسية وقد روي حديث من لم يستشف بالقران لا شفاه الله
تعالى نعم روى ابن ماجة انه صلى الله عليه وسلم قال خير الدوا القران
وعن العارف الامام الكبير ابي القاسم القشيري رحمه الله تعالى
ان ولده اشتد به مرض فانزعج عليه فراى النبي صلى الله عليه وسلم
فشكا اليه ما بولده فقال له اين انت عن ايات الشفا اي وهي
ست ايات مشهورة فكتبها ومحاها بما وسقاها له فكانما نشط

من

من عقال ثم استطرد بذكر شي مما اشتمل عليه القران العزيز من المعجزات
الباهرة والايات الظاهرة فمن ذلك بل اعظمه في قمع المعارض وادحاض
الجاحد انه **اعجز** قيل علم اعجازه ضروري والاصح انه محله فيمن شاهد
النبي صلى الله عليه وسلم او علم وجوه الاعجاز وظاهره ان المشاهد تحصل
له العلم الضروري باعجازه وان لم يعلم وجوه الاعجاز ولا يستبعد
ذلك لان من كشف عن قلبه الغطا عند المشاهدة يحصل له قطعا
العلم الضروري باعجازه انه رسول الله وما جاء به من عند الله وانه
معجز للخلق عن محاكاته لان هذا امر يدركه الذوق السليم وان
لم يمكن صاحبه ان يعبر عنه بل لو ادعى مدع ان ذلك قد يحصل لبعض
حذاق العوام لم يبعد لا سيما وكل يدرك فرقا بديهيا بين القران
وغيره عند سماعهما **الانس اية** عبر بها تبعا للقاضي ولم يبال بان
الذي عليه الجمهور ان اقل ما وقع به التحدي اقصر سورة منه وهي
ثلاث ايات او مثلها طلب منهم صلى الله عليه وسلم ان ياتوا بمثله
فعجزوا فطلب منهم ان ياتوا بعشر سور من مثله فعجزوا فكان اقل ما
طلب منهم قدر اقصر سورة من سوره وذلك لان في دليل الجمهور
شيا اذ لا يلزم من كونه لم يطلب منهم قدر دون السورة انهم
قادرون على اقل منها لان المشاهدة قاضية بانهم عجزوا حتى
عن بعض الاية المفيد كما يفيده قول الناظم الاتي او بعضها لان
في ارتباطها بما قبلها وبعدها انواعا من بدايع الحكم لا تحيط

فطلب منهم ان ياتوا بسورة من مثله فعجزوا صح

٨٨

لا وجود لها في كلام الناظم وانما هو مبني على التحريف الذي نبهت عليه فيما يأتي

لها غيره صلى الله عليه وسلم فالحق انهم عاجزون عن محاكاة اية من
اياته حتى تم نظرا و بعضها المفيد لكن مع النظر لمناسبتها لما قبلها
وما بعدها واما التصريح بانه لم يقع التحدي الا عن ثلاث ايات فترده
المشاهدة الخارجية اذ لم يسمع من احد قط انه حاكا شيئا منه والجن
الجن اية منه ايضا وذكرهم كالانس لان التحدي وقع لهم ايضا لانه
صلى الله عليه وسلم مبعوث اليهم اجماعا وزعم انهم انما ذكروا تعظيما
لاعجازه لانهم ليسوا من اهل اللسان العربي يرد بان الاية تقتضي
انهم يحسنون العربي فادعا خلافه يحتاج لدليل قيل ولم يذكر اللسان
الملايكة لانه صلى الله عليه وسلم ليس مرسلا اليهم ويرد بان الاصح
خلافه ومن ثم قال بعضهم انهم مستويون في الاية ايضا وانهم لا متوبون
يقدرون على معارضته اي وكان حكمة عدم ذكرهم عصمتهم عن
المخالفة فلم يحسن تحديهم وعلى كل فلم يستطع احد من الفريقين بل
الثلاثة في زمنه صلى الله عليه وسلم ولا بعده ان ياتي بمثل اية او
سورة منه على نظمه البديع وتاليفه المنيع وعذوبة منطقه وما
فيه من الامثال والاخبار بالمغيبات ودلايل البعث والنبوة
والاخلاق الكريمة وضدها وهذا مقتبس من قوله تعالى قل
لين اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون
بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وح فهلا هي في اصلها للتحضيض
والمراد به هنا التهكيم ونظيره من حيث ان لولا بمعنى هلا فيثبت

لهذه

لهذه ما التلك فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله الاية فهي هنا للتوبيخ
والتنديم فكذلك هلا هنا للتوبيخ من يزعم امكان المعارضة كبعض
اهل الضلال والالحاد باتي ببعضها اي الاية والمراد ببعضها المفيد
وفي نسخة شرح عليها الشارح به والاحسن عود ضميره على ما ذكر من الاية
واعاده على القران وما قلناه ابلغ البلغاء جمع بليغ والفرق بين الفصاحة
والبلاغة ان الاولى خلوص اللفظ من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة
القياس اللغوي ويوصف بها الكلام والمتكلم والكلمة والثانية مطابقة
الكلام لمقتضى الحال بان يدل على ما يقتضيه حال المتكلم او المخاطب
او المحكي من تنكير او اطلاق او تقديم او اضمار او ايجاز او فصل وضد
كل ويوصف بها ما عدا الكلمة وبلاغة المتكلم ملكة يقتدر بها على ايراد
الكلام البليغ غير محتاج الى تعقب او استدراك وافاد الناظم رحمه الله
بهذا ان البلغا فضلا عن غيرهم مع انهم العرب الفصحا والخطبا البلغاء
والشعرا الفهما في قريش وغيرهم والمتقدمون في اللسن والتبيان والرؤساء
في قوانين المعاني والبديع والبيان والفرسان في ميادين الفصاحة
والشجعان في مهامه البلاغة اظهروا عوار عجزهم عن المعارضة وعثار
عقلهم عن المناقضة ومن ثم كان عجزهم عن ذلك اعجب في الاية واوضح
في الدلالة من احيا الموتى وابرا الاكمه والابرص لان قوم عيسى لم يكونوا
يطمعون في ذلك ولا يتعاطون علمه وقريش كان اعلا اربهم ومنتهى طلبهم
التفنن في افنية الفصاحة والتنزه في رياض البلاغة والتقدم في

اعاجيب الخطابه • واساليب البداعه • فدل عجزهم عنه مع ذلك على انه انما
هو لكونه من اعلام نبوته • وبراهين رسالته • وهذه حجة قاطعة وحجة
ساطعه • اذ محال ان يلبثوا ثلاثا وعشرين سنة على السكون عن معارضة
اية من المتلزمة لنقض امره وتفريق اتباعه وزوال شوكته وحيازة المستلزمة صح
مرتبة مع قدرتهم عليها وطلبها منهم وقتل اكابرهم وسبى ذراريهم
وهو لا يزداد الا تقريعا لهم لعجزهم حتى يكشف من نقصهم ما كان مستورا
وقال لهم ان زعمتم انى افتريته لعلمى باخبار الامم فاتوا بمفترى مثله فلم يرم
ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر ولا تكلفه مصقع ولا الظهر وصدر من يستجيده
ويحامى عليه ويزعم بمجرد الدعوى انه عارض وناقض فاذا لم يوجد ذلك مع ان
كثيرا منهم هجاه وعارض شعر اصحابه وخطباء امته قطع بعجزهم وتحيرهم وانقطاعهم
ومن ثم قال الخطابى قد كان صلى الله عليه وسلم اعقل خلق الله وقد قطع القول
بان ما اتى به من عند ربه معجز وانهم لا ياتون بمثل اقصر سورة منه فلولا انه
على بينة واضحة من ربه والا لم يقطع بشئ من ذلك على انه لم يزل ينادى عليهم
بالعجز عن معارضته • وبالتقصير عن بلوغ الغرض فى مناقضته • فلم يستطع
احد منهم ان يناويه • ولا يرفع راسه ان يباريه • بل رضيت هممهم السرية
وانفسهم الابيه • اذ كانوا انف شى واشده حميه • بسفك الدما وهتك
الحرم ولذلك قال العلما من اعلى وجوه اعجاز القران ان فصاحته وبلاغته
خرقت عادة العرب مع انهم اوتوا منهما ما لم يوته غيرهما لانهم كانوا ياتون
منهما على البداهة بالامر الاعجب • ويدلون به الى كل سبب • فيخطبون بديها

عند شدة الخطب • ويرتجزون به بين الطعن والضرب • ويترسلون فى اوديتهما
اللالى صح فياتون منهما بالسحر الحلال • ويتطوقون من دررها اجمل من سمط الجمان • فلا
يشك عاقل انهما طوع مرادهم • وسلك قيادهم • فما راعهم الا رسول كريم •
بكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد •
بهرت بلاغته العقول • وظهرت فصاحته على كل مقول • وهم افصح ما
كانوا فى هذا الباب مقالا • واشهر ما وجدوا فى الخطابة والشعر رجالا •
صارخا فيهم فى كل حين • مقرعا لهم على روس الملا اجمعين • فاتوا بسورة
مثله والا فانتم المردودون الى اسفل سافلين • ثم لم يزل يقرعهم • ويوبخهم
ويسفه احلامهم • ويحط اعلامهم • ويشتت الهتهم • ويستبيح نفوسهم
واموالهم • وهم لا يزدادون الا تقهقرا عن المعارضة لم ياتوا بمقال •
صابرون على الجلا والقتل والصغار والاذلال • ناكصون عن معارضته •
محجمون عن مماثلته • يخادعون انفسهم بالتشغيب • والتكذيب • والاعتراف
بالافترا فى قولهم ان هذا الا سحر يوثر وسحر مستمر وافك افتراه واساطير
الاولين • والمباهتة والرضى بالدنيه كقولهم قلوبنا غلف • وفى اكنة
مما تدعونا اليه وفى اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب • والادعا
مع ظهور غاية العجز عليهم بقولهم لو نشا لقلنا مثل هذا • وقد قال لهم
تعالى ولن تفعلوا فما فعلوا وما قدروا ولو اطاقوا ادنى معارضة
لبادروا اليها والجوا الخصم الذين كانوا محافظين على اطفاء نوره •
واخفا اموره • مع طول الامد • وكثرة العدد • وتظاهر الوالد وما ولد •

بل ابسلوا فابسوا وقطعوا فانقطعوا هذا كله والاتى اليهم به مكث بين ظهرانيهم
اربعين سنة امّيًا لا يحسن نظم كتاب ولا عقد حساب ولا تعلم سحرا ولا انشد
شعرا ولا يحفظ خبرا ولا روى اثرا حتى اكرمه الله بالوحى المنزل والكتاب
المفصل قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب
المبطلون روى البيهقى وغيره ان عقبة بن ربيعة قام من جمع قريش الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد وحده فعرض عليه المال وغيره ليكف
عما هو فيه فقال له اسمع منى وقرا بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم
الى ان بلغ السجدة فسمع ما بهره فقال للنبى صلى الله عليه وسلم انت وذاك فقام
الى اصحابه فقال بعضهم لبعض لقد جاءكم بغير الوجه الذى ذهب به اليه فقالوا
له ما وراك قال سمعت قولا ما سمعت مثله قط فوالله ما هو بشعر ولا سحر ولا كهانة
اطيعونى معشر قريش وخلوا بينه وبين ما هو فيه فليكونن له نبأ ولما بلغ فقد
انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود امسكت فمه وناشدته الرحم ان
يكف وقد علمتم انه اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب وروى
ابن اسحاق والبيهقى ان الوليد بن المغيرة وكان زعيم قريش فى الفصاحة
طلب منه ان يقرا عليه فقرا عليه ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية
واستعاده اياها فاعادها فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة
وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو وما يعلى وما يقول هذا
بشر وما منكم اعلم منى بالشعر واجمعوا فيه رايا قبل حضور وفود العرب فى
الموسم لئلا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن قال ما هو بزمزمة

ولا بسجعه قالوا مجنون قال ما هو بخنقه ولا بوسوسته قالوا شاعر قال
قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه وبسطه ومقبوضه ما هو بشاعر
قالوا ساحر قال ما هو بنفثه ولا بعقده وما انتم قائلون من هذا شيئا
أنا الا واعلم انه باطل وروى الحاكم ان هذا الشقى لما رق لقراءة القران عليه جاءه
ابو جهل فقال يا عم ان قومك يرون ان يجمعوا لك مالا لانك اتيت محمدا للمال
فقال قد علموا انى من اكثرهم مالا قال فقل فيه ما يعلم قومك انك كاره له
فقال ماذا اقول وذكر ما مر من مدح القران قال لا يرضى عنك قومك حتى
تقول فيه قال فدعنى حتى افكر فلما فكر قال هذا سحر يؤثر اى ينقله عن
غيره فتامل فضائح هؤلاء الاشقياء على انفسهم بالعناد والجحد والسفساف القبيح
والنقول الباطل ومع ذلك لم يزدادوا الا ضلالا وعنادا وطغيانا وفسادا
وما احسن ما قيل لو وجد مصحف بفلاة لشهدت العقول السليمة بانه من
عند الله فكيف وقد جاء على يدى اصدق الخلق وقال انه من عند الله وتحداهم
باقصر سورة منه فعجزوا هذا وقد علم مما تقرر وجوه الاعجاز اجمالا واما تفصيلها
فقد بينها الائمة بما حاصله انه ينحصر مقصود اعجازه فى امور اربعة وعدها
بعضهم اكثر من ذلك وهو يرجع الى ما قلناه احدها ما فيه من الاعجاز
والايجاز والبلاغة والتراكيب بحيث وصل فى كل منها ومن مراتب البلاغة
فيها الى المرتبة العليا لفظا ومعنى لصدوره ممن احاط علمه بجميع مراتب
الالفاظ ومعانيها ولا يضع لفظة عقب لفظة الا اذا لم يوجد غيرها
ابلغ ولا انسب منها وغيره ليس كذلك ومن ثم لما سمع اعرابى فاصدع

بما نوم سجدو قال سجدت لفصاحة هذا الكلام ولما سمع نصرانى قوله تعالى
ومن يخش الله ويتقه الاية قال جمعت هذه الاية ما انزل على عيسى من امر الدنيا
وامر الاخرة ولقد رام بعض سخفا العقول محاكاة بعض قصار المفصل
فاتى من الهذيان بالعجب العجاب كقول مسيلمة الكذاب اللعين يا ضفدع
كم تنقين اعلاك فى الما واسفلك فى الطين لا الما تكدرين ولا الشراب (الشراب)
تمنعين وقوله محاكيا للنازعات والذاريات ذريا والمزارعات
زرعا والحاصدات حصدا والذاريات قمحا والطاحنات طحنا والخابزات
خبزا والثاردات ثردا واللاقمات لقما لقد فضلتم على اهل الوبر وما
سبقكم اهل المدر وقال الم تر كيف فعل ربك بالحبلى اخرج من بطنها
نسمة تسعى من بين شراسيف واحشى وقال الفيل وما الفيل وما ادراك
ما الفيل له ذنب وثيل ومشفر طويل فان ذلك من خلق ربنا لقليل ثانيهما
انه مع كونه من جنس كلام العرب خارج عن سائر فنونه من النظم والسجع
والخطب والشعر ونحوها فحيرت عقولهم حتى لم يهتدوا الى شى منه اذ لا مثال
له يحتذى عليه ولا امام يرجع عند الاشتباه اليه ولقد رام قوم من المتاخرين (مغنوى)
انتهت اليهم فصاحة وقتهم شيا من محاكاته فاعترتهم هيبة قطعتهم عن ذلك
ومنهم من فصل كلاما وجعله سورا فسمع صبيا يقرا وقيل يا ارض ابلعى
ماءك وياسما اقلعى وغيض الما وقضى الامر فتاب ومحا ما عمل ثالثها
تاثيره فى النفوس والقلوب بحيث تجد من اللذة والحلاوة عند سماعه
ما لا تجد عند غيره ومن ثم كان قاريه وسامعه لا يمله بل كلما زاد تكريره

زادت

زادت حلاوته وانفتحت طلاوته رابعها ما فيه من الاحاطة بعلوم الاولين
والاخرين ما فرطنا فى الكتاب من شى ومن الاخبار بالمغيبات مما كان
ويكون نحو ولن تفعلوا ولا يتمنونه ابدا فما فعل مثله مخلوق ولا تمنى
الموت يهودى وهذه ايضا من ابهر المعجزات قال بعض المحققين اعجازه
من وجهين اما الذاته من حيث لفظه ومعناه المخصوصان اذ تاليفه
ليس على هيئة ما يتعاطاه البشر اذ لا يصح ان يقال له رساله ولا
خطابه ولا شعر ولا سجع وفنون كلام العرب لا تخرج عن ذلك واما
لصرف الناس عن معارضته والاعجاز فى هذا ظاهر ايضا اذا اعتبر
وذلك انه ما من صناعة محمودة او مذمومة الا وبينها وبين قوم
مناسبة خفية واتفاق جلى ولهذا تجد هذا يوثر حرفة لانشراح
صدره لها وذاك يكرهها وينشرح لاخرى وهكذا فلما دعا الله اهل
الخطابة الذين يهيمون فى كل واد من المعانى بسلاطة لسانهم الى
معارضة القران فعجزوا عن الاتيان بمثله ولم يتصدوا لمعارضته لم تخف
على اولى الالباب ان صارفا الهيا صرفهم عن ذلك واى اعجاز ابلغ من (الهيا)
ذلك انتهى ملخصا وحاول بذلك توجيه القول بالصرفة مع انه
للنظام من المعتزلة لكن افسدوه بان قوله تعالى قل لئن اجتمعت
الانس والجن الاية دليل ظاهر على عجزهم مع بقا قدرتهم ولو سلبوا
القدرة لم يبق فائدة لاجتماعهم لانه ح بمنزلة اجتماع الموتى وليس عجز (لم يبق)
الموتى مما يحتفل بذكره هذا مع ان الاجماع منعقد على اضافة الاعجاز

الى القران والقول بالصرفة يلزمه اضافته الى الله تعالى لا الى القرآن وح يلزمه
زوال الاعجاز بزوال زمان التحدى وفيه خرق لاجماع الامة ان معجزة
الرسول العظمى باقية ولا معجزة له باقية اظهر من القران ويلزم الصرفة
ايضا انه لا فضيلة للقران على غيره فان **قلت** القول بعجزهم مع
بقا قدرتهم فيه الجمع بين النقيضين وهو محال **قلت** معنى قدرتهم ان
هممهم توجهت الى المحاكاة لظنها القدرة عليها فعجزت وعلى القول
بالصرفة لم يتوجهوا المعارضة اصلا لقطعهم من نفوسهم بعجزها وانه لا
قدرة لها عليه البتة فان **قلت** توجه الهمم البهائم العجز عنها في
نفس الامر لا يسمى قدرة **قلت** ممنوع بل يسمى قدرة باعتبار العرف
وقطع النظر عن الغايات ولاشك ان اهل البلاغة لا يقطعون بسلب
القدرة مع المحاكاة ابتدا بل بعد الاختبار فتامله لتعلم سقوط ما قيل
كيف يخاطبون بالتحدى مع القطع بعجزهم عنه ونظير ذلك خطاب
من علم الله منه عدم الايمان بالايمان كابى جهل وابى لهب نظرا لقدرتهما
عليه باعتبار الظاهر واعراضا عن النظر للغايات والعواقب ومن
المفاسد ايضا قول فريق ضلال ان الكل قادرون على الاتيان
بمثله وانما تاخروا عنه لعدم العلم بوجه ترتيب لو يعلموه لوصلوا اليه
به واخرين ان العجز انما وقع من الموجودين واما من بعدهم ففى قدرتهم
الاتيان بمثله ومما يرد عليهم ان جماعة ممن انتهت اليهم الرياسة
فى الفصاحة تعرضوا لمعارضته كابن المقفع والمعرى والمتنبى

ونظايرهم

ونظايرهم فلم ياتوا الا بما تمجه الاسماع وتنبو عنه الطباع ونادى عليهم بالخزي
والانقطاع وصيرهم مثلة وسخرية وضحكة الى ان تاب اكثرهم واظهر ندمه
ونسكه ولاشتمال القران على ما لا يحصى من العلوم والمغيبات واحوال العالم الدنيوى
والاخروى وغير ذلك من العجايب كان **لكل يوم** اى وقت **تمدى** فاعله القر اى
توصل وافاد التعبير به تشبيه المعجزات بالتحف المهداة فهو استعارة بالكناية
يتبعها استعارة تخييليه **الى سامعيه معجزات** مر بيان المعجزة بما يتعين الوقوف
عليه ليعلم منه ان المراد بها هنا الامر الغريب وان لم يصدق عليه حد المعجزة
السابق مبتداة **من لفظه** لعذوبته وانسجامه وجزالة معناه وغاية
ايجازه مع غاية بلاغته وبيانه مع فصاحته وخروجه عن جنس كلام العرب
حتى صار جنسا اخر متميزا عنه مع اتحاد الحروف والاصطلاح وكثرة اخباره
الصادقة تارة عن الامم الماضية واخرى عن المغيبات وما فيه من العلوم
التى لا يمكن حصرها ونقل الامام ابن سراقة من اصحابنا ان كل واحد من هذه راى
قوم انه سبب اعجاز القران ثم اعترضهم بانهم كلهم ما بلغوا فى وجوه اعجازه
جزا واحدا من عشر معشاره وتبعه البدر الزركشى فقال اهل التحقيق
على ان الاعجاز وقع بجميع ما سبق لاشتماله على الكل فنسبته الى احدها
اى وحده تحكم بل فيه غير ذلك ككونه لا يزال غضا طريا على الالسنة
وفى الاسماع وجمعه صفتى الجزالة والعذوبة وهما كالمتضادين اذ
لا يجتمعان غالبا فى كلام البشر وكونه مستند كل على جميع الكتب قبله فهى
مفتقرة اليه وهو غنى عنها ومن ثم كان ابهر فى الاعجاز من سائر معجزات

الانبيا بل ومعادلا للكل لان سبيلها واحد وهو مخالفة العادة وهو سبله
كثيرة كما تقرر فی وجوه الاعجاز وسيل بعضهم ما موضع الاعجاز من القران
فقال هذا اشبيه بقولك ما موضع الانسان من الانسان ومعناه انه
ليس للانسان موضع من الانسان بل متى اشرت الی جملته فقد حققته
ودللت على ذاته كذلك القران لشرفه لا يشار الی شی منه الا وكان ذلك
المعنی آية فی نفسه ومعجزة لمحاوله وهدی لقايله وليس فی قدرة البشر
الاحاطة باسرار الله من كتابه فلذلك طارت العقول وتاهت البصاير
عنده واختلفوا فی تفاوته فی مراتب الفصاحة بعد اتفاقهم علی بلوغه
الذروة العليا فاختار القاضی المنع وان التفاوت ادراك الناس
له واختار ابو نصر القشيری وغيره فقا وتم وتبعهم بن عبد السلام
ولم يات كله بالافصح ليلا تخرج عن نمط كلام العرب فجا علی نمط كلامهم
ليتم ظهور بقا العجز عن معارضته القرآن لان من سمع الفاظ القران
وتدبرها حق تدبرها علم من كل لفظ منها باعتبار ما دل عليه امرا معجزا
لا يعارض ولا يناقض واذا بلغ القران فی الجلالة التی مرت الاشارة
اليها ما لم يبلغه غيره كان حقيقا بانه تحلی به ای بسماعه المسامع وتحلی
من التحلية بالفاظه الافواه من الحلو فهو الحلی راجع للاول والحلوا
راجع للثانی رق ای حسن لفظا ای من جهته فلا تجد لفظة منه
فيها ما ينافی كمال الرقة الموجبة للفصاحة من تنافر او تعقيد
وراق ای تصفی من شوائب النقص فاعجب كل ناظر فيه معنی ای من

جهة

جهته فلا تجد معنی من معانيه الا وهو واصل فی الاحكام ووضوح المراد
الغاية القصوی ففی رق وراق والحلی والحلو الجناس كحلاها وحليها وصور
وسور والنظاير والنظر الاتيان والمسامع والافواه واللفظ والمعنی
مراعاة النظير كالرقة والصفا والايات والحروف والمبنی الاتيان
وفيما بعدها اللف والنشر المرتب فبسبب كون سوره رقت وراقت
جات فاعله الخنسا وما قبله حال منه ای حال كونها فی حلاها ای
صفاتها الجميلة وحليها ای زينتها الخنسا بنت عمرو وخصها من بين
كثيرات سميت بذلك لانها كانت شاعرة مفلقة كما ياتی بسط الكلام فی
ترجمتها شبه سور القران فی صفاتها العلية وتزيينها بما اودعته
من الاسرار البهية بامراة بلغت من الزينة واوصاف الحسن ما لا
يمكن التعبير عنه وارتنا ای اوضحت لنا وفاعله رقة الاتی فيه
ای القران غوامض ای خفايا فضل كالعلوم والمعارف المستنبطة التی
لا حد لها ولا غاية ومن ثم جا عن علی كرم الله تعالی وجهه لو شيت ان
اوقر بعيرا من تفسير سورة الضحی لفعلت رقة كما بينه من زلالها الزلال
ما فی غاية الحلاوة والبرودة يوجد فی نحو الثلج تشبيه الحيوان وليست
فی الحقيقة بحيوان كما قاله بعض اكابر ايمتنا وصفا من ذلك الزلال
شبه ای القران فی محاسن اساليبه وصفا موارده الموجبين لمن
حدق فی خفاياه بما حديد نظره وحقق فی غوره بما دقيق فكره برد اليقين
وصفا القلب عن كل سوی حتی اطلع علی ساير الغوامض من العلوم الالهية

اجواف سور توصد فی صح

والمعارف الاختصاصية والمواهب الرحمانية والمآدب الروحانية بما في غاية
العذوبة والبرودة وصفا الجوهرية ورقتها بحيث لا يمنع ما تحته رؤية مما
من شانه ان يخفى فهذا الذي قررته من برد اليقين وصفا القلب يعلم
ان ذلك انما يحصل لمن انصقلت مرآة فكره كما اشار لذلك بكلام جامع
بديع على عادته فقال انما تجتلي الوجوه اي تظهر ظهورا واضحا
لا خفا معه بوجه اذا قوبلت بالمراة اذ ما دائرة جليت اي ازيلت
وبين هذا وتجتلي تجنيس الاشتقاق عن مراتها بكسر الميم والمد الاصداء
فكذلك مراة القلوب لا تجتلي لها العلوم والمعارف من القران الا اذا
جليت عنها اصدا الاغيار واذا بت قواها فيما هي بصدده انا الليل
واطراف النهار سور جمع سورة وهي الطائفة المخصوصة المسماة باسم
مخصوص توقيفي منه لبيان الجنس لان ما ياتي ليس خاصا ببعض سورة بل
يشملها كلها اشبهت لاشتمال كل منها على معادات من العلوم وغيرها
مستقلة بها لا تتوقف على ما في الاخرى ومن ثم وقع التحدي باقصر سورة
منه صورا جمع صورة وصورة الشي شكله منا في اشتمال كل منها على
عقل وادراك وفهم وخلق لا يشارك فيه غيره ولا يتوقف على ما في غيره
وكان الناظم قصد بهذا التشبيه الرد على من زعم ان الاعجاز انما هو لمجموع
القران لا بكل من سورة لان ما فيه من انواع الاعجاز انما يستفاد
من مجموعه وهذه مقالة فاسدة لا يعول عليها لمنافاتها لقوله تعالى فاتوا
بسورة من مثله كما مر بيانه فالصواب خلاف هذه المقالة بل

قابلوها



قابلوها معتزلة لا يقام لهم وزن ومثل النظائر جمع نظير النظرا جمع نظرا
ايضا وهو المثل والمناظر ونطلق النظائر على الاماثل والافاضل وكل منهما
يصح ان يكون مرادا هنا خلافا للشارح وهذا ساقه كالمثل لما قبله
فيكون من التذييل اي ومثل تلك السور التي هي نظائر كما قال بن مسعود
ولقد عرفت النظائر الذي كان يقرا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي عشرون
سورة الاماثل والافاضل الذين يتناظرون في التحلي بالفضائل والتخلي عن
الرذائل والاقاويل جمع قول والمراد به هنا اللفظ المفيد عندهم اي الكفار
ظرف للمبتدا او خبره وهو كالتماثيل جمع تمثال وهو الصورة يعني ان تقولهم
في القران وافتراهم عليه بما يقدح في حقيقته امر مزخرف مموه بالاباطيل
كما ان التصاوير التي يخترعها المصورون كذلك فكما ان هذه لا وجود لها
في الحقيقة ولا اعتبار بها فكذلك تقولهم المذكور واذا تقرر لك ان جميع
ما قالوه في القران باطل قطعي البطلان فلا يوهمنك الخطباء اي فاحذر
ان يوقع مزخرفوا الكلمات بتشدقهم وتفاصحهم في ذهنك ادنى ريب
او شك في شي من اوصاف القران التي مر بيان بعضها وما ينبه على ما بقي منها
كم اي مرات كثيرة ابانت اي اوضحت اياته جمع اية وهي لغة العلامة
واصطلاحا قران مركب من جمل ولو تقديرا ذو مبدا ومقطع مندرج
في سورة قاله الجعبري ويشكل عدهم نحو ثم نظر في المدثر اية اذ ليس
في هذه جمل ولا تقديرا فالاولى قول غيره طائفة من القران منقطعة عما
قبلها وما بعدها لكن قوله من القران الاولى ان يقول بدله من السورة

بأنه نظاير جمع نظير وهو المثل
والنظراء جمع نظير ايضا الاماثل
ويكون جمعا لنظيرة وهو المثل

وسميت الاية بذلك لانها علامة على صدق الاتي بها وعلى عجز المتحدين بها ويابى قريبا
عد آي القران من زايد في الاثبات كما هو راي جماعة علوم لا غاية لها كما
قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء وقال ونزلنا عليك الكتاب تبيانا
لكل شيء وفي حديث الترمذي وغيره سيكون فتن قيل وما المخرج منها قال كتاب
الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم واخرج سعيد بن منصور
عن ابن مسعود قال من اراد العلم فعليه بالقران فان فيه خبر الاولين
والاخرين قال البيهقي يعني اصول العلم واخرج عن الحسن انزل
الله مائة واربعة كتب اودع علومها اربعة منها التوراة والانجيل
والزبور والفرقان ثم اودع علوم الثلاثة الفرقان اي مع زيادات
لا تنحصر ومن ثم قال الشافعي رضي الله تعالى عنه جميع ما تقوله الامة
شرح للسنة والسنة شرح للقران وقال ايضا جميع ما حكم به النبي
صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القران وما ثبت ابتدا بالسنة فهو
في الحقيقة ماخوذ منه لانه اوجب علينا اتباعه صلى الله عليه وسلم ولهذا
قال مرة بمكة سلوني عما شئتم اخبركم من كتاب الله تعالى فامتحن بدقايق
فاستنبطها من القران منها لو قتل محرم زنبورا هل عليه جزا فاستنبط
منه انه لا جزا عليه لان عمر رضي الله تعالى عنه امر بقتله والنبي صلى الله عليه
وسلم قال اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر والله تعالى يقول
وما آتاكم الرسول فخذوه الاية وتبعه ابن العربي فقال ما في العالم علم الا وفي القران ما يدل عليه
فقال واحد ما قال صلى الله عليه وسلم او حكم او قضى بشي الا وهو او اصله
شيء

في القران قرب او بعد وقال اخر ما من شيء في العالم الا وهو فيه فقيل له فاين
ذكر الخانات فيه فقال في قوله تعالى ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة
فيها متاع لكم فهي الخانات وقال اخر ما من شيء الا ويمكن استخراجه
من القران لمن فهمه الله تعالى حتى ان عمره صلى الله عليه وسلم ثلاثا
وستين سنة استنبط من اخر سورة المنافقين لانها راس ثلاث
وستين سورة وعقبها بالتغابن لظهوره بفقده صلى الله عليه وسلم وقال
اخر لم يحط بالقران الا المتكلم به ثم نبيه صلى الله عليه وسلم فيما عدا
ما استاثر الله تعالى بعلمه ثم ورث عنه معظم ذلك اعلام الصحابة
مع تفاوتهم فيه بحسب تفاوت علومهم كابي بكر فانه اعلمهم بنص ابن
عمر وغيره وكعلي كرم الله تعالى وجهه لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث
الحسن خلافا لمن زعم وضعه انا مدينة العلم وعلي بابها ومن ثم
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اما اثرته لكم من التفسير فانما هو
عن علي كرم الله تعالى وجهه وكابن عباس جميعهم حتى قال لو ضاع لي عقال
بعير لوجدته في كتاب الله ثم ورث عنهم التابعون معظم ذلك
ثم تقاصرت الهمم عن حمل ما حمله اوليك من علومه وفنونه فنوعوا
علومه انواعا ليضبط كل طايفة علما وفنا ويتوسعوا بحسب
مقدرتهم ثم افرد غالب تلك العلوم وتلك الفنون التي كادت
تخرج عن الحصر وقد بين هذا القايل وجه استنباط غالبها
منه بما ليف لا يحصى وقال اخر علومه خمسون علما واربعمائة علم

وسبعة آلاف علم وسبعون ألف علم على عدد كلم القرآن مضروبة في أربعة
اذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومقطع ويضم لذلك اعتبار تركيب ما بينها
من روابط لكن هذا لا يحصيه الا المتكلم به تعالى نعم ام علومه ثلاثة
توحيد ووعظ وحكم ومن ثم سميت الفاتحة امه لاشتمالها على هذه
الثلاثة والاخلاص ثلثه لاشتمالها على الاول وقال ابن جرير الثلاثة
التوحيد والاخبار والديانات وقال اخر اشتمل القرآن على كل شيء
كما قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء اما العلوم فلا تجد مسئلة
هي اصل الا وفي القرآن ما يدل عليها وفيه عجايب المخلوقات وملكوت
السموات والارض وما في الافق الاعلى وتحت الثرى وبدء الخلق واسما
مشاهير الانبيا والملايكة وعيون اخبار الامم السابقة وشانه صلى
الله عليه وسلم وغزواته واخباره الى مماته ثم شان امته من بعده وبدء
خلق الانسان الى موته وامارات الساعة وجميع احوال البرزخ
والحشر والجنة والنار وزعم الجاحظ انه لا يوجد فيه شيء من المذهب الكلامي
الذي هو احتجاج المتكلم على ما يريد اثباته بحجة تقطع الخصم على
طريقة ارباب الكلام ولا من النوع المنطقي الذي تستنتج منه النتايج
الصحيحة من المقدمات الصادقة وردوا عليه بانه مشحون من
ذلك اذ ما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد مبني من كليات
العلوم العقلية الا وكتاب الله قد نطق به وقد بين الاسلاميون
من اهل هذه العلوم كثيرا من ذلك منه ان اول سورة الحج الى

قوله

قوله تعالى وان الله يبعث من في القبور خمس نتايج تستنتج من عشر مقدمات
بل فيه الاشارة حتى لعلم الهندسة بل الاشكال ما فيه وهو الشكل الثلاثي بقوله
الى ظل ذي ثلاث شعب قال الايمة وانما اوردت حججه على عادة العرب
دون دقايق المتكلمين لقوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان
قومه ولان من استطاع ان يفهم غيره بالاوضح الذي يفهمه الاكثرون
لا ينبغي له ان ينحط الى الاغمض الذي لا يفهمه الا الاقلون والا كان
ملغزا ومن ثم اخرج تعالى في مخاطباته في محاجة خلقه في اجلى صورة
واوضحها ليفهم العامة ما يقنعهم وتلزمهم الحجة بسببه والخاصة
ما يليق بهم من دقايق المعارف التي هي منتهى كل ومبلغ اربه ومن
عجيب تلك الايات انها ابانت تلك العلوم التي لا غاية لها حال
كونها متولدة عن بينها وبين من الجناس اللاحق حروف قليلة بالنسبة
اليها اخرج ابن الضريس عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال جميع
آي القرآن ستة آلاف اية وستماية اية وستة عشر اية وجميع حروف
القرآن ثلثماية الف حرف وثلاثة وعشرون الف وستماية حرف واحدى
وسبعون حرفا وهذه الحروف ليس المراد بها حروف التهجي بل مسمياتها
فحروف التهجي اسما كاشفة عن تلك المسميات كما قال ابان اي كشف
عنها الهجا اي التهجي وهو تعديد الحروف بذكر اسمايها فانك اذا
قلت ضرب مركب من ض ر ب فقد عددت الحروف البسيطة التي
هي مادة الكلمة الذي اول زيد مثلا له مسمى هو ز والخطافية

مطلب عدد حروف القرآن وآياته

[illegible]

بحذف ها السكت لا يوثر للتعليم وله اسم هو الزاى لانه يعتريه سائر علامات
الاسم ومن ثم قال سيبويه قال الخليل يوما وسال اصحابه كيف تقولون
اذا اردتم ان تتلفظوا بالكاف التى فى ذلك والبا التى فى ضرب فقيل
نقول با كاف فقال انما جئتم بالاسم ولم تتلفظوا بالحرف وقال اقول كه
به فحروف القران من الاول وحروف التهجى من الثانى ودليل
تسميتها حروفا الخبر الصحيح من قرا حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة
بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف فتسمية
كل حرفا اما لغة او مجازا باعتبار مدلوله وقع منها اى حروف القران
وان غزرت معانيها وكثرت لا يستبعد منها ذلك وان كانت قليلة جدا
بالنسبة لما يستفاد منها لان لها امثالا لا يقربها نوع قرب والافشتان ما
بينهما اذ ما ياتى له امر معلوم يفنى فيه عن قرب وهذه مستمرة النمو
والزيادة على مر الاعصار وتوالى الازمان فى هذه الدار بل وفى
دار القرار كما يدل عليه الحديث الصحيح انه يقال للقارى فى الجنة
اقرا وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا وياتى ذلك قريبا بزيادة
وذلك المثال هو اما انها الحروف اسما العدد فانها مع كونها الفاظا
محصورة لا ينتهى الوهم الى المعدود بها واما انها كالحب الذى يلقيه
الزراع والنوى الذى يلقيه الغارس بالارض فينشا عن الاول
من السنابل والحبوب ما يكاد ان لا يحصى ولا يتناهى ومن الثانى من
الثمر ما هو كذلك وفى هذه الحالة اعجب فاعله ياتى فقوله الناع

انّه

ان فيه ضميرا للحب والنوى وان فاعله سنابل ثمر منه اذ كيف يتصور فى
فعل ان له فاعلين ضميرا وظاهرا فى حالة واحدة الزراع والغراس كما
يدل عليه ذكر النوى فهو اكتفا كسرابيل تقيكم الحر اى والبرد وفيه ايضا
اللف والنشر المرتب لعود الزراع للحب والغارس للنوى وعود السنابل
للاول والزكا لهما منها اى تلك الزروع والاشجار سنابل وزكا اى
نمو يفوت الحصر بحيث لو اجتمع اهل الارض على استقصا عددها لما
اطاقوه فقد علمت ان المتناهى هنا لما يحصل منه ما لا يتناهى فكذلك
حروف القران هى متناهية ويحصل منها من العلوم والمعارف ما لا
يتناهى وهذا المثل المراد منه التقريب لا غير كما عرفت والافشتان ما
بين الامرين الا ترى ان عدم تناهى تلك الحبوب والثمار انما هو فى
مدة قليلة ثم يفنى عن قرب واما تلك الحروف فان معانيها لا تتناهى
فى الدنيا ولا فى الاخرة ففى الحديث الصحيح انه يقال للقارى اقرا فى الجنة صح
وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا وبه يعلم انه يقرا ويتلذذ بالقران
ومن لازم ذلك تلذذه بمعانيها وما يفتح الله به على القرا من انواع المعارف
اللايقة بتلك الدار وتلك الذوات التى تم فيها التاهل وذلك امره
لا يتناهى ابدا ومن عجيب شان الكفار مع هذه المعجزات والايات
البينات كلها استمروا على ما هم عليه من غاية الاعراض والانكار ٥
فاطالوا فيه التردد والريب اى الشك عطف مرادف فقالوا كما
حكاه الله تعالى عنهم فى كتابه فهو تلميح انه مرة سحر اى تمويه لا حقيقة

له واصل السحر لغة كل ما لطف مأخذه ودق وقالوا مرة اخرى انه افتراء اي
كذب ومرة انه اساطير الاولين وغير ذلك من افترائهم واقتراحهم ومباهتهم
وتلبيسهم وضلوا فيما قالوا بل هو والله المتفضل بانزاله قران مجيد في لوح
محفوظ لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وكل
ذلك ينادي عليهم بالبوار والعناد وانه لا عقل لهم ولا راي ولا استعداد
ولكن ليس ذلك بكثير على من عدم التوفيق ولم يبصر سواء الطريق لما هو
المقرر في العقول السليمة من الحكم البديعة الجامعة انه اذا كانت
المبينات اي الحجج القطعية البرهان الواضحة البيان لم تغن هم اي
تفدهم شيا من الهدى فالتماس الهدى بمن اي طلبه منهم بتلك الحجج بعد
الياس من ايمانهم عناء اي تعب لا يفيد شيا واذا اضلت عن طرق الحق
العقول جمع عقل وسبق الكلام عليه مستوفى على علم اى مع علمها منها بتلك الطرق
اي اضلها باريها فماذا تقوله اي فاي قول تقوله الانبياء النصحاء
وقولهم لا يفيد شيا والبيت الاول مقتبس من قوله تعالى وما تغني
الايات والنذر عن قوم لا يومنون والثاني من قوله تعالى افرايت
من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل
على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون ومما قررت
به كلامه يعلم ان هذين البيتين من الكلام البديع الجامع تنبيه
لا يتوهم من النظم انه مخالف لقول الائمة اجمعت الامة على التكليف
بالمحال لغيره كتكليف ابي جهل مثلا بالايمان مع علم الله تعالى بانه

لا يومن

لا يومن وذلك لان التكليف بذلك انما هو بالنظر للحالة الراهنة المنطوى
عنا عاقبتها فهو بالنسبة اليها مكلفون بالايمان لقدرتهم عليه ظاهرا وان
كانوا عاجزين عنه باطنا لعلم الله تعالى بانهم لا يومنون لان هذا لا نظر اليه
والا لارتفع الاختيار وثبت القول بالجبر المنافي لما جاءت به الشرائع
فاحذر ان تميل اليه فتزل قدمك وتحق ندمك واستحضر قوله تعالى لا
يسال عما يفعل وهم يسالون فوائد منها قيل حكمة تنزيه
القران من الشعر مع ان الوزن يورث الكلام عذوبة ان قصارى امر
الشاعر التخييل بتصوير الباطل في صورة الحق والافراط في الاطراء والمبالغة
في الذم والايذاء دون اظهار الحق ولهذا نزه الله تعالى نبيه عن ذلك
ثم قال بعض الحكماء لم ير متدين صادق اللهجة مفلقا في شعره اي غالبا
وما وقع فيه على صورة الشعر لا يسماه لان شرطه القصد ومن ثم لم تعارضه
العرب ولو اعتقدوه شعرا لعارضوه وقيل دون البيتين ليس شعرا
وقيل الرجز كذلك ومنها سبيل الغزالي عن قوله تعالى لوجدوا فيه
اختلافا كثيرا فقال الاختلاف مشترك بين معان وليس المراد
نفي اختلاف الناس فيه بل نفي الاختلاف عن ذات القران فليس نظمه
مختلفا ولا بعضه يدعو للدين وبعضه يدعو للدنيا بخلاف كلام
البشر لاختلاف قواهم واغراضهم واحوالهم ومنها ان ساير
كتب الله تعالى لا اعجاز فيها من حيث النظم والتاليف لان السنتهم لا تفي
بذلك بخلاف الاخبار بالغيوب فان الكل جميعا تشترك فيه ولكون

بخلطه

السنتهم كذلك كان كل ما فى القران حكاية عنهم انما هو حكاية لمعنى الفاظهم
ذكره ابن جنى وغيره ومنها ما وقع فى القران ايات متشبهات من حيث النظم
كايراد القصة الواحدة فى صور وفواصل كوكلا فكلا يذبحون ويذبحون
سيزيد وسنزيد وذلك كثير وقد افرد خلايق الجواب عن ذلك بتاليف مستقلة
ومن حيث ايهام التعارض عند عدم التامل نحو ولا يتسالون واقبل بعضهم
على بعض يتسالون واول من تكلم فى الجواب عن ذلك ابن عباس رضى الله
تعالى عنهما ثم تبعه الايمة حتى افرد بعضهم ذلك بالتاليف كالفوا فى مختلف
الحديث وبيان الجمع بين الاحاديث المتعارضة ومن حيث انها من المتشابه

مطلب بيان المحكم والمتشابه

الذى استاثر الله تعالى بعلمه او علمه ايضا الراسخون فى العلم وهو مبحث
طويل فلا باس بذكر خلاصته وهى قيل القران كله محكم كما فى اية وقيل كله
متشابه كما فى اية وقيل كله متشابه كما فى اية والاصح انقسامه اليهما والمراد

كذا فى الاصل ولعله مكرر

باحكمت اياته اتقنت وتنزهت عن نقص يلحقها وبمتشابها انه يشبه بعضه
بعضا فى الحق والصدق والاعجاز ثم المحكم ما عرف المراد منه قيل ولو
بالتاويل والمتشابه ما استاثر الله بعلمه كالحروف المقطعة اوايل

نحط

السور وفيهما اقوال اخر ثم المتشابه هل علم فيه قولان منشاوهما
هل الوقف على فى العلم وعليه طايفة قليلة كمجاهد والضحاك وهو
رواية عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه وقال النووى انه الاصح لانه
يبعد ان يخاطب الناس بما لا سبيل لاحد من الخلق الى معرفته وابن
الحاجب انه المختار والاكثرون من الصحابة فمن بعدهم خصوصا

اهل

اهل السنة ان الوقف على الله وهو اصح الروايات عن ابن عباس وعد ابن السمعانى
اختيار الاول هفوة وجمع بعضهم بان المتشابه ما يمكن الوقوف عليه ومنه ما
لا يمكن فصح الوقفان بهذا الاعتبار ومن المتشابه ذكر ايات الصفات
التى فيها ذكر نحو الاستوا واليد والعين وجمهور اهل السنة منهم اكثر
السلف واهل الحديث على تفويض معناها المراد منها الى الله تعالى مع
تنزيهه عن ظواهرها وذهب الخلف الى تاويلها بما يليق بجلاله تعالى وكان
امام الحرمين يميل الى هذا ثم رجع عنه فقال الذى نرتضيه دينا وندين
الله تعالى به عقدا اتباع سلف الامة فانهم درجوا على ترك التعرض لمعانيها
وتبعه ابن الصلاح فقال على ذلك مضى صدر الامة وسادتها واياها
اختار ايمة الفقها وقادتها واليها دعا ايمة الحديث والفخر فقال
واحسن فيما قال لا يصرف اللفظ عن ظاهره الا بدليل منفصل وهو
اما لفظى وهو لا يعتبر هنا لانه مظنون اذ القطع به متوقف على انتفا
الاحتمالات العشر وهو مظنون واما عقلى وهو انما يفيد صرف اللفظ
عن ظاهره لاستحالته دون اثبات المعنى المراد لانه ترجيح مجاز على مجاز
وتاويل على تاويل وذلك انما يكون بلفظى وقد تقرر انه لا يفيد الا الظن
وهو لا يعول عليه فى المسايل الاصولية القطعية قال فلهذا اختار الامام
الايمة المحققون من السلف والخلف بعد اقامة الدليل القاطع على ان
حمل اللفظ على ظاهره محال ترك الخوض فى تعيين التاويل وتوسط ابن دقيق
العيد فقبل التاويل ان قرب فى لسان العرب نحو ما فرطت فى جنب الله

اى حجته وما يجب له لا ان بعد اى كتا وبل استوى باستولى ولما فرغ
من الحجاج مع المشركين وبين ما آل اليه امرهم ابضا فقال يا قوم وحذف
حرف النداجا ز الا فى الندبة والاستغاثة ومع الضمير وكذا مع اسم
الاشارة واسم الجنس على قول فيه عيسى المدعوين بالنصارى عاملتم
قوم موسى وهم اليهود بالتصديق بكتابهم وهو التوراة الذي عاملتكم بنظيره
وهو التصديق بكتابكم الذى هو الانجيل الحنفا اى المسلمون جمع
حنيف وهو المايل عن كل دين الى الدين الحق ثم بين ما ابهمه فقوله
عاملتموا بقوله صدقوا اى قوم عيسى كتبكم وهو التوراة وما بعدها
كالزبور وكذبموا الكتبهم وهى الانجيل وجمعه للمشاكلة او لتنزيله منزلة كتب
متعدده وفى هذا الالتفات لان قوم عيسى خوطبوا اولا واعيد عليهم
ضمير الغيبة وقوم موسى بالعكس وهى بين موسى وعيسى الجناس اللاحق
كقابيل وهابيل الاتيين والتصديق والتكذيب الطباق اذا
الذي فعلتموه معشر اليهود لبيس البواء اى الصنيع الذي رجعتم
به القهقرى وهذا مقتبس من قوله تعالى وباؤا بغضب من الله لو
جحدنا اى مثله بان انكرنا كتابكم كما انكرتم كتابنا وكتاب عيسى لا استوينا
نحن وانتم ايكون ذلك منا لا يتصور ذلك كيف وليس للحق وهو ما
نحن عليه من التصديق بجميع كتب الله ورسله بالضلال وهو ما هم
عليه من التصديق بالبعض والكفر بالبعض استوا اى مساواة بل
بينهما غاية التضاد والحاصل انا لم نجحد شيا من كتب الله تعالى وانما

وقع

وقع الجحد من اليهود لكتاب النصارى ومن النصارى لكتاب اليهود خلاف
ما يوهمه النظم قال تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شى وقالت
النصارى ليست اليهود على شئ وهم يتلون الكتاب اى المكذب لهم
فى ذلك وكان الشارح اخذ من هذا قوله وانما وقع التجاحد بين اهل
الكتاب اذ التعبير بالتفاعل مصرح بما ذكر مما يخالف النظم ويوافق ظاهر
الاية انتهى وقد يقال لا يلزم من ادعا كل فرقة فى الاخرى ما ذكر
انكار كتابهم اذ لا مانع ان النصارى قايلون فى اليهود ذلك
مع قولهم انهم ليسوا على شى باعتبار تبديلهم وتغييرهم فصح ما فى النظم ويحتمل
ارجاع ضمير صدقوا وكتبهم الى الحنفا وضمير الخطاب فى كتبكم وكذبتموا
للفريقين اليهود والنصارى ويكون ذلك تفسيرا لعاملتكم الحنفا وفى
السياق ما يؤيد كلا من الاحتمالين لكن الاول اقرب ولما كان من
المعلوم المستقر ان اليهود اشد الناس حسدا قال تعالى ام يحسدون
الناس على ما اتاهم الله من فضله وانهم حسدوا عيسى حتى قتلوه فى زعمهم
الفاسد واستمر حسدهم للنصارى من بعده حتى قالوا ليست النصارى على
شئ الموجب لقول النصارى فيهم ذلك ايضا وان الطايفتين حسدوا
محمدا صلى الله عليه وسلم وامته حتى وقع منهم من العناد ما لا يصدر عن سخفا
العقول فضلا عن غيرهم وشرع الناظم فى بيان ذلك كله منهم على وجه بديع
فقال سما لكم اى ما حصل لكم معشر الفريقين يا اخوة الكتاب المراد به الجنس
الشامل لكتابيهما سماهم بذلك لانه لما جمعهم ما فيه من التكاليف والاحكام

ضادو استوين فيهما كاستوآ الاخوة في الانتساب الي اصل واحد كونكم
انا سا ليس شانكم انه يرعى للحق منكم اخا بكسر الهمزة فاعل يرعى ويجوز انه
اسم ليس ونايب فاعل يرعى ضميره اي مواخاة اي ليس يصدر منكم مراعاة للدين الحق
بالقيام بما يجب له من الحقوق التي منها تصديق محمد صلى الله عليه وسلم علما بما في
كتبكم من التصريحات الكثيرة بنبوته وعموم رسالته وفي اخامع اخوة رد
العجز على الصدر وبين الاخوة والاخا جناس لاشتقاق كالشهادة والشهيد
الاتي ومن عكد مدعاتكم لذلك انه يحسد الاول الاخير كما وقع لليهود انهم
حسدوا عيسى حتى زعموا انهم قتلوه وصلبوه وما دروا الملاعين انه شبه
لهم مثله فقتلوه ونجاه الله منهم ثم رفعه الى السما لينزل اخر الزمان حاكما
بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا ورا المهدي اول نزوله ليعلم انه
نزل تابعا لهذه الامة عاملا بشريعة نبيهم ومنها انه لا يقبل الجزية بل يقتل
كل يهودي ونصراني لان نوعا ما من الشبهة المجوزة لقبول الجزية منهم
ارتفع بنزوله وتكذيبه لهم وما زال كذا اي كهذا المذكور من حسد الاول
للاخير المحدثون والقدما من لدن ادم الى اليوم قد مهي للتحقيق علم
يا اهل الكتاب بظلم هابيل من اضافة المصدر الى فاعله وهو اول اولاد
ادم وهم اربعون جاوا له من حوى في عشرين بطنا في كل بطن ذكر وانثى وبارك
الله في نسله في حياته حتى بلغوا اربعين الفا هابيل بتشديد راسه
بن بحرين وهو ثاني اولاد ادم صلى الله عليه وسلم حسده على الدين من اجل
كون الله تقبل قربان هابيل ولم تقبل قربانه فقال له لاقتلنك فاجابه بانه

وكان هابيل صاحب غنم وكان لبن الجان
وكان قابيل صاحب صيد وتنصر وكان
فظا غليظا فاصطاد صيدا وقربه وعمد
هابيل الى اضحى غنمه فقربه

يستسلم

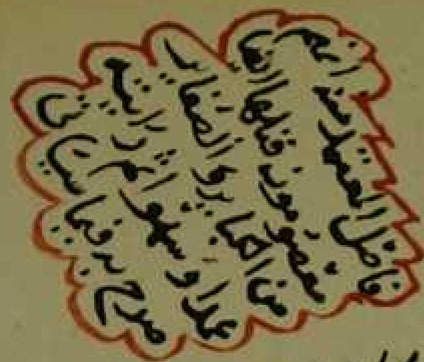
بستسلم لقضا الله تعالى ولا يجزي بالسيئة السيئة كما افاد ذلك ما حكاه
الله تعالى عنه بقوله عز قايلا لئن بسطت الي يدك لتقتلني الاية قال
صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح كن خير ابني ادم كن عبد الله المقتول
ولا تكن عبد الله القاتل وحبا ان سبب حسده له انه تزوج اخت هابيل
وكانت ليس لجمال اخته التي تزوجها هابيل وكان من شريعة ادم ان اختلاف
بطون حوى بمنزلة اختلاف الانساب فكان يزوج ذكور كل بطن لاناث
الاخرى وبالعكس وهو مع مخالفته لظاهر الاية يمكن تاويله بانه لا مانع
ان حسده بسببين اخروي وهو ما في الاية ودنيوي وهو ما ذكر على
انه جا في القصة ان ادم عليه الصلاة والسلام لما امر قابيل ان يزوج
اخته لهابيل فامتنع امرهما ان يقربا قربانا لله وكانت العلامة على قبوله اذ
ذاك نزول نار من السما تاكله فقرب كل منهما قربانه فتقبل قربان هابيل
فزاد حسده الى ان قتله وبين الاول والاخير والمحدثون والقدما جناس
الطباق كوفيهم وخانوا واحسنتم واساوا والابا والابنا وعرفوه
وانكروه الابنا ومظلوم الاخوة الاضافة فيه بمعنى من ويصح
بتكلف كونها بمعنى واخبر عنه بالجمع لانه للجنس الصادق بالجمع وقسيمه
الاتقيا لانهم الذين يصبرون على حمل الاذى ولا ينتقمون لانفسهم وهذا
فيه نحو ارسال المثل للاستدلال به على ما قبله وكذا وما زال الخ
وعلم من قولي وهذا فيه الخ انه ليس المراد بالاخوة هنا خصوص قابيل
وهابيل حتى يجاب عنه بانه اراد بالاخوة الاخوين بنا على القول بان

وتسمى لبودا

وتسمى اقليميا

اقل الجمع اثنان وقد سمعتم هو للتيقن لان المراد في كل العلم بكيد ابناء
يعقوب المسمى في القران باسرائيل اى عبد الله بن اسحاق الذبيح عند الاكثرين
لكن الاشهر انه اخوه اسماعيل بن ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم اخاهم
يوسف صلى الله عليه وسلم كما هو مبسوط في قصته المصدرة بقوله تعالى
نحن نقص عليك احسن القصص اى لانها سيقت على اسلوب لم يسبق
عليه غيرها من بقية القصص ولا يتوهم من كيدهم له المحكى عنهم في
قصتهم ولا من ذكرهم اثر قابيل الكافر اللعين ان ذلك ينافي صلاحهم
لاتفاق العلما على انهم كلهم صلحا عدل اليه عن انبيا لانه الامر المتفق
عليه كما تقرر ولقوة الخلاف عنده في عدم نبوتهم بخلاف يوسف
فانه لا خلاف في نبوته لكن الحق انها ظاهر الاية او صريحها وهو قوله
تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل
واسحاق ويعقوب والاسباط اذ الاسباط اولاد يعقوب وقد
ذكرت الاية انهم انزل عليهم شى يجب الايمان به غير ما انزل على ابائهم
وذلك الشى هو الوحى كما هو المتبادر بل صرحت به اية واوحينا الى
ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وحينئذ فنفي
نبوتهم المستلزم لنفي الوحى اليهم مناقض لصريح الاية فتامله ولا
ينافي نبوتهم ما حكي عنهم في تلك القصة لانه انما صدر عنهم عن
تاويلات تراها شربعتهم ومما يقرب ذلك ان العلما اتفقوا
على صلاحهم وان تلك الامور التى جرت منهم لم تؤثر في صلاحهم

فكذا



فكذا في نبوتهم على ان في عصمة الانبيا قبل النبوة خلافا محل بسطه كتب
الاصول حين ظرف للتاكيد القوه في غيابة جب هو البير التى لم تطو
وغيابته قعره وكادوه بذلك خوفا من تقدمه مع كونه اصغرهم عليهم
الذى ابان عنه رؤياه المذكورة اول السورة اذ الاحد عشر كوكبا مثال
لهم لانهم احد عشر والشمس والقمر ابوه وخالته وسجود الكل له دخولهم تحت
امره وطاعته وكان الامر كذلك كما في اخر السورة فانهم لما جاوا اليه
مع ابيهم وخروا له سجدا قال يا ابت هذا تاويل رؤياى من قبل قد
جعلها ربى حقا وقد احسن بى اذ اخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو
من بعد ان نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى ولبس في التعبير بنزغ
الشيطان بينه وبينهم ما يقدح في نبوتهم على القول بها قال تعالى
لافضل خلقه واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله لان
معناه واما يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض عن المكذبين
لك والنزغ ادنى حركة امره تعالى انه متى تحرك عليه ادنى غضب على عدوه
واراد الشيطان القا ادنى وسوسة اليه ان يستعيذ به تعالى
ليكفيه امره وهذا من تمام عصمته لانه لم يسلط عليه باكثر من التعرض
له بهذا الامر الذى لا تاثير له من غير قدرة له عليه ومن كيدهم
له ايضا انهم رموه بالافك حيث قالوا ان يسرق فقد سرق اخ
له من قبل يريدون يوسف وهو برا اى برى منه وفي تسمية الناظم
هذا افكا نظر ظاهر بل لا يصح كيف وقد اخرج ابن مردويه عن ابن عباس

معاملة الاخوة الكرام مع يوسف

رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ان يسرق فقد سرق
اخ له قال سرق يوسف صنما لجده ابى امه من ذهب وفضة فكسره
فالقاه على الطريق فعيره اخوته بذلك واخرج ابن جرير عن قتادة قال
سرقته التى عابوه بها اخذ صنما كان لابى امه وانما اراد بذلك الخير وروى
نحو ذلك جماعة عن زيد بن اسلم وسعيد بن جبير وابن جريج وزاد ان امه
امرته بذلك لانها كانت مسلمة قال الشافعى رضى الله تعالى عنه كان
زيد هذا من العالمين بالقران فالحاصل انه وقع منه صورة سرقة
فذكروها تعبير الله فهم لم يكذبوا وانما الذى وقعوا فيه انهم عيروه
بما لا عار فيه بل بما فيه غاية الرفعة والمدح لما ذكرته فى كتابى سعادة
الدارين فى صلح الاخوين وذكرت فيه ايضا نحو ما سبق وملخصه
اعلم ان واقعة يوسف مع اخوته واقعة عجيبة تشتمل على عجايب
وغرايب وحكم واحكام وعبر وامثال لعز وذل وانخفاض وعلو وارتفاع
وعلى حسن عاقبة الصبر وخسة عاقبة الحسد وعلى نصر الحق وان لم
يكن له اعوان ولا انصار وعلى خذلان المبطل وان كان اعوانه
وانصاره الوزرا او الملوك فضلا عن غيرهم وعلى ان التباغض
والتحاسد بين الاخوة امر قديم قل ما يسلم منه خيم اوادبهم وان كملوا
وجلوا وعلت مراتبهم وزكت معادنهم ومذاهبهم لما ان اخوة يوسف
وقع منهم ما وقع مع كونهم صلحا بل انبيا بنص قوله تعالى قولوا امنا
بالله الاية اتفقوا على ان المراد بالاسباط اولاد يعقوب فكوننا امرنا

بالايمان

بل يتقال عن الاكثرين انهم

اما على شرعهم فنحن لا ندريه
و بعرض انه يوافق شرعنا

بالايمان بما انزل الى ابيهم وبما انزل اليهم ظاهر او نص فى انه انزل
اليهم ما يجب علينا الايمان به اجمالا وهذا صريح فى نبوتهم وعليه فقد
يشكل ما وقع منهم فى هذه القصة من الامور الكثيرة التى ظواهرها
يجب تنزيه الانبيا صلى الله عليهم وسلم عنها بناء على الاصح بل الصواب ان
الانبيا جميعهم الرسل وغيرهم معصومون قبل النبوة وبعدها من صغاير
المعاصى وكبايرها سهوها وعمدها ويجاب بان ذلك
يتاتى على مذهب كثيرين ان العصمة انما هى بعد النبوة لا قبلها والاولى
ان يجاب بان هذه الامور انما تستشكل على قواعد شرعنا فى ذلك فيحتمل
ان لهم تاويلا سوغ لهم ارتكاب ما فعلوه وتعبير كثيرين كالناظم بغضهم
وحسدهم ونحو هذا من العبارات التى ظاهرها لا يليق بهم انما هى بنا
على عدم نبوتهم كما هو قول فيهم واخرج ابن جرير وابن المنذر ان ابا عمرو
قيل له كيف نقرا يرتع ونلعب بالنون وهم انبيا فقال لم يكونوا يومئذ
انبيا والحاصل انه يجب علينا الايمان بنزاهتهم وبراءتهم من
كل ما لا يليق بهم انتهت عبارة الكتاب المذكور واذ قد علمتم
معشر المسلمين ما وقع لمن قبلكم من الشدايد والمحن وصبروا على بها
ففازوا برضى الله تعالى ومحبته فتاسوا اى تعزوا اذ التاسى التعزى
من تاسيت بفلان تعزيت به اى حملت حالى على حاله ففى التاسى
تسكين النفس على الامر المقلق وتصبيرها عليه والتعزى الحمل على الصبر
بوعد الاجر فمعنى التاسى والتعزى واحد او متقارب وما ذكرهما على

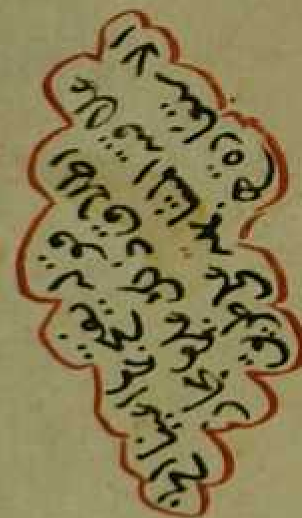
الاول لاختلاف نظميهما بمن مضى قبلكم من الكمل في ذلك اذ اى وقت او
لاجل ان ظلمتم من الكفا ربما موكم به من الحسد والبغضا والعداوة
والقتال فالتاسى فى المصايب لاسيما بالكمل للنفس فيه عزا اى تسل
ونصبر لحملها على ان لا يصدر منها الاكمال الاخلاق والاعراض عن النظر
الى ما يصدر من اهل النفاق والشقاق وهذا من التذييل ان اكم الفاعل
لاهل الكتاب والمفعول للمسلمين اي انظلمكم اهل الكتاب وفيتم بما
عاهدكم الله عليه ودمتم على العمل به حين ظرف لوفيتم الواقع موقع
المفعول الثاني خانوا ما عاهد والله عليه فكتموا الحق وابوا
قبوله من غيرهم ام متصلة لانها معادلة للهمزة السابقة تراكم اهل
الكتاب احسنتم فى اتباع نبيكم فى جميع ما جاء به فلم تغيروا منه شيا قط
ولم تبدلوا فى حياته ولا بعد وفاته اذ اساوا الطوية فلم يستمروا
على العمل بما جاءتهم به رسلهم بل بدلوه وغيروه ايثارا لما يبالوه من اتباعهم
بالحظوظ الدنيوية بل لا يرون شيا من ذلك واما الذى حملهم على عدم
اتباع الانبيا صلى الله عليهم وسلم انه تمادت اى تتابعت واستمرت
على التجاهل الموجب لرفض الحق واتباع الباطل اى اظهار الجهل من نفوسهم
مع علمهم بالحق وانهم على خلافه وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم
ظلما وعلوا فاظهرتم غير الحق ودمتم على العمل به ابا بينه وبين الابنا
الطباق كما مر تقفت اى اتبعت اثارها الباطلة الابناء انا
وجدنا ابانا على امة وانا على اثارهم مقتدون بينة اى الحق

الذي

الذى من جملة نبوة محمد وعموم رسالته توراتهم المنزلة على موسى عليه الصلاة
والسلام من اوريت الزند قدحته لتخرج ناره والنار تستلزم النور
والاناجيل المنزلة على عيسى عليه الصلاة والسلام من نجل الشي اخرجه
التى لهم كما حكاه الله تعالى عنهما بقوله عز قايلا الذين يتبعون الرسول
النبى الامى الذي يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل ولا
ينافى هذا جمع الناظم له باعتبار افراده وهذا من اعظم الادلة
على صحة نبوته وعموم رسالته وعلى انه صلى الله عليه وسلم على البينة
الواضحة من امره لانه صرح بذلك على رؤس اهل الكتابين ولم يخش
ان احدا منهم يقول ليس ذلك فى كتابنا فاذ قد صرح بذلك ولم
يعترضوه كانوا عالمين به وكان تخلفهم عن اتباعه لمحض العناد والحسد
قال تعالى ويكتمون الحق وهم يعلمون يحرفون الكلم عن مواضعه
يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ليطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان
يتم نوره ولو كره الكافرون ومبشرا برسول ياتى من بعدى اسمه احمد
فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به واخرج ابن عساكر فى تاريخ دمشق ان
ابن سلام لما سمع بخروج النبى صلى الله عليه وسلم بمكة ذهب اليه فقال له
انت ابن سلام عالم يثرب قال نعم قال انشدك بالله الذى انزل التوراة
على موسى اتجدنى فى التوراة قال انسب ربك فارتج النبى صلى الله عليه
وسلم فقال له جبريل قل هو الله احد الى اخرها فقال ابن سلام اشهد
انك رسول الله وان الله مظهرك ومظهر دينك على الاديان وانى لاجد

[مما يدل ان الكفار عالمون بنبوته صلعم]

حجر



صفتك فى كتاب الله تعالى اى التوراة يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا انت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب
فى الاسواق ولا تجزى السيئة بمثلها ولكن تعفوا وتصفح ولن يقبضه
الله تعالى حتى نستقيم به الملة المعوجة حتى يقولوا لا اله الا الله يفتح
بها اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا واخرج البيهقى وابو نعيم عن
كعب والبخارى عن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه انهما نقلا عن التوراة
والانجيل نحو ذلك وزيادة عليه فى التوراة تجلى الله فى طور سينا اى
بتكليمه موسى عليه واشرف من ساعين اى بتكليمه عيسى عليه واستعلن
من جبال فاران اى جبال بنى هاشم المطلة على شعبهم بمكة بارسال
محمد منها الى جميع الخلق كما يشير اليه تعبيره باستعلن وفى الانجيل كالتوراة
من ذلك ما يضيق عنه هذا المحل فهم اى اليهود والنصارى فى جحوده
اى ذلك الحق الذى بينه كتابا هما وهو الانكار بعد العلم شركاء
فلعنة الله عليهما ان شرطيه تقولوا يا اهل الكتاب ما نافيه بينته
التوراة والاناجيل الحق المذكور فاذا انهما اى التوراة والانجيل
عن عيونهم غشوا بالمعجمة والمهملة اى عن بصايرهم ظلمة مانعة لهم
من ابصارهم الحق من قولهم ركب فلان العشوا اذا كان قد خبط
امره على غير بصيرة وقولهم ركب متن عميا وخبط خبط عشوا وهى
الناقة التى لا تبصر امامها فهى تخبط بيديها على كل شئ ففيه الاشارة
للمثل المذكور والاستعارة بالكناية لانه شبه العيون بالبصاير

والعشوا

والعشوا بالظلمة المذكورة والاستعارة التخييلية فى اثبات الظلمة للعيون
والترشيحية فى قوله ما بينته لانه يناسب المشبه به او تقولوا قد بينته كما هو الحق
فما اى فاى شئ حصل للاذن اى لا لم سمعكم حتى الهاها عما تقوله التوراة
والاناجيل او اسناد القول اليهما فيه الاستعارتان السابقتان انفا وكذا
فى قوله الاتى من طحنهم الى اخره وقوله كساهم الى اخره صمما اى غير سامعة له
سماع قبول اى فلا موجب للاعراض عن ذلك الا محض العناد والحسد عرفوه
اى الحق السابق معرفة تعيينه ببواطنهم وانكروه بظواهرهم كما قال تعالى
عنهم يكتمون الحق وهم يعلمون وبين عرفوه وانكروه طباق وذلك نتيجة الالزام
السابق وظلما مفعول لاجله كتمته اى الحق المذكور الشهادة بدل اشتمال
من كتمته اى كتمت الشهادة به الشهداء الذين هم اهل الكتابين لانهم عرفوا
صفة النبى صلى الله عليه وسلم وصفة دينه معرفة قطعية ثم انكروا ذلك راسا
حسدا وعنادا او مباهتة وتلبيسا على ضعفائهم ليبقى ما يسالونه منهم ونكتة
ايقاع الظاهر موقع المضمر اذ الاصل كتموا الشهادة به التسجيل عليهم بما
قررته انهم بلغوا من العلم به صلى الله عليه وسلم وبحقية دينه مبلغ روية الشمس
ومع ذلك كتموه ومما يدل لقوة علم الشاهد اشتراط اتيانه بلفظ الشهادة
لانها ابلغ من العلم كما يفيده الحديث الصحيح على مثل هذه اى الشمس فاشهد
ومن ثم لم يكف قوله اعلم ا تكتمون ذلك وتظهرون الضلال ونور الاله
الذى هو النبوة والرسالة والاله المعبود بالحق تطفيه من طفيت النار
اذهبت حرها الافواه اى الالسنة المتقولة بالباطل وهذا من الكلام البديع

الجامع لايكون ذلك يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان
يتم نوره وكيف يطفا ذلك النور الالهي وهو الذي به يستضا ظاهرا وباطنا
اى يبصر الحق من الباطل والصادق من الكاذب ا يستمرون على ضلالتهم
وادعائهم انهم محقون وينكرون نبوته من طحنتم اى اهلكتم برحاها اى
اسلحتها عن امره الهيجا اى حربه صلى الله عليه وسلم لا ينبغي ذلك بل الذي ينبغي الرجوع
عن الضلال والاعتراف بانهم استمروا عليه طحنهم صلى الله عليه وسلم برحى حربه
كالطحن اباهم وابناهم واهاليهم بجلا بني النضير الى ارض الشام والزمهم ان
لا يحمل كل واحد منهم الاحمل بعير من غير السلاح وقتل بني قريظة ولسرة باسه
وظهور نصرته صلى الله عليه وسلم عليهم كساهم ثوب الصغار اى الذل كضرب
الرق على غير المقاتلين من بني قريظة استعار اللباس للصغار على حد فاذاقها
الله لباس الجوع والخوف ثم قرنه بما يلائم المشبه به وهو الكسوة وبما يلائم
المشبه وهو طلول دما وصون دما فالاولى ترشيحية والثانية تجريدية
• والحال انه قد طلت اى دفقت دما منهم كبني قريظة وصينت دما منهم كبني
النضير او المراد دما المسلمين لان الله تعالى جعل لهم الغلبة والدابرة على
اعدائهم واذا تقرر انصاف اهل الكتابين بتلك القبائح الشنيعة حق لهم
ان يقال في حقهم كيف يهدى اى يوصل الا الى منهم قلوبا حشوها اى ملوها
من هي بمعنى اللام المعدية حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم متعلق بقوله
البغضا اى شدة البغض لحبيبه ويصح على بعدانها للتعليل اى من اجله او البدل
اى حشوها بغضه بدل حبه وفي هذه الاستعارتان السابقتان ايضا

خبرونا

• خبرونا اي اعلمونا يا اهل الكتابين التوراة والانجيل من اين استفهام انكاري
اتاكم تثليثكم اى ادعاؤكم معشر النصارى ان الله ثالث ثلاثة الاب والابن
وروح القدس ومن اين لكم معشر اليهود البدا بالموحدة والمهملة من بدا اظهر
وهو كما ياتي اظهار مصلحة بعد خفائها وبنوا على ذلك امتناع النسخ اي لم
ياتكم واحد من هذين عن دليل صحيح بل عن محض سفهكم وعنادكم تنبيه
حكى ابن الصلاح عن بعضهم ان لفظ البدا غير صحيح لغة لانه من بدا ابدو وانه
رده بان ابن دريد ذكره قال التبريزي هو بالمد من قولهم بدا لي في الامر
اى تغير رايي فيه عما كان ونقله الزركشي عن صاحب المحكم عن سيبويه وقال
السهيلي لا انكر البدا ولا يقال في المصدر قال اجل ان البدو والظهور كان البدو
في وصف الباري سبحانه وتعالى محالا لانه لا يبدو له شئ كان عنه غائبا وتجيء
بمعنى اراد كما في حديث الاقرع والاعمى والابرص بدا الله ان يبتليهم اي
اراد لا ظهر لانه كفر كما ياتي ما اتى بالعقيدتين المذكورتين كتاب من كتب
الله تعالى ابدا واعتقاد وهو جزم الذهن بالحكم ثم ان طابق ذلك ما في نفس
الامر كاعتقادنا فصحيح والا كاعتقادهم فباطل لا نص فيه اى في اثباته
وعبر بالنص وهو ما لا يحتمل لفظه غير معنى واحد معين بان خلا عن الاحتمالات
العشر المقررة في محلها دون الدليل الاعم من ذلك لان الاعتقاديات لا
• يكفي فيها الدليل الظني ادعا اى باطل لانه اختراع في الدين بمجرد التشهي
وكالنص حكم العقل القطعي فالاعتقاد المستند اليه صحيح وان لم يرد
فيه نص بل لو ورد النص بخلافه وجب تاويل النص اليه كايات الصفات

واحاديثها لان ظاهرها محال على الله تعالى عقلا فوجب صرفها عنه بتاويلها بما يوافق
العقل وانكر جمع متاخرون من الحنابلة تاويلها الزاماً لهم باعتقاد ظواهرها من
التجسيم او الجهة واطالوا في ذلك بما كان سبباً لحمقهم وسحقهم في الدنيا والاخرة
والدعاوى التي تقولون بها معشر اليهود والنصارى بفتح الواو وكسرها
كالفتاوى ما مصدرية ظرفية لم تقيموا عليها بينات اى ادلة قطعية لان
الكلام في الاعتقاديات وهي لا يفيد فيها الظني ابناؤها اى نتايجها ادعيا
اى باطلة والدعي في الاصل من ينتسب الى شخص بالكذب ومن تبناه الانسان
وليس بابن له وان عرف نسبه شبه دعاويهم بوطي الزنا بجامع فساد كل وقبحه
وعدم الاعتداد بما ينشا عنه لانه ناشي عن اصل فاسد وهذا استعارة بالكناية
ثم خيل لها بذكر ما هو من لوازم المشبه به الذي هو وطي الزنا وهم الابنا
الذين هم نتيجته ثم رشح لها بذكر الادعيا المناسب للمشبه به وبين
الادعا والدعاوى والادعيا تجنيس الاشتقاق او شبهه كخلطوا
والخلطا والصحاف ووصف الاتيان وفي النظم القياس الاقتراني المركب
من مقدمتين حمليتين المنتج انتاج الشكل الاول فالاولى الاعتقاد
الذي لا نص فيه دعوى والثانية الدعوى بلا بينة باطله ينتج الاعتقاد
الذي لا نص فيه باطل تنبيه فرق النصارى ثلاثة نسطورية
ويعقوبية وملكية ولكل فرقة اعتقاد معروف وقد اشار الناظم للبحث
مع الكل والرد عليهم اجمالاً واكثر الكلام مع القايلين بالتثليث لانهم اكثر واشد
كفراً ومن ثم خصوا بالذكر في قوله عز وجل لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث

علم فرق النصارى ثلثة

ثلاثة

ثلاثة الاية ليت حرف تمني شعري اى علمي اى ليتني علمت بما تقولون انضباطا
حتى انكلم معكم بابلغ مما هنا وهو ذكر الثلاثة الصادر منكم تارة حيث قلتم
أن الله ثالث ثلاثة الاب والابن وروح القدس وذكر الواحد الصادر
منكم تارة اخرى حيث ادعيتم توحيده نقص في عدكم ام نما اي زيادة فحيث
ذكرتم التثليث كان ذكركم الواحد نقصا وحيث ذكرتم الواحد كان ذكركم
التثليث زيادة وهذا تناقض عجيب لا يصدر من عاقل لانكم تارة تثبتون
تعدد الاله وتارة تثبتون عدم تعدده ولذا قال تعجبا منهم كيف
وحد تم ايها القايلون بالتثليث الها نفى التوحيد عنه الابا والابنا
اللذان اثبتموهما في دعواكم التثليث ايمكن ان يوجد اله مركب من
ثلاثة اجزا او اكثر لاننا ما سمعنا باله لذاته اجزاء او جزآن اى بوجود
اله كذلك ولا نعقلناه لانه مما يحيله العقل بالبديهة كما انها تحيل
تعدده كما يدل عليه برهان التمانع المذكور في قوله تعالى لو كان
فيهما آلهة الا الله لفسدتا وبيان احالة العقل لما ذكر انه لو فرض اله
مركب من اجزا متعدد قيل لهم الكل منهم نصيب اى جزء من الملك فان
قالوا نعم قيل لهم فهلا وفي نسخة فلم لا حذفت ما الاستفهامية لدخول
الجار عليها نحو عم يتساءلون تميز بالبنا للفاعل اى تتميز او للمفعول
الانصبا اى نصيب كل من الالهة حتى يكون ذلك التمييز دليلا على
ما ذعمتموه ولا تميز فلا تعدد كما هو بديهي وبين الثلاثة والواحد
والنقص والنما التقابل كالحاجة والاضطرار والاماتة والاحيا الاتيات

في دده

١٠٧

فان قالوا الكل نصيبا وانصبا لكنهم خلطوها قيل لهم اترا هم اى تظنهم لحاجة
اى احتياج واضطرار وهو شدة الحاجة الى الشئ بحيث لا تجد منه وجه عنه
خلطوها خلطا يمنع تميزها فان قالوا نعم قلنا لهم الاله لا يحتاج ولا يضطر
لشئ مطلقا لانه غنى بذاته عن غيره فاحتياجه واضطراره دليل قطعى على عدم
الوهيته وان قالوا خلطوها لا لحاجة ولا اضطرار قلنا ايتصور وجود
شركة دايمة بين شريكين فاكثر والحال انه ما نافيه بغى اى ظلم الخلطا
اى الشركا اى بعضهم على بعض لا يتصور ذلك بل متى وجدت شركة دايمة بين
شريكين وجد التمانع والتنازع المستلزم كل منهما خراب هذا العالم المشاهد
لانهما ان استويا فى القوة تمانعا ولم يقع فعل من احدهما وان تفاوتا
وقع مراد الغالب فقط وتخلف مراد المغلوب فيلزم ان لا يتم نظام هذا
العالم لان الفرض وقوع الشركة وعدم التميز واحتمال توافقهما دايما
الذى تجوزه العقل لا نظر اليه لانه مما تحيله العادة التى هى مناط الادلة
القرانية والسلايق العربية فليس ذلك دليلا اقناعيا خلافا لمن وهم فيه
بل الزم قايله الكفر بعض المتاخرين والف فيه لكنه الزام باطل كما هو جلى
وكون العادة تحيل ذلك مما لا يحتاج لبيان لان كل من عرفها حكم ان الشريكين
فى الاتحاد والامداد لا يتصور دوامهما على الموافقة لان من شان
النفران لا تريد بقا شريك معها وكل ذلك باطل لانا نشاهد هذا العالم
باقيا على اكمل وجوه الاتقان واحكم قواعد الشروط والاركان ويلزم
من ذلك انتفا الشريك مطلقا وان الاله لا شريك له مطلقا وبيان

بطلان

بطلان التعدد من وجه اخر وبيانه ان عيسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم كان
يركب الحمار كما عرف ذلك بالتواتر عنه وح يقال لهم ا يقولون فى حال
ركوب عيسى للحمار هو اى الاله الراكب الحمار فان قلتم انه هو فركوبه يستدعى
حدوثه وتعبه وهو يستدعى عجزه والاله لا يكون عاجزا ولا حادثا
وما زعمتموه يلزمه عجزه وحدوثه وح فيا عجزا له تعجب من دعواهم
المستلزمة ذلك بجسة الاعيا اى التعب ام منفصلة لمعادلتها للهمزة
تقولون الثلاثة الذين زعمتموهم الهة جميع على الحمار فيقال لكم لقد جل
ح حمار عمهم اى الالهة اى مجموعهم مشا صيغة مبالغة من مشى وقع

في نسخة كذا

الاحتياج الى ان يمشى به حمار فالجملة الخبرية فى النظم تفيد التعجب مما يترتب
على ما فيها ام متصلة لمعادلتها للهمزة يقولون سواهم اى الثلاثة الذين
على الحمار هو الاله فبسبب ذلك ما استفهامية نسبة عيسى اليه خبر نسبة والانتما
هو الانتساب عطف مرادف على نسبة اى اخبرونى عن انتما عيسى وانتسابه
الى الاله وح هل يوجب التثليث الذى زعمتموه وكل عاقل يجزم بانه لا يوجبه
بل ولا يقتضيه وقوله فيا عجز اله وما بعده تذييل متكرر ام منفصلة كذلك
اردتم لها اى بالثلاثة التى زعمتم انها الهة الصفات القايمة بذات
الاله والصفة ما دل على معنى زايد على الذات فلم مر انفا الكلام عليها
خصت ثلاث بالصرف للوزن بوصفه اى الاله وثنا بضم اوله ما معدولين
عن ثلاث ثلاث واثنين اثنين والمراد هنا ليس التكرير بل نفس الثلاثة
فقط عند من ينظر الى مجموع الثلاثة والاثنين فقط عند من ينظر الى الاله

الاله

بالحقيقة والاله بالتجوز فان الاول واحد فقط والثاني اثنان فقط
وعلى كل فالصفات لا تنحصر في اثنين ولا في ثلاث وادعا التثليث تحكم صرف
وهو لا يقول به عاقل ام يقولون هو اي عيسى ابن الله فيقال لكم لم اختص
عيسى بذلك حتى انه مما نا فيه مشاركته في معاني النبوة الانبيا بل عيسى
وبقية الانبيا في ذلك على حد سوا فادعا البنوة لعيسى تحكم باطل قتلته
اي عيسى اليهود حال كون قتلهم له انما هو فيما اي في المقول الذي زعمتم
معشر النصارى والزعم اصله وموضعه قول الكذب ومن ثم قالت العرب
زعموا مطية الكذب وقد يستعمل بمعنى قال مجردا عن التكذيب كقول
ام هاني للنبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة زعم ابن امي اي علي كرم الله تعالى
وجهه انه قاتل من اجرته فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم قد اجرنا من اجرت
يا ام هاني وكيف تزعمون ذلك والحال انه لاموا تكم به اي بسبب عيسى
احيا وهو رد الروح الى الجسد بعد مفارقتها له لانه كان فيكم يحيي الموتى
فكيف محيي الموتى يتمكن منه من يقتله فتصديقكم لليهود في ذلك شاهد
في نسخة صرف على سخافة عقولكم وانه لا مسكة لها ولا تثبت لانكم تقعون في التناقض
الصريح ولا تنتبهون له وعلى كل حالة ان قولا مما حكى عنكم كقولكم بالتثليث
الملقتموه على الله تعالى عما تقولونه انتم وامثالكم علوا كبيرا ذكرا اي
ثنا وتعظيما له في قولكم الله ثالث ثلاثة لقول هزا بضم الهاء من هزا
الكلام اذا كثر في الخطا وفي نسخ بالزاي من قولهم هزاة بالتسكين يهزا به
وبالتحريك يهزا بالناس ويصح ان ذكرا تمييز من تعالى اي تعالى ذكره وهذا

من القول

من القول الجامع البديع مثل يجوز نصبه حالا اي لقولكم هزا حال كونه
مثل او نعتا لمصدر محذوف ورفعه خبر مبتدا محذوف اي هو مثل
ما قالت اليهود اي قولهم بالبدا فالتشبيه من حيث مطلق الكفر وان
تباين تفصيل كل من المقالتين وكل من الفريقين لزمته اي لزمت
دعواه مقالة شنعا اي قبيحة جدا اذ هم استعروا البدا اي تتبعوه حتى
قالوا ما عدا العيسوية منهم لا يجوز عقلا ولا سمعا على الله نسخ ملة
بملة لانه يوهم البدا وهو ظهور مصلحة له بعد خفايها حتى ينسخ ما مضى
لاجلها ووافقهم بعض غلاة الرافضة ومنهم من جوزه عقلا ومنعه
شرعا واما قول بعض المسلمين الحكم الثابت لا يرتفع بل ينتهي فلا يكون
نسخا ممنوع بل هو نسخ وح فالخلاف لفظي واعلم ان شريعة نبينا صلى الله
عليه وسلم ناسخة لجميع الشرايع اجماعا واختلفوا في شريعة عيسى صلى
الله عليه وسلم هل هي ناسخة لشريعة موسى او مخصصة والاظهر انها
مخصصة لا ناسخة لقوله ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم قال الامام
في تفسيره روي ان الرسل بعد موسى كلهم على شريعته الا شريعة عيسى
تنبيه ذكر الامام ايضا في المطالب العالية في الحكمة في
نسخ الشرايع كلاما حسنا فقال الشرايع منها ما يعرف نفعه
بالعقل معاشا ومعادا فهذا يمتنع طرو النسخ عليه كمعرفة الله
تعالى وطاعته ابدا ومجامع هذه الشرايع العقلية امران التعظيم
لامر الله تعالى والشفقة على خلق الله تعالى ومنها سمعية لا

بيان الحكمة في نسخ الشرايع

يرف الانتفاع بها الا من السمع وهذا يمكن طرو نسخه وتبديله وحكمة
نسخه ان الاعمال البدنية اذا واظب عليها الخلف عن السلف صارت
كالعادة وظن انها مطلوبة لذاتها فيمتنع الوصول بها لما هو المقصود
من الاعمال انما هو رعاية احوال القلب والروح في المعرفة والمحبة فان
الاوهام تنقطع عن الاشتغال بتلك الصورة والظواهر الى تطهير
السرائر وقال غيره حكمته ان الخلق طبعوا على الملالة من الشيء فوضع
في كل عصر رسول بشريعة جديدة لينشطوا في ادائها واعظم حكمة
اظهار شرف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بانه نسخ بشريعته شرايعهم
وشريعته لا ناسخ لها ومن حكم النسخ ايضا ما فيه من حفظ مصالح العباد
كطبيب امر بدواء في يوم وباخر يوم ثان وهكذا بحسب المصلحة وان كان
الثاني افعل تنبيه اخر ما زعمه اليهود ان النسخ يستلزم
البدا باطل لما تقرر ان المصالح الداعية للنسخ ترجع اما لاحوال المكلفين
او الازمنة وذلك لا يستلزم بدوا ولا يقتضي ان الله تعالى ظهر له شيء
بعد ان لم يكن وزعم اليهود انه يستلزمه فمنعوا النسخ منه وهذا اغلط
في الاولين من كفر اليهود فصل الجواب عن قولهم الفعل اما حسن
فيستحيل النهي عنه او قبيح فيستحيل الامر به فالنسخ محال على التقديرين
وبيانه ان التحسين والتقبيح العقليين باطلان وتسليمهما بالعلم
العادي قاطع بان الفعل قد يكون مصلحة في وقت مفسدة في وقت
اخر وكذا بالنظر للمكلف يكون مصلحة في حق واحد مفسدة في حق اخر

ولا مانع

ولا مانع ان علمه تعالى يتعلق بان حرمة كذا تنتهي بوقت او فعل كذا
قالوا والسمع يمنع النسخ ايضا لان اللفظ الدال على شرع موسى اما ان يدل
على الدوام فان ضم اليه ما يقتضي نسخه فهو تناقض وان لم ينضم له
ذلك كفى به مرة فلا يتصور فيه نسخ قالوا ومما يمنعه ايضا ما علم بالتواتر
من قول التوراة تمسكوا بالسبت ابدا وجوابه انهم في زمن بخت نصر
قتلوا حتى لم يبق منهم الا دون عدد التواتر بل قيل لم يبق منهم الا
دون عدد التواتر بل قيل لم يبق منهم الا ستة اطفال على ان الابد
كثيرا ما يراد به الزمن الطويل كما في التوراة في صور كثيرة وكم اي مرات
كثيرة ساق وبالا اي عذابا اليهم استقرا وفي هذين كمالات ومقالة السابقين
جناس الاشتقاق كرد العجز على الصدر وفي المسخ والنسخ ونسخ ومسخ
الجناس اللاحق وخالفهم وحالفهم الجناس المضارع لقرب المخرج والمصحف
وقوله وكم الى اخره من التذييل البديع والاهم اي اعلم انهم لعل قولهم
بذلك اعني امتناع النسخ لئلا يلزم البدا لم يجعلوا اي يعتقدوا
الواحد في ذاته وصفاته وافعاله فلا شريك له بوجه ما القهار في الخلق
اي للخلق على نفوذ ما اراد فيهم ويصح تعلقه بفاعلا فهي على حالها
فاعلا ما يشاء لان امتناع النسخ عليه يستلزم قهره وعجزه جوزوا
النسخ جواب لو الاتية تجويزا مثل ما مصدرية جوزوا المسخ عليهم لو
انهم فقهوا اي فهموا ولا فهم لهم اذ لا ابلد في الفرق منهم والنسخ لغة
الازالة والتغيير والنقل كنسخ الشمس الظل والريح التراب ونسخت

في العمل صح

الكتاب وشرعا بيان انتهاء حكم شرعي بخطاب اخر شرعي وزيد فيه متراخ ليخرج نحو
الاستثنا وورد بان الكلام لا يعرف حكمه الا بانتهائه فلا يحتاج الى الاحتراز
عن ذلك بهذا القيد اي لو ثبت انهم فقها لجوزوا النسخ لانه كما علم
من حده لا يلزم عليه محذور البتة وزعمهم البدا باطل لا يعول عليه ومما
يدل على جوازه ووقوعه ما علمه اليهود من وقوع المسخ وهو تحويل الصورة
الى اقبح منها في كثير منهم في زمن موسى لما خالفوه في السبت فمسخهم
الله تعالى قردة وخنازير كما قصه تعالى في كتابه العزيز وكيف يمنعون
النسخ وهو ليس فيه الا ان يرفع الحكم الشرعي اي استمراره وتعلقه فعلم ان
المراد بالحكم تعلقه بالمكلف بعد ان لم يكن او نفسه لكن من حيث دوامه
بمعنى تكرره لا ذاته التي هي خطاب الله تعالى المتعلق بفعل المكلف من حيث
هو مكلف اقتضا او تخييرا لانه قديم وما ثبت قدمه استحال عدمه ثم
النسخ يكون الى بدل ولا الى بدل فان كان الى بدل زيد في الحد بالحكم
الشرعي وان كان لا الى بدل لم يزد ذلك وخلق اي ايجاد فيه اي المسخ ٥
للصورة الثانية بعد ذهاب الصورة الاولى وامر اي تصرف في رفع الحكم
الاول وايجاد الثاني سوا لما تقرر ان المسخ فيه رفع الصورة الاولى
وخلفها الصورة الثانية والنسخ فيه رفع الحكم الاول وخلفه الصورة
الثانية الحكم الثاني فاذا جوزتم الاول لزمكم ان تجوزوا الثاني والا
فانتم سفها معاندون لا يلتفت اليكم وكيف تستبعدون النسخ وانما
غايته ان كان لبدل ان فيه حكمين المنسوخ وهو المراد بقوله لحكم من الزمان

انتها

١٠٢

عبارة ان درج وهذا فيه اشارة الى التغير اخر النسخ فانا اختلف فيه هل هو رفع او انتها فاشار الى التغير بين

انتهآ والناسخ وهو المراد بقوله وحكم من الزمان ابتدآ ولا ينافي هذا
تفسيرهم النسخ لما علمت ان المراد رفع تعلقه بالمكلف او دوامه وهو الانتها المذكور
هنا وقول الشارح انه اشارة الى تفسيرين في النسخ غير صحيح لان حقيقة الرفع
مستحيلة فوجب تاويل التعبير به بما قلناه كما هو المقرر في محله فتامله وعلى كل فجواز
النسخ اولى من جواز المسخ لان ذاك في الاحكام وهذا في الذوات سوا جعلنا
النسخ رفعا ام بيانا وسوا جعلنا المسخ في صورتهم حتى صار اقاربهم من المؤمنين
لا يعرفونهم وهم يعرفونه اي يجي القرد الى قريبه ويتمسح به وتدمع عيناه
فيقول له الم انهكم عن المخالفة فيشير براسه ان نعم ام في قلوبهم فقط على
ما ذكره مجاهد والنظم مشير الى هذه القصة ففيه تلميح وبين ابتدا وانتها
طباق واذا اردتم ايها المسلمون المبالغة في ادحاض حجتهم فسلوهم قائلين
لهم اذ كان في مسخهم التفت عن خطابهم مبالغة في تحقيرهم اي جعلهم قردة في
الصورة كما هو المشهور او في قلوبهم وجعلها كقلوب القردة لا تقبل هدايته
مع بقا ذواتهم على ما زعمه مجاهد نسخ لايات الله وهي الصورة الاولى مع
احكامها او الادراك الاول على قول مجاهد ام انشا لايجاد صورة
مستقلة وحكم مستقل يتعلق بها او لادراك كذلك فان قالوا بالاول
فقد ناقضوا انفسهم ولزمتهم الحجة او بالثاني فهو مكابرة للحس والحق ان
المسخ متردد بين انشا الخلق وبين النسخ لانه بالنسبة للصورة الاولى
نسخ وبالنسبة الى الصورة الثانية المتجددة القبيحة انشا لا يقال
قد لا يعترفون بطرو التغير على قلوبهم بنا على قول مجاهد لانهم اعترفوا

هو لفظ الجوهري ايضا

به في قولهم قلوبنا غلف اى مغطاة باغشية خاصة لا يصل اليها ما جيت به ٥
وبدا بالمد سبق معناه وهو مبتدا خبره **في قولهم** الثابت عنهم وبعولهم
ندم الله على خلق ادم ام خطا المشهور فيه القصر ويجوز مده كما جرى عليه
الناظم وهو عطف على بدا اى سلوهم عن قولهم هذا اهو عن قصد منهم
او عن خطا منهم فان قالوا عن قصد كان عين البدا الذي انكروه لانه
يستلزم جهل الله تعالى بعواقب الامور وحينئذ فكيف يمنعون النسخ فرارا
من لازمه عندهم وهو البدا هذا تناقض قبيح وان قالوا انه خطا
منهم فيكفيهم الاعتراف به على نفوسهم وانهم في غاية السفاهة والغباوه
ويلزمهم الاعتراف بالبدا الا بالخطا فاتضح بطلان زعمهم استحالة النسخ
حذرا من البدا وسلوهم ايضا عما لا يمكنهم انكاره لانه امر محسوس وورد
القران على طبقه فقولوا لهم اعلامة الليل والنهار باقية فلا تزول
احدهما بالاخرى **ام محا** اى اذهب **الله اية** اى علامة **الليل** اسم جنس
جمعي واحده ليلة كتمر وتمرة واتى بالنهار بدله وهكذا الى يوم القيمة
ذكر بضم الدال من جهة الذكر اى العلم والتعمد **بعد سهو لبوجد الامسا**
اى الدخول في المسا وهو ما بعد الزوال والمناسب ان يراد به هنا ما
بعد الغروب اى سلوهم هل هذا المحو واقع ام لا وبفرض وقوعه فهل
هو عمد بعد سهو او عن سهو ابتدا فان قالوا بالاول لزمهم القول
بالنسخ لانه بمنزلته او بالثاني من الترديد الاول فقد كابروا الحس
او من الترديد الثاني لزمهم القول بالبدا الان من تجوز السهو تجوز البدا

لانه بمنزلته فلم منعوا النسخ حذرا منه وقد بين تعالى حكمة اختلاف الليل
والنهار في غير ما اية فقال قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الايات
وقال هو الذي جعل لكم الليل والنهار خلفة ان تخلف احدهما الاخر لمن اراد
ان يذكر او اراد شكورا وقال وجعلنا الليل والنهار ايتين فمحونا اية الليل
وجعلنا اية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين
والحساب والحاصل ان الحكمة كما تقتضي دوام اشيا بلا تبدل ولا
تغير تقتضي تبديلها وتغيرها وفي ذكرا بعد سهو جناس التطابق لحرم
والتحليل وجحدوا ومن الاتيان **ام بدا الله له في ذبح اسحاق** حين امر
به ثم نسخه **و** الحال انه **قد كان الامر فيه** اى بذبحه من الله لخليله ابراهيم
صلى الله على نبينا محمد وعليهما وسلم في النوم **ممضا** اى ماضيا نافذا وفي نسخ
قضا بالقاف اى حتم وذلك لان رؤيا الانبيا وحي اى سلوهم عما وقع
للخليل انه امر بذبح ولده امرا جازما ثم عند ارادته له لما اضجعه على
جنبه نسخه تعالى فامره بتركه وفداه بذبح عظيم وما يقال ان الرقبة
كسيت نحاسا وانه مر بالسكين عليها فلم تؤثر ونحو ذلك مما يذكره الخطبا
والقصاص فكله لم يثبت فيه شي فان قالوا ان الامر بالفدا وترك الذبح
نسخ للامر بالذبح لزمهم القول بالنسخ مطلقا او غير نسخ لزمهم الجهل
المفرد والغباوة الشنيعة تنبيه ما جرى عليه الناظم ان الذبيح
اسحاق هو ما عليه الاكثرون قيل واجمع عليه اهل الكتابين لكن سياق
الاية والمشاهدة بان اسماعيل هو الذي كان بمكة ومنى ولم ينقل قط

ان اسحاق ح ولا اتى تلك الاماكن قاضيان بانه اسماعيل وهو التحقيق كيف
وقد صح ما يصرح بذلك روى البخاري في المستدرك ان الصنابحي قال
حضرنا مجلس معاوية رضى الله تعالى عنه فتذاكر القوم اسماعيل الذبيح
واسحاق ابنى ابراهيم عليهم الصلاة والسلام فقال بعضهم الذبيح
اسماعيل وقال بعضهم الذبيح اسحاق فقال معاوية سقطتم على الخبير كنا
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه اعرابى فقال يا رسول الله خلفت
البلاد يابسة والماء يابسا وضاع العيال فعد على مما افاء الله عليك
يا ابن الذبيحين فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه فقلنا
يا امير المؤمنين وما الذبيحان فقال ان عبد المطلب لما امر في المنام
بحفر زمزم نذر لله ان سهل الله له امرها يذبح بعض ولده فاخرجهم
فاسهم اى اقرع بينهم فخرج السهم لعبد الله فاراد ذبحه فمنعه اخواله
من بني مخزوم وقالوا ارض ربك وافد ابنك ففداه بمائة ناقة فهو
الذبيح واسماعيل الثاني وهكذا رواه ابن مردويه والثعلبي في
تفسيرهما وسلوهم ايضا فقولوا لهم اتنكرون النسخ وتقولون
ما حرم الله نكاح الأخت بعد التحليل في زمن ادم صلى الله عليه وسلم
او تقولون حرمه بعد ان حلله وعليه فهو اى نكاحها زنا موجب للرجم
ومد الزنا لغة وهذا صريح في النسخ الذي تنكرونه وان قالوا لم يحرم
او لم يحللها فهو عناد محض وقائله لا يخاطب ولا يجاب لهم واذ قد
بان لك قبيح جهلهم وتناقضهم وعنادهم فامسك عن حججهم ولا

تكذب

تكذب ان اليهود والحال انهم قد زاغوا اي مالوا عن الحق من وجوه عديدة
سفها وحسدا معشر اى قوم لؤما جمع لئيم وهو الدنى الاصل الشحيح النفس
جحدوا بدل من زاغوا المصطفى أي المختار من الصفوة والمصفى من كل نقص
اى انكروا نبوته ورسالته بعد علمهم بها علما يقينيا قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم والحال انه قد امن بالطاغوت اى الشيطان وكل ما عبد من دون الله
او صد عن عبادته فعلوت من الطغيان قوم هم عندهم شرفا هذا كالذي
قبله بيان لعظيم لؤمهم وزيغهم عن الحق اذ جحدوا الحق الاظهر من الشمس
واقروا من امن بالباطل ومدحوهم على ذلك بل عدوهم مع ذلك من عظمائهم ثم
ظاهر النظم ان المؤمن بالطاغوت فرقة من اليهود لا كلهم وليس كذلك بل كلهم
امنوا به كما يصرح به قوله تعالى عز قائلا الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
قال المفسرون هم اليهود يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين
كفروا اى عن اشرافهم او كبار العرب هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا
وعجبت من الشارح حيث اخذ النظم على ظاهره واستدل له بالاية مع
انها انما تدل على الكل لا البعض ويصح ان المراد وامن بالطاغوت قوم من قريش
هم عندهم شرفا ومعنى الاية ح ويقولون اى اليهود للذين كفروا اى
عن كفار العرب الذين امنوا بالجبت هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا
ويدل على هذا ان حيي بن احطب لما ذهب لقريش وغيرهم ليحرضهم على
قتاله صلى الله عليه وسلم ومعه اشراف من اليهود سالوهم انحن خير دينا
من محمد قالوا انتم ففرحوا وخرجوا لقتاله صلى الله عليه وسلم تنبيه

جعل الواو للحال لا للعطف لدال عليه حذفه من قتلوا الاتي اولى من قول
الشارح انها عاطفة وان المسوغ للعطف وصف قوم بالجملة بعده اى
لما قررته فيه ان مدحهم للمؤمنين بالطاغوت مع جحدهم لنبوة نبينا فيه غاية
الغباوة واللوم واحوجه الى ذكر المسوغ قولهم شرط قبول عطف الجملة على
الاخرى ان يكون بينهما مناسبة بجهة جامعة نحو زيد يكتب ويشعر وقد
يقال في النظر دلالة لما فعله الشارح لانه اتى باربع جمل ثنتين بلا واو
وثنتين بواو نظرا للمناسبة المعتبرة في ذلك وبيانه ان ايمانهم بالطاغوت
مع جحدهم نبوة نبينا فيه ما مر وكذلك اتخاذهم العجل مع قتلهم للانبيا
واما قتلوا مع ما قبله فلا مناسبة ظاهرة بينهما فلم يعطف عليه قتلوا
بعض بعد بدل او عطف بحذف حرفه بنا على انه يمكن مناسبة لما قبله الانبيا
كزكريا ويحيى وغيرهما جا انهم قتلوا في يوم واحد سبعين نبيا ثم اقاموا سوق
بقلهم ومعايشهم واتخذوا العجل الها ومعبودا مع ان السامري هو الذي
صاغه لهم بحضرتهم من الحلي الذي استعاره من القبط قبل غرقهم والقى
فيه من تراب قبضه من تحت حافر فرس جبريل الذي جا به لفرعون حين دخل
وراهم البحر لما انفرق لهم لانه كان احجم عن دخوله وبحر دان القى فيه تلك
القبضة خور ذلك العجل فقال لهم هذا الهكم واله موسى فراج على عقولهم
السخيفة كلامه فاعتقدوه الها كما قصه الله تعالى علينا مبسوطا في
القران ومن ثم كان في كلامه اقتباس كقوله الا حرف تنبيه لاستفراغ
وسع السامع في القا سمعه لما بعدها انهم هم السفها ولكن لا يشعرون بجهلهم

بجهلهم مركب

انه مركب فلا اسفه ولا اغبا منهم جمع سفيه وهو من زاد نقص عقله حتى
حصلت له خفة وطيش وسخافة راى وانطماس بصيرة ومن ثم لم ينظروا الى
كونه محدثا بحضرتهم من جماد والا له لا يكون كذلك عند من له ادنى عقل
وتمييز ثم بين ادنى انواع سفههم بقوله سلحنا لما وقع لهم وسفيه خبر مقدم او مبتدا
وسوغ الابتدا به وقوعه بيانا لما قبله كما تقرر من ساءه اى احزنه المن وهو
نوع من الحلوى يسمى الترنجبين كان ينزل عليهم وهم في التيه في غاية الاضطرار
والسلوى هو السماني طير من اشهى الطير لحما وانفعه واطيبها غذا كان ياتيهم
الى محالهم فرقا فرقا فيمدوا ايديهم اليه وياخذوا ما شاؤا او ارضاه الفوم اي
الثوم كما قرى به وقيل الحنطة وهو بعيد من السياق لان الحنطة ليست من
الادنى والقثا بل ساءه فيهما وفي نظائرهما قال تعالى تبكيتا لهم بعد ما
ذكر انه انزل عليهم المن والسلوى واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد
فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها
وبصلها قال اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير ففي كلامه اقتباس
وطباق بين ساءه وارضاه ومراعاة النظير في المن والسلوى والفوم والقثا
ملئت بالخبيث وهو ما سالوه من الفوم وما معه منهم صفة تقدمت
فصارت حالا بطون لتناسب ما انطوت عليه من الغل والحسد والغباوة
والسفاهة والمراد ملئت بطونهم بالدا الخبيث العضال الذي لا دوا
له وهو الغل والحسد وما تبعه والى هذه يرشد ما رتبه عليه بقوله
فهي نار اى مشتملة على ما يؤدي الى النار او سماها نارا اعتبارا بالمآل كما

في ان اذا في اعصر خمرا طباقها اي النار الامعاآ اي المصارين اي معا فوقه نار
ثم معا ثم نار وهكذا والى الاول يرشد قوله مليئت بالخبيث المشعر بان بطونهم
صارت به كنار ذات طباق وطباقها هي امعاوهم الخبيثة ويصح ان المراد
ان بطونهم صارت كنار ذات طباق بعضها فوق بعض وطباقها امعاؤهم
والخبيث الذي مليئت به هو نحو الربا والسحت فاذا دخلها جذبته المصارين
اليها وبعضها فوق بعض وايضا الخبيث بعضه اشد عذابا من بعض فبعضه
فوق بعض لتفاوت عذابهم بالنسبة الى اكلهم واكتسابهم هذا على الاصح
عندنا في الاصول انهم مخاطبون بفروع الشريعة يعاقبون عليها بخصوصها
في الاخرة وعلى مقابله هم كفروا من وجوه بعضها اشد من بعض لو شرطيه
اريدوا في حال سبت مصدر سبتت اليهود اي عظموا سبتهم بالسكوت فيه
عما عدا العبادة واصله القطع بخير الباء زايدة للتاكيد كما هو راى
جماعة وكل من الظرفين متعلق باريد وا على ان الثاني مفعول ويصح كون
الاول حالا من خير اي لو اراد الله لليهود في حال سبتهم الذي فرض
عليهم تعظيمه خيرا كان سبتا لديهم الاربعاآ بتثليث الباء هذا من حيث ترتبه
على ما قبله بطريق الملازمة المستفادة من لو في غاية الاشكال ولم ينبه
له الشراح على ذلك او لم يتنبه له وانما تكلم على بعض مفرداته فقط ومنها
قوله والسبت اخر الاسبوع والاربعاء رابعه وقيل السبت اوله والاربعا
خامسه وقد يقال كان الناظم نظر الى ان السبت القطع كما مر والى ان
الاربعا محل النور الحسي لما يأتي ان الله تعالى خلق النور فيه فيكون محلا

للنور

للنور المعنوي الذي هو الوصل فكانه يقول لو اريد بهم الخير لجعل قطعهم
وصلا ولا ينافي ذلك قوله هو يوم مبارك لانه باعتبار ما فرض الله
تعالى عليهم من تعظيمه وتخصيصه بالعبادة وما نحن فيه باعتبار
انه لو اريد بهم تمام الخير جعل محل عباداتهم مؤذنا بوصولهم الذي من
شانه ان ينشا عن العبادة واما اذا جعل محل عباداتهم مؤذنا
بقطعهم باعتبار اصل مدلوله فهو مما يؤذن بنقصهم وانهم لم يرد
بهم كمال الخير ومما يوضح هذا ان الله تعالى ادخر لهذه الامة يوم
الجمعة المؤذن بغاية الوصل اذ مقام الجمعية هو مقام الوصل الذي
هو اكمل المقامات وافضلها وجعل لليهود السبت المؤذن بقطيعتهم
وحرمانهم وللنصارى الاحد المؤذن بوحدتهم وتفردهم عن مواطن
الخيرات والسعادات فكان فيما خصت به كل امة من الانام دليلا
على احوالها وما يؤول اليه امرها فنبه الناظم رحمه الله تعالى على
هذه الحقيقة العرفانية والحكمة الربانية زيادة في مدح هذه
الامة وذم غيرهم او يقال ان الناظم اراد بذلك انهم لو
اريد بهم الخير لكانت الايام كلها عندهم سبتا يجبوها جميعها
بالعبادة واما تخصيص يوم منها بالعبادة دون بقية الاسبوع
فهو من جملة ما اريد بهم من خلاف الخير وعلى هذا مع ما فيه من البعد
والتكلف يكون معنى حال سبت شانه ويكون ذكر الاربعا الا للتقييد
ويكون قوله هو يوم الى اخره رجوعا الى مدح ما شرع لهم ولا ينافي قبله

مام

لان بركته لا تنافي ان تعطلهم عن العبادة بقية الاسبوع غير خير واعلم
ان قول الشارح والسبت الى اخره عجيب منه اذ ما حكاه بقيل هو الذي صح
به الخبر وعليه الاكثرون وهو مذهبنا كما في الروضة واصلها ونقله في
شرح المهذب عن الاصحاب بل قال السهيلي في روضه لم يقل بان اوله
الاحد الا ابن جرير واستدل له في شرح المهذب بخبر مسلم عن ابي هريرة
قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله التربة يوم السبت
وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم
الثلاثا وخلق النور يوم الاربعا وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق
ادم بعد العصر يوم الجمعة في اخر الخلق في اخر ساعة من النهار فيما
بين العصر الى الليل وهذا الخبر صوب الاسنوي كالسهيلي وابن عساكر
ان اوله السبت وجرى النووي في موضع على ما يقتضي ان اوله الاحد فقال
في يوم الاثنين سمي به لانه ثاني الايام الا ان يجاب بانه جرى في التسمية
المكتفي فيه بادنى مناسبة على القول الضعيف نعم انتصر لكون اوله الاحد
الذي جزم به القفال من اصحابنا بان الخبر السابق تفرد به مسلم وقد
تكلم فيه الحفاظ علي ابن المديني والبخاري وغيرهما وجعلوه من كلام كعب
وان ابا هريرة انما سمعه منه ولكن اشتبه على بعض الرواة فجعله مرفوعا
ويجاب بان من حفظ الرفع حجة على من لم يحفظه والثقة لا يرد
حديثه بمجرد الظن ولاجل ذلك اعرض مسلم عما قاله اوليك واعتمد الرفع
فصح طريقه في صحيحه فوجب قبولها ومن ثم انتصر ابن عساكر لكون اوله

السبت

السبت بما حاصله ان تاييد ابن جرير لكون اوله الاحد بان هذا العالم
خلق في ستة ايام وادم خلق يوم الجمعة انما يصح بتقدير ان يوم الجمعة
داخل في الست التي فيها خلق العالم ولم يصح ذلك لانه صلى الله عليه وسلم
فسر خلق الاشيا وجعل خلق ادم في اليوم السابع وهو يوم الجمعة ولم
يثبت انه خلق اخر الايام وانما اخبر تعالى انه خلق العالم في ستة اخرها
الخميس وخلق ادم بعد الفراغ من خلقها اشارة لكونها خلقت لمصالح
لبنيه وسياق خبر مسلم المذكور ظاهر في ذلك ويوضحه ايضا
الخبر الصحيح ان الله تعالى هدانا ليوم الجمعة واضل عنه اليهود والنصارى
اي لان اليهود لما اعتقدوا ان اول الاسبوع الاحد كان يوم الجمعة سادسا
فاخذوا السابع وهو السبت والنصارى لما اعتقدوا ان اوله الاثنين
اخذوا الاحد واما هذه الامة فاعتقدوا ان اوله السبت فاخذوا
السابع وهو الجمعة قال ولا حجة في اشتقاق نحو الاحد من الواحد
وهكذا لان هذه التسمية لم تثبت بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلعل
اليهود وضعوها على مذهبهم فاخذها العرب عنهم ولم يرد في القران
الا الجمعة والسبت وليسا من اسما العدد اتسمى على ان هذه التسمية
لو ثبتت لم يكن فيها دليل لان العرب تسمي خامس الورد اربعا وهكذا
وهذا هو الذي اخذ منه ابن عباس قوله الذي كاد ان ينفرد به ان
يوم عاشورا هو يوم تاسع المحرم وتاسوعا ثامنه وهكذا هو اي يوم
السبت يوم مبارك لان الله تعالى ابتدا فيه خلق هذا العالم كما مر خلافا

لما زعمت اليهود انه ابتداه يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح
يوم السبت قالوا نحن نستريح فيه كما استراح الرب فيه وهذا من
جهالة غباوتهم وسفاهتهم ومن ثم رد الله تعالى عليهم بقوله عز قايلا وما
مسنا من لغوب اى تعب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا اذ لا يتصور التعب
الا من حادث مفتقر للغير يعانى الاسباب والله سبحانه وتعالى بخلاف
ذلك كله انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون اى ان
يوجد فورا فلا يتخلف عن الارادة فقوله كن كناية عن ذلك **قيل**
بناه للمجهول لضيق النظم فلا يتوهم انه قول ضعيف **للتعريف** اى
للتصرف **فيه** ببيع او نحوه **من اليهود اعتدا** اى ظلم وعدوان وان كان
سببا لمسخ كثيرين منهم قردة وخنازير وذلك انهم لما امروا ان يجردوه
للعبادة اعتدى فيه ناس منهم في زمن داوود صلى الله عليه وسلم اثنا عشر
نفرا فاصطادوا فيه وكانوا بايلة قرية على جانب البحر فابتلاهم الله
تعالى بان الهم السمك يوم السبت انه ما يبقى حوت في البحر الا ورفع
خرطومه او خرج فاذا مضى السبت تفرق السمك ونفر فاجمع راي
جماعة منهم على حيلة يمسكون بها السمك وتمنعهم عن الاصطياد يوم
السبت فحفروا يوم الجمعة حفرا جانب البحر وجعلوا فيها جداول
من البحر فصارت تمتلئ منه يوم السبت وياخذونه يوم الاحد
فشووا واكلوا فشم جيرانهم فسالوهم فاخبروهم بالحيلة فقالوا
ان الله معذبكم ثم لما لم يعاجلوا بالعقوبة تبعهم جماعة ثم جماعة حتى

علة سبب مسخ بنى اسرائيل

صاروا

صاروا اقدر الثلث وسكت قدر الثلث واعتزلهم الثلث الباقى فبنوا بينهم
حائطا فاصبحوا وقد مسخ الثلث الاول قردة وخنازير وكذا الثانى على
اختلاف فيه اى لان الاية فيهم محتملة ومن ثم قال ابن عباس لا ادرى
ما فعل بالساكتة نجاها ام مسخها كذلك قال بعضهم ما لك يؤخذ من هذا
تحريم الحيلة ووجوب سد الذرايع انتهى ويرد بان المقرر في الاصول
ان شرع من قبلنا ليس شرعا لنا فان ورد في شرعنا ما يوافقه بالدليل
فهو شرعنا لا غيره **فبظلم** متعلق بعدتهم **منهم** وهو وضع الشيء في
غير محله كجنايتهم في السبت واكلهم الربا واخذهم اموال الناس
بالباطل **وكفر** من عطف الاخص لزيادة الاهتمام به **عدتهم** اى
فاتتهم **طيبات** من الرزق حرمها الله تعالى عليهم وهذا مقتبس من
قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات من الرزق احلت
لهم الاية ومن شان الطيبات انه يوجد في **تركهن** الذى حتم الامر
به **ابتلا** اى اختبار ومحنة للعبد يكون سببا لصلاحه او هلاكه
خدعوا اى يهود المدينة وما قرب منها بدل من زاعوا لكن ذاك
عام وهذا خاص لتقييده بالظرف بعده **بالمنافقين** من الاوس
والخزرج الذى فهم هم الاسلام فاظهروه واتخذوه جنة من
القتل مع بقائهم على كفرهم باطنا وكان هواهم مع اليهود لانهم
مثلهم باطنا فكانوا يدسون اليهم المكر والخديعة وكانت احبار
اليهود هم الذين يتعنتون على النبى صلى الله عليه وسلم فنزل القران

متكذ بالهم تارة ومجيبا عن شبههم اخرى ومنها على احوال المنافقين
الذين هم معهم باطنا اخرى ومعنى كونهم خدعوا بهم انه اريد بهم المكروه
من حيث لا يعلمون بسبب المنافقين الذين كانوا يصدونهم عن النبي صلى
الله عليه وسلم فيخدعون لهم لغباوتهم وسفاهتهم كما قال وهل ينفق
الا على السفيه الشقا اى وما ينفق الشقا الا على السفيه وهم اليهود
لا غير شبه الشقا الحاصل لهم بدارهم تصرف وتخرج في الشر فهو استعارة
بالكناية واثبت لها ما هو من لوازم المشبه به وهو الانفاق تخييلا
وجعل الشارح نفق من النفاق اى الرواج فعليه شبه الشقا
بالسلعة المعروضة للبيع واثبت لها النفاق تخييلا ورشح او جرد
بذكر السفه الملايم للمشبه والمشبه به واطمانوا من زعمهم بما كانوا
يترقبونه من النبي صلى الله عليه وسلم بسبب فود الاحزاب اى طوايف
اهل مكة ومن كان معهم من قبايل العرب الذين تجمعوا لحربه صلى الله
عليه وسلم لعدو وقعة احد اخوانهم في الكفر لهم انا لكم اولياء اى
متوالون ومتفقون على محمد صلى الله عليه وسلم وسبب ذلك ان جماعة
من اليهود منهم اللعين حي ابن احطب ازدادت عداوتهم له
صلى الله عليه وسلم حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم لحربه صلى الله عليه
وسلم وقالوا انا نكون معكم عليه حتى نستاصله فوافقوهم حتى ذهبوا
لغطفان وذكروا لهم ذلك فوافقوهم فخرجت قريش وقايدها
ابو سفيان قبل اسلامه وغطفان ومن معهم من اهل نجد وقايدها

عيينة

119

النبه صح

عيينة بن حصن فاجتمعوا في عشرة آلاف واليهود قاطعون بانهم يستاصلون
المسلمين فلما سمع بهم صلى الله عليه وسلم اشار سلمان بحفر الخندق لان العرب لم
تكن تعرفه فاجتهد فيه صلى الله عليه وسلم هو واصحابه فلما وصل العدو اليهم خرج
اليهم في ثلاثة آلاف فمكثوا نحو عشرين يوما او خمسة عشر وهو الاشهر لا قتال
بينهم الا الرمي بالنبل والحصا ثم اشتد الحرب فجا نعيم بن مسعود الى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال له اني اسلمت ولم يعلم بي قومي فمرني بما شئت فامره بان يخذل
عنهم ما استطاع فان الحرب خدعة فذهب الى بني قريظة وكان نديمهم في الجاهلية
فحسن لهم التخلف عن معاونة قريش الا ان اخذوا منهم رهنا وخوفهم على انفسهم
واولادهم فقالوا اشرت بالراي ثم ذهب الى العرب وقال لهم عن اليهود مثل
ذلك وانهم ندموا على ذلك فاعتقدوا واصدقوا نعيما واختلف بينهم فخذلهم الله
تعالى وارسل عليهم الريح في ليال شديدة البرد فكفات قدورهم وطرحت خيامهم
وبلغه صلى الله عليه وسلم تخالفهم وما هم فيه فقال لحذيفة بن اليمان اذهب
فانظر ما فعل القوم ولا تحدث شيا حتى تاتينا فدخل بينهم فسمع ابا سفيان يقول
لينظر الرجل منكم من جليسه قال حذيفة فاخذت بيد من يجنبني فقلت من انت
فقال فلان بن فلان ثم قال ابو سفيان والله يا معشر قريش ما اصبحتم بدار
مقام لقد هلك الكراع والخف واخلفتنا بنو قريظة ثم امرهم بالرحيل فارتحل
ولولا عهد النبي صلى الله عليه وسلم الي ان لا احدث شيا لقتلته بسهم ثم سمعت غطفان
ما وقع لقريش فرحلوا ايضا فلما اصبح صلى الله عليه وسلم رجع الى المدينة وقال
لا تغزوكم قريش بعدها ابدا ولكن انتم تغزونهم وكان كذلك ولما وضعوا

وارسلوا الجند بذلك فارسلوا رسلهم لقريظة فذكروا لهم ذلك صح

السلاح جاء جبريل معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة عليها قطيفة ديباج وفي
رواية البخاري انه لما وضع السلاح اغتسل فاتاه جبريل فقال قد وضعت
السلاح والله ما وضعناه اخرج اليهم اى بنى قريظة فانى عامد اليهم ومزلزل
بهم وفي رواية فهم فشد عليك سلاحك فوالله لادقنهم دق البيض على الصفا
فبعث صلى الله عليه وسلم مناديا يا خيل الله اركبي فذهب اليهم في ثلاثة آلاف
مقاتل وستة وثلاثين فرسا فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة او خمسة عشر وقذف
الله تعالى في قلوبهم الرعب فعرض عليهم رئيسهم الايمان وحلف لهم انه
نبي مرسل وانه الذي يجدونه في كتابهم فابوا فقال الليلة السبت فلعلهم
امنونا فانزلوا لعلكم تصيبون منهم فقالوا يفسد سبتنا ونحدث فيه
ما لم تحدث فيه من قبلنا الا من علمت فاصابه ما لم تخف عليك من المسخ ثم
اشتد عليهم الحصار فنزلوا على حكم النبي صلى الله عليه وسلم فحكم فيه سعد بن معاذ
سيد الاوس فحكم فيهم بان تقتل رجالهم وتقسم اموالهم وتسبى ذراريهم
فقال صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله الذي حكم به فامر صلى الله عليه
وسلم بهم فادخلوا المدينة وحفر لهم اخدودا في السوق وجلس صلى الله عليه
وسلم ومعه اصحابه واخرجوا اليه وضربت اعناقهم وكانوا ما بين ستمائة الى
سبعمائة ولا ينافيه الرواية الصحيحة انهم كانوا اربعمائة مقاتل لان الباقين
اتباع وبما تقرر علم ان الاحزاب **حالفوهم** اى اليهود اى عاهدوهم مع الايمان
المغلظة على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم **وخالفوهم** في ذلك فخلوا عنهم
واسلموهم للنبي صلى الله عليه وسلم حتى قتلهم عن اخرهم **فلم ادر لماذا التخالف الحلفاء**

واراد

واراد بنفي الدراية على طريقة تجاهل العارف اغراء السامع على البحث عن سبب ذلك
وان كان ظاهرا وهو ان الله تعالى اراد خذلانهم بتفريق كلمتهم واستئصال
شافتهم **تنبيه** تجاهل العارف سماه السكاكي سوق المعلوم مساق غيره
وهو سؤال المتكلم عما يعلمه على سبيل التعجب والانكار والتوبيخ كما هنا والتقرير
نحو وما تلك بيمينك يا موسى **اسلموهم** اى المنافقون عبد الله بن ابي
واصحابه اليهود المسلمين ببني النضير **لاول الحشر** مقتبس من قوله تعالى
هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم
ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا
وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين اى في اول
حشرهم واجلائهم من جزيرة العرب الى الشام او من محلهم الى محل اخر وانما كان
اولا لانهم لم يصبهم قبل ذلك او في اول حشره الى القتال لما ياتي في قصتهم
انهم عزموا على القتال ففشلوا والقى الله الرعب في قلوبهم واخر حشرهم اجلاء
عمر لمن بخيبر من هؤلاء ومن اهلها الى الشام او في اول حشر الناس الى الشام
لانها فتحت بعد ذلك بقليل وقصدها الناس للاقامة بها وعليه فاخر
حشرهم لها عند قيام الساعة لانها ارض الحشر **لاسعادهم** اى المنافقين
لليهود وانهم ينصرونهم على النبي صلى الله عليه وسلم **صادق** لانهم سولوا لهم
قتالهم وانهم يعينونهم ثم تخلفوا عنهم **ولا الايلاء** اى الحلف منهم لهم
صادق ايضا **سكن الرعب** اى هيبة النبي صلى الله عليه وسلم وخشية انتقامه
منهم وظن ظفره عليهم **والخراب** الاتي لدورهم **قلوبا** من اليهود المحصورين

وغيرهم من خيبر وغيرها وهذا راجع للاول وبيوتا منهم راجع للثاني ففيه
لف ونشر مرتب نعاها اى اخبر تلك البيوت بموت اهلها المعنوى من نعاه
له نعوا ونعيا ونعيانا اخبره بموته الجلاء اى خروجهم من ديارهم شبهه في
كونه معلما بقهرهم وزوال شوكتهم المشبه بالموت بانسان مخبر بما ينفع ويضر
فهي استعارة بالكناية وذكر النعي الملائم للمشبه به استعارة تخييلية ومن عجب
الشارح حيث لم يتكلم على هذه الجملة مع ما علمته فيها من الاستعارتين المذكورتين
بل فيها استعارة ثالثة كما اشرت اليها بقولي المشبه بالموت وظاهر النظم
ان واقعة بني النضير هذه بعد الخندق المشار اليها بقوله الا بقى واماني الخ
وهو ما اوهمه كلام بعض اهل السير لكنه مردود بان بني قريظة هم الذين
ظاهروا الاحزاب واما بنو النضير فلم يكن لهم في الاحزاب ذكر بل كان من
اعظم الاسباب في جمع الاحزاب ما وقع من اجلائهم فانه كان من رؤسائهم
حيي بن اخطب وهو الذي حسن لبني قريظة الغدر وموافقة الاحزاب
حتى كان من هلاكهم ما كان فكيف يصير السابق لاحقا وخلاصة ما قاله اهل
السير في واقعة بني النضير انه صلى الله عليه وسلم خرج اليهم يستعينهم في
دية قتيلين قتلهما بعض حلفائهم فاظهروا له الاجابة ثم تواعدوا وهو
صلى الله عليه وسلم الى جنب جدار لبعض بيوتهم على ان يصعد واحد منهم ويلقي عليه
صخرة ليستريحوا منه فنهاهم بعضهم وقال والله ليخبرن بما هممتم به
وانه لنقض العهد الذي بيننا وبينه فلما صعد الرجل لذلك اخبر به صلى الله
عليه وسلم فقام مظهرا انه يقضي حاجته وترك اصحابه في مجلسهم ورجع مسرعا

الى المدينة

الى المدينة فطلبه اصحابه فاخبرهم ونزل في ذلك يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة
الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الاية فامر صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم بالتهيؤ
والسير اليهم فسار وحاصرهم ست ليال فتحصنوا بالحصون وقطع النخل وحرق
وخرب ولما وقع في نفوس بعض المسلمين من ذلك شيء نزل ما قطعتم من لينة
الاية واللينة اصناف التمر ما عدا العجوة والبرني ففي الاية انه صلى الله عليه وسلم لم
يحرق من نخلهم الا ما ليس بقوت وكانوا يقتاتون العجوة وفي الحديث العجوة من
الجنة وتمرها يغذو واحسن غذاء والبرني ايضا كذلك وكان رهط من بني عوف بن الخزرج
منهم ابن ابي بعثوا اليهم ان اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلمكم ان قوتلتم قاتلنا معكم
وان اخرجتم خرجنا معكم فتربصوا فقذف الله في قلوبهم الرعب فسألوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يجليهم عن ارضهم ويكف عن دمائهم وفي رواية ابن سعد انهم لما
هموا بالغدر ارسل اليهم محمد بن مسلمة ان اخرجوا من بلدي وقد اجلتكم عشرا
فمن رأى بعدها ضربت عنقه فشرعوا في التجهز فارسل اليهم ابن ابي انهم يمنعون منكم
ويمدهم من ينصرهم فارسلوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون لا نخرج فاظهر
التكبير وكبر المسلمون بتكبيره فسار اليهم وعلي يحمل رايته فلما راوه قاموا
على حصونهم يرمون بالنبل والحجارة وخذلهم ابن ابي وغيرهم وحاصرهم
خمسة عشر يوما ثم قال لهم اخرجوا ولكم دماؤكم وما حملت الابل الا الدرع والحلقة
فنزلوا على ذلك فكانوا يخربون بيوتهم بايديهم فلحقوا بخيبر ثم الى الشام والجزيرة
على ستمائة بعير ولكون القاهر لهم مجرد الرعب كان ما بقي من اموالهم له صلى
الله عليه وسلم فقسمه بين المهاجرين ليرفع مؤنتهم عن الانصار وخدعوا ايضا

اى بنوا قريظة منهم يوم الاحزاب اذ زاغت الابصار فيه وضلت الاسرآء
وذلك ان الاحزاب لما اقبلوا ونزلوا حول المدينة وخرج صلى الله عليه وسلم والمسلمون
فجعلوا ظهورهم الى سلع والخندق بينه وبين القوم خرج عدو الله حيي
ابن اخطب حتى اتى كعب القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم فاغلق كعب
دونه باب الحصن وقال له انك امرؤ مشوم وانى عاهدت محمدا فلست بناقض ما
بيني وبينه فانى لم ار منه الا وفاء وصدقا فقال ويلك افتح فلم يزل
به حتى فتح فقال يا كعب جيتك بعز الدهر جيتك بقريش انزلتهم بمجمع
الاسيال ومن دونه غطفان وقد ظاهروني على ان لا يبرحوا حتى
يستاصلوا محمدا ومن معه ولم يزل به حتى نقض عهده وبرئ مما كان بينه
وبين محمد صلى الله عليه وسلم فبلغه ذلك وعظم البلا واشتد الخوف واتاهم
عدوهم من فوقهم ومن اسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق
في بعض المنافقين وانزل الله تعالى واذ يقول المنافقون والذين في
قلوبهم مرض الايات وقال رجال ممن معه يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا
ثم قال وقع ما مر من ان الله خذل الاحزاب وبدد شملهم وجعل الدايرة
عليهم والغلبة لرسوله صلى الله عليه وسلم والمسلمين واهلك بني قريظة عن
اخرهم ومما تقرر علم ان في كلام الناظم في هذا البيت وما قبله تلميحا من وجوه
عديده وتعدوا ظاهر سياقه ان الضمير للنصارى واليهود والمنافقين ويجوز
عوده لمطلق الكفرة الشامل لكفار مكة العرب وغيرهم اى تجاوزوا حتى وصل
ايذاوهم الى النبي صلى الله عليه وسلم حدودا حدها الله تعالى لهم ومنعهم من

تجاوزها

تجاوزها فلم يقفوا عندها فلذلك كان فيها اى في مجاوزتها عليهم احد الظرفين
حال والاخر خبر العدوآء اى تبعدهم عن النجاة ووقوعهم في الهلاكة وفي هذا
تلميح الى قوله تعالى ومن يتعد حدود الله فاوليك هم الظالمون وبين تعدوا
والعدوآ جناس شبه الاشتقاق وهو او شبهه بين نهتهم وانتهت والبذي
والبذا والحيل والحيلة واكثر وكذا وعفا وعفو وسواه وسوا وجحت والجون
والحلم والحليم الاتيات ونهتهم اى اوليك المعتدين قوم منهم عن استمرارهم
على ما هم عليه من مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم وايذايه قايلين لهم انه لرسول الله
حقا وما انتهت ~~اى من مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم وايذايه~~ عنه بل استمروا
على ما هم عليه من ايذايه والامر به فبسبب ذلك ابيد اى اهلك الامار منهم
بايذايه والنهآ عن اتباعه لبقا كل من الفريقين على ضلاله وقد مر ان عتبة
ابن ربيعة لما اشتد اذآ قريش له صلى الله عليه وسلم ذهب اليه لينهاه فقرا
عليه فصلت فرجع الى قومه ومدح القران وامرهم ان يخلوا بينه وبين
ما هو فيه وبين لهم ان القران ليس بسحر ولا شعر ولا كهانة وانه صلى الله
عليه وسلم ليس به جنون وانه ليكونن لقوله نبا فقالوا والله سحرك محمد بلسانه
فقال افعلوا ما بدا لكم فلم يزد مع ذلك الا طغيانا وايذاه بالقول
والفعل وقتل عتبة ببدر مشركا وبين الامار والنهآ جناس الطباق
كنهتهم وما انتهت وكالعدو والعشا والقطع والوصل والتقريب
والاقصا والملام والاطرا والتباين والوفا الاتيات وتعاطوا في احمد
نبينا صلى الله عليه وسلم وخصه بالذكر لانه لم يسم به احد قبله كما رواه مسلم

يقوموه

واما محمد فتسمى به خمسة عشر نفسا كما بينه الحافظ العسقلانى منكر
القول اى القول المنكر اى الذى ينكره سامعه بل المتلفظ به لعلمه بقبحه
وفساده وان الحامل له عليه انما هو محض عناد او حسد فقالوا مرة ساحر
ومرة كاهن ومرة مجنون كما سبق ذلك مبسوطا فى بيان اعجاز القران وطاف
صلى الله عليه وسلم هو وابو بكر وعثمان رضى الله تعالى عنهما فلما مر بابى جهل
وعقبة ابن ابى معيط وامية بن خلف اسمعوه بعض ما يكره ثم اراد ابو جهل
الاخذ بمجامع ثوبه صلى الله عليه وسلم فدفعه عثمان فوقع على استه ودفع
ابو بكر امية والنبى صلى الله عليه وسلم عقبة ثم قال والله لا تنتهون حتى يحل
بكم عقابه عاجلا فما منهم الا من اخذته رعدة وجعل صلى الله عليه وسلم يقول
لهم بئس القوم انتم لنبيكم ثم قال لاصحابه ابشروا فان الله تعالى مظهر دينه
ومتم كلمته وناصر نبيه ان هولاء الذين ترون صح مما يذبح الله بايديكم عاجلا قال عثمان
فوالله لقد رايتهم ذبحهم الله بايدينا ومن ايذاء المنافقين قولهم يوم
الخندق محمد يعد اصحابه ان ينفق كنوز كسرى واحدنا اليوم لا يامن
على نفسه ان يذهب الى الغائط وقد حقق الله تعالى ما قاله نبيه صلى
الله عليه وسلم فملك الله المسلمين كنوز كسرى وقيصر فى زمن عمر وعثمان رضى
الله تعالى عنهما ثم ذيل بجملة مشتملة على معنى ما قبلها جارية مجرى
الامثال فليس تتميما خلافا للشارح لانه الماتى به لمجرد المبالغة والتاكيد
ولا تكميلا لانه الماتى به لدفع الايهام مع ان فى ذلك اضطراب بين اهل
البديع فقال ونطوا اى منطوق الاراذل اى الاسافل الاخسا الذين لا مروة
هم

١٢٣
لهم ولا عقل الكلمة العورا اى القبيحة الساقطة اى شانهم النطق بالفحش وهو لا
كذلك كيف وكل رجس اى قذر وحنق وغضب قام بهم يزيده ما جبلوا عليه
وهو الخلق السوء بفتح السين وضمها اى القبيح سفاها بفتح السين من سفه
بالضم سفاها وسفاهة ومصدر المكسور سفه وهو ضد الحلم وسببه خفة
العقل وطيشه ويزيد سفاهة ايضا وبعدا عن الخير الملة اى الشريعة سميت
بذلك لانها تملى وتكتب العوجا اى الباطلة شبهها بطريق عوجا لا تهدى
سالكها الى مطلوبه بل يتوه ويضل عنها على سبيل الاستعارة المكنية ثم اثبت
لها العوج تخييلا واولئك الاراذل اجتمع فيهم الوصفان الخلق السوء
والتمسك بالملة الباطلة فتضاعفت سفاهتهم فهم بسبب ازديادهم من السفاهة
والجهل انظروا ايها العقلا كيف هى وما بعدها سدت مسد مفعولى انظروا
واما قول الشارح كيف فى موضع المفعول الثانى وعاقبة القوم المفعول الاول
فهو انما يصح بفرض كها بحه زيادة كان ولا يحوج لذلك كما عرف مما قررته كان تامة
عاقبة اى مال ومصير القوم المعروفين بما ذكر وهى خزى الدنيا وعذاب
الاخرة ثم كان عاقبة الذين اساوا السوأى الاية ففيه اقتباس وانظروا
ما هو بصلته سد مسد المفعولين ايضا وعجيب من الشارح حيث
لم يبين اعرابه مع احتمال وجه اخر فيه غير ما ذكر لكن ما ذكرته
اولى كما هو واضح ساق للبذى اللسان كهولا البذا بالمعجمة اى
بذاوهم اى فحشهم وهو تخلفهم عن عز الدنيا وسعادة الاخرة وفيه
تشبيه البذى بدابة مسوقة والبذا بسايقها فهما استعارتان

مكنيتان واثبات السوق للبذا على جهة كونه فاعلا وللبذى على جهة
كونه واقعا عليه تخييل وجد البذى السب اى الشتم فيه اى النبى صلى الله
عليه وسلم سما اى مهلكا اى مهلك وبين السب والسم الجناس المضارع
ولم يذر ذلك البذى ان سبه هو عين السم القاتل الموقة لفظا
اذ الميم في مواضع حال من الخبر وهو با كقولهم في بيد ميد وهى لغة
ماذن قال المازنى دخلت على الخليفة الواثق فقال لى الرجل قلت
من بنى ماذن قال اى الموازن اماذن تميم ام ماذن قيس ام ماذن ربيعة
قلت من ماذن ربيعة فكلمنى بكلام قومى فقال لى با اسمك لانهم
يقلبون الميم با والبا ميما قال فكرهت ان اجيبه على لغة قومى لئلا
اواجهه بالمكر فقلت بكر يا امير المؤمنين ففطن لما قصدت واعجب به
اى وفيه ايضا سب لنفسه ثم قال لى اجلس فاطبئن يريد فاطمئن
وقال ابن جنى في سر الصناعة اخبرنا ابو على باسناده الى الاصمعى
قال كان ابو سوار الغنوى يقول با اسمك يريد ما اسمك فهذه البا
بدل من الميم انتهى ومعنى لانه اهلكم كما يهلك السم بل هو ابلغ من
السم لان اهلاك السم في الدنيا وله ادوية تزيله واهلاك السب
في الدنيا والاخرة ولا دوا له كان من اجل ما صدر منه فيه اى
ثم البذى حال من الضمير المستتر في الخبر وهو بيديه قتله لنفسه
بيديه وقتل الانسان لنفسه اشد من قتل غيره له فبسبب ذلك
هو اى البذى القاتل لنفسه المذكور في الاتصاف بما وقع منه

سوء فعله

هكذا الكلمة

قصة الزباء

سوء فعله بنفسه المراة المشهورة بالملك القاهر في العرب التى هى
الزبا بفتح الزاى وتشديد الموحدة اى شبهها فانها تناولت خاتما
مسموما بمصته حتى قتلت نفسها وقالت بيدى لا بيد عمرو فكان قتلها
لنفسها بسبب ما تناولته بفيها من يدها لما ظفر بها عمرو بن اخت جذيمة
الابرش لما كان بينهما خوفا من تعذيبه اياها وحاصل القصة وهى طويلة
ذكرها الاخباريون وابن هشام وابن الجوزى وغيرهم ان جذيمة
ابن عامر التنوخى وقيل الازدى وهو اول من ساس العرب واول
من اتخذت له الشموع واوقدت بين يديه واول من اجتمع له الملك
بارض العراق من قبل ازدشير وكان ابرصا فكنوا عن ذلك بالابرش
الوضاح قيل كان لا يجن الابرص لان في العرب من يفتخر بذلك وكان
له اخت احبها عدى بن نصر الايادى فوافقها على انه ينكحها منه اذا
غلب عليه السكر فسالته في ذلك فانكحه اياها واشهد عليه فدخل بها
فلما اصبح وعلم بذلك تغيب عدى ولم يعرف له اثر فولدت له ولدا
سمى عمرا فاحبه جذيمة ثم اختطفته الجن ثم ردوه فزاد حظا عند
خاله وكان ابو الزبا وسميت بذلك لكثرة شعرها اذ كان يحللها
ويسحب من ورائها ملك ما بين الفرس والروم فغزاه جذيمة الابرش
وقتله قبل بعثة عيسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم وطردها فلحقت بالروم
وجمعت الجيوش واستخلصت من جذيمة ملك ابيها وابتنت لها
بجانب الفرات قصرا حصينا فحدثت جذيمة نفسه بخطبتها لانها بكر

واجمل اهل عصرها وطمع فى ملكها فارسل اليها فاظهرت له غاية الفرح
وارسلت له هدية سنية فاستشار فى المسير اليها فبالغ قصير بن
سعد فى منعه ونفى ان ذلك مكيدة منها فلم يصغ اليه وسار اليها فلما
قرب منها اعاد الاستشارة فاعاد قصير رايه فلم يصغ اليه وسار وكانت
امرت عسكرها اذا وصل ان يحيطوا به ويمنعوه ممن معه ففعلوا
وقصير معهم فلما راى ذلك ركب فرس جذيمة التى تسبق الريح بجريها وفر هاربا
ثم ادخل جذيمة عليها وليس معها الا جوارى وكانت ربت شعر عانتها
حولا فكشفته له وقالت امتاع عروس ترى فقال بل متاع امة بظرا
ثم قالت خذوا بيد سيدكم وبعل مولاتكم فاجلسوه على النطع ففعلوا
ثم امرت من يفصد عروق يديه ففعلت ووضع له طشت فنزف دمه
فيه الى ان قضى نحبه فامرت به فدفن ثم اقبل قصير على عمرو واخبره الخبر
وامره ان ياخذ بثاره منها فافهمه ان لا قدرة له عليها فقال له اجدع
انفى واذنى واضرب ظهرى فقيل فعل به ذلك وقيل انما فعل قصير بنفسه
ذلك ثم ذهب اليها مستجيرا بها من عمرو فراجت عليها حيلته واكرمت
منزله ثم قال لها ان لى بالعراق مالا كثيرا وذخاير فسيرينى لاتى به
ففعلت فرجع اليها باموال هايلة ثم عاد الى العراق ثانيا ورجع
اليها باكثر من الاول فازدادت مكانته عندها ومازال يتلطف
حتى عرف سردابا جعلته تحت الفرات تصعد منه الى قصرها وبابه
من جانب الفرات الاخر ثم خرج ثالثا فرجع باكثر من ذلك كله فزادت

مكانته

مكانته وعولت عليه فى امورها فاظهرت له انها تريد غزوا وانه
يذهب وياتيها بالعبيد والعدد فقال لها ان لى فى بلاد عمرو الف
بعير وخزانة مال وسلاح فاعطته ما اراد من المال وقالت الملك
يحسن بمثلك فعاد الى عمرو وقال اصبت الفرصة منها فقال له عمرو
مرنى بما شئت فقال الرجال والاموال فعمد الى الفى رجل من فتاك
قومه فحملهم على الف بعير على كل بعير اثنان فى غرائر سود وابن عمرو
فيهم وساق الخيل والدروع والسلاح وكان يكمن فى النهار ثم دخل عليها
فقال انظرى الى العير فقالت

ما للجمال مشيها وئيدا ۞ اجندلا يحملن ام حديدا
ام الرجال جثما قعودا ۞ ام الرجال فى الغرار السودا

ولما وصلت العير الى المدينة طعن بواب جوالقا بمخصرة بيده
فضرط من اصابته فاراد الصياح فضربه قصير بسيفه فقتله ثم
حلت الجوالق فخرج الرجال ودخل عمرو باب السرداب ليصعد الى الزبا
فلما راته مصت خاتما فى يدها مسموما وقالت بيدى لا بيد
عمرو فماتت وقيل ان عمرا قتلها بسيفه واحتوى على بلادها او هو فى سوء
فعله النحل اى شبهه ثم بين وجه الشبه فقال قرصها اى لسعها
لغيرها يجلب الحتف اى الموت اليها عقب لسعها والحال ان لسعها
ما نا فيه له انكار اى قتل ولا جرح ولا دم بل هو لا تاثير قوى فى الملسوع
فكل منهما قتل نفسه بما خرج من فيه مع انه لا مصلحة تعود عليهما

بما كان سببا لهلاكهما صرعت قومه صلى الله عليه وسلم الذين ارسله الله اليهم
فلم يؤمنوا به اى الغتهم فتلى بين يديه حبايل جمع حبالة وهي التي يصاد
بها وناصبها يسمى الحابل يبغى مدها اى تلك الحبايل اليه المكر حال كونه
منهم وهو ابطان السوء مع اظهار خلافه والدها هو بالمد لكسر كالدهى
جودة الراى وفي كلامه استعارة بالكناية من حيث تشبيه القوم
الذين حاربوه صرعى بين يديه صلى الله عليه وسلم بصيود مصروعة بين
يدى الصياد ومن حيث تشبيه البغي بشبكة الصياد ومن حيث
تشبيه المكر والدها بالصايد كما يقتضيه نسبة المد اليهما واثبات
الشبكة الذي يمدها الصايد حتى يقع فيها الصيد وتخييلية باثبات
المد اللازم للمشبه به وترشيحية بذكر الصرع اللايق بالمشبه وبما
تقرر علم ان في كلامه ثلاث استعارات مكنيات الاولى تشبيه
القوم بالصيد وجردها بذكر الصرع والمكر والدها لهم ورشح
اوخيل لها بذكر الحبايل والمد والثانية تشبيه البغي بالشبكة
وخيل لها باثبات الحبايل له ورشح بذكر المد وجرد بذكر الصرع الملايم
للبغي والثالثة تشبيه المكر والدها بالصايد على ما مر وخيل باثبات
المد ورشح بذكر الحبايل وجرد بذكر الصرع هنا ايضا اذ لا مانع من
اشتراك مكنيتين او اكثر في كون الشي الواحد تخييلا او ترشيحا
او تجريدا للكل اعتبار الكل على حدتها بما يناسبها فبسبب مكرهم
ودهائهم اتتهم من قبله صلى الله عليه وسلم ما اوجب عود تلك الحبايل

اليهم

الحادي والعشرون

اليهم ولا يحيق المكر السيء الا باهله فلا يمكرون به مكرا ولا يكيدون له
كيدا الا عاد عليهم وكيف لا وكلما حزبوا الحرب وحاولوا اخفا امره
بدد الله جمعهم وقتل ساداتهم واظهر امره عليهم وهو الذي ايدك
بنصره وبالمؤمنين ففي ذلك انهم اتتهم خيل الى الحرب تختال اى تتبختر
بها راكبوها تيها وعجبا والخيل النفايس وعليها الشجعان في الوغى اى الحرب
متعلق بقوله خيلا اى كبرا وترفعا عن الوقوع في وهدة الاصطدام
بنحو شجرة وهذا تذييل قصدت فيهم اى في ابدانهم القنا اى الرماح
جمع قناة وفي هذا الاستعارة المشهورة في قوله تعالى جدارا يريد ان
ينقض ولا ينافي ذلك عد كثيرين له من انواع المجاز باعتبار ان فيه
اضافة الفعل الى ما لا يصح منه ومن الارادة التي هي من صفات الحي
لان ذلك مبني على تشبيه ميله للوقوع بارادته له والاستعارة مجاز
علاقته المشابهة ومن ثم قيل زوج المجاز بالتشبيه فتولد بينهما الاستعارة
وهل هي مجاز لغوي او عقلي خلاف والاصح الاول لانها موضوعة للمشبه
بخطه لا للمشبه ولا لاعم منهما فاسد في رايت اسدا يرمي موضوع للسبع
لا للشجاع ولا للحيوان الجري فبسبب قصدها لهم كانت قوافي الطعن
الطعنات المشبهة بالقوافي في تتابعها حال كون ذلك الطعن
منها اى تلك الرماح ما شانها اى عابها وفي نسخ شانه اي الطعن
الايطا لانه لم يوجد فيها اذ السالبة تصدق بنفي الموضوع وهو
تكرير القافية المتحدة لفظا ومعنى قيل عدد مختلف فيه عندهم

المشبه به الطعنات الواردة على محل واحد من غير ان تؤثر الثالية شيا لم تؤثره المتلوة
وهو معيب في المشبه به لانه يدل على عجز الشاعر وقصيره والمشبه لانه يدل على قصر
ساعد الشجاع وعدم تمكنه وتحريره وهذا الحل اولى مما سلكه الشارح كما يعلم
بتامله نعم قوله لكثرة ما عملت رماحهم في اجساد عدوهم تاتي الطعنة الثانية
مكان الاولى حتى كانهما واحدة لسرعة الطعن بقرب حله **واثارت** اى رفعت
تلك الخيل لما ركضت في مهامه الحرب **بارض** العدو وفي الاقطار الحجازية
وغيرها حتى في **مكة** في غزوة الفتح لما ازدحمت قرب دخولها **نقعا** اى غبارا
اظلم الجو حتى **ظن ان الغدو** اى وقته وهو ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس
منها اى من اجل تلك الخيول التى اثارت ذلك النقع او من اجل تلك الغبرة المفهومة
من الغبار التى اثارتها تلك الخيول **عشا** اى وقتها وهو اذا غاب الشفق
الاحمر وقضيته كلام الشارح بل صرح ان المراد العشا بفتح العين وفسره بما
بين الغروب والعتمة وفيه نظر وما ذكرته اولى واسلم مما تكلفه وفي قوله واثارت
نقعا تلميح الى قوله تعالى في سورة العاديات فاثرن به نقعا وخلاصة شى من هذه
الغزوة الذى حصل بها ذلك الفتح الذى هو اعظم فتوح الاسلام لان الله اعز به
دينه ورسوله وجنده وحرمه وبلده وبيته واستبشر به اهل السما وضربت
اطناب عزه على مناكب الجوزا ودخل الناس في دين الله افواجا واشرق به وجه
الدهر ضياء وابتهاجا وسببها انه وقع الصلح بالحديبية انه صلى الله عليه وسلم كان
لا يتعرض لمن دخل في عقد قريش وانهم لا يتعرضون لمن دخل في عقده وممن
دخل في عقده خزاعة وفي عقدهم بنو بكر وكانا متعادين فخرج بعض بني بكر

وبيت

وبيت خزاعة فاقتتلوا فامد قريش بني بكر فخرج اربعون من خزاعة اليه صلى الله عليه
وسلم يخبرونه ويستنصرونه فقام وهو يجر رداءه ويقول لا نصرت ان لم انصركم بما انصر
به نفسي ولما احس ابو سفيان بمجيئهم جا الى المدينة يجدد العقد ويزيد في المدة
فابى النبي صلى الله عليه وسلم عليه فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في عشرة الاف ثم لحقه
الفان لليلتين من رمضان سنة ثمان فلما كان بقديد عقد الالوية والرايات
ودفعها الى القبايل ثم لما نزل مر الظهران امرهم ان يوقدوا عشرة الاف نار فوافاهم
ابو سفيان ارسلته قريش لياخذ لهم امانا لعلمهم بتجهيزه صلى الله عليه وسلم فلما راى تلك
النيران ايقن امرها فادركه الحرس فاتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم بعد
تمنع وتهديد فسال العباس النبي صلى الله عليه وسلم ان يظهر له فخرا في قومه فقال
من دخل دار ابي سفيان فهو امن وقال احبسه عند حطم الجبل حتى ينظر الى المسلمين
وفي رواية احبسه عند مضيق الوادي حتى تمر به جنود الله فحبسه فمرت به القبايل
كتيبة كتيبة وهو يسال عن كل فيبينها له العباس فيقول ما لي ولها ولما مرت به
كتيبة الانصار وصاحب رايتها سعد بن عبادة قال له سعد يا ابا سفيان
اليوم يوم الملحمة اى الحرب اليوم تستحل الحرمة والكعبة فبلغ ذلك النبي صلى
الله عليه وسلم ذلك فامر على لسان علي كرم الله تعالى وجهه بدفع الراية لابنه
قيس واخبر ابا سفيان انه لم يامر بقتل قريش وان اليوم يوم المرحمة وان الله يعز
قريشا وخشي سعد ان ابنه يقع منه شي فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فدفعها
للزبير وكانت راية النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين مع الزبير ايضا فبعثه
ومعه المهاجرون وخيلهم وامره ان يدخل من اعلى مكة وان يغرز رايته بالحجون

ولا يبرح حتى ياتيه كذا ذكره موسى بن عقبة وغيره وقوله الشارح انه صلى الله
عليه وسلم امر الزبير ان يدخل من كدا بالضم تصحيف وصوابه من كدا بالفتح والمد
وقوله وامر سعد بن عبادة ان يدخل في بعض الناس من كدا بالفتح لم اره في
الروايات المعتمدة ما يشهد له واما الذى صح انه صلى الله عليه وسلم دخل من اعلاها
وخالد من اسفلها ورواية عكس ذلك ضعيفة لا يعول عليها ولعل الشارح اخذ ذلك
من الرواية الاتية عن مسلم وانت خبير بانه ليس فيها نص بكدا ولا كدا وبعث
خالد بن الوليد فى قبايل ليدخل من اسفل مكة ويغرز رايته عند ادنى البيوت
وبعث سعد بن عبادة فى كتيبة الانصار فى مقدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وامرهم ان يكفوا ايديهم الا ان قوتلوا ولما دخل خالد من اسفل مكة
قوتل فقاتلهم حتى ادخلهم المسجد من باب الحزورة ثم كف ولما قال له صلى الله عليه
وسلم لم قاتلت وقد نهيتك قال كففت يدي ما استطعت فقال قضا الله
خير وصح فى مسلم وغيره بعث على احد المجنبتين خالد بن الوليد وبعث الزبير
على الاخرى وبعث ابا عبيدة على الذين بغير سلاح فقال يا ابا هريرة اهتف
لى بالانصار فهتف بهم فجاوا فاطافوا به فقال لهم اترون الى اوباش قريش
واتباعهم ثم قال باحدى يديه على الاخرى احصدوهم حصدا حتى توافونى
بالصفا قال ابو هريرة فانطلقنا فما شئنا ان نقتل احدا منهم الا
قتلناه فجا ابو سفيان فقال يا رسول الله ابيحت خضرا قريش لا قريش بعد
اليوم فقال صلى الله عليه وسلم من اغلق بابه فهو امن ومن هذا اخذ الاكثرون
ان مكة فتحت عنوة ورد بانه صلى الله عليه وسلم لم ينص الا على اوباشهم الذين

من

من شانهم الجهل والمبادرة بالقتال فى غير محله وهذا كقوله من اغلق بابه فهو امن
ظاهر فى ان الكلام انما هو فيمن قاتل لحبوا فق الروايات الاخر المقيدة بذلك
وبهذا يتقوى ما ذهب اليه امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه انها فتحت صلحا كما
هو قضية التامين الذى وقع منه صلى الله عليه وسلم لمن دخل دار ابى سفيان
او اغلق بابه او دخل المسجد ولم يقع قتال من جهة اعلى مكة التى دخل منها
صلى الله عليه وسلم والعبرة بها لا بغيرها على ان القتال الذي وقع فى غيرها انما
كان دفعا لقتالهم كما مر وعلم مما تقرر فى القصة انه صلى الله عليه وسلم امر
اكثر اصحابه بان يدخلوا من الحجون وهو كدا بالفتح والمد وكان معهم
فى كتيبة الخضر الكثرة ما معهم من السلاح على ناقته القصوى بين ابى بكر
واسيد بن حضير وفيها المهاجرون والانصار لا يرى منهم الا الحدق من
الحديد فراى ابو سفيان ما لا قبل له به فقال للعباس لقد اصبح ملك ابن
اخيك ملكا عظيما فقال ويحك انه ليس بملك ولكنها نبوة قال نعم وامر
لضم واء
بقية اصحابه ان يدخلوا من اسفلها وهو كدا بالقصر ولذا قال اجمت
اى كفت واسكتت عنده اى ذلك النقع الذى حصل بمكة لما اجتمعت فيه جنود
الاسلام مع ما هم فيه من كثرة الخيل والسلاح الداخلون فى اعلاها واسفلها
الحجون بفتح الحا وهو الجبل المطل على مقبرة مكة المسماة بالمعلاة وذلك
هو كدا بالفتح والمد اى ان الغرفة التى كانت بالحجون وان اثارت فيه من
النقع شيا كثيرا لكنه قليل بالنسبة لما فى مكة فامسك عن محاكاة ما بمكة واكدى
اصله قلة الخير والمراد هنا قلة التراب عند كال من كدا اعطايه اى كد التقدمه

دبة والمصدر مضاف للمفعول وفاعل الاعطا النبي صلى الله عليه وسلم القليل من
الناس مفعول المصدر الثاني كدا بضم الكاف والمد لغة قليلة فيه اى وقل
غبار كدا الذي هو اسفل مكة لان الفرقة الداخلين منه الذين اعطاهم النبي صلى
الله عليه وسلم كانوا قليلين وعجيب من الشارح حيث لم يبين لهذا الشطر معنى
ملايما مع كونه اوهم ضبط كدا هذا بالفتح وهو فاسد لان المفتوح كلام ايمتنا في
المناسك وغيرهم فان قلت هذا البيت وان كان فصيحا لفظا لما فيه من
الجناس والمجاز من حيث التعبير بالمحل عن الحال والمجاز والاستعاره من حيث
اسناد الاحجام والمنع اللذين هما من صفات الحي الى غيره على حد جدارا يريد
ان ينقض كما مر بيانه انفا لكنه ركيك معنى اذ لا حاصل له لان من المعلوم ان ما
بمكة من مجموع الفرقتين الداخلين من اعلى واسفل وان ما من مجموعهما اكثر مما في
كل منهما ومثل هذا البيت له كبير جدوى قلت بل فيه معنى يستفاد وله جد وكر
لحقايه وهو ان دخوله صلى الله عليه وسلم واكثر اصحابه كان من الحجون والبقية
من كدا ووجه اخذه من النظم واضح فانه خص اعطاء القليل بكدا فدل على انه
والكثير دخلوا من الحجون ويصح ان يراد نفس البقعتين مبالغة وعليه فيصح
ان يكون احجمت معطوفا على اثارت بحذف حرف العطف ففيها ضمير هو الفاعل
يعود على الخيل وان اكدى مبني للمفعول والتقدير ان من قوة تلك الخيول
انها قهرتهم حتى اماكنهم فكفت الحجون ومنعت كدى عن ان ينتصر الاهلهما لو تصور
منهما ذلك لا سيما وقيل كدى كانت قليلة ويصح بنا النظم على اعرابه الاول
وهو ان الحجون فاعل وان اكدى مبني للفاعل وان المراد انه صلى الله عليه وسلم

وكان كدا اتى من ذلك بشيء قليل ولم يوجد فيئ من ذلك صلح للمقاومة انتهت فتامله فانه لا ابهام فيه مع ما تقدم

نصر عليهم

نصر عليهم نصرا باهرا حتى ان بقاعهم ساعدته عليهم والتقدير ان الحجون
وكدا اجتاس مغنوى ودهت اى اهلكت تلك الخيول والخيا له اوجها من
الناس بها اى بمكة قاتلت كما مر في الرواية المصرحة بذلك المحمولة عليها
الرواية المطلقة وكذا جماعة لم يقاتلوا لكن كانوا بيا الغون في ايذائه
صلى الله عليه وسلم واظهار هجوه فامر بقتلهم وان كانوا متعلقين باستار الكعبة
وعد منهم ست رجال واربع نسوة واهلكت بيوتا كان اهل مكة يرجون
الى اهلها مل اى سيم منها الاكفا وهو في الشعر المخالفة بين هجا او اخره
كان يكون بعضها ميما والاخر يا وهنا انكفا تلك الوجوه على الناس لعلها
تحميها او تجيرها والاقوا اصله من قولهم منزل قوى اى لا انيس به واقوت
الدار وقوت اى خلت ثم استعمل في الشعر مرادا به والقوت الدال
ان تختلف حركات اعراب الروى وعما قررت به كلامه هنا وفيما قبله في قصد
فيهم القتا الخ يعلم انه استعار القوافي للطعن المتتابع ورشح بذكر
الابطا ولح بذكر البيوت توشيحا لبيوت الشعر المرشح لها وبذكر ما يختص
بها من الاقوا والاكفا الى الاستعارة الاولى وفيهما تورية ولف
ونشر مشوش لانه ارجع الاقوا للبيوت باعتبار لمح ببيوت الشعر والاكفا
للوجوه لان الرأس اذا انقطع انكفات الوجوه وتحولت فاستعمل الاقوا
في الخلو من حيث بيت السكن وفي تغيير القافية من حيث بيت الشعر
وكذلك الاكفا من حيث تغيير حركة الروى فبسبب ما حصل لاهل
مكة من الخوف الذي ظنوا انه مهلك لهم عن اخرهم دعوا محمدا صلى الله

عليه وسلم احلم البريه بالهمز في الاصل اى الخلق اى طلبوا منه يوم الفتح انه يعفو
عنهم وان لا يعاقبهم بما مضى منهم مما كانوا اصلوه اليه من الاذية الذي
لا يتحمله غيره صلى الله عليه وسلم فاجابهم الى العفو قائلا لهم لا تثريب عليكم
اليوم كما ياتي والعفو عمن ساله جواب الحليم من حلم بالكسر اذا ترك الانتقام
بحق والاغضا اي ارخا الجفون من الحيا وفي ذكر الحلم والعفو والاغضا
مراعاة النظير ناشدوه القربى اى حلفوه على ان يصل قرابتهم ويعفو
عنهم او القربى على حذف الجار اى حلفوه بالقرابة التي بينهم وبينه
ان يعفو عنهم التي وصلت اليه من سائر بطون قريش وهم
ولد النضر بن كنانه احد اجداده صلى الله عليه وسلم حال كون تلك القربى
قطعتها الترات بفوقيتين جمع ترة وهى مصدر وتر اى قتل له قتيل
ولم يدرك دمه والشحنا اى التباغض والتحاسد الذى كان بينهم
فبسبب تلك المناشدة عفا صلى الله عليه وسلم عنهم عفو قادر لانه كان
يسهل عليه ابادتهم عن اخرهم لم ينغصه اى يكدره ذلك العفو عليهم
بسبب ما مضى منهم صفة اغرا تقدمت عليه فصارت حالا اغرا
من اغرى الكلب بالصيد حمله على اصطياده فاعل ينغص اى لم يكدر عفوه
عنهم اغرا سفهايهم وجهلايهم حال كونه منهم فيما مضى حتى بالغوا في
ايذائه بما لا يتحمله مخلوق كما تحمله صلى الله عليه وسلم وخلاصة ما اشار
اليه الناظم انه صلى الله عليه وسلم لما كان الغد من يوم الفتح قام خطيبا
في الناس فحمد الله واثنى عليه ومجده بما هو اهله ثم قال ايها الناس

ان الله

ان الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهى حرام بحرمة الله الى يوم القيمة
لا يحل لامرء يومن بالله واليوم الاخر ان يسفك بها دما او يعضد بها شجرة فان
احد ترخص فيها بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا ان الله اذن
لرسوله ولم ياذن لكم وانما احلت لى في ساعة من نهار اى من الفجر الى العصر
وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد بالغايب ثم
قال يا معشر قريش ما ترون انى فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم
ثم قال اذهبوا فانتم الطلقا اى من الاسر والاسترقاق وفي رواية
انه قال لهم اقول لكم كما قال يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر
الله لكم وهو ارحم الراحمين وسر هذا العفو وهذه الوصلة منه
صلى الله عليه وسلم بعد القطع انه ناظر الى الله تعالى دون غيره واذا
كان القطع والوصل لله كما هو حال النبى صلى الله عليه وسلم تساوى عند فاعل
ذلك التقريب للاقارب والبعدا والاقصا اى الابعاد للاقارب او البعد
اولم يتميز باحد مما قرب ولا اجنبى لان النظر لرضى الله تعالى وامتثال
امره لا غير وهذا من القول البديع الجامع وسوا بفتح السين والمد
ويجوز كسرها والقصر وهو فيهما بمعنى مستو ويستعمل الاول بمعنى
التام ومنه سوا للسائلين الى سوا الصراط والوسط ومنه في سوا الجحيم
وبمعنى غير قيل ومنه فقد ضل سوا السبيل وهى وهم وانما هى بمعنى
وسطه عليه اى الذى تقربه واقصاوه لله لا غير واجل من اتصف
بهذه المرتبة نبينا صلى الله عليه وسلم لان خلقه القران يرضى برضاه ويسخط

قوله بفتح السين والمد اى هو مستعمل في النظم

بسخطه وهذا خبر مقدم ويصح انه مبتدا فيما اتاه من سواه كلا منهما حال من
المبتدا او الخبر وهو الملام بالسب والتنقيص والاطرا اى المبالغة
فى المدح حتى بغير الواقع اى سوا عليه اللوم والاطرا حال كونهما صادرين
فيما اتاه من غيره من خير وشر اى استوى عنده مدح الغير وذمه لانه
ليس ناظرا الى نفسه وانما نظره الى تصريف الحق فى خلقه بما اراد منهم
تنبيه ما وقع للناظم هنا من حذف همزة التسوية بعد سوا والعطف
بالواو هو ما درج عليه الفقها فى كتبهم وهو لغة وان كانت خلاف الاشهر
الشايع من ذكر الهمزة والعطف بام وقد صرح فى الصحاح بتلك اللغة
فقال تقول سوا على قمت او قعدت وكذلك فى القاموس فقال وسوا
تطلب اثنين سوا زيد وعمرو اى ذوا استوا من استويا وتساويا تماثلا
وقد صرح سيبويه بالهمزة ام تصريح واتجه الكمال ايضاح فقال كما
فى البديع عنه اذا كان بعد سوا همزة استفهام فلا بد من اسمين كانا ام ع
او فعلين وان كان بعدها فعلان بغير الف الاستفهام عطف الثانى باو
وسوا على قمت او قعدت وان كانا اسمين بلا الف عطف الثانى بالواو
تقول سوا على زيد وعمرو وان كان بعدها مصدران كان الثانى بالواو
او او حملا عليها انتهى فعلم صحة ما عليه الفقها واندفع قول ابن هشام
ان ذلك لحن وان ما فى الصحاح سهو وان قراءة اولم تنذرهم من الشذوذ
بمكان انتهى فاستحضر ذلك فانه مهم ومن ثم لو مر فيها فى بحث اوصاف
قدمه صلى الله عليه وسلم ما ينبغى مراجعته لعزته ونفاسته ان انتقامه

صلى الله

صلى الله عليه وسلم اى غضبه واستيفا الذى صدر منه كان لهوى النفس
الامارة بالسوء والمطبوعة على التكبر على الغير وحب التميز عليه بما
يقيمه ويذله له لدامت قطيعة الرحم وجفا اى ابعاد لها ولكنه لم يكن كذلك
وانما كان لله فقطعهم حيث قطعوا ما امر الله به ان يوصل ووصلهم
غير ناظر لما سبق منهم من قتل اصحابه لاسيما باحد والتمثيل بهم وشج
وجهه وكسر رباعيته حيث وصلوه بامتثال اوامره واجتناب نواهيه
وكيف لا وقد قام صلى الله عليه وسلم لله وحده لا لهوى ولا لحظ ولا
لرعاية رحم او صديق وفى نسخة بالله اى مستعينا به فى الامور جميعها فبسبب
قيامه لله او به ارضى الله تعالى منه صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بارضى
او حال من فاعله وهو تباين لاعدا الله ووفاء لاوليا الله من غير تعويل
على حظ سوى رضى ربه ولهذا كان فعله صلى الله عليه وسلم كله جميل
لصدوره على متن قوانين الاعتدال واحق هوان بن الكمال ولا بدع
فى ذلك اذ هل اى ما ينضح اى يسيل مما فيه على ظاهره الا بما حواه
الرشبة صح عايد على متقدم الذكر وهو الانا اى لا ينضح الانا بما فيه فمن امتلا
انا قلبه خيرا كانت افعاله المشبهة بما ينضح الانا كلها خيرا ومن امتلا
انا قلبه شرا كانت افعاله كلها شرا وليس احد متحليا بمعانى هذه
الصفات الباهرة الا نبينا صلى الله عليه وسلم وهذا من التذييل
ومنه قوله تعالى وهل نجازى الا الكفور ويصح ان يكون من التتميم
وفيه التلميح الى المثل السائر وهو وكل انا بالذى فيه ينضح ۝

اطرب السامعين اى اسرهم وافرحهم ونشطهم الى محبته واتباعه
وامتثال جميع ما برز من حضرته ذكر علاه لانهم تجدون لذلك دوخة
تفوق دوخة الراح يا حرف استغاثه لراح اى خمر مستغاث ولذا
فتحت لامه سميت بذلك لان شاربها يستريح ويرتاح من هموم الدنيا
ما دام سكرانا بها مالت اى سكرت وتواجدت به اى الراح المستعار
لذكر علاه فهو مذكر لفظا ومعنى فاندفع ما قد يقال الراح الخمر
وهى مؤنثة وتذكيرها شاذ الندما اى شاربوا الخمر سموا بذلك لانهم
يتنادمون اى يتخاطبون عليها بالاشعار التى فيها مدحها وغير
ذلك وفى هذا استعارة تصريحية واستعارة ترشيحية لانه
شبه ذكر علاه فى اطرابه لسامعيه بالراح فى اطرابها لشاربها ثم
قرن بذلك ما يلايم المستعار منه وهو ذكر الميل والندما واعلم
ان هذا الموصوف بهذه المعانى الذى اطرب السامعين ذكر علاه هو
النبى الامى نسبة الى الام وهو من لا يكتب ولا يقرا المكتوب كانه
على اصل ولادة امه او مثلها اذ الغالب فى النسا عدم الكتابه وقيل
نسبة لام القرى اى مكة وقيل غير ذلك ومع كونه لا يقرا ولا يكتب
اطلعه الله تعالى على علوم الاولين والاخرين وجعله القدوة
العظمى لكل مخلوق فى كل علم وحلم وحكمة وخلق حسن وساير اوصاف
الكمال وبواه من الاحاطة بجميع مصالح الدنيا والدين وقوانين
سياسات العالم ومنفرقات الشرايع وعوارف المعارف ما لم يصل

شأوه

لشأوه مخلوق وهذا مقتبس من قوله تعالى الذين يتبعون الرسول
النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل الايات
اعلم الخلق جميعا حتى من اى الانبيا والمرسلين الذين اسند اى روى
عنه الرواة والحكما اى العلما الذين يضعون كل شى فى محله فهو من
عطف الاخص على الاعم ولما قدم كثيرا من اوصافه صلى الله عليه وسلم
واحواله وسيره ومغازيه انتقل بطريق لطيف الى ذكر دار مولده
وبعثته ودار مهاجره لانها انشر فاية على ساير الامكنة والى ذكر زيارته
وتاكدها والاشارة الى انها من افضل القربات وانجح المساعى وقد الفت
فيه كتابا حافلا لم اسبق الى مثله مشتملا على جميع ما يتعلق بها وسميته
الجوهر المنظم فى زيارة القبر المكرم وفيه ابلغ الرد والتضليل لمن نازع
فى ندبها بما يكون سببا لسواد وجهه وتبابه فى الدنيا والاخرة فقال
كانيا عن منة الله تعالى عليه باشارته الى انه هيا له اسباب تلك الزيارة
من الزاد والراحلة الموصوفة بالصفات الحسنة الاتية حتى كانها
مخاطبة له برز على ظهرى فانى احملك ذهابا وايابا مع السلامة من
التغير والراحة من السير المتعب وعدتنى ذكر الموعود فى حيزها كما هنا
يوجب شمولها بين الخير والشر وانما يقع على التمييز بالقراين وحذفه
بعينها للخير ويعين للشر اوعد ازداره اى النبى صلى الله عليه وسلم افتعال
من الزيارة وابدال التا دالا من اليا فى نحو ذلك مطرد وهو منصوب
بنزع الخافض اى بزيارته هذا العام وجنا اى ناقة قوية من الوجن

واضطرارنا زيارتنا

ومن الارض الصلبة ومنت اى انعمت بموعدها الوجنا المذكورة وهذا
كما علم بما وطات به اولا كناية منه عن نية الزيارة فى تلك السنة
واعداده ذلك المركوب لها فهو اخبار عن لسان حال ذلك المركوب
وبما تقرر من ان ال فى الوجنا للعهد الذكرى اندفع قول الشارح بين
وجنا والوجنا جناس والعجب منه انه صرح مع ذلك بان ال للعهد
المستلزم لاتحاد اللفظين وان الاول عين الثانى ايليق بى ان
اترك الزيارة او ابطا عنها فلا انطوى اى اضم نفسى على تلك الوجنا التى
منت بما ذكر لها اى لاجلها ليسهل سيرها بى فان حسن سير المركوب
من حسن ركوب راكبه فى حصول اقتضائه اى طلبى منها لذلك الموعود
فالمصدر مضاف للفاعل وهو اليا والها مفعوله فان اريدت الاضافة
اليها ايضا كانت هذه الاضافة غير صحيحة لانه اجتمع فيها التا تعريف
وهو الاضافة الى كل من الضميرين وقد قالوا لا يجوز التى تعريف
على معرف واحد قالوا وانما جاز فى اضافة الصفة من اسم الفاعل
او المفعول او الصفة المشبهة وامثلة المبالغة اقتران المضاف
دون سائر المضافات بال لان اضافة الصفة الى معمولها لا تفيد
تعريفا بخلاف بقية المضافات انتهى نعم يجرى لنا قول ان اضافة المصدر
الى مرفوعه او منصوبه غير محضة فعليه تجوز ما وقع فى النظم لانه لا يجتمع
اذا تا تعريف فتامله اما اذا لم يرد الاضافة اليها وانما اريد بقاؤها
على نصبها ففيه ارتكاب ضرورة اتصال الضمير مع امكان انفصاله

لتطوى

١٣٣

لتطوى بالبنا للفاعل والمفعول والاول اولى اذ لا يلزم عليه زيادة
ما بخلاف الثانى ما اى المسافة البعيدة التى بيننا اى بينى وبين
ذلك القبر المكرم على الحال به افضل الصلاة والسلام الافلا جمع فلا
كما فى القاموس وعبارته والفلاة القفر او المفازة لا ما فيها ثم قال والصحرا
الواسعة جمعه فلى وفلوات وفلى وفلى جمع جمعه افلا انتهى وبه
يندفع ما للشارح هنا وجوز فيه الشارح كسر الهمزة مصدرا اى
المسير الى فلاة بعد اخرى ولا يلزم على بنايه للفاعل وان الافلا جمع
اتحاد الفاعل والمفعول لانهما مختلفان بالاعتبار بل وبالحقيقة اذ النظر
فى تلك المسافة المطوية الى السير البعيد وفى الافلا الى الامكنة المقفرة
ولا شك ان السير غير محله فتامله وبين انطوى ولتطوى جناس الاشتقاق
كما وشبهه بين مباركها والبركة وحاورتها والحورا وحنين وحنت
ونضعوا الانضا والخلاص والخلصا الاتيان بوجنا الوف صيغة
مبالغة من الف كعلم متعلق بتطوى وكان القياس بها لكن اظهر لافادة
وصفها بهذا الوصف الممدوح البطحا المعهودة هنا وهى مكة وتوابعها
واصل الابطح والبطحا مسيل متسع فيه دقاق الحصى وهذا وما
بعده لسان حاله ابرزه على لسان حالها مبالغة فى انه به من تلك
الاوصاف ما لولا كان لراحلته ادراك لكانت مثله فيها لما تشاهده
من حاله بحفلها اى يزعجها ويقلقها النيل اى اعرض عن الاقامة
بمواضع الفها وطنها ومر بها لشدة شوقها الى التملى بتلك الانوار

والتعفر بتراب تلك الاثار وبين الالف والاجفال جناس الطباق والحال انه
قد شغف اى شرب رطوبة جوفها او اكل جوفها الاظما أي شدة العطش في طريقها
فهى راضية بهذه المشقة المودية الى التلف في جنب ما املته في تلك الحضرة
من مزايا الانعام وخفايا التحف ولاجل ذلك انكرت مصر لانها لا تومل
فيها من تلك المواهب العلية معشار ما املته في تلك الحضرة الاحدية والساحة
المصطفوية فبسبب هذا الانكار المتسبب عن ذلك الامل هي تنفر بكسر
الفاء وضمها اى تجد في الهرب من مصر الى تلك الحضرات العلية ما مصدرية
لاح اى ظهر من ارض مصر بنا لعينها او خلا اى فضا ولا بنا في هذا اقوله
بالوف البطحا لانها تالفها لتقطعها حتى تصل الى مطلوبها فعند توجهها اليه
تجد في السير وتنفر الى جهة مقصدها سوا لاح لها في غير تلك الحالة بنا
او فضا وفسر الشارح الخلا بالحشيش الرطب ووجه بنظير ما ذكرته
انها تجد في السير الى جهة مطلبها وان ظهر لها في غيرها قوتها الذي هو الحشيش
الرطب وهذا فيه من زيادة المبالغة ما لا يخفى عظيم وقعه لكن يبعد مقابلته
بالبنا بخلاف ما ذكرته وقوله او المراد به ما بين ابنية مصر وهو اقرب انتهى
في غاية البعد كما لا يخفى فافضت من الفضيض وهو الما العذب والسايل
على مباركها بركتها هى اول محل يلي طريق الحجاز يجتمع الحجاج فيه للتاهب
لسفرهم ولذلك كان مجمعا عظيما يجتمع فيه كل ما يحتاجه الحجاج سميت بذلك يجلب
لان النيل ياتي اليها فيمكث فيها زمانا طويلا وكانت فضا صرفا فعمر فيها
القطب الرباني البرهان المتبولي رضي الله تعالى عنه من نحو سبعين سنة جامعا

وجعل

[illegible]

وجعل فيه مجاورين يقراون القران فعادت بركته عليهم حتى ذكر بعض صالحيهم
ممن ادركناه يوم مر بالجامع الازهر انه اشتهى زيارة امه بالبحر وهو يوم فاستاذنا
الشيخ في السفر لذلك فلم ياذن له فدخل الى خلوته والناس يقراون القران
على بابها فراى نفسه ببلده عند امه فسلم عليها واقام عندها اربعة اشهر بعدها
بالايام والليالي ثم اشتاق للشيخ فراى نفسه في خلوته فخرج فراى القرا قد قراوا
في تلك المدة نحو ربع القران وهذا من بعض كرامات الاوليا ان الله تعالى
يطوي لهم الارض ويفسح لهم في الزمن ووقع لهم من نظاير ذلك ما لا يحصى
وانكار اتساع الزمن القليل دون طي الامكنة تحكم لان كليهما من خرق الكرامة
فاذا اجاز احدهما جاز الاخر فتامله ثم بنى الشيخ ثم الناس حول ذلك الجامع ابنية
وبساتين لا زالت تتسع ببركته حتى صارت الآن قرية كبيرة اى فافاضت البركة
على مبارك تلك الناقة من الما العذب ما ارواها وراكبها ومن معه فبعد
البركة منازل الحجاج في هذه الطريق اكثرها مشهور لغالب الحجاج فلا حاجة
بنا الى مزيد بيانها هي البويب وانما حملت النظم على هذا لايهامه ان افضت
عام في الكل وهو غير مراد ان اردنا به ما ذكرناه فان اراد به من الفضا
اى فاتسعت على مبارك الناقة بركتها لمزيد سعتها صح عطف ما بعده من
غير حاجة الى التاويل الذي ذكرته وعجيب من الشارح حيث حمله على المعنى
الاول ولم ينبه على عطف ما بعده عليه الذي لا يصح الا بنحو ما ذكرته
لان تلك المبارك اكثرها قفر معطش لا ما فيه اصلا فالخضرا وهي قريبة
من المحل المسمى بعجرود وفيه بير ماوه مستهل وبجانبها بركة تملا من بيت المال

بعم احتياج الحجاج اليها وكان ذلك من اصله حدث بعد الناظم وانما قلت
من اصله لان بركته معلومة الحدوث في اوايل هذا القرن فالقباب التي
تليها اى المنازل السابقة اى الوادي المسمى بوادي القباب اى ذي الرمل
المشبهة لارتفاعها وبياضها بالقباب البيض الحسنة فبير النخل وبجانبها
بركة عملا من بيت المال ايضا وماوها احسن من الذي قبله بكثير ولذا
قال والركب قايلون عندها اى مستريحون وقت القيلولة رواء من الما
بكسر اوله جمع ريان او ريا وعند أيلة اى عقبتها وحقل محل بعدها قريب
منها تسميه العامة مدق رحقن وقر ليس هذا الحطى الاسم مشهورا
عند الناس اليوم خلفها اى الناقة لكونها جاوزته فالمغارة المنسوبة الى
شعيب النبي صلى الله عليه وسلم الفيحا اى الواسعة فعيون الاقصاب سميت
بذلك لكثرة ما فيها من القصب الفارسي يتبعها النبك هذا ايضا
ليس مشهورا وفي القاموس النبك بالنون فالموحدة بلد بين حمص ودمشق
ويتلو النبك كفافة وبها قبر ولي يسمى مرزوقا مشهورا بالبركة وله ذرية كثيرون مشهورون بالصلاح وللحجاج فيه اعتقاد وتعظيم خارج عن الحد
العوجا المنحرفة عن جادة الطريق وجعل الشارح كفافة مفعولا والعوجا
فاعله فعليه هما محلان متغايران وفيه نظر لانه ليس ثم محل يعرف بالعوجا
اصلا فالموافق للخارج ما ذكرته حاورتها اى حادثت الناقة الحورا
فيما هي بصدده شوقا منها لما الناقة مشتاقة له ومايرة اليه واثبات
الشوق للجمادات غير منكر لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا
متصدعا

١٢٥

متصدعا من خشية الله وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم
وهذا مانع لحمله على التسبيح بلسان الحال اذ لو كان مرادا لم يقل ولكن
الخ احد جبل يحبنا ونحبه فينبوع حاورتها شوقا ايضا وهي بلدة معروفة
من جملة الحجاز الذي هو مكة والمدينة واليمامة وقراها فقد ذكروا ان
ينبوع هذه من جملة قرى المدينة فبسبب مجاورتها لهما الينبوع والحورا
المذكوران لسماعهما ما يتعلق بالزيادة ومشاهدتهما للزايرين لاح
اى ظهر بالدهنوين اى فيهما تثنية دهنا اما لكونه غلب اسمها وهو
الدهنا محل قبيل بدر على مجاورها او ان ثم محلين كل يسمى بالدهنا بدر
وهو الان قرية عامرة به عين كبيرة ونخيل محل الوقعة المشهورة به
التي اعز الله بها الاسلام مشهور بزار ويتبرك بمن دفن فيه من الشهدا
وغيرهم وفي بدر تورية مرشحة بلاح المناسب للمعنى الغير المراد وبقربه
اية باقية من اياته صلى الله عليه وسلم وهي سماع صوت هايل كصوت طبل
الحرب في الجو اشتهر على الالسنة ان هذا الاجل نصرته صلى الله عليه وسلم
والفرح بها وقد انكره قوم فقالوا لا حقيقة له وانما هي اصوات الريح
تسمع في ذلك الوادي عند قوة هبوبها لان في اوله جبلين عظيمين
من الرمل فاذا مشى الانسان بينهما وقوي عصف الريح سمع ذلك الصوت
وقال اخرون بل له حقيقة لانا ذهبنا الى ذلك المحل واقمنا به حتى
سمعناه والجو ساكن لا ريح به البتة وتكرر سماعنا له المرة بعد المرة
انتهى واقول وقع لي ايضا سماعه مرات متعددة في سفرات متعددة

حيث لا ريح ولا حركة دواب ولا مشاة ثم ولقد كنت فى بعضها مرافقا لجمع جم
من وجوه مكة ورؤسائها وعلمائها من المالكية والحنفية فجرى الكلام بينهم
فى ذلك فمنهم من انكره ومنهم من اثبته ثم وقع الاتفاق على الذهاب لذلك المحل
والرقى الى اعلى الجبلين المحاط بسبب ذلك الصوت فذهبنا واقمنا عليه نحو ربع
النهار ونحن لا نسمع شيئا (اصلا صح) وقد هدا الريح ولا احد ثم غيرنا وليس لاحد منا
حركة ففى اخر الامر سمعنا ذلك الصوت الهائل مرة واحدة فقط فانصرفنا
ومن المنكرين من رجع ومنهم من اصر على انكاره ولقد جاءنا فقيه ساكن يؤذن
ويؤم بمسجد بالبلد فسئل فحلف انهم ليلة الاثنين والجمعة يسمعون ذلك
من اول الليل الى اخره وفى غيرهما لا يسمعونه الا احيانا فالله اعلم بحقيقة
ذلك لها اي الناقة بعد وفى نسخة قبل ما لاح لها ارض حنين يقال انه جبل صغير
قريب بدر والظاهر ان الناظم اعتمد فى هذا على ما هو المشهور فى السنة العامة
انه لم يذكر فى القاموس غير حنين المذكور فى الاية الذي هو بين مكة والطائف
وظاهر قول الشارح ان نسخة قبل اوضح لان حنينا بعد بدر ان لما ذكره الناظم
مستندا لكن لا يكفى هذا مع كون القاموس الجامع المستوعب لم يذكره الا
كما مر وحنت تلك الناقة وما هى فيه الصفراء قرية معروفة منحرفة عن طريق
اهل مصر لا يمرون عليها الا عند ذهابهم للزيارة ونضت اي خلعت بزوة
اى حنتها المشهورة واسناد ذلك اليه والى ما بعده مجازى فرابغ والجحفة
محل بعيد رابغ كان بلدة مشهورة لليهود فدعا صلى الله عليه وسلم ان ينقل
حمى المدينة اليها فكان لا يمر بها احد حتى الطائر الا حم (ربه صح) وهى ميقات الحجاج

المتوجهين

المتوجهين من هذه الطريق كما صح به الخبر عنها اى عن تلك الناقة لما انها
استبشرت بقطعها لتلك الاماكن نسا اى ثوب التعب الذي حاكه اى نسجه
الانضاء الهزال شبه الهزال بحائك الثوب والثوب باثر الهزال من حيث
ان الهزال يوجب للبدن من التعب ما يعمه ويستر قوته كما يستر الثوب البدن
ثم خيل الاثبات ما هو من لوازم المشبه به وهو الحياكة ورشح له بذكر الخلع
فهى استعارة بالكناية يتبعها استعارة تخييلية وترشيحية وادتها اى
ابصرت تلك الناقة الخلاص من التعب بئر فاعل على وهو اخر الخبت (الذى صح)
بعد رابغ الى مكة فعقاب السويق بعدها بقليل فالخلصاء اى المحل المشهور
الان بخليص فيه عين واسعة وبركة كبيرة فهي اى تلك الناقة من ماء بئر
عسفان المشهورة او من ماء عيون بطن مر ظمآنة اى عطشانة خمصاء اي
جوعانة لان العادة ان الحجيج اذا وصلوا لنحو عسفان اشتد شوقهم
فاشتغلوا عن سقى دوابهم واطعامها الى ان يدخلوا مكة قرب الزاهر
المشهور قبيل ذى طوى المساجد المعروفة بمساجد عائشة بالتنعيم منها
اى الناقة اى ان وصولها للمساجد جعل الزاهر قريبا منها لان المسافة
بينهما نحو ميلين نخطاها اى بسبب شدة جريها لما احست بالوصول
فالبطؤ الحاصل لها منها وحاء بمهملة قبلها واو مفتوحة اى سرعة وكان
مراده انها احست بالوصول انقلب بطؤها سرعة بمعنى ان بطاها
زال وخلفته سرعة شديدة هذه المذكورات عدة غالب المنازل
بين مصر ومكة التى عليها المعول لان بها يعلم طريق الوصول الى تلك

المعاهد وبتنعم سلوك الوافد وبنشط ببيانها القاصد لاما اى منازل
القمر الثمانية والعشرين التى عد فيه ذكره نظرا للفظ ما السماك الاعزل
الذى هو من منازل القمر ولهم سماك اخر يسمى سماك الرامح لكنه ليس من
المنازل والعوا منزلة من منازل القمر وهى خمسة انجم فلا يعتد بهذه
كالاعتداد بتلك فكانى بها اى على تلك الناقة ازحل من مكة الى عرفة لان
الحج عرفة كما صح به الخبر ولانها باب الملك الذى يقف به السايلون ويتنا
المحتاجون ثم الى مزدلفة للمبيت بها لانه نسك واجب او مندوب او ركن
كالوقوف اقوال اصحها عندنا الاول ولان فيها مقام الجمع الاكثر ومن
ثم سميت جمعا وفى حديث فى سنده ضعف انه صلى الله عليه وسلم دعا ربه
بعرفة ان يكفر عن امته بالحج حتى التبعات فلم يستجب له فدعا بذلك
فى مزدلفة فاستجاب له ثم الى منى للرمى والمبيت بها ثم بقية المشاعر التى
حول مكة وبها شمسا اى حال كون تلك الناقة كالشمس فى ارتفاعها رفعة
ما هى قاصدته وقوة سيرها لما عندها من عظيم الشوق فشبهها بالشمس
استعارة بالكناية واثبات الشمس لها تخييل وذكر الرحيل والبيدا تجريد
لملايمتهما للمشبه الذى هو الناقة سماوها اى تلك الناقة المشبهة
بالشمس كما تعورر البيدا اى المفازة الواسعة تشبيه بليغ شبه الناقة
بالشمس لما مر وشبه البيدا التى هى محل سيرها بالسما التى هى محل سير الشمس
بجامع السعة ولما ذكر مكة استطرد لذكر ما شرفها الله به على ساير البلاد
فقال موضع البيت اى الكعبة بالجر بدل من مكة بدل بعض من كل وبالرفع خبر

محذوفا

هى محذوفا وعليه فمعنى كونها موضعه انه فى بعضها وفيه اقتباس من قوله تعالى
ان اول بيت الاية مهبط الوحى نعت او بدل بعد بدل او معطوف بحذف
العاطف على ما فيه من الضعف والشذوذ وكذا يقال فيما بعده اى محل
نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة والوحى لغة الانبا
وكل كلام خفى وشرعا ما جا به النبى المبعوث عن ربه على لسان الملك او
بالالهام او فى النوم او الالقا فى الروع ماوى من اوى فلان الى منزله الرسل
الكرام وساير الانبيا ومر تعريف النبى والرسول اول الكتاب لان ما من
نبى الا حج البيت كما فى حديث واستثنا صالح وهود لاشتغالهما بامر قومهما
لم يصح حيث ظرف مكان فهو كالذى بعده بدل مما قبله الانوار الالهية
متنزلة ثم وقدرت هذا لان الاصح منع اضافة حيث الى المفرد اى بنزلها
دايما على قلوب الطايفين ثم والعاكفين والركع السجود حيث لبهاا اى
الحسن المعنوى المكنى به عن حصول ملايم النفس من الحكم والمعارف
المفاضة على اهل هذه الحضرة الالهية والمعاهد الربانية حقق الله لنا
ذلك فيها بمنه وكرمه وراعى النظير بذلك الوحى والرسل والانوار
والبها وكذا الطواف وما بعده فيما ياتى حيث فرض الطواف فى حج او عمرة
واما خارجهما فهو حيث لم ينذر سنة موكدة ورد فيه فضايل جمة تحمل
من احاط بها على ان يدالاكثار منه بل قال بعض ايمتنا انه للغربا افضل
من الصلاة لانه عبادة خاصة بهذا المحل لا توجد فى غيره واختلفوا فى ايما
افضل اركان الحج هو او الوقوف بعرفة فقال جمع هو لانه ملحق بالصلاة

فيشترط فيه شروطها بخلاف الوقوف فانه امر عادي لا يشترط فيه شي ولذا
لم يقبل الصرف وقال اخرون بل الوقوف للحديث الصحيح الحج عرفة اي
معظمه ذلك لان من ادركها ادركه بخلاف الطواف ولانه المتكفل
بمغفرة الذنوب وقضا المارب كما في الاحاديث الصحيحة ولانه يشترط
وقوعه حال الاحرام المشعر بغاية الذل والافتقار بخلاف بقية
الاركان وهذا اصح كما حررناه في كتبنا الفقهية وحيث السعي اي
فرض في احدهما ايضا بنا على انه ركن لا واجب كما هو مذهب الشافعي
رضي الله تعالى عنه وحيث الحلق او التقصير في احدهما ايضا اي فرضه
بنا على الراجح عندنا انه ركن وحيث رمي الجمار اي ايجابه لا على جهة الركنية
وحيث الاهدا اي سوق الهدي الى مكة ثم ذبحه بها وتفرقته على ثلاثة
من مساكينها المقيمين او الغربا والاولون اولى الا ان يكون الغربا احوج والمراد
بمكة كل الحرم وهذا محله ان نذر ذلك لان المعروف من مذهبنا الذي هو مذهب
الناظم ان اصل الاهدا سنة ولو لغير الحاج ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم
يرسله اليها من المدينة وهو مقيم بها لا واجب وهذه السنة كانت في
زمن السلف من مشاهير السنن ثم تناساها الناس واعرضوا عنها بالكلية
ويصح ان يريد بالاهدا كل دم وجب في النسك اثم بسببه كالحلق تعديا
ام لا كالتمتع وموضع تفاصيل ذلك كله كتب الفقه والمناسك وذكره الفرض
في الطواف فقط موهم انه فرض دايما فلا يتنفل به وان ما بعده ليس
بفرض مع ان فيه ما هو ركن لا يتصور ندبه ولا وجوبه في النسك وهو

السعي والحلق وما هو واجب لا ركن وهو الرمي وما هو واجب تارة وهو
ما حصل لترفه او جناية ومندوب اخرى وهو ما فعل تطوعا اي من غير
سبب وكان الناظم وكل امر هذا التفصيل للشهرة وانه ليس بصدد بيان
ذلك حبذا تاكيد لفظي وهو شايع هنا ومر اوايل الكتاب الكلام على
حبذا بما ينبغي مراجعته معاهد جمع معهد وهو في الاصل المنزل الذي
يعود اليه مفارقوه دايما وهذه المواضع كذلك لان من فارقها
فهو عايد اليها بالفعل تارة والعزم اخرى منها اي مكة امتازت على
بقيتها كالكعبة ومسجدها ودار خديجة والصفا والمروة ومحل
ولادته صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من المواضع الماثورة بها وبالحرم
كمنى ومزدلفة بل وخارجه كعرفة لم يغير اثارهن اي علاماتهن الدالة
على شرفهن من تعظيم الامة لهن وازدحامهم على التبرك بزيارتهن
والقيام بحقوقهن البلا بفتح البا اي طول المدة الذي من شانه ان
يغير الاشيا عما هي عليه وذلك لان الله تعالى صانها من التغير لحرمتها
لديه وفضلها عنده وليستمر لهذه الامة التمتع بها الى اخر الدهر
حرم محرم بحرمة الله تعالى من يوم خلق الله السموات والارض كما
في الحديث الصحيح وحديث ان ابراهيم حرم مكة المراد به انه اظهر
حرمتها التي كانت خفيت على الناس فلا تعارض بين الحديثين وهذا
بدل من موضع البيت بدل كل من بعض على حد جنات عدن في مريم
بنا على اثبات ذلك البدل كما هو راي قوم قالوا به ولم ينظروا الانكار

مخطط

لانكار الجمهور له ولا لمن منع الاستدلال بالاية نظرا الى ان في الجنة للجنس
فيصدق بالجمع ايضا فلا بعض محقق يبدل منه الكل او للعهد الخارجي لانه
لا خارج حتى يكون معهودا او الذهني لان مدخول اللام ح بمنزلة النكرة
وهي موضوعة لفرد وكان وجه عدم نظر مثبت ذلك البدل لما ذكر
من وجوه المنع انه نظر الى ان جنة عدن علم على الجنان الثمانية الموجودة
الان والجنة حيث اطلقت انما يتبادر منها واحد من تلك الثمانية فصح
ادعا انه بدل بعض من كل بهذا الاعتبار واما تجويز انه بدل كل من كل
نظرا الى ان جنات عدن علم كما تقرر وموضوعه شخصي فيكون ابدال علم
من نكرة وذلك اقرب الى كونه بدل كل من كل فقد يجاب عنه بان هذا المدلول
الشخصي اكثر في الخارج من مدلول النكرة الذي هو الفرد المنتشر وذلك
اقرب الى كونه بدل كل من كل وبهذا الذي قررته مما يكفي مثله في اثبات
ذلك الراي المخالف لراي الجمهور يندفع ما اطال به السيد من التشنيع
على من اثبته كيف وقايله لا يبعد توجيه كلامه بنحو ما ذكرته وكلامه
قرب ماخذه بل واحتمل لا تشنيع به على قايله ويجوز فيه العطف
نظير ما مر وانه خبر مبتدا محذوف وحدوده معروفة في كتب الايمة وعند
اهل تلك الاماكن من الكثر نواحيه امن اي يامن من فيه من شن الغارات
واستباحة الحرمات بل كان الانسان يرى قاتل ابيه فيه فلا يتعرض له
ولما دخله الطوفان لم تعد فيه دابة على دابة وكان رجل من قوم ابرهة
فيه فلم يصبه من رمي الابابيل حتى خرج منه هذا في الجاهلية واما

بعد

بعد بعثته صلى الله عليه وسلم فالمراد امن صيوده وشجره ونباته وكذا
لقطته وترابه عن ان يتعرض احد اليها بقتل او قلع او قطع او تملك او
نقل الا ما استثني وهذا مقتبس من قوله تعالى حرما امنا وفيه كبيت
حرام الاتي نوع من التلميح وبيت حرام اي ذو حرمة وعزة باهرة وهذا
١٢٩ اقتباس من قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس
ومقام بفتح الميم هو مقتبس من قوله تعالى فيه ايات بينات مقام
ابراهيم وهو الحجر الذي نزل لابراهيم الخليل صلى الله عليه على نبينا وعليه
وسلم من الجنة كما صح به الحديث ليقوم عليه عند بنايه الكعبة اذا طال
البنا فكان يعلو به الى ان يضع الحجر في محله ثم يقصر به الى ان بنيا ول
الحجر من اسماعيل صلى الله عليه وسلم وفيه اثر قدميه الكريمين وهو
الذي نادى عليه لما فرغ من بناء الكعبة ايها الناس ان الله بنى لكم بيتا فحجوا
اليه فسمعته النطف في الاصلاب والاجنة في الارحام فاجابوه
بلبيك وفي رواية انه نادى بذلك على الحجون ولا بنا في لاحتمال
انه نادى مرتين قال الايمة وبقاوه من غير ان يتعرض له احد في
الجاهلية مع كثرة السيول التي كانت تدخل الحرم وتخرج ما هو
اكثر منه باضعاف متضاعفة من ايات الله الباهرة واختلفوا في
موضعه الموجود فيه اليوم هل هو الذي كان به في زمن النبي صلى
الله عليه وسلم اولا وانما كان عند باب الكعبة فرده عمر رضي الله تعالى
عنه الى موضعه اليوم اجتهادا منه قولان اصحهما الاول ومن الغرايب

ما قيل المراد الحجر الذي وضع الخليل عليه رجليه لما جا بعد موت هاجر
ليزور اسماعيل فراه غايبا هناك فسال زوجته فشكت فقال مري
زوجك يغير عتبة بابه فجا فاخبرته فطلقها ثم جا وقد تزوج اخرى
فوجده غايبا فسالها عن حالهم فاثنت ثم امرته بالنزول لتطعمه فابى
فوضعت له حجرا ليغتسل عليه فوضع قدمه وامال لها راسه فغاصت
قدمه ثم حولته فغاصت الاخرى فيه ثم قال لها مري زوجك فليلزم
عتبة بابه فيه اى البيت او الحرم ولا يصح عوده للمقام نظير ومن
دخله كان آمنا المقام بضم الميم وجوز بعضهم فتحها اى الاقامة ثلاثا
بفتح الفوقية اى جوار المحل تنزل الرحمات واقالة العثرات وكان اخذ
هذا من ان اهل مكة يسمون جيران الله اى بيته وحرمه والعجب
من الشارح حيث لم يبين معنى هذه اللفظة مع خفايها واشتراكها
بين معان كما في القاموس لا يناسب منها هنا الا هذا وبين حرم
وحرام جناس الاشتقاق كهوا وشبهه بين مقام المقام وما يا تى
من قضينا والقضا ودينا ودما ويذشر ونشر وثمت وثمت وقبا
وقبا ورخصتها والرخصا وحططنا وحط وقرانا والاقرا وسمحنا
ويسمح وذهلنا واذ هل فقضينا اى اديناه اذ القضا يطلق على الادا
لغة كما في قضيت الدين بها اى بمكة وما ينسب اليها كعرفة ومزدلفة
ومنى مناسك جمع منسك من النسك وهو العبادة اى اركان الحج والعمرة
وواجباتهما وسننهما لا نحمد الا في فعلهن القضا اى لا نجد الادا

مخصوصا

مخصوصا في فعل العبادة الا في فعلهن كيف وقد تميزن بان الحج المتكفل
بالجنة من غير عمل اخر وبخروج فاعله من الذنوب كيوم ولدته امه وبكونه
اشعث اغبر وبمنعه مما لوفاته الحسية والمعنوية وبفراقه لاهله ووطنه
وبتكفير تبعاته على ما فيه من الخلاف وبكونه لا يضيع قدما ولا يرفعها
الا كتب له من الثواب ما لا يحيط به الا المتفضل به وبقوله مخصوصا يندفع
ما يورد على النظم ان غير الحج الافضل منه او المساوى له والمفضول عنه
يحمد فاعله ايضا تنبيه ما قررت به قوله فقضينا والقضا
يندفع ما للشارح هنا ومن جملة قوله لا يفسر القضا اخرا البين بالفعل
ويتعين انه الفراغ او ضد الادا ففسر القضا بما ليس معناه لغة
وشرعا وبما لا يتصور في الحج وهو قوله او ضد الادا على ان استعمال
القضا بمعنى الادا اشهر من الشمس لغة وشرعا وقد حقق بعض
المتاخرين ان القضا لا يتصور في الحج لانه ما فعل خارج وقته
والحج وقته العمر وتضييقه بنحو خوف عضب او مال او فوت لا
يقتضي انه لو بان الامر على خلاف ظنه يكون قضا فيما بعد ذلك
الوقت الا على الوجه الضعيف في نظيره في صلاة تضيق عليه
فعلها في الوقت ثم بان خلاف ما ظنه انها تصير قضا وان فعلت
في الوقت وليس كذلك بل المعتمد خلافا للكثيرين انها ادا كما
اتفق عليه الاصوليون ان القضا ما يفعل خارج الوقت المقدر
له شرعا تنبيه ثان لا يتوهم ان ما وقع في النظم من تقديم

المستثنى المختلف فيه لان محل ما قاله الجمهور من منع تقديمه انما هو
اذا كان اول الكلام نحو الا زيدا قايم القوم وجوزه الكوفيون
فان تقدم على المستثنى منه وعامله فقط ففيه مذاهب والذي عليه
الاخفش وصححه ابو حيان جوازه ان كان العامل متصرفا فقط نحو
الا كل شي ما خلا الله باطل فالاستثنا من ضمير باطل العامل في
ذلك الضمير وما هنا لا تقدم فيه على مستثنى منه لانه مقدر كما قدرته
ولا على عامله وانما هو على حد اذا لم يكن الا النبيون شافع وحكى
سيبويه ما لي الا ابوك احد قال فيجعلون احدا بدلا وابوك
مبدل منه قال ابن عصفور ولا يقاس على هذه اللغة وقد قاسه
الكوفيون والبغداديون وابن مالك وعليه فلا اعتراض على
المتن **ودمنابها** اي الناقة **الفجاج** جمع فج وهو الطريق اي القينا بها
فيها للتيسير بنا **الى طيبة** هي المدينة على مشرفها افضل الصلاة والسلام
سميت بذلك لان الله تعالى طيبها لرسوله فجعلها دار هجرته ومحل
نصرته وموضع تربته ولها اسما اخر كثيرة جدا **والسير بالمطايا** جمع
مطيه وهي الدابة تمطو اي تجد في سيرها **رما** مصدر رامية
اي يشبه سير السهم اذا رمي به **فـ**بسبب ان سيرها يشبه سير السهم
اشبهت القوس وحينيذ **اصبنا عن قوسها غرض القرب** اي المدينة
المشبهة بالغرض في كونه المقصود بالرمي والسير فتشبيه الناقة
بالسهم استعارة بالكناية واثبات الرمي استعارة تخييلية وذكر

القوس

القوس والغرض ترشيح ويصح كونها شبهت بالقوس فهي استعارة بالكناية
ايضا واثبات القوس لها تخييل وذكر السهم والاصابة والغرض
ترشيح **ونعم الجبيئة** اي الذخيرة **الناقة الكوما** هي المخصوص بالمدح وهو
خبر مبتدا محذوف او عكسه فقول ان رح انه صفة الجبيئة ليس في
محله وهي اعني الكوما العظيمة السنام **فرابنا** اي ابصرنا المدينة
وما حواليها التي شرفها الله تعالى بان جعلها **ارض الحبيب** اي حبيب
رب العالمين فتميز صلى الله عليه وسلم بمقام المحبة الذي هو اجل واعلى
من مقام الخلة لان المحبة الكاملة تستدعي الخلة وزيادة اي ارض
١٤١ المدينة وما حواليها **بغض** اي بخفض **الطرف** مفعول **منها** اي
من اجل الجلالة التي حفتها **الضيا** المشرق عليها حسا ومعنى **واللالا**
اي البرق اللامع على صفحاتها المشار به الى مواهب الحق الفاضة
على الزايرين وفي الضيا واللالا مراعاة النظير **فكان** بالتشديد
وقد تخفف نحو كان لم يدعنا الى ضر مسه للتشبيه المؤكد لان الاكثر
انه مركب من كاف التشبيه وان المؤكدة فالاصل في نحو كان زيدا
اسد ان زيدا كاسد قدم حرف التشبيه اهتماما به ففتحت ان لدخول
الجار عليه قال بعضهم وانما يستعمل حيث يقوى الشبه حتى يكاد
الراي يشك في ان المشبه هو المشبه به او غيره ولذلك قالت بلقيس
كانه هو وقيل ترد للظن والشك فيما اذا كان خبرها غير جامد
البدا من تلك الارض وهو اسم لمحل قريب من ذي الحليفة المشهور

اليوم بابيار على من للتعليل او ابتدا الغاية وكل منهما خفي فالاحسن
انها زايدة على مذهب الاخفش وجماعة حيثما ما زايدة قابلت
العين الناظرة اليها روضة غناء اى كثيرة العشب والنبات
والازهار والثمار وكان البقاع الاماكن اللاتى حول المدينة
المنورة لكثرة ما يغشاها من الانوار والاضوا المتنزلة على ضريحه
المكرم صلى الله عليه وسلم ذرت عليها اى البقاع طرفيه عايد لقوله ملاة
بضم اوله وهى ثوب ابيض او ثوبان ملفوفان كذا قيل وعبارة شرحى
لشمايل الترمذي الملاة بالضم والمد وهى كما فى القاموس كل ثوب
لم يضم بعضه لبعض بخيط بل كله نسج واحد وفى النهاية هى الازار
وفى الصحاح هى الملحفة ولا تنافى لصدقهما على التعريف الاول بكل
من هذين انتهت وبه تعلم ان الثوبين الملفوفين ملاتان لا ملاة
واحدة حمرا شبه تلك الانوار والاضوا التى غشيت تلك البقاع
وعمتها من ساير جوانبها بخيمة حمرا شدت على ما فيها اذ زادها في

الأولى بملاه

عراها من ساير جوانبها وكان الارجا اى نواحي المدينة الغرا بنشر
اى بدفع نشر اى ريح المسك فيها اى تلك الارجا الجنوب وهى
الريح التى تقابل الشمال والجربيا بكسر الجيم ككيميا وهى كما فى القاموس
الشمال او بردها او الريح بين الجنوب والصبا وهى التى تثير السحاب
فهى المراد هنا فاذا شمت بكسر الشين المعجمة اى نظرت الى سحاب البرق
التى تمطر فى تلك البقاع او شمت فى القاموس شمته بالكسر اشمه بالفتح

وشمته

وشمته اشمه بالضم رباها جمع ربوه بتثليث الراء وهى ما ارتفع من الارض
لاح اى ظهر وهو راجع لشمت منها اى تلك البقاع برق راجع للاول
وفاح راجع لشممت ففيه لف ونشر مرتب كبا بوزن كسا عود
البخور او ضرب منه اى ريحه من كبى بالتشديد ثوبه اى بخره وبين
فاح ولاح جناس مضارع ابى نور بالهمز واى نور بفتح اوله اى زهر
نضير وبينهما الجناس المحرف ومنه حديث اللهم كما حسنت خلقى
فحسن خلقى شهدنا هما اى رايناهما بابصارنا وبصايرنا يوم ظرف
لشهدنا ابدت لنا الغباب التى هناك قبا محل مشهور بينه وبين
المدينة نحو ثلاثة اميال فمنها دمعى اى كثر وانهمل من اجل ما
شهدته حسرة على ما مضى لى من فراقه او فرحا بوصولى اليه او خوفا
من التقصير بعدم رعاية الادب فى تلك الحضرة الجليلة وفر
اى ذهب اصطبارى لا سيما بعد ان وصلت الى هذه الربا وانخ
رحلى بقبا وبين فر وفر الجناس المصحف فدموعى سيل عظيم وصبرى
جفا بضم الجيم اى زبد فكما ان السيل يذهب بذلك الزبد [illegible]
فكذلك دموعى تذهب بصبرى فلا يبقى عندى منه شى وهذا
من جنس التذييل كقوله الاتى وكم اذهل صبا الخ وفيه لف ونشر
مرتب فبسبب ما ذكر ان ما شوهد يوجب كثرة الدمع وفنا الصبر
ترى ايها المخاطب الركب طايرين اى جادين فى السير حاثين لدوابهم
ليستخرجوا منها اقصى ما يمكنها من الاسراع من اجل الشوق الحاجزية فكيف بغيرها

عليه افضل الصلاة والسلام لهم ضوضاء اي اصوات عالية بالصلاة والسلام
عليه صلى الله عليه وسلم وعبارة القاموس الضوضا مقصورة الجلبة واصوات الناس
لغة في المهموزة انتهت وبه يعلم رد ما قاله الشارح فكان عطف على ترى الزوار
ما مسنا لهم الباسا اي شدة السير لهلة ومشقته منهم خلقا ولا الضراء تاكيد
لما قبله وكيف يمسهم شي من ذلك وكل نفس منهم يتكرر منها ابتهال اي تضرع
الى الله تعالى في ان يقيل عثارها ويقبل اثارها وسول اي توسل الى الله تعالى
باحب خلقه اليه ودعا اطناب ورغبة فيما عند الله تعالى من جزيل الثواب
وابتغا اي طلب لما عند الله تعالى وزفير اي تواتر النفس وصعوده لشدة
ما يعتري القلب من خشية المؤاخذة بما فرط منه وتفسير الشارح له تارة
باغتراق النفس للشدة وتارة بحبسه فيه قصور عن ذكر تصاعده الذي
لا بد منه في حده نظن ايها المخاطب منه اي من اجل كثرة ذلك الزفير
وشدته بحيث يسمع له صوت في الصدور ومن ثم جا ان صدره صلى الله
عليه وسلم لشدة ما عنده من الخوف كان يسمع له ازيز كازيز المرجل صدورا
مفعوله الاول طيورا صادحات اي مصوتات يعتادهن زقا بالزاي
والقاف اي صوت عال والحاصل ان ذلك الزفير من شدته ظهر له في
صدورهم صوت اشبه صوت الطيور الصادحات اللاتي يعتادهن التصو
بشدة وعلو صوت وبكا يعتريه بالعين اي محله على ملازمته لها مد اي
سيل من الدموع نشا عن حرقة القلب لفراق المحبوب او خشية قطيعته او
عن فرحه بلقيا الحبيب والمثول في حضرته ونحيب وهو دفع الصوت بالبكا

[illegible]

تحته

تحته يحصله ويزيد فيه استعلا اي علو الصوت بشدة وتتابعه بالبكا وجسوم
كانما رحضتها اي غسلتها ولذا سمي المغتسل مرحاضا من عظيم المهابة اي الحالة
التي استولت على قلوبهم لما انا خوا رحالهم بتلك الحضرة الجليلة الرحضا اي
العرق الكثير من اثر الحمى اي جسوم قارنها من عظيم المهابة ما ازعجها ازعاجا
يتولد عنه كثرة عرقها حتى كانه غسلها ووجوه تتلون بالوان مختلفة لشدة
ما عندهم من القلق والخوف والحيا منه صلى الله عليه وسلم عند القدوم عليه
بوصف التقصير وعدم كمال الاتباع له حتى كانما البستها احل حيا بالمد
ومر تفسيره وانه عريزي باعتبار اصله ومغير مكتسب باعتبار كماله
الوانها الحربا دويبة مشهورة ذات الوان متعددة تستقبل الشمس براسها
ودموع من شدة البكا والحزن على عدم القيام بواجب تلك الحضرة ومشرفها
عليه افضل الصلاة والسلام كانما ارسلتها من جفون سحابة وطفا اي
مسترخية الجوانب لكثرة مايها شبه ما عندهم من الحزن الباعث لهم على غزارة
الدمع وكثرة تتابعه بسحابة مملوة ما ثم جرد بذكر الجفون ورشح بذكر
الوطف وخيل باثبات السحابة للمشبه ففيه اربع استعارات وفي قوله
كل نفس الى هنا من مراعاة النظاير والانسجام البديع الذي هو سهولة
الالفاظ وعذوبتها بحيث شابهت الما العذب الذي من شانه الانسجام
والسيلان والرقة والحلاوة ما لا يخفى على ذي ذوق عظيم بلاغته
ومولده كثير من هذا النوع فبعد ان وصلنا الى ذلك القبر المكرم على ما
بنا تمام شرحه بقوله كل نفس الى هنا حططنا الرحال بفنا كرمه صلى الله

ای الحالة

١٤٢

عليه وسلم لنستمطر سحايب القبول والانعام ونستقيل عثرات التقصير
والاثام ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاوك فاستغفروا الله واستغفر لهم
الرسول لوجدوا الله توابا رحيما حيث اى في مكان حط الوزر اى الاثم
الثقيل عنا بشفاعة مشرفه عليه افضل الصلاة والسلام وتوقع عنا الحوجا
اى الحاجة بغنا النفوس وطلوع البدور وشروقا الشموس حتى نصل الى العيان
ونستغني عن الاستدلال والبرهان وبين الحط والرفع طباق وقرانا السلام
الكرم اى على اكرم خلق الله وافضلهم كما مرت ادلته مستوفاة اول هذا الشرح
واقتدى الناظم في هذا بالسلف فانه جا السلام عليه عند قبره عن ابن عمر
وغيره من السلف بل قال المجد اللغوي السلام عليه صلى الله عليه وسلم عند
قبره افضل من الصلاة عليه عنده اى للاخبار الكثيرة فيه كخبر ما من احد يسلم
علي عند قبري الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام ويعارضه الحديث
الصحيح انه تعالى يصلي هو وملايكته علي المصلي في الصلاة الواحدة عشرا
وفي رواية مايه وصلاة الله تعالى افضل من رده صلى الله عليه وسلم وان
كان رده دعا لا يرد على انه صلى الله عليه يرد الصلاة عليه كالسلام فالاولى
ان توجه افضلية السلام بانه شعار اللقا والتحية فتختص افضليته
بحالة اللقا عند كل زيارة اما اذا اسلم سلام اللقا فالصلاة بعده اولى
من استمرار السلام وان كان باقيا في مقام الزيارة ويدل لذلك صنيع
العلما بانهم لما ذكروا ان الزاير يبدا بالسلام ذكروا انه يختم بالصلاة عليه
صلى الله عليه وسلم من حيث اى من مكان وقوفنا بتلك الحضرة الذي يسمع الاقرا

سلام

بالحظوظ والمعارف والمدارج صح

السلام منه وفيه رد العجز على الصدر وما اقتضاه كلامه من ان زايره صلى الله
عليه وسلم عند قبره يسمعه سماعا حقيقيا ويرد عليه من غير واسطة وان من
صلى وسلم عليه من بعيد لا يسمعه الا بواسطة يدل عليه احاديث كثيرة ذكرتها
في كتابي الدر المنضود في الصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود وذكرت
منها جملة في الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرم منها ما جا عنه صلى الله عليه
وسلم بسند جيد وان قيل انه غريب من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى
من بعيد اعلمته وصح وان نوزع فيه ما من احد يسلم علي الا رد الله الي روحي
حتى ارد عليه السلام وصح من غير نزاع فيه يعتد به من افضل ايامكم يوم الجمعة
فيه خلق ادم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فاكثروا علي من الصلاة
فيه فان صلاتكم معروضة علي قالوا يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك
وقد ارمت اى بوزن ضربت يعني بليت قال ان الله عز وجل حرم على الارض ان
تاكل اجساد الانبيا وفي رواية زيادة فنبي الله حي يرزق وبقيت احاديث
اخر متعارضة جمعت بينها في الكتاب السابق بانه صلى الله عليه وسلم يبلغ
الصلاة والسلام اذا صدرا من بعد ويسمعهما اذا كانا عند قبره الشريف
ومع سماعه لهما يبلغهما ايضا زيادة في اكرام الزاير والاعتنا بشانه والاستمداد
له بذلك سوا ليلة الجمعة وغيرها واما رده فهو عام لمن عند قبره ولغيره
لانه صح ان من سلم على قبر اخيه المومن سمعه ورد عليه فلو اختص رده
صلى الله عليه وسلم بزايره لم يكن له خصوصية بذلك وكفى الزاير تمييزا انه
صلى الله عليه وسلم يسمع صوته من غير واسطة وكفى المصلي من بعيد وقريب رده

والسلام

١٤٤

صلى الله عليه وسلم ومعنى رد روحه صلى الله عليه وسلم السابق رد نطقه لانه حي على الدوام
فروحه لم تفارقه ابدا او صح الانبيا احيا في قبورهم يصلون والاحاديث في
ذلك كثيرة جمعها الامام البيهقي في جزء واستدل بها على دوام حياة الانبيا
حياة مخصوصة اعلى واتم من حياة الشهدا المنصوص عليها في القران **وذهلنا**
اى غبنا عن احساسنا او عما عدا ما نحن فيه **عند اللقا** لما استولى علينا من سبحات
ذلك الجلال ونسمات ذلك الجمال **و**لا بدع في هذا الذهول اذ **كم اذهل صبا**
اى شديد الصبابة التي هي رقة الشوق وغلبة استيلا به **من الحبيب** اى المحبوب
وهو متعلق بقوله **لقا** لان من شانه انه يذهل الصب وتخرس المحب وتغيبهما
عما عدا المحبوب والاستلذاذ بشهوده وانسه **ووجمنا** بفتح الجيم اى
سكتنا عن الكلام عند اللقا وبعد ما دمنا في تلك الحضرة العلية فلم يبق
فينا متسع له **من اجل المهابة** اى الاجلال والمخافة **حتى** اجتمع علينا
امران لا يوجد اجتماعهما الا في نحو هذا المقام وهما **لا كلام منا** بما نريده
ولا ايما منا بوجه الى ما نطلبه وذلك حال من فهم الجلال واستولت عليه خوارق
الاحوال ۰ وكم رمت بث الشوق عند لقائه فلما التقينا ما نطقت **ولا حرفا**
ورجعنا الى بلادنا **والقلوب التفاتات** كثيرة جدا برعاية المقام **اليه** اى
نبينا صلى الله عليه وسلم بمعنى انها مستحضرة للمثول بين يديه صلى الله عليه
وسلم والاستمداد منه مع ادامة الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم
وللجسوم جمع جسم وجسم الشئ جرمه الثاني من الارض **انثنا** اى
انعطاف الى البقا في حضرته ابدا ان تيسر والا فالى تكرر زيارته **وسمحنا**

اى جدنا **بما** اى بنفيس لا يجود احد بمثله هو التمتع بتلك الحضرة العلية الذي
نحب دوامه وعدم مفارقته ولكن ضرورتنا الى العود لديارنا لاجل القيام
بمن فيها تخفف الملام علينا والضرورات تبيح المحظورات وايضا فانا وان
كنا نجلا لهذا الفراق لنا اسوة بالنجلا **و**قد وقع يقينا انه **يسمح عند الضرورة**
التي لا يستطاع معها الترك **البخلا** بالاموال وغيرها وبين السماح والبخل
الطباق **و**لما تم مقصد زيارته المتحققة بكل خير شرع ينادبه صلى الله عليه
وسلم بكنيته المختصة به والمناسبة لطلبه من انه تخصه من تلك القسمة التي
ولاها الله الحق ويقسم عليه باقسام كثيرة كلها تتضمن ما هو بصدده من مدحه
والثنا عليه استعطافا له لينظر اليه بما يفوز به في الدنيا والاخرة ويامن
به من كل محنة باطنه وظاهره ومن ثم خص جواب اقسامه بقوله الاتي
الامان الامان الى اخره فقال **يا ابا القاسم** هذه كنيته صلى الله عليه وسلم
التي اختص بها فلا يجوز لاحد التكني بها مطلقا على الاصح عند ناسوا
في زمنه وبعده لمن اسمه محمد وغيره لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث
الصحيح تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي والعبرة كما تقرر في الاصول بعموم
اللفظ لا بخصوص السبب كما هنا فان سبب النهي ان اليهود كانوا
ينادون بذلك فيلتفت صلى الله عليه وسلم لهم فيقولون له لا نعنيك
فنهى الناس عن التكني بذلك ومن هذا اخذ بعض ايمتنا ان المنع
خاص بزمن حياته وبعضهم انه خاص بمن اسمه محمد وتكنية على كرم
الله تعالى وجهه ولده محمد بن الحنيفية بذلك باذن منه صلى الله

عليه وسلم انه صح خصوصيته له وتكنية غيره بذلك اجتهاد منه ووجه
مناسبة اختصاص تلك الكنية به صلى الله عليه وسلم هو الخليفة الاعظم
عن الله فى جميع شؤنه لاسيما مقام قسمة الارزاق والعلوم والمعارف
والطاعات ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح ايضا انما
انا قاسم والله يعطى ولاجل هذا اعدوا من خصايصه صلى الله عليه وسلم انه
اعطى مفاتيح الخزاين قال بعض العلما وهى خزاين اجناس العالم ليخرج
بقدر ما يطلبون فكل ما ظهر فى هذا العالم فانما يعطيه محمد صلى الله
عليه وسلم الذى بيده المفاتيح وكما اختص تعالى بمفاتيح الغيب الكلى
فلا يعلمها الا هو كذلك اختص صلى الله عليه وسلم باعطايه مفاتيح
الخزاين الالهية فلا يخرج منها شى الا على يديه وقيل انما كنى بذلك لانه
كان له ولد من خديجة يسمى القاسم الذى ضمن من تضمن كذا اشتمل عليه
اقسامى عليه بكسر الهمزة بالاقسام الكثيرة الاتية فى نيل مطلوبى منه
مدح فرقوا بينه وبين الحمد بامور احدها ان الحمد على الجميل الاختيارى
والمدح على ما لا اختيار للعبد فيه كالحسن ثانيها وثالثها ان الحمد
انما يكون عن علم وبصفة كمال والمدح يكون على ظن وبصفة مستحسنة
وان كان فيها نقص ما رابعها ان فى الحمد انما يكون من التعظيم والفخامة
ما ليس فى المدح والحمد اخص بالعقلا والعظما واكثر اطلاقا على الله
تعالى وقول الكشاف انهما اخوان اى متشابهان لا مترادفان قاله
الطيبى وقال السيد بل مترادفان واستدل له بكلام الفايق وانتصر

بعض

بعض المحققين للاول بما ليس هذا محل بسطه واكثر العلما على ان الحمد مختص بالاختيارى
والمدح اعم وثنا هو على القول الاخير مرادف للمدح لانه لا يكون الا فى الخير الاختيارى
والمدح على ذلك القول كذلك وبه كما تقرر ان عليه اكثر العلما يندفع قول الشارح
هذا من مراعاة النظير وعلى ما قبل الاخير فيه مراعاة النظير فى الجملة وعليه يحمل
كلام الشارح اما الحمد والمدح ففيهما تقابل او مراعاة النظير او ترادف بالعلوم
اى اقسم عليك بها لتشفعن لى بما يؤمننى من كل مكروه بان يعطينى الله الامان منه
وكذا يقال فى الاقسام الاتية فالمراد بها هنا الشفاعة والاستعطاف بايجاب
سؤاله ومن ثم قال اصحابنا فى اقسم واقسمت عليك لتفعلن كذا انه لا
يكون يمينا الا ان نواه وجعلها اول الاقسام لان مرتبة العلم لا اعلى
منها بل ولا مساوى لها ومن ثم لم يؤمر صلى الله عليه وسلم بالسؤال للزيادة
مما هو عليه الا العلم وقل رب زدنى علما وهو صفة يتجلى بها المذكور
لمن قامت به تجليا يمنع من احتمال النقيض التى تنزلت عليك من الله
حال كونها بلا كاتب من الكتب وهو الجمع وانما الموصل لها اليك
املا اى اقرا من جبريل وهو الذى يقررته فى اعراب هذا البيت اولى
مما سلكه الشارح فتامله وبين القاسم والاقسام جناس مطلق والكتابة
والاملا طباق واقسم عليك بما اوتيته ايضا من مسير الصبا وهى
الريح التى مهبها مطلع الشمس عند استوا الليل والنهار وهى مراد
الحسن فى قوله فاذا جعلت ظهرك الى باب الكعبة فالصبا مقابلك
وهى تستقبل باب الكعبة وقوله شمايل بن يونس الصبا ما جاز قبل

١٤٦

وجه الكعبة وتطلق على ما يهب من يمين هذا المطلع الى قريب سهيل
ويساره الى قريب القطب الشمالي واخرج ابو الشيخ عن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما ان ما بين مطلع الشمس والجدي يسمى صبا ويسمى شمالا وبتسميته
صبا صرح عثمان الاعرج من السلف حيث قال حد الصبا من مطلع الشمس
الى كرسي بنات نعش وفي القاموس الشمال الريح التي تهب من قبل الحجر
بكسر الحاء قال والصحيح انه ما مهبه بين مطلع الشمس وبنات نعش او من
مطلع الشمس الى مسقط النسر الطائر وفيه والصبا ريح مهبها من مطلع
الثريا الى بنات نعش والدبور ريح تقابل الصبا والجنوب ريح تخالف
الشمال مهبه من مطلع سهيل الى مطلع الثريا ولهذه الريح اعني الصبا اثر بين في
نصرته صلى الله عليه وسلم في وقعة الخندق المسماة بالاحزاب كما مر **منصرك**
اي بسببه وهو الرعب الذي قطع قلوب اعدائه واخمد شوكتهم وبدد
جموعهم **شهرا** مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت
عاد بالدبور مع قوله اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبيا قبلي نصرت
بالرعب مسيرة شهر الحديث ومنهما يعلم ان الصبا كانت تسير بسبب نصره
وهو الرعب اي الخوف منه المزعج لاعدائه مسافة شهر من سائر نواحي
المدينة فلم يرفع احد منهم راسا الا اختطفته لوامع سيوف نصره ٥
وقواصف اسنة قهره والتحديد بالشهر اشارة الى ان ما يستولي عليه
لا تزيد مسافته في حياته على شهر فلا ينافي ان ملك امته يزيد على ذلك
بكثير واحترازا عن غيره من الانبيا فان رعبهم ان وجد لا يصل لهذه

المسافة

المسافة وفي رواية ونصرت على العدو بالرعب ولو كان بيني وبينهم مسيرة
شهر قال بعضهم والظاهر اختصاصه به مطلقا وانما جعل الغاية شهرا
لانه لم يكن بين بلده صلى الله عليه وسلم وبين احد من اعدائه اكثر من شهر
وهذه الخصوصية حاصلة له على الاطلاق حتى لو كان وحده بغير عسكر
وهل هي حاصلة لامته من بعده فيه احتمالات اظهرها كما تقتضيه هذه به المثا
انهم رزقوا من ذلك حظا وافرا **فكان الصبا لذلك الرخا** وهي الريح
اللينة المسخرة لسليمان صلى الله عليه وسلم غدوها شهر ورواحها شهر
لكن معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم اظهر واعظم لان تلك سخرت لذات
سيدنا سليمان وهذه سخرت لصفة من صفات نبينا صلى الله عليه وسلم
وهي هيبته وايضا فتلك انما كانت تسير بعد امر سليمان لها وهذه تسير
باذنها من غير توسط امر من نبينا صلى الله عليه وسلم فهو من تشبيه الاعلى
بالادنى نظير كما صليت على ابراهيم في صلاة التشهد على احد الاجوبة فيه
وفي ذكر الرخا بعد الصبا مراعاة النظير تنبيه اصول
الرياح اربعة • الصبا وهي التي تهب من جهة باب الكعبة وهي حارة يابسة
والدبور من ورائها باردة رطبة • والجنوب من جهة يمينها حارة
رطبة • والشمال من جهة شمالها باردة يابسة • واشرت بقولي اصول
الى ان لهم فروعا كالنكبا وفسرها بعض السلف بانها بين الصبا والجنوب
واطال في القاموس الكلام عليها وحاصله النكبا ريح انحرفت ووقعت
بين ريحين او بين الصبا والشمال او نكب الرياح اربع الازيب نكبا

بيان اصول الرياح

الصبا والجنوب والصابية وتسمى النكبا ايضا نكبا الصبا والشمال والجربيا
ونكبا الشمال والدبور وهي نيحة الازيب والهيف نكبا الجنوب والدبور
وهي نيحة النكبا وتعبير كل بما ذكر فيه هو الاصل فلا ينافي ما مر انفا من
اطلاق بعضها على خلاف ما فسرت به هنا وفي القاموس الجنوب ريح
تخالف الشمال مهبه من مطلع سهيل الى مطلع الثريا **تنبيه** ثان
روى مسلم ان الشمال ريح الجنة التي تهب عليهم وينافيه الحديث الذي اخرجه
ابن جرير وابن مردويه وابن ابي الدنيا وابو الشيخ ريح الجنوب من الجنة
وهي من اللواقح وفيها منافع للناس والشمال من النار تخرج فتمر بالجنة
فتصيبها نفحة من الجنة فبردها من ذلك ويجاب بان ما ذكر في الحديث
الاخير هو حال الشمال في الدنيا لخروجها اولا من النار ثم تتكيف بريح الجنة
وبردها وحكمة ذلك جمعها للقوة النارية والقوة البردية لان من شان
الاولى كثرة الحركة وشدة الانضاج والثانية ملايمة النفس وازالة
الكدار عنها فهذا حالها في الدنيا وما في الحديث الاول هو حالها في الاخرة
فاهل الجنة لا يرون سواها كما يصرح به قوله وهي ريح الجنة وحديث
ريح الجنوب من الجنة غاية امرها انهما يدلان على ان ريح الجنوب من
بعض رياح الجنة وما دل عليه حديثا الشمال من ذكر حالها وما اختصت به
في الدنيا والاخرة اعلى مما دل عليه حديثا الجنوب فتامله **فان قلت**
جاء عن ابن عباس ان الجنوب سيد الارواح واسمها عند الله الازيب **قلت**
هو معارض بما جاء عن قيس بن سعد بن عبادة سيد الخزرج رضي الله تعالى

عنهما

عنهما الشمال ملح الارض ولولا الشمال لانتنت الارض فهذه فايدة جليلة
ونبوية نشات عن خروجها اولا من النار خلت عنها الجنوب فلتكن الشمال
افضل او **يقال** كل منهما افضل من وجه فالجنوب لكونها تخرج اولا من
الجنة والشمال لكونها تهب على اهل الجنة فيها هذا كله بفرض تكافي
سند الحديثين وليس الامر كذلك اذ سند حديث مسلم لا يوازيه شي وح
لا يعارض حديثه شي من الاحاديث الاخر لانها ليست في رتبته بل ولا
١٤٧ قريبة منها لانها من خبر الضعيف وهو لا يعارض الصحيح وفي اثر
عثمان الاعرج انه ذكر الارواح الاربعة وحد كل فقط الا الشمال
فزاد انها تمر بجنة عدن فتاخذ من طيب عرفها وفيه ان الاربع مساكنها
تحت اجنحة الكروبيين حملة العرش وانها تهيج فتقع بعجلة الشمس فتعين
الملايكة على جرها ثم تهيج من عجلة الشمس فتقع في البحر ثم تهيج من البحر
فتقع برووس الجبال فتقع في البر ثم ذكر ان حد الشمال من كرسي بنات
نعش الى مغرب الشمس وحد الدبور منه الى مطلع سهيل والجنوب منه
الى مطلع الشمس والصبا منه الى كرسي بنات نعش **فان قلت** علم مما تقرر
ان كلا من الجنوب والشمال له مزية بخلاف الصبا مع انها التي نصر به
صلى الله عليه وسلم وكان القياس ان نصرته صلى الله عليه وسلم باحد ذينك
يكون الافضل ولو من وجه للافضل بل كان القياس اختصاص ذلك
بالشمال لما تقرر انها الافضل مطلقا **قلت** ان اخذنا بما عرف مما
مر ان الشمال يطلق على ما يعم الصبا فالامر واضح وان قلنا بتغايرهما

كما هو الاصل فحكمة ذلك والله اعلم ان وقت مهب الصبا هو المعين على قتاله
العدو بخلاف وقت مهب الشمال وقد يكون فى المفضول مزية بل مزايا
لا توجد فى الفاضل فتامل ذلك كله تجده مهم مع انى لم ار احدا اشار بشئ من
ذلك وانتم عليك بمعجزتك العظمى مع على كرم الله وجهه فى غزوة خيبر
لما سرت اليهود فعقد الراية وكانت بسود العلى ففتح بعض حصونها
وارسلت ابا بكر لحصن اخر فقاتل ورجع بلا فتح فارسلت عمر فقاتل
ورجع بلا فتح وقد جهد فقلت لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله
ورسوله يفتح الله على يديه فتشوق كل احد لذلك فسالت على فقيل به
وجع فدعوت عليا فجا وانسان يقوده من شدة الرمد ثم تفلت
بعينيه وكلتاهما معا حال مؤكدة رمدا ثم قلت له خذ الراية وامض
لها حتى يفتح الله عليك فبرأتا لما خالطهما ريقك الذى هو الشفاء
الاكبر فغدا اى ذهب بتلك الراية يضرب بعينيه المثل فى حدة الابصار
كما يضرب ببصر العقاب الذى هو سيد الطيور كما فى الكامل ومن ثم
قال ناظرا بعينى عقاب ومن امثال العرب ابصر من عقاب ولما
غدا وهو كما ذكر هرول هرولة حتى ركز رايته فى رضم من حجارة تحت
الحصن وقال له يهودى من باب الحصن من انت قال على بن ابى طالب فقال
اليهودى علوتم وحق ما انزل على موسى بن عمران فما رجع حتى فتح الله على
يديه وعند قتاله ضربه اليهودى فطرح ترسه من يده فاخذ بابا تترس
به واستمر يقاتل حتى فتح الله عليه ومن كبر ذلك الباب ان ثمانية انفس ارادوا

ان يقلبوه فلم يستطيعوا وحمل ايضا باب الحصن على ظهره حتى صعد المسلمون
عليه ففتحوها فجروه بعد ذلك فلم تحمله الا اربعون رجلا هذا كله فى
غزاة معهودة من اعظم الغزوات واجل الفتوحات وهى غزوة خيبر
كانت مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على ثمانية برد من المدينة الى
جهة الشام وكانت سنة سبع لها العقاب لوا اراد باللوا الراية وهى
العلم الضخم لان الذى كان يومئذ راية لا لوا ولم يعرف صلى الله عليه وسلم الرايات
الا يوم خيبر وقبلها كانت الوية فقط نعم قال عياض والعقاب الجناس التام
واما قول شارح ان التى تسمى العقاب بيضا وانها التى اعطاها لعلى فهو مخالف
لما رايته من كلام اهل السير على انه ناقض ذلك حيث قال وقوله لها العقاب
لوا يحتمل ان العقاب كان تحوم على حوم القتل كانها رايات مرتفعة انتهى
وهذا احتمال لا يقوله الا من لم يطلع على ما سبق ان رايته صلى الله عليه وسلم
يومئذ سودا تسمى العقاب ثم تحتمل ان هذه التى اعطاها لعلى وتحتمل
انه اعطاه غيرها كما اعطى اثنين رايتين غير راية على كرم الله تعالى وجهه
ونقل بعض اهل السير عن ابن عباس ان عليا هو الذى كان معه لوا النبى
صلى الله عليه وسلم فى كل زحف وعن سعيد بن المسيب ان راية النبى صلى الله
عليه وسلم يوم احد مرط اسود وراية الانصار يقال لها العقاب وفى
هذا نظر لما مر ان الرايات لم تعرف الا يوم خيبر واما تسمية راية
الانصار يوم احد بالعقاب فهو جرى على ما عليه اهل اللغة ان كل راية
تسمى العقاب كما ان راية النبى صلى الله عليه وسلم تسمى بذلك وعليه فقول الناظم

لها العقاب لو لا اختص بخير خلافا لما يوهمه صنيعه و اقسم عليك ايضا
بريحانتين وهما سيدنا الحسن وسيدنا الحسين كرم الله تعالى وجههما
وفى تسميتهما بذلك اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم الذي رواه البخاري
هما ريحانتاي من الدنيا وفى رواية ان ابني هذين ريحانتاي من الدنيا
طيبهما حسا ومعنى وفضلهما على غيرهما انما هو حاصل منك لانهما
بضعتان منك مع ما لاحظتهما به من المزايا والخصوصيات وكان طيب
رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم معروفا مشهورا بين الصحابة يضرب
به المثل وان لم يتطيب بل كانت ام انس تاخذ من عرقه صلى الله عليه وسلم
ليتطيبوا به لباهر ريحه الذي نعت لطيبهما اودعتهما بالبنا للمفعول
فاطمة الزهرا مبتدا خبره ما قبله وهما كذا ذكره الشارح ولا يصح لخلو
جملة الصلة عن عايد للموصول وجوز البنا للفاعل وان المفعول الثاني محذوف اى المبتدا والخبر
اى الذي الزهرا اودعتهما اياه وفيه قلاقة وحذف من غير دليل فالصواب
ان الذي نعت للريحانتين بتاولهما بالمذكور او نحوه ونظيره ما ذكرته في الذي
قوله صلى الله عليه وسلم الذي رواه ابو داود هذا ابني يعني الحسن والحسين
ونظيره ايضا قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا قال ابو حيان
يجوز استعمال الذي بمعنى الذين لكن يجب كون ضمير الصلة ضمير الجمع اعتبارا
بمعناه ثم قال والذي نختاره اى في قوله تعالى كمثل الذي استوقد
نارا انه افرد لفظا وان كان تحته افراد فيكون التقدير كمثل الجمع الذي
استوقد او في الاية الذي بمعنى الجنس فلا يختص بالواحد وقيل حذفت قيل هو
نونه

نونه تخفيفا وقيل موصوفة لفظ مفرد وكل ذلك يأتي فيما نحن فيه فاستفده
واشار بقوله اودعتهما الى ما هو من خصايصه ان اولاد بناته ينسبون
اليه في الكفاءة وغيرها ووجه تلك الاشارة انه جعل فاطمة مستودعة
فهو الذي اودعها تلك الذرية لتخرج منها منسوبة اليه وسميت بالزهرا
لانها لم تحض كما في حديث رواه النسائي وروى الخطابي بنتي فاطمة
لان الله تعالى فطمها ومحبيها عن النار وقد ذكر الناظم عليا وفاطمة
وابنيهما ويأتي ذكر شيء من فضايلهم بلا اسانيد وقد استوعبتها بذكر
اسانيدها وبيان احكامها وما يتعلق بها في كتابي الصواعق المحرقة
لاخوان الضلال والرفض والابتداع والزندقة الذي لم يؤلف
في هذا الباب اجمع ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب علي بن
ابي طالب وفي حديث رجاله ثقات الا واحد فمختلف فيه انه صلى الله
عليه وسلم خطب وهو محاصر الطايف فما قال او صبكم بعترتي خيرا
وان موعدكم الحوض والذي نفسي بيده ليقيمن الصلاة وليوتين
الزكاة او لابعثن اليكم رجلا مني او كنفسي يضرب اعناقكم ثم اخذ
بيد علي وقال هو هذا توفي كرم الله تعالى وجهه شهيدا
وهو خارج الى صلاة الصبح ضربه ابن ملجم في جبهته ليلة الجمعة
سابع عشر رمضان سنة اربعين عن ثلاث وستين سنة بعد
ان استيقظ سحرا وقال للحسن انه راى النبي صلى الله عليه وسلم
الليلة فشكا عليه ما لقي فقال له ادع عليهم فدعا انه يبدل

خيرا منهم وانهم يبدلون شرا منه واكثر من تلك الخروج والنظر الى السما
وهو يقول والله ما كذبت ولا كذبت وانها الليلة التى وعدت ومات
ليلة الاحد واختلف فى موضع قبره لانه اخفى خوفا من ان ينبشه الخوارج
وفى رواية انهم حملوه ليدفنوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فند
الجمل الذى يحمله فلم يدروا اين ذهب ولذلك قال اهل العراق انه فى السحاب
كنت على الدوام انا وهما اى تضمهما اليك لمزيد محبتك لهما
وشفقتك عليهما ومن ثم صح انه صلى الله عليه وسلم قال نظرت الى هذين الصبيين
يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما واخرج الترمذى
والطبرانى هذان ابناى وابنا ابنتى اللهم انى احبهما فاحبهما واحب من يحبهما
والترمذى احب اهل بيتى الى الحسن والحسين واحمد وابن ماجة والحاكم
من احب الحسن والحسين فقد احبنى ومن ابغضهما فقد ابغضنى وجا
من طرق صح بعضها ابناى الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة وابوهما
خير منهما وفى قوله وابوهما خير منهما حجة لما عليه اهل السنة ان الايمة
الاربعة افضل من اهل البيت نعم ما فيهم من البضعة الكريمة لا يعادله
عمل وبه يتوجه قول بعض المتاخرين بتفضيل الحسنين على غيرهما اى من
حيث تلك البضعة وان كان غيرهما ممن ذكر افضل منهما علما وعملا ومعرفة
فتامله تنبيه قوله صلى الله عليه وسلم سيدا شباب اهل الجنة
مشكل لانهما ماتا غير شابين ولان الجنة ليس فيها شاب لان الوارد
ان جميع الناس من اهل الجنة يكونون على خلقة ابنا ثلاثة وثلاثين

سنة

سنة ثم يدخلونها وهم كلهم مستوون فى هذا السن الذى هو سن الكهولة
واعدل الانسان واشرفها فلهذا اختير كونهم عليها وح فليس فى الجنة شباب
ولا كهول ولا شيوخ فاى شباب هما سيداهم ويجاب بان المراد بالشباب
الذين ماتوا اشبابا فهما سيد هولا من غير استثنا بخلاف الكهول والشيوخ
فانهما قد يسودانهم وهم الاكثر وقد لا كابيهما والايمة الثلاثة قبله
ونحوهم والحاصل انهما سادا اشباب الناس على الاطلاق وغير الشباب
فيهم تفصيل فلهذا ذكر الشباب فقط ويحتمل ان المراد شبابها فرضا
وخصوا لان النفس انما تتشوف غالبا لمن هو على سنها الذى فضلت
فيه على غيرها من اهل ذلك العصر ثم رايت بعضهم قرر الاشكال بنحو ما
ذكرته لكن ما ذكرته اظهر فى الاشكال ورايت عنه اجوبة لثلاثة
من الايمة فيها بعض مخالفة سهلة لما ذكرته وزيادة على ما ذكرته وساشير
الى ذلك منها اجوبة ثلاثة لابن الحاجب منها واستظهره انه سماهم باعتبار
ما كانوا عليه عند مفارقة الدنيا ولذلك يصح ان يقال للصغير يموت من
صغار اهل الجنة وللشيخ المحكوم بصلاحه من شيوخ اهل الجنة فهما
سيدا شباب اهل الجنة بهذا الاعتبار وحسن الاخبار عنهما بذلك وان
كانا لم ينتقلا عن الدنيا شابين لانهما كانا عند الاخبار كذلك انتهى
وهذا يرجع عند التامل الصادق الى قولى ويحتمل ان المراد شبابها
فرضا الخ بل ان زاد صدق تامله راى ان التعبير بما ذكرته اوضح
وجوابه الثانى ان يراد بهما سيدا شباب اهل الجنة باعتبار ذلك الوقت

الذى كانا فيه شابين قال ولا يرد على هذين الجوابين السؤال انهما سيدا
المرسلين لانهما شباب فى الجنة لانهم غير داخلين فى شباب اهل الجنة
على المعنيين جميعا انتهى وقوله لانهما شباب فى الجنة الذى بنى عليه
حديث كونهم يدخلونها على سن ابنا ثلاث وثلاثين وهو سن الكهولة
اذ الشباب الى الكهولة لثلاثين والكهولة الى الاربعين ثم منها شيخوخة
وح صح ما اجبت به دون بعض ما اجاب به وله جواب ثالث
مبنى على ان اهل الجنة شباب وقد علمنا ان الواقع خلافه فلا حاجة
لذكره على انه فى ذاته فيه غموض وعدم وفا بالمقصود وان سلم
ما بناه عليه كما يعلم بتامله لمن وقف عليه واجاب غيره بان معناه
انهما افضل من مات شابا فى سبيل الله من اهل الجنة ولم يرد انهما
من الشباب لانهما من الشباب ماتا وقد كمل بل ما يفعله الشباب
من المروة كما يقال فلان فتى وان كان شيخا يشير الى مروته وفتوته
او انهما سيدا اهل الجنة سوى الانبيا والخلفا الراشدين وذلك
لان اهل الجنة كلهم فى سن واحد وهو الشباب وليس فيهم شيخ ولا
كهل انتهى وقوله وهو الشباب مردود واجيب ايضا بانه يمكن
ان يراد بهما الان سيدا شباب هم من اهل الجنة من شباب هذا
الزمان انتهى وليس فيه كبير مدح فينافى الغرض من ذكره صلى الله عليه
وسلم ذلك مدحا لهما والحاصل ان الذى يتجه فى هذا المقام وبه
تحصل الجواب الواضح ان الذين كتبت لهم السعادة المعبر عنهم بكونهم
اهل

ايضا بعض تاج ... [illegible]

اهل الجنة شباب وكهول وشيوخ وان الحسنين تميزا فى حال شبابهما
بل صغرهما بفضائل على من هو فى سنهما لا تحصى ولا يستثنى منهم
احد بل فى حال شبابهما فضلا جميع الشباب الموجودين ح من غير استثنا
بل الشباب مطلقا من غير استثنا ايضا اذ لا نعلم وهما فى شبابهما ان شابا
قبلهما ولا بعدهما ساواهما فضلا عن كونه فضلهما واذ قد تقرر هذا
فلاجل كونهما فضلا الشباب من غير استثنا بخلاف الكهول والشيوخ
فانهما لم يفضلاهما على الاطلاق فى حالة من الحالات خص الشباب
بالذكر واضافهما الى الجنة باعتبار انه يقال لمن هو فى حال شبابه
وقد كتب سعيدا هذا من شباب الجنة اى من الموصوفين الان بكونهم
من الشباب وكونهم من اهل الجنة وح اتضحت حكمة الشباب واتضحت
اضافتهم الى الجنة واتضح انه لا يحتاج الى استثنا الخلفا الاربعة
فضلا عن الانبيا واتضح ان فى هذا من التمدح لهما ورفعة
قدرهما وبيان تميزهما ما لا يخفى عظيم وقعه فتامله لتستريح
من تلك الاجوبة المطولة مع ما فيها مما سبق ومما فى هذا الجواب
الذى هو اصوبها واوضحها كما اوت بالمد فيتعين للوزن واذا
جاز القصر فى اصل الكلمة من الخط حال من القائل نقطتيها الياء
اى ابو اكابوا اليا لنقطتيها حال كونها من جملة حروف الخط وكانه
اخذ هذا التشبيه من حديث البخاري عن الحسن كان النبى صلى الله
عليه وسلم ياخذ بيدى فيقعدنى على فخذه ويقعد الحسين على فخذه الاخرى

٥٠

وبضمنا ثم يقول اللهم اني ارحمهما فارحمهما ومما صح عن اسامة بن زيد
رضي الله تعالى عنهما قال طرقت النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فخرج
وهو مشتمل على شئ قلت فما هذا فكشفه فاذا حسن وحسين على
وركبه فقال اللهم هذان ابناى وابنا ابنتى اللهم انى احبهما واحب
من يحبهما وصح انه صلى الله عليه وسلم اقبل وقد حمل الحسن على رقبته
فقال رجل نعم المركب ركبت يا غلام فقال صلى الله عليه وسلم ونعم الراكب
هو ووجه التخصيص بالبا انها خاتمة الحروف كما انه صلى الله عليه وسلم
خاتم الانبيا ولا نظر الى ان الالف افضل الحروف لانها مادة كل حرف
ممنى الاخر في الحقيقة كما ان الاول كذلك وهذا شان نبينا صلى الله
عليه وسلم فانه اولهم خلقا ورتبة واخرهم وجودا وختما فعنصره
الكريم مندرج ومنبث في جميع الانبيا بالفعل تارة بالنسبة لمن في
عمود نسبه وبالقوة اخرى بالنسبة لمن ليس في عموده من بيان
للزعفرانتين وح فلا تجريد فيه خلافا لما زعمه الشارح تهديد
اما شهادة الحسن وكانت ولادته في نصف شعبان بالمدينة
سنة ثلاث من الهجرة فسببها ان يزيد بن معاوية ارسل الى
زوجته جعدة الكندية ان تسمه ويتزوجها وبذل لها مائة
الف درهم ففعلت فمرض اربعين يوما ومات فبعثت ليزيد بما وعدها
فابى وفي سنة موته اقوال والاكثرون انها سنة خمسين وجهد
به الحسين ان يخبره بمن سمه فابى وقال الله اشد نقمة واجد كبدى

نقطع

نقطع واني لعارف من اين ذهبت فنحي عليك لا تكلمت في ذلك بشئ ثم
قال واقسم عليك ان لا تريق في امرى محجمة دم ومن جملة كلامه لاخيه
لما احتضر يا اخي ان اباك استشرف لهذا الامر المرة بعد المرة فصرفه الله
عنه الى الثلاثة قبله ثم ولى فنوزع حتى جرد السيف فما صفت له واني
والله ما ارى ان يجمع الله فينا النبوة والخلافة وربما يستخفك سفهاء
الكوفة فيخرجونك وقد كنت طلبت من عايشة ان ادفن مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاجابت فاذا مت فاطلب منها وما اظن ان القوم الا سيمنعونك
فان فعلوا فلا تراجعهم فلما مات سال الحسين عايشة رضي الله تعالى
عنها فقالت نعم وكرامة فمنعهم مروان لانه كان واليا على المدينة فلبس الحسين
ومن معه السلاح حتى رده ابو هريرة ثم دفن بالبقيع الى جنب امه
رضي الله تعالى عنهما وكان مروان يكثر من اذيته فلما مات بكى في جنازته
فقال له الحسين اتبكيه وقد كنت تجرعه ما تجرعه فقال اني كنت
افعل ذلك الى احلم من هذا واشار بيده الى الجبل وقال مروان
هذا اشد الناس بغضا لاهل البيت وكان هذا هو سر الحديث
الذي صححه الحاكم ان عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه قال
كان لا يولد لاحد مولود الا اتى به النبي صلى الله عليه وسلم فيدعو له
فادخل عليه مروان بن الحكم فقال هو الوزغ بن الوزغ الملعون بن
الملعون وروى ايضا حديثا من جملته قول عايشة رضي الله تعالى
عنها لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا مروان ومروان في صلبه

نعم في الحديث الصحيح انه صلى الله عليه وسلم سال ربه ان من شتمه او لعنه
او دعا عليه ان يكون ذلك رحمة له وزكاة وكفارة وطهارة ومن
فضايل الحسن ما صح انه صلى الله عليه وسلم كان يحمله على عاتقه ويقول
اللهم انى احبه فاحبه وصح من احبنى فليحبه وليبلغ الشاهد الغايب
اللهم انى احبه واحب من يحبه اللهم انى احبه فاحبه واحب من يحبه
ثلاث مرات وفى رواية فجعل يفتح فمه ثم يدخل فمه فى فمه ويقول
ذلك وفى اخرى من احبنى واحب هذين واباهما وامهما كان معى
فى درجتى يوم القيمة وصح انه حج خمسا وعشرين حجة ماشيا وان
الجنايب لتقاد بين يديه وخرج من ماله مرتين وقاسم الله تعالى ماله
ثلاث مرات وكرمه باهر وحكاياته فيه ابهر ولم يسمع منه كلمة فحش
قط الا قوله مرة عن مخاصمة ليس له عندنا الا ما رغم انفه وجا من طرق
كثيرة بعضها صحيح انه صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر ان ابنى هذا
اى الحسن سيد وسيصلح الله به بين فيتين عظيمتين من المسلمين وقد
حقق الله له ذلك فان اباه كرم الله وجههما لما توفى تولى الخلافة بمبايعة
اهل الكوفة فكان اخر الخلفا الراشدين بنص جده صلى الله عليه وسلم
بقوله فى الحديث الصحيح الخلافة بعدى ثلاثون سنة فمدة خلافته هى
السنة الاشهر الباقية منها وعند مضيها سار الى معاوية فى اربعين
الف فلما تراى الجمعان علم الحسن انه لن يغلب احدى الطايفتين حتى
يذهب اكثر الاخرى فرضى بالنزول لمعاوية عن الخلافة شفقة على الامة

بشروط

بشروط قبلها معاوية فنزل له وح صار هو الامام الحق وقبل ذلك
كان متغلبا لكن لاجتهاده لم يكن اثما بل ماجورا واما شهادة
الحسين وكانت ولادته لخمس خلون من شعبان سنة اربع ومن
فضايله حديث حسين منى وانا من حسين احب الله من احب
حسينا حسين سبط من الاسباط وفى رواية الحسن والحسين
سبطان من الاسباط وجا من طرق صحح الحاكم بعضها ان جبريل
وفى رواية ملك الاقطار ولعلهما واقعتان جا الى النبى صلى الله
عليه وسلم فاخبره ان الحسين مقتول واراه من تربة الارض التى
يقتل فيها فاعطاه لام سلمة واخبرها انه يوم قتله يتحول دما
فكان كذلك وشم صلى الله عليه وسلم ذلك التراب فقال ريح
كربلا وفى رواية فاشار جبريل بيده الى الطف ارض بالعراق بناحية
الكوفة ولا تخالف لان ذلك الموضع يسمى بكربلا وبالطف كذا
قاله بعضهم وقال غيره كربلا قريب من موضع يقال له الطف بقرب
الكوفة وروى الطبرانى فاما حسن فله هيبتى وسوددى واما
حسين فله جراتى وجودى والبغوى وغيره سمى هارون ابنيه
شبرا وشبيرا وانى سميت ابنى الحسن والحسين وجا ان العرب
لم تسم بهما فى الجاهلية فسببه ان يزيد لما استخلف سنة ستين
ارسل لعامله بالمدينة ان ياخذ له البيعة على الحسين ففر لمكة
خوفا على نفسه فارسل اليه اهل الكوفة ان ياتيهم ليبايعوه ويمحى ما

لانهم

هم فيه من الجور فنهاه ابن عباس وبين له غدرهم وقتلهم لابيه واخذ
لاخيه وامره ان لا يذهب باهله ان ذهب فابى فبكى ابن عباس وقال
واحسيناه وقال له ابن عمر نحو ذلك فابى فقبل ما بين عينيه وقال
استودعك الله من قتيل وكذلك نهاه ابن الزبير رضي الله تعالى
عنهم بل لم يبق بمكة الا من حزن لمسيره ولما بلغ اخاه محمد بن الحنفية
بكى حتى ملأ طستا بين يديه وقدم امامه مسلم بن عقيل فبايعه
من اهل الكوفة اثنا عشر الفا فارسل اليه يزيد بن زياد فقتله وسار
الحسين غير عالم بذلك فلقي الفرزدق فساله فقال قلوب الناس
معك وسيوفهم مع بني امية والقضا ينزل من السما ولما
قرب من القادسية تلقاه من اخبره الخبر وامره بالرجوع فهم بالرجوع
فقال اخو مسلم المقتول لا حتى ناخذ بثارنا او نقتل ثم سار فلقيه
اوايل خيل ابن زياد فعدل الى كربلا فجهز اليه ابن زياد عشرين الف
مقاتل فلما وصلوا اليه التمسوا منه نزوله وكان اكثر مقاتليه
الكاتبين اليه والمبايعين له فلما جاهم فروا عنه الى عدوه فحارب
ذلك العدد الكثير ومعه من اهله نيف وثمانون فثبت في ذلك
الموقف ثباتا باهرا ولولا انهم حالوا بينه وبين الما ما قدروا
عليه ولما استحر القتل في اهله حتى بلغوا خمسين صاح اما ذاب
يذب عن حريم رسول الله فخرج يزيد بن الحارث وجا شفاعة جله
فقاتل بين يديه حتى قتل ثم فني اصحابه وبقي بمفرده فحمل عليهم

وقتل

١٥٥

وقتل منهم كثيرا من شجعانهم فكثروا عليه حتى حالوا بينه وبين حريمه
فصاح كفوا سفهاكم عن النسا والاطفال فكفوا ثم لم يزل يقاتلهم
الى ان اثخنوه بالجراح لانه طعن احدى وثلاثين طعنة وضرب اربعا
وثلاثين ضربة ومع ذلك غلب عليه العطش الى ان سقط الى الارض
فحزوا راسه يوم الجمعة عاشر المحرم عام احدى وستين ووضعه
قاتله بين يدي عبد الله ابن زياد مبتهجا بكونه قتل خير الناس فامر
بضرب عنقه وقال اذا علمت انه كذلك فلم قتلته وقتل معه من
اخوته وبنيه وبني اخيه الحسن ومن اولاد جعفر وعقيل تسعة
عشر رجلا قال الحسن البصري ما كان على وجه الارض لهم يومئذ
شبيه وجعل ابن زياد الراس في طست وجعل يضرب ثناياه بقضيب
ويدخله انفه ويتعجب من حسن ثغره فبكى انس وقال كان اشبههم
برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له زيد بن ارقم ارفع قضيبك
فوالله لطالما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل ما بين
الشفتين وبكا فاغلظ عليه ابن زياد وهدده بالقتل فقال
لاحدثنك بما هو اغيظ عليك من هذا رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم اقعد حسنا على فخذه اليمنى وحسينا على فخذه اليسرى
ثم وضع يده على يافوخهما ثم قال اللهم اني استودعك اياهما
وصالح المؤمنين فكيف كانت وديعة النبي صلى الله عليه وسلم عندك
يا ابن زياد ولما دخل قصر الامارة بالكوفة امر بالراس فوضع

على ترس عن يمينه والناس سماطان ثم انزله وجهزه مع رؤس اصحابه
وسبايا الحسين الى يزيد فلما وصلوا اليه قيل ترحم عليه والمشهور
انه جعل ينكت الراس بالخيزران وجمع بانه اظهر الاول واخفى الثاني
قيل والعجب كل العجب من ضرب يزيد ثنايا الحسين بالقضيب
وحمل آل النبي صلى الله عليه وسلم على اقتاب الجمال موثقين في الحبال
والنسا مكشفات الرؤس والوجوه انتهى ولا عجب فان يزيد بلغ من
قبايح الفسق والانحلال عن التقوى مبلغا لا يستكثر عليه صدور تلك
القبايح منه بل قال احمد بن حنبل بكفره وناهيك به ورعا وعلما
يقضيان بانه لم يقل ذلك الا لقضايا وقعت منه صريحة في ذلك
ثبتت عنده ولم تثبت عند غيره كالغزالي فانه اطال في رد كثير مما
نسب اليه كقتل الحسين فقال لم يثبت من طريق صحيح انه قتله ولا
امر بقتله ثم بالغ في تحريم سبه ولعنه وكابن العربي المالكي فانه نقل
عنه ما يقشعر منه الجلد انه قال لم يقتل يزيد الحسين الا بسيف جده
اي بحسب اعتقاده الباطل انه الخليفة والحسين باغ عليه والبيعة
سبقت ليزيد ويكفي فيها بعض اهل الحل والعقد وبيعته كذلك
لان كثيرين اقدموا عليها مختارين لها هذا مع عدم النظر الى ⊙
استخلاف ابيه له اما مع النظر لذلك فلا يشترط موافقة احد
من اهل الحل والعقد على ذلك ويرد بان هذا انما هو بعد
استقرار الاحكام وانعقاد الاجماع على تحريم الخروج على الجاير اما

بخط

قبل

قبل ذلك فكان الامر منوطا بالاجتهاد واجتهاد الحسين اقتضى جوازا او وجوب
الخروج على يزيد لجوره وفسقه وقبايحه التي تصم عنها الاذان فهو اعني الحسين
رضي الله تعالى عنه محق بالنسبة لما عنده لا سيما ان راى ما راى احمد من كفره
وبه يرد ايضا ما قيل نظير ذلك حال معاوية مع الحسن قبل نزوله عن ⊙
الخلافة ومع علي فانه كان متغلبا باغيا عليهما لكنه غير آثم لاجتهاده
فالحسين كذلك انتهى فتامل ذلك فان كلام الايمة فيه كالمتنافي ولا
يزول الاشكال فيه الا بما قررته فاستفده ومما يبطل توجيه تلك
الكلمة ما ذكرته في مختصري تاريخ الخلفا للحافظ السيوطي ان رجلا سمى
يزيد امير المومنين فامر عمر بن عبد العزيز بضربه عشرين سوطا فهذا
صريح في انه كان متغلبا بالشوكة لا اماما لان الذين هم اهل الحل والعقد
حقيقة اكره اكثرهم على بيعته كما صرحت به في المختصر المذكور تبعا لاصله
واقلهم من اجلا الصحابة هربوا الى مكة وياتي قريبا بعض ذلك مع زيادة
عليه ولما وصلوا الدمشق اقيموا على درج الجامع حيث يقام الاسارى
والسبي وقيل ان يزيد ارسل براس الحسين ومن بقي من اهله الى
المدينة فكفن راسه ودفن عند قبر امه بقبة الحسن وقيل اعيد
الى الجثة بكربلا بعد اربعين يوما من قتله ثم سلط الله على ابن زياد
وقومه من قتلهم شر قتلة ولما نزل الذين ارسلهم ابن زياد بالراس
اول منزل جعلوا يشربون بالراس فخرجت عليهم من الحائط يد معها
قلم من حديد فكتبت سطرا بدم ⊙

خلافة يزيد وشاد من الخلفا الراشدين [illegible] الحسن رضى الله عنه فقال عمر
على الذين [illegible] الاول [illegible] ان كان [illegible] لبعض الحديث الصحيح
على ان الخلافة [illegible] ثلاثون سنة [illegible]
[illegible] بعد [illegible] الاربعة [illegible]
[illegible]

أترجوا أمة قتلت حسينا ... شفاعة جده يوم الحساب

فهربوا وتركوا الراي ثم عادوا فاخذوه واخذه غيرهم وقدم به على
يزيد ومما ظهر يوم قتله من الايات ان السما امطرت دما وان اوانيهم
ملأت دما وان السما اشتد سوادها لانكساف الشمس حينيذ حتى رايت
النجوم واشتد الظلام حتى ظن الناس ان القيمة قد قامت وان
الكواكب ضربت بعضها بعضا وانه لم يرفع حجر الا راي تحته دم عبيط وان
الورس انقلب رمادا وان الدنيا اظلمت ثلاثة ايام ثم ظهرت فيها الحمرة
وقيل احمرت ستة اشهر ثم لا زالت الحمرة ترى بعد ذلك وعن ابن سيرين
اخبرنا ان الحمرة التي مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين وقال ابن الجوزي
وحكمة ذلك ان غضبنا يورث حمرة الوجه والحق تنزه عن الجسمية
فاظهر تاثير غضبه ممن قتل الحسين بحمرة الافق اظهارا لعظيم الجناية
وكما اظهر الله عظيم الجناية على الحسين بذلك الامر الباهر اظهر على ولد
ولد الحسين زيد صاحب المذهب المشهور رضي الله تعالى عنه فان بني
امية استخفوا به فقتلوه وحرقوه فانتقم الله تعالى ممن فعل به حتى للحق
سلط عليه من فعل به مثل ما فعل بزيد واقبح بكثير كما هو مبسوط في
قصته مع هشام المشهورة وفيها من الكرامات الباهرة لاهل البيت ما
اوجب ذكر حاصلها لتطلع اهل الحب فتزداد محبتك او المبغض فيتوب ويرجع
الى الله تعالى اعلم اني ذكرت في كتابي اسنى المطالب في صلة الاقارب ما لفظه
تنبيه اخر مما يؤيد ما ذكرته في التنبيه الذي قبل هذا ما وقع لهشام

ابن

١٥٧

ابن عبد الملك حيث قطع رحم زيد بن علي فقتله قومه الذين ارسلهم اليه
وحرقوه بالنار فسلط الله عليه من اخرجه من قبره وحرقه بالنار جزاء
له وفاقا وشرح ذلك ان زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي
رضي الله تعالى عنهم كان يدخل على هشام بن عبد الملك بن مروان من فجار
بني امية وظلمتهم فكان يقع بينهما محاورات فيفحمه زيد حتى يخجل بين
جنده وفي عز مملكته ومن ذلك انه قال انت زيد المؤمل للخلافة وما
انت وذاك وانت ابن امة فقال له زيد ان الامة لو قصرت بولدها
عن بلوغ الغاية لما بعث الله نبيا هو ابن امة وجعله ابا العرب وابا
خير النبيين وهو اسماعيل ابن ابراهيم صلى الله عليه وسلم فكانت امه مع
ام اسحاق كامي مع امك وما تقصيرك برجل ابوه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وجده علي بن ابي طالب فلما خرج قال هشام لجلسائه الستم
زعمتم ان اهل هذا البيت قد انقرضوا الا لعمر الله ما انقرض قوم هذا
خلفهم ودخل عليه مرة اخرى فراى عنده يهوديا يسب قيل كان
يسب النبي صلى الله عليه وسلم وقيل كان يسب الله فانتهره زيد وقال
يا كافر اما والله لان تمكنت منك لاختطفن روحك فقال هشام
مه يا زيد لا تؤذ جليسنا فخرج قايلا من استشعر حب البقا
استدثر الذل الى الفنا وهاج ثم على الخروج على هشام فاطاعه
من اهل الكوفة خمسة عشر الف مقاتل وبايعوه وبايعه من الايمة
قيل منهم ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه وايده بما لعظيم فخرج اواخر

المحرم سنة اثنين وعشرين ومائة وخرج معه من القرا والفقها واهل البصاير
خمسة الاف فى زى لم نر الناس مثله ثم خذله الذين بايعوه وتاخروا عنه
فقال اين الناس فقيل له احتبسوا فى المسجد فقال لا يسعهم عند الله خذلانهم
لنا فعا داليهم وامرهم بالخروج فابوا فقال يا اهل الكوفة اخرجوا من الذل
الى العز والى خير الدنيا والاخرة فابوا فاقبلت جنود هشام فحمل عليهم
زيد رضى الله تعالى عنه فقتل منهم مقتلة عظيمة فلم ينجع فيهم ذلك شيا
ودخلوا الكوفة فتفرقت اصحابه عنه فلم يتاثر بذلك وحاربهم يوم الاربعا
والخميس فحمل عليهم وقتل من فرسانهم كثيرين فاصيب اخر يوم الجمعة بنشابة
فى جبينه فجى له بطبيب فنزعها فمات من ساعته ودفن فى قناة واجرى عليه
الما لئلا يعرفوا قبره ثم دلوا عليه فصلب على جذع نخلة عريا فنسجت
عليه العنكبوت على عورته لوقته فلم يرها احد فكان ذلك من كراماته
الباهرة ثم انزلوه وحرقوه حتى صار رمادا فذروه فى الهوى فلما كان
زمن السفاح اول خلفا بنى العباس وهو عبد الله بن محمد بن على بن عبد
الله ابن عباس امر بامراة هشام المذكور فتذبح راسها بالعمد وامر
بقطع ثدييها وقتلها قصاصا فى ام ولد او زوجة كانت لزيد رضى الله
تعالى عنه قتلوها ثم امر بهشام فنبش من قبره فوجدنحاله لانه كان طلى
بالصبر لئلا يتغير فاقاموه وجلدوه حتى تناثر لحمه حرقوه بالنار
وفعلوا به كما فعل بزيد رضى الله تعالى عنه جزاء وفاقا فتامل نصر الله تعالى
حتى على يد الاعدا فان غالب بنى العباس كانوا يكرهون ذرية الحسين

لانهم ينازعونهم الملك ويخرجون عليهم كثيرا ومع ذلك اظهر الله الانتقام من
هشام لزيد على يد من يكره بنى زيد وبنى عمه **ليس ينسي** ككل مسلم كامل الايمان
الطف بذكر ما وقع فيه ومر انه ارض بالعراق وانه يسمى كربلا او قريب منها
وقبره به معروف يزار ويتبرك به **مصابيهما** اى بجموعهما على حد يخرج منهما
اللؤلؤ والمرجان اذ هما انما يخرجان من الملح فقط اى مصاب الحسين لانه
قتل به واما قتل الحسن فانه كان بالمدينة ولم يكن قتله بالسم ظاهرا
وانما علم به نزر من الناس **ولا كربلا** بل كل منهما يذكرني بذلك المصاب
حتى انى اتصوره فى كل ارض الهاهو وظاهره انه مغاير للطف ومر انه
قول وكان الناظم لمح لهذا الى ما رواه بن سعد عن الشعبى ان عليا
كرم الله تعالى وجهه لما مر بكربلا عند مسيره الى صفين وقف وسال
عنها فقيل كربلا فبكى حتى بل الارض من دموعه ثم قال دخلت على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى القصة الاتية انفا فى شرح قوله فابكهم
ما رعى فيهما ذمامك بالمعجمة اى حرمتك ايها النبى الكريم مع انه
يجب على كل احد رعايتها والوفا بها ولا يحصل ذلك الا بالقيام بجميع
ما لهما من العهود والحقوق والحرمة والجلالة ومن بغض شانيهما واعتقاد
انه على غاية من الحماقة والضلالة والجراة والتهور **مروس** اى تابع
كالجعدية فى الحسن وابن زياد واتباعه فى الحسين رضى الله تعالى عنهما
والحال انه **قد خان عهدك الرؤساء** اى المتبوعون من الظلمة الطغاة
المتمردين كيزيد فيهما لتسببه فى قتلهما لكنهما فازا بمنزلة الشهادة العظمى

وبا تخزى الدنيا والاخرة وقول بعضهم لا ملامة على قتلة الحسين لانهم انما
قتلوه بسيف جده الامر بسله على البغاة وقتالهم لا يعول عليه لان يزيد
لم تنعقد بيعته عند الحسين وغيره ممن لم يبايعوه والمبايعون له مكرهون
على البيعة كما هو معروف وغاية امر يزيد انه جاير فاسق متغلب وحرمة
الخروج على الجاير التى اتفق عليها الاجماع محلها بعد استقرار الامور والقضاء صح كذا فى الاصل
تلك الاعصار واما تلك الاعصار فكان اهلها مجتهدين فلم يدخلوا تحت
حيطة راى غيرهم ولذلك خرج على يزيد بن الزبير ولم يبال ببيعته ولا
اعتد بها جماعة اخرى امتنعوا منها وهربوا ومر انفا ماله تعلق بذلك مع
زيادة وروى ابن السكن انه صلى الله عليه وسلم قال وقد اشار الى الحسين
ان ابنى هذا يقتل بارض العراق فمن ادركه منكم فلينصره وبه يرد قول
البعض المذكور ومما يرد ايضا ما ترتب على قتل الحسين مما مر بعضه وبين
رعى وخان والمروس والروس اجناس الطباق **ابدلوا** اى هولا المذكورون
الود بتثليث الواو المودة التى حضهم الله تعالى عليها فى الاية الاتية
ببغضهم وقتالهم والحاق الاذى لهم بكل طريق امكن حتى ان القرمطى
سباهم فابيعت الشريفة فى عسكره باربعة دراهم والشريف بدرهمين
لكثرة من سباه منهم **و**ابدلوا ايضا **الحفيظة** اى الحمية **فى** نصر **القربى**
ومحبتهم اى قرابة النبى صلى الله عليه وسلم وهم ال البيت النبوى يعنى
تركوا هذين واخذوا ضدهما فقطعوا مودتهم وتخلفوا عن نصرهم
ولم يمتثلوا اقول الله تعالى فى حقهم الدال على غاية رفعتهم قل لا
اسالكم

مطلب القربى

اسالكم عليه اجرا الا المودة فى القربى الاية **وقد** اختلف المفسرون فى
القربى والذى جا عن الحسن بن على كرم الله وجههما بسند حسن انهم
اهل البيت فانه خطب الناس خطبة بليغة فيها انا الحسن بن محمد صلى
الله عليه وسلم ثم **قال** انا ابن البشير انا ابن النذير ثم **قال** وانا من اهل
البيت الذين افترض الله مودتهم وموالاتهم زاد فى رواية على كل مسلم
فقال فيما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم قل لا اسئلكم عليه اجرا الا
المودة فى القربى **وفى** رواية من يقترف حسنة نزد له فيها حسنا قال
اقتراف الحسنات مودتنا اهل البيت وجا عن ابن عباس بسند فيه
شيعى غال لكنه صدوق انها لما نزلت قالوا يا رسول الله من قرابتك
هولا الذين وجبت علينا محبتهم قال على وفاطمة وابناهما **وروى** غير واحد
نحو ذلك عن على **واخرج** الطبرانى عن زين العابدين انه لما جى به
اسيرا عقب مقتل ابيه الحسين رضى الله تعالى عنهما واقيم على درج
دمشق قال بعض جفاة اهل الشام الحمد لله الذى قتلكم واستاصلكم
وقطع قرن الفتنة فقال له اما قرات قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة
فى القربى قال وانتم هم قال **نعم** ولا ينافى ذلك ما هو المشهور عن
ابن عباس واتباعه من حملها على غير ما ذكر كما فى البخارى وغيره عنه
ان المراد الا ان تودونى يا معشر قريش بقرابتى فيكم **وفى** رواية عنه انهم لما
ابوا ان يبايعوه انزل الله عليه ذلك فقال صلى الله عليه وسلم يا قوم اذا
ابيتم ان تبايعونى فاحفظوا قرابتى ولا تؤذونى **ويؤيده** ان السورة

١٥٥

مكية ورواية نزولها بالمدينة ضعيفة وان امكن نزولها مرتين كما
قيل به فى الفاتحة ووجه عدم المنافاة ان من ذكره صلى الله عليه وسلم وخص
بقريش اقتصر على المقصود بالذات ومن ذكر اهل البيت وعمم فى كل سلم
ذكر ما هو المقصود بالتبع فكل من المرادين صحيح من غير منافاة ولا تعارض
بينهما ومن ثم كان ابن جبير وهو اجل تلامذة ابن عباس يفسر تارة بهذا
وتارة بهذا وفى رواية بن عباس الان تواددوا الله ولا منافاة ايضا
لان من جملة مواداته تعالى موادة رسوله واهل بيته وادعا نسخ الاية
قول مردود لا يلتفت اليه فلا يجوز اعتقاده كما قاله البغوى وغيره
وقد صح حديث احبوا الله لما يغذوكم به من نعمة واحبونى بحب الله عز وجل
واحبوا اهل بيتى لحبى وصح ايضا ما بال اقوام يتحدثون فاذا راوا
الرجل من اهل بيتى قطعوا حديثهم والله لا يدخل قلب رجل الايمان
حتى يحبهم لله ولقرابتهم منى وفى خبر احمد والترمذى حديث من احبنى
واحب حسنا وحسينا واباهما وامهما كان معى فى الجنة زاد ابو داود
ومات متبعا لسنتى وبها تعلم بطلان قول الرافضة تنفع محبتهم مع
مخالفة السنة **وابدت** اى اظهرت **ضبابها** عايد لفاعل ابدت واراد
بالضباب اليرابيع لان النافقا لا يكون الا لها **النافقاء** هى احد جحرتى
اليربوع يكتمها ويظهر غيرها حتى لا يصاد وهو موضع من جحره يجعل الحاجز
بينه وبين الفضاء رقيقا حتى اذا دخل عليه من الجحر الاخرى المسماة
بالقاصعاء ضرب النافقا براسه فانشق وخرج هاربا منه ولهذا

[illegible]

يقال

يقال نفق اليربوع تنفيقا ومنه اشتقاق المنافق فى الدين كما فى الصحاح
وفى النظم تشبيه المكرة بالحسنين حتى فعلوا معهما ما فعلوا باليربوع
فى مكرها المذكور فهو استعارة تصريحية وفى ذكر النافقاء استعارة
ترشيحية او تشبيه ما عند اوليكم من النفاق بالنافقا بالجامع الاخفى
فهى استعارة مصرحة رشحت بذكر الضباب او تشبيه النافقا بما
عند اوليك من النفاق الذى حملهم على ان فعلوا باهل البيت ما فعلوا
فتشبيه النافقا بنفاق اوليك استعارة بالكناية والجامع ان النافقا
يظهر اليربوع منها فيهرب من صياده وكذلك نفاق اوليك اظهرهم حتى
هربوا من الدين وفعلوا ما فعلوا واثبات اليربوع استعارة تخييلية
ويصح ان يكون استعارة بالكناية ايضا لتشبيه الضباب باوليك
فى المكر واضافتهم الى ضمير النافقا تخييلية **وقست** اى غلظت واشتدت
منهم اى المكرة الفجرة المذكورين وهو حال من قوله **قلوب** فوصل
اليهما والى ذريتهما منهم غاية الايذا والاستهتار بحقهم الواجب رعايته
عليهم ولم تكن لهم تلك القلوب فطالما ان الله تعالى اراد لها الشقاوة
والعذاب الاليم **على من** اى اوليك الايمة الذين هم بدور الدنيا
ومن ثم قال الحسن البصرى فى الذين قتلوا مع الحسين من اهله لبس
لهم شبيه على وجه الارض **بكت الارض فقدهم والسماء** وهذا
اقتباس من مفهوم قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض اذ مفهومه
ان المؤمن تبكى عليه السماء والارض اما الارض فمحال سجود المؤمن

وعباداته واما السما فمحال مصاعد اعماله واذا كان هذا في مطلق المومنين
كما علم من الاية يعني انهما ياسفان على ما فاتهما من اعمالهما وثوابهما
فما بالك بآل البيت النبوي والسر العلوي ويصح ان يكون المراد ببكايهما
بكا اهلهما وهو واضح لكن الاول ابلغ ولا مانع من حمله على الحقيقة
لانه ممكن وورد به الشرع فلا نخرج عن ظاهره الا لدليل **فابكهم** ايها
الصالح للخطاب **ما استطعت** اي مدة دوام استطاعتك تاسيا بنبيك
محمد صلى الله عليه وسلم ثم بجبريل اثر على روى ابن سعد عن الشعبي قال مر علي
كرم الله تعالى وجهه بكربلا عند مسيره الى صفين فوقف وسال عن
اسم هذه الارض فقيل له كربلا فبكى حتى بل الارض من دموعه ثم قال
دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقلت ما يبكيك قال
كان عندي جبريل انفا واخبرني ان ولدي الحسين يقتل بشاطي الفرات
موضع يقال له كربلا ثم قبض جبريل قبضة من تراب شمني اياها فلم املك
عيني ان فاضتا واخرج الترمذي ان ام سلمة رات النبي صلى الله عليه
وسلم باكيا وبراسه ولحيته التراب فسالته فقال قتل الحسين انفا
وكذلك راه ابن عباس نصف النهار اشعث اغبر بيده قارورة فيها
دم يلتقطه فساله فقال دم الحسين واصحابه لم ازل اتتبعه
منذ اليوم فنظروا فوجدوه قد قتل في ذلك اليوم فان قلت
الامر بالبكا ينافيه الحديث الصحيح فاذا وجبت فلا تبكين باكية
ومن ثم قال ايمتنا يكره البكا بعد الموت قلت ليس المراد بالبكا المامور

به هنا حقيقته بل لازمه من التاسف والحزن على ما حصل للدين واهله
من استباحة حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودم بنيه واهله ومن
غاية الاستهتار بحقهم والفرح بمصائبهم ومن زوال انوار النبوة
وعلومها وتقاها وزهدها وكما لا تها بفقدهم وذلك كله مصاب لا
يساويه مصاب فحق لكل احد ان يحزن على ذلك ويتاسف عليه وان
يامر به غيره ويدعوا اليه فان قلت كيف نهى صلى الله عليه وسلم
عن البكا وبكى كما في الحديث المذكور قلت المنهي عنه انما هو البكا بعد
الموت لوقوع الياس فوجود البكا حينئذ دال على نوع تبرم بالقضا
والواقع هنا البكا منه صلى الله عليه وسلم قبله وهو محض رحمة حينئذ
وبهذا يتبين عدم الاحتياج للجواب بل عدم صحته بان المنهي عنه
البكا الاختياري والذي وقع منه صلى الله عليه وسلم لعله اضطراري
او بيان للجواز او اطلق منه البكا على مجرد دمع العين وهو لا كراهة
فيه ومن ثم لما فعله صلى الله عليه وسلم على ابن لاحدى بناته قيل له ما
هذا اي وقد نهيت عن البكا فقال انها رحمة وانما يرحم الله من
عباده الرحما فبين ان مجرد دمع العين لا محذور فيه ولا كراهة فتامله
ثم تمم ما امر به من البكا بما يصلح ان يكون دليلا حاملا عليه فقال
ان جزا قليلا اي قليل **في** مقابلة **عظيم من المصاب** لا سيما مصاب
الامة بالحسنين واهل بيتهما رضي الله تعالى عنهم وبين قليل وعظيم
طباق وفيه اشتقاقه ورد العجز على الصدر **البكا** وان كثر وهو

الصوت الذي يكون مع الدمع واما المقصود فهو الدمع فقط وغيره
القليل قتل قاتليهم ودوام نصرتهم باشادة ذكرهم وادامة الثنا
عليهم والرد على اعدايهم وغير ذلك **كل يوم وكل ارض لكربي** اي
لاجل ما حصل لي من الكرب وهو الغم الذي ياخذ النفس بحيث تخشى
فواتها **منهم** اي بسبب ما حصل لهذين الامامين واهل بيتهما من
القتل والاسر والسب والايذا **كربلا** راجع لكل ارض **وعاشورآ**
راجع لكل يوم ففيه لف ونشر مشوش اي زادني ذلك الكرب حتى
ان كل ارض حللت بها تصورت انها الارض الذي قتل فيها الحسين
وكل يوم اصبح علي تصورت انه يوم عاشورا الذي قتل فيه فكربه
عم جميع ما انا فيه من الازمنة والامكنة فلا يفارقني بالانتقال
من ارض لاخرى ولا من زمن لاخر وبين كربي وكربلا جناس شبه
الاشتقاق كهوا جناس الاشتقاق في تاب واوب وفي فوضت
وتفويض وطبنه وطاب وسدنه وسودنه ووزره والزوراء
والقاسم واقسامي وابكيهم والبكا **بآل بيت النبي** وهم مومنوا
بني هاشم والمطلب وهم المذكورون في قوله تعالى انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا اكثر **المفسرون**
انها نزلت في علي وفاطمة والحسنين رضي الله تعالى عنهم وقيل نزلت
في نسائه ونسب لابن عباس وكان مولاه عكرمة ينادي به في السوق
ورد بتذكير ضمير عنكم وما بعده وقال جمع نزلت فيهما وا[ح]جه

جمع

جمع بانهن سبب النزول فيدخلن قطعا ويدل له ما صح عن ام سلمة قلت
يا رسول الله انا من اهل البيت قال بلى ان شاء الله ولدخول آل البيت خبر مسلم
انه ادخل اوليك الاربعة تحت كسا وقرا الاية وصح انه صلى الله عليه وسلم جعل
هولا تحت الكسا وقال اللهم هولا اهل بيتي وخاصتي اذهب عنهم الرجس وطهرهم
تطهيرا وفي حديث حسن انه صلى الله عليه وسلم اشتمل على العباس وبنيه بملاءة
ثم قال يا رب هذا عمي وصنو ابي وهولا اهل بيتي فاسترهم من النار كستري
اياهم بملاتي هذه فقالت اسكفة الباب وحوايط البيت امين ثلاثا فعلم
ان المراد باهل البيت في الاية اهل بيت سكنه وهن امهات المومنين واهل
بيت نسبه وهم مومنوا بني هاشم وبني المطلب وصح هذا عن زيد بن
ارقم والاشهر ان هولا هم آله المذكورون في قوله اللهم صل على محمد
وعلى ال محمد وقيل المراد باله هنا كل مومن واختير وخبر الى كل مومن
تقي ضعيف بالمرة وال البيت الذين حرمت عليهم الصدقة هم المرادون
في جميع ما جا في فضل آل البيت او الال او ذوي القربى واوليك الاربعة
هم المرادون في اية المباهلة كما يصرح به ما صح عنه صلى الله عليه وسلم فيها
ان فوادي اي قلبي **ليس** فعل جامد معناه نفي مضمون الجملة في الحال
ونفي غيره بالقرينة وقيل هي لنفي الحال وغيره وقواه ابن الحاجب بقوله
تعالى الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم قال ابن مالك وترد للنفي
العام المستغرق المراد به الجنس كلا التبرئة وهو مما يغفل عنه وخرج عليه
ليس لهم طعام الا من ضريع انتهى ويصح ارادة هذا المعنى الاخير في النظم

تسليه عنكم البا سًا بفوقيه اوله اى ما يحصل لى من الشدايد والمحن و في
القاموس تا ساه اذاه واستخف به بل محبتكم مقيمة فيه على الدوام لا تزلزلها
محنة ولا تنقصها شدة وفى الحديث والذى نفسى بيده لا يومن عبد لى حتى
يحبنى ولا يحبنى حتى يحب ذوى انا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدو
لمن عاداهم الا من اذى قرابتى فقد اذانى ومن اذانى فقد اذى الله تعالى
وفى الحديث ايضا انى تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتى قابل
كونه قرنهم بالقران فى ان التمسك بهما يمنع الضلال ويوجب الكمال واشار
الى ما عنده ملازم له لا يفارقه بسلو ولا تسل ولا بغيرها من الوفا بحقهما
والتحزن والتحسر لمصابهما انما هو مع تفويضه الامور الى باريها كما قال
عنير اى الا انى فهو الاستثنا منقطع فوضت امرى فى ذلك كله الى الله
الفاعل لما يشا والمقدر لما يريد لا يسال عما يفعل وهم يسالون وتفويض
الامور الى من هو مقدرها ومدبرها برا اى مبرى للمفوض كذلك اعتماده
على شى من حوله وقوته وذلك متعين على كل مسلم فضلا عن كامل ومن
ثم قال صلى الله عليه وسلم لا حول ولا قوة الا بالله براة من الشرك وكنز من
كنوز الجنة وفى فوضت وتفويض جناس الاشتقاق وجملة وتفويض
الخ تذييل رب للتقليل يوم بكربلا مسى باعتبار ما وقع فيه من
قتل الحسين ومن معه بها خففت بعض وزره اى ثقل ذلك الخطب الجسيم
والمصاب العظيم على النفوس التى عندها غيرة لال البيت النبوى الزورا
فبينهما مع وزره شبه اشتقاق وهى ناحية ببغداد اى ما وقع من خلفائها

بنى

الرحمن

بنى العباس الذين هم من جملة البيت من اخذهم بعض ثار ابن عمهم الحسين
وغيره من ال البيت بالخروج على بنى امية لانهم عابوا وحاربوا ولم يرقبوا الله
ورسوله طرفة عين فى ال البيت الطاهرين المطهرين الكاملين المكملين الجامعين
بين العلوم الشرعية والمعارف الربانية والاسرار الالهية والكرامات
الباهرة والمعالى الفاخرة ثم بنزع الخلافة منهم بعد ان نصرهم عليهم فقتلوهم
اشر قتلة كما قال والاعادى الذين هم اولئك الفسقة الفجرة كان
كل طريح اى مطروح منهم الى الارض ببوارق السيوف ولوامع الاسنة الموجهة
لتوالى الحتوف الزق المنتفخ الملقى بالارض الذى حل عنه الوكا وهو ما يشد
به راس الزق ولازالوا يتبعونهم حتى قطعوا دابرهم عن اخرهم فقطع
دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وهذه القصة مبسوطة
فى التواريخ كتاريخ الخلفا للسيوطى نمرسه فى اختصار كله فعليك بطلبها من محلها
ان شيت يا ال فهو منادى واصله اهل ابدلت الهاء همزة ساكنة وقبلها
همزة ساكنة محركة فابدلت الساكنة الفا على القاعدة ولا يضاف الا الى
الاشراف كما هنا وانما قبل ال فرعون لانه كان متصورا بصورة الاشراف
بيت النبى مر انفا بيانهم طبتم اصولا ونفوسا وافعالا واقوالا
وصفات وظاهر النظم ان المراد بالطيب فى وبرحتى طيبهما منك غيره
المراد به هنا وهو محتمل ويحتمل انه فى الموضعين للطيب ظاهرا وباطنا
وان الطيب ثم لهما وهنا للباقين وهو الوجه لان ذاك فى خصوصهما وهذا
فى عموم اهل البيت كما دلت عليه الايات بقوله انما يريد الله ليذهب

162

عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا اذ هي منبع فضايلهم لاشتمالها على
غرر من ماثرهم والاعتنا بشانهم حيث ابتديت بانما المفيدة لحصر ارادته
تعالى اذهاب الرجس عنهم وهو الاثم او الشك مما يجب الايمان به
ويطهرهم من ساير الاخلاق والاحوال المذمومة وفي احاديث تحريمهم
على النار وهو فايدة ذلك التطهير وغايته اذ منه الهام الانابة الى الله
تعالى وادامة الاعمال الصالحة ومن ثم لما ذهبت عنهم الخلافة الظاهرة
لكونها صارت ملكا عضوضا ولذا لم تتم للحسن عوضوا عنها الخلافة الباطنة
حتى ذهب قوم الى ان قطب الاوليا في كل زمن لا يكون الا منهم وحكمة
ختم الاية بتطهير المبالغة في وصولهم لاعلاه وفي دفع التجوز عنه ثم تنوينه
تنوين التعظيم والتكثير المشير الى انه تطهير بليغ ليس من جنس ما يتعارف
ويولف ثم اكد صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله وقد جعل على علي وفاطمة
والحسنين كسا وقرا الاية اللهم هولا اهل بيتي اذهب عنهم الرجس اهل
وطهرهم تطهيرا وفي رواية ان هولا ال محمد فاجعل صلواتك وبركاتك
على ال محمد انك حميد مجيد وفي اخرى اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم أهلي
تطهيرا ثلاثا وصح حديث ان مثل اهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها
نجا ومن تخلف عنها هلك وحديث خيركم خيركم لاهلي من بعدي وحديث
سالت ربي ان لا اتزوج الى احد من امتي ولا يتزوج الى احد من امتي
الا كان معي في الجنة واحبوا اهل بيتي لحبي وحديث انا حرب لمن
حاربهم وسلم لمن سالمهم قاله لعلي وفاطمة وولديهما وحديث

ان

ان لكل بني اب عصبة ينتمون اليها الا ولد فاطمة فانا وليهم وعصبتهم
وهم عترتي خلقوا من طينتي وويل للمكذبين بفضلهم من احبهم احبه الله
تعالى ومن ابغضهم ابغضه الله تعالى وحديث والذي نفسي بيده لا
يبغض اهل البيت احد الا اكبه الله في النار **فطاب المدح لي فيكم** وان
لم استوف واجب حقكم ومعالي شرفكم لان الله تعالى ورسوله اثنى عليكم
بما تنقطع الاعناق دون الوصول الى غايته والاحاطة بشي من
نهايته **وطاب لي فيكم الرثا** وهو تعداد محاسن موتاكم وفي طيبه
وطاب الاشتقاق والمدح والرثا الطباق **انا حسان مدحكم** اي انا
المشبه في الاعتنا بمدحكم على اقصى ما يمكن من وجوه البلاغة وقوانين
الفصاحة بحسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان
ينصب له منبرا في مسجده ينافح عليه كفار قريش ويرد عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ويدعو له بقوله اللهم ايده بروح القدس ومن بلاغته انه
لما ان يهجو قريشا اخبره النبي صلى الله عليه وسلم بانه ما من بطن من بطون ١٦٤
قريش الا وله اليها قرابة فقال لاسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين
وراه عمر رضي الله عنهما ينشد شعرا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تعالى
فنظر اليه شزرا فقال كنت انشد فيه بين يدي من هو خير منك وهو
يقول اللهم ايده بروح القدس ثم استشهد بعض الصحابة على ذلك
فشهد واله به **فاذا خنت** اي رفعت صوتي بالبكا **عليكم فانني الخنسا**
بنت عمرو بن الشريد من شراة قبايل سليم بن قيس عيلان قيل قدمت

على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها بنى سليم المؤالين له صلى الله عليه
وسلم ولقد احضر معه منهم يوم فتح مكة وحرب حنين الف رجل ونظرت
عايشة رضى الله تعالى عنهما عليها ثوب الحزن فاخبرتها بانه صلى الله عليه
وسلم نهى عنه فاعتذرت بانها لم تعلم بالنهى ثم ذكرت سببه وهو ان
زوجها افتقر فسالت اخاها فقاسمها ماله فافتقر فسالته فقاسمها
ماله ثم الثالثة كذلك والرابعة كذلك فعتبته زوجته فاجابها
بانها كفته عارها ولو هلك مزقت خمارها ولبست من شعر صدارها
قالت فلما هلك اتخذت هذا الثوب قيل الخنساء من اشعر
الناس قال انا لولا هذه قبله بما فضلتك قالت بقولها

ان الزمان وما تفنى عجايبه • ابقى لنا ذنبا واستوصل الراس •
ابقى لنا كل مجهول وفجعنا • بالحالمين فهم هام وارماس •
ان الجديدين فى طول اختلافهما • لا يفسدان ولكن يفسد الناس •

واجمع علما الشعر انه لم يكن امراة قبلها ولا بعدها اشعر منها
اى فانى مشبهها فى نوحها على اخيها صخر ورثايها له بالمعانى البديعة
والمبانى البليغة ومحاسن الثنا وجوامع الرثا ومنه

الا يا صخر ان ابكيت عينا • لقد اضحكتنى دهرا طويلا •

الى ان قالت

اذا قبح البكا على قتيل • رايت بكاك الحسن الجميلا •

ومنه ايضا

قيل ان النابغة الذبيانى كان اذا قدم الموسم عرض عليه الناس اشعارهم فجاته الخنسا فعرضت عليه فيمن عرض فقال لها ما رايت ذا هن اشعر منك فقالت لا والله
ولا اسامه ايضا وجاه حسان بن ثابت فانشده فقال انت اشعر من انشدنى فى هذا اليوم لولا امراة من بنى خثعم فقال الى تقول هذا القول وانا اشعر منك ومن ابيك
قال حين تقول ماذا احين اقول لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى • واسيافنا يقطرن من نجدة دما • قال فقل فانك قد اخطات فى هذا البيت فى ثلاثة مواضع
قلت الغر والغرة انما هى لمعة بياض ولو قلت البيض كان احسن وقلت يلمعن بالضحى وكل شى فهو يلمع بالضحى ولو قلت بالدجى كان احسن ولكن اخاف ان لا تحسن تقول مثل قول
فانك كالليل الذى هو مدركى • وان خلت ان المنتاى عنك واسع • وهذا العراجين كلام والبلغ وافصح وان بيت حسان ايضا لمن جيد الكلام

يؤرقنى

يؤرقنى التذكر حين امسى • ويردعنى عن الاحزان نكسى •
على صخر واى فتى كصخر • ليوم كريهة وطعان خلسى •

ثم قالت

وما يبكون مثل اخى ولكن • اعزى النفس عنه بالتاسى •

ومنه

اعينى جودا ولا تجمدا • الا تبكيان لصخر الندا •
الا تبكيان الجرى الجميل • الا تبكيان الفتى السيدا •
طويل النجاد رفيع العماد • ساد عشيرته امردا •

ومنه

وان صخرا لتاتم الهداة به • كانه علم فى راسه نار •

١٦٥ سال الخليفة المهدى المفضل عن افخر بيت قالته العرب فذكر له هذا
فاعطاه ثلاثين الف درهم بعد ان شكا عليه دينا عشرة الاف ورآها
عمر تطوف باكية لاطمة لخدها معلقة نعل صخر الاخ فى خمارها فوعظها فقالت
رزيت فارسا لم ير احد مثله فقال ان فى الناس من هو اعظم رزية
منك وان الاسلام غطى ما كان قبله واذا لا يحل لك لطم وجهك ولا
كشف راسك فكفت وحضرت حرب القادسية مع بنيها اربع رجال
فحرضتهم على الثبات ابلغ تحريض ثم قالت فاذا رايتم الحرب قد شمرت
عن ساقها وجللت نارا على اوراقها فتيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها
تظفروا بالنعيم والكرامة فى دار الخلد والمقامة فتقدموا حتى قتلوا

كلهم فقالت الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وارجوا ان يجمعني بهم في مستقر
الرحمة وكان عمر يعطيها ارزاقهم لكل مائتان حتى قبض رضي الله تعالى
عنه وعنهم سدتم الناس ايها الحسنان وذريتهما فالمراد بالناس بالنسبة
اليهم الكل لكن بالنسبة لما فيهم من البضعة الكريمة التي لا يعادلها شئ
واما بقية ال البيت فالمراد بالناس بالنسبة اليهم من عدا الصحابة هذا
كله بالنظر الى النسب واما بالنظر الى السيادة بالتقى فهو خاص بالمتقين
منهم وخصتهم بذلك لكونه جاء عن كثيرين منهم من التقوى والزهد
والعبادة والعلم والمعرفة ما لم يجئ عن غيرهم ولهذا انجاب عما يورد
على النظر ان السيادة من حيث التقى لا تختص بهم والكلام انما هو فيما
اختصوا به ووجه الجواب تميزهم على اكثر الناس بتقى لم يصل اليه
غيرهم والمعنى كما سدتم الناس بالنسب سدتموهم بزيادة التقى الذي
لا يوجد في غيركم ومر ان جماعة قالوا ان القطب لا يكون الا منهم ومع
ذلك كله ففي النظم ايهام الا ان يقال سيادتهم الناس بالنسب
اشهر من ان تذكر ودليل الاول اعني السيادة من حيث النسب الذي
هو اشرف الانساب اية المباهلة قال بعض محققي المفسرين فيها
لا دليل اقوى من هذا على فضل علي وفاطمة وابنيهما اي لانها لما نزلت
دعاهم صلى الله عليه وسلم فاحتضن الحسين واخذ بيد الحسن ومشت
فاطمة خلفه وعلي خلفها فعلم انهم المراد من الاية وان اولاد فاطمة وذريتهم
يسمون ابناءه وينسبون اليه نسبة حقيقية نافعة في الدنيا والاخرة

ويدل

ويدل لذلك ما صح انه صلى الله عليه وسلم خطب فقال ما بال اقوام يقولون
ان رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينفع قومه يوم القيمة بلى والله ان
رحمي موصولة في الدنيا والاخرة الحديث واخرج الطبراني في حديث ان
الله عز وجل جعل ذرية كل نبي في صلبه وان الله تعالى جعل ذريتي في صلب
علي بن ابي طالب وروى غيره نحو ذلك من طرق وفي بعضها زيادة اذا كان
يوم القيمة دعا الناس باسماء امهاتهم سترا عليهم الا هذا وذريته فانهم
يدعون باسمائهم لصحة ولادتهم وذكر ابن الجوزي ذلك في العلل المتناهية
مردود بان كثرة طرقه ترقية الى درجة الحسن بل الصحة ويؤيده ما صح
عن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل سبب ونسب ينقطع يوم
القيمة ما خلا سببي ونسبي وفي رواية زيادة الصهر والحسب وكل بني
انثى عصبتهم لابيهم ما عدا ولد فاطمة فاني انا ابوهم وعصبتهم وجاء في حديث
اخر بسند رجاله من اكابر اهل البيت ان عمر قال ذلك لما زوجه علي بنته
من فاطمة ام كلثوم وانكار جماعة من متاخري اهل البيت ان عليا لم يزوجها
لعمر ليس في محله واقرار الصحابة لعمر على هذا الاستدلال صريح في
رد ما عارضه من اقاويل شاذة في هذه المسئلة لا سيما لبعض بني امية
في ذلك ودليل الثاني اعني النظر الى السيادة بالتقوى ما صح انه لما نزل
تامل
١٦٦
قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين دعا صلى الله عليه وسلم جميع بطون
قريش فعم وخص وقال للكل لا اغني عنكم من الله شيئا غير ان لكم رحما سابلها
ببلالها اي ساصلها بصلتها ومعنى ذلك انه لا يملك لاحد نفعا ولا

ضر الكن الله تعالى ملكه نفع اقاربه بل وامته بشفاعته الخاصة والعامة
واخرج الطبراني حديث ان اهل بيتي هولا يرون انهم اولى الناس بي
وليس كذلك ان اوليائي منكم المتقون من كانوا وحيث كانوا وصحح الحاكم
حديث وعدني ربي في اهل بيتي من اقر منهم بالتوحيد ولي بالبلاغ
ان لا يعذبهم واخرج احمد حديث والذي نفسي بيده لو اخذت
حلقة ما بدات الا بكم وجا في احاديث ضعيفة ان فاطمة احصنت
فرجها فحرمها الله وذريتها على النار نعم اخرج الطبراني بسند رجاله
ثقات ان الله غير معذبك ولا احد من ولدك وورد يا عباس ان
الله غير معذبك ولا احد من ولدك ولا ينبغي لاحد من آل البيت
ان يغتر بذلك لانه استفيد من قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث
السابق ان اهل بيتي هولا يرون انهم اولى الناس بي وليس كذلك
ان اوليائي المتقون الى اخره وحديث البخاري ومسلم ان آل بني فلان
ليسوا الي اولياي انما ولي الله وصالح المومنين ان نفع رحمه وقرابته وشفاعته
للمذنبين من اهل بيته وان لم ينتف لكن ينتفي عنهم بسبب عصيانهم
ولاية الله ورسوله لكفرانهم نعمة قرب النسب اليه صلى الله عليه
وسلم بارتكابهم ما يسوءه صلى الله عليه وسلم عند عرض عملهم عليه ومن ثم
يعرض صلى الله عليه وسلم عن بعض من يقول انه منهم في القيمة يا محمد
يريد ان تشفع له فيقول لا املك لك من الله شيا كما في الحديث ٥
وتامل قول الحسن بن الحسن السبط رضي الله تعالى عنهما لبعض

الغلاة

يعني بالتبليغ

الغلاة فيهم ويحكم احبونا لله فان اطعنا الله فاحبونا وان عصينا
الله فابغضونا ويحكم لو كان الله نافعا بقرابة من رسول الله صلى الله عليه
وسلم بغير عمل بطاعته لنفع بذلك من هو اقرب اليه منا اي كابي طالب
والله اني اخاف ان يضاعف للعاصي منا العذاب ضعفين وان
يؤتى المحسن منا اجره مرتين وكانه اخذ ذلك من قوله تعالى يا نسا
النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين
وقال موسى بن علي بن الحسين بن علي عن ابيه عن جده انما شيعتنا
من اطاع الله وعمل اعمالنا وبه يعلم ان الفرقة المسماة بالشيعة
ليسوا من شيعة آل البيت وانما هم من شيعة ابليس لعنهم الله كما في
الحديث الذي رواه الدارقطني وقال ان له عنده طرقا كثيرة يا ابا الحسن
انت وشيعتك في الجنة وان قوما يزعمون انهم يحبونك يصغرون
١٦٧ الاسلام ثم يلفظونه يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية لهم
نبز يقال لهم الرافضة فان ادركتهم فقاتلهم فانهم مشركون وفي
رواية قالوا يا رسول الله ما العلامة فيهم قال لا يشهدون
جمعة ولا جماعة ويطعنون على السلف وسواكم الذين يدعون
سادة وينفقون عليكم كسفها بني امية او المراد وسواكم اي غيركم
الذين لم يعملوا بعلمكم لا سيادة لهم في الدين اصلا ولا في الدنيا
عند العقلا وانما سودته عند الجهلا مثله وافرد الضمير نظرا للفظ
سوى البيضا اي الفضة والصفرا اي الذهب اي طمع الناس

فى ماله فتخصيص هذين لشدة الاحتياج والتطلع اليهما اكثر من غيرهما وفي
مدتهم وسودته الاستحقاق والبيضا والصغر التدبيج واقسم عليك
باصحابك جمع صاحب وهو من اجتمع مؤمنا ولو طفلا او اعمى بالنبى
صلى الله عليه وسلم ومات مؤمنا وحذف الشارح كشيخه الجلال المحلى رحمهما
الله تعالى لهذا الاخير فيه نظر وابهام وان وقع فى صنيع احمد بن حنبل
فى مسنده ما يؤيد ذلك كما بينته فى محل اخر الذين هم بعدك فينا الهداة
اى الدالون للامة على الله بما يجب له ويجوز ويستحيل عليه وعلى رسوله
كذلك وعلى شريعته وعلى تهذيب النفوس وكمال الاخلاق والجهاد
فى الله وغير ذلك مما يليق بكل ما ذكر وهذا مقتبس من قوله صلى
الله عليه وسلم اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم واستخلص من
هذا المقام اخص افراده بذلك فقال اقتدوا بالذين من بعدي
ابى بكر وعمر والاوصيا اى الذين وصيتهم بالقيام بامور الدين والجهاد
عليهم ففتحوا الامصار والبلاد وساسوا الامة ونشروا فيها
علوم الكتاب والسنة حتى خضعت لمعاليهم الروس وباد اهل
الزيغ عن اخرهم فلم يبق منهم رئيس ولا مروس وانما جملت الاوصيا
على ما ذكر ردا على من زعم انه صلى الله عليه وسلم وصى بالخلافة لابى بكر
او لعلى ووجه الرد ان الذى دلت عليه صرائح السنة ووقع
عليها اجماع من يعتد به انه صلى الله عليه وسلم لم يوص فى امر الخلافة
بشى صريح والا لهلك الامة لو خالفوا ذلك النص فاقتضت المصلحة
العامة

العامة وشفقته صلى الله عليه وسلم على امته ان لا ينص عليها صريحا وانما
اشار الى انها لابى بكر باشارات تقرب من التصريح كما بينتها فى الكتاب
السابق ذكره ولعل تلك المصلحة التى ذكرناها فى عدم التصريح هى التى ظهرت
له صلى الله عليه وسلم لما طلب فى مرض موته دواة وقرطاسا ليكتب فيه
ما لا يضلون معه فكثر عنده اللغط فمن مريد للكتابة ليقع التصريح
وينقطع العذر ومن مريد لعدمها كعمر خشية من مخالفة النص المودية
الى هلاك المخالف فلذا ترك صلى الله عليه وسلم الكتابة والدليل
على انه انما ترك لمصلحة انه مكث بعد ذلك المجلس اياما ولم يذكر
ذلك ولا طلبه ولو كان فيما طلبه مصلحة عايدة على احد لم يترك
ذكره وان وقع اعظم مما وقع الحالة فسكوته كذلك اوضح دليل على
ما تقرر احسنوا بعدك اى بعد وفاتك الخلافة عنك فى الدين
بالقيام بجميع ما يجب او يحسن مراعاته من الامور الظاهرة والباطنة
حيث اجمعوا على استخلاف ابى بكر كرم الله تعالى وجهه ثم على استخلافه لعمر
ثم على استخلافه اصحاب الشورى لعثمان ثم على مبايعة على ثم ابنه
الحسن ثم بعد نزول الحسن لمعاوية على ولاية معاوية رضى الله تعالى
عنهم وحيث نصبوا كلهم نفوسهم لمجاهدة الاعدا ولنشر العلوم
الى ان تحملتها عنهم التابعون ثم من بعدهم جزاهم الله عن الاسلام
والمسلمين خيرا وكل منهم لما تولاه فى حياته صلى الله عليه وسلم وبعد
وفاته من الخلافة والامرة والقضا وتجهيز الجيوش وحفظ

الثغور والحصون وغير ذلك من امور الدنيا والدين على ان جميع امورهم
انما كانت للدين لا غير إزاءً بكسر الهمزة وفتح الزاي ككتاب اى قيما
تولاه اهله فى اى بقعة او زمن كان كيف وهم جميعهم عدول كما نطق به
القران ومن وقعت منهم له هفوة فقد كفرت عنه بحد او توبة هم
اغنيا نزاهة اى من جهة النزاهة والتعفف عن جمع المال وان كان
من جهة يقطع بحلها لان ملحظ نظرهم انما هو التجرد المطلق عن سائر
العلق المطمح عن الله تعالى وقد قال صلى الله عليه وسلم ليس الغنا بكثرة العرض
اى المال وانما الغنا غنى النفس اى بالله عما سواه سوا كان بيدها مال
ام لا ومن كان منهم بيده مال كابن عوف وعثمان والزبير فانما كان خازنا
لله يصرفه فى مصارفه الشرعية فهو مقتنيه لذلك لا للفخر ولا للمباهاة
ولا لمحبة جمع لذلك الحطام الفاني ولذلك جا ان عبد الرحمن بن عوف
اعتق ثلاثين الف رقيق وتصدق هو وعثمان فى غزوة تبوك بما
يبهر العقل وكان للزبير الف عبد يودي اليه الخراج وما مات الا وعليه
قدر كثير جدا من الديون وكون الخلف عن ابن عوف فربع ثمنه ثمانون الف
دينار لا ينافى ما تقرر انه انما كان خازنا لله لان الخازن لله ليس معناه
انه يخرج جميع ما فى يده دفعة بل يبقيه ويخرج منه ما هو المطلوب منه
فى كل حال او زمن واما اخراجه صلى الله عليه وسلم لجميع ما كان فى يصرف صح
يده دفعة فهو اما لاختيار لذلك بسد ضرورات اصحابه
او لان حاله فى الامور الخارقة للعادة لا يقدر غيره على التأسي به

فيها

فيها فلا يكلف بذلك وتخلف ابن عوف عن الفقرا فى دخول الجنة الوارد
اما لكونه يقف ليشفع او ليسال سؤال تكريم عما انعم به عليه او جبرا
لخاطر الفقرا بذلك وكل ذلك غير قادح فى فضله رضي الله عنه هم
فقرا اى غالبهم بل كلهم لان ذوي الغنا منهم كانوا خزانا لله
كما مر فلا يعدون الاغنيا الا باعتبار الصورة واما باعتبار الحقيقة منه
فهم على غاية من الافتقار الى الله تعالى بواطنهم وظواهرهم لان
يشهدون لنفوسهم مالا ولا غنى وانما يعدون انفسهم لا غير وبما خزنته صح
تقرر فى معنى غناهم وفقرهم يعلم ان الغني الشاكر افضل من الفقير
الصابر وهى مسئلة كثر الاختلاف فيها والحق منه ما قررته لما علمت ان
الغنى هو الذي ختم به امره صلى الله عليه وسلم وهو كان دائم الترقي
فى الكمالات فلولا ان الغنى مع الشكر افضل من الفقر مع الصبر لما
ختم له به قيل ومحل الخلاف فى الفقر مع الصبر كما تقرر واما الفقر
مع الرضى فهو افضل قطعا انتهى وفيه نظر واضح لانه صلى الله عليه
وسلم كان فى ابتدا امره مع فقره على غاية من الرضى لم يصل اليها
غيره ومع ذلك لم يختم له الا بالغنى مع الشكر كما تقرر وبفرض صحة هذا
القول فغالب فقرا الصحابة يفضلون اغنياهم لانهم راضون بفقرهم
قطعا وبين الاغنيا والفقرا التضاد وكذا بين ايمة وامرا وبين الرخص
والاغلا الاثبات هم علما ايمة لانهم وارثوا من علومه صلى الله
عليه وسلم ما تميزوا به على جميع من جا بعدهم وفى الحديث اصحابي كالنجوم

بايهم اقتديتم اهتديتم وهذا بالنسبة لاكثرهم والا فقد جاء ان نحو الحسن
البصري كان يفتي الصحابة في زمنه وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث
المتفق عليه في خطبة الوداع رب مبلغ بفتح اللام اوعى من سامع هم
امراء اي كثيرون منهم تولوا الامارة في زمن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم في زمن الخلفاء الراشدين فقاموا بحقوقها وبروا وعدلوا ومن
ثم لما روى بعض المتهورين سعد بن ابي وقاص رضي الله تعالى عنه لما
كان اميرا على الكوفة بعدم العدل فيهم دعا عليه بدعوات استجيبت فيه
عاجلا حتى صار عبرة للناس وسهما ان الله يطيل عمره ويعرضه للفتن
فكان وهدب حاجبيه قد سقط على عينيه من الكبر يتعرض للجواري في الاسواق
ويقول شيخ سوء اصابته دعوة العبد الصالح سعد رضي الله تعالى عنه
ومما يدل على انهم اغنياء نزاهة لا غير انهم زهدوا في الدنيا بضم الدال
وحكى ابن قتيبة كسرها فعلى من الدنو اي القرب لسبقها للاخرى وقيل
لدنوها من الزوال وهي ما على وجه الارض وقيل كل المخلوقات من الجواهر
والاعراض ويطلق على كل من ذلك مجازا كما هنا فان المراد بها هنا
الاموال وتوابعها من نحو الجاه والكبر والفخر والخيلاء ولفظها مقصور
بلا تنوين حيث لا لام فيها وحكي تنوينها واستشكل ابن مالك استعمالها
منكرة كما في الحديث واجاب بانها انخلعت عنها الوصفية واجريت
مجرى ما لم يكن وصفا فقط كرجعى ثم الصحابة رضوان الله تعالى عليهم
في الزهد فيها وهو اخذ ما يحتاج اليه من الحلال وترك ما لا يحتاج اليه

المتهورين ء

منه

منه على قسمين فاكثرهم ترك السعي في تحصيلها بالكلية واشتغل بالعلوم
والمعارف ونشرها وبالعبادات حتى لم يبق من اوقاته شيا الا وهو
مشغول بشيء من ذلك وكثير منهم حصولها لكن كانوا فيها خزان الله تعالى
كما مر وهذا الاثنا في زهدهم فيها لانهم لم يمسكوها لانفسهم بل لاخراجها
على مستحقيها بحسب نظرهم واجتهادهم واذا تقرر ان زهدهم
بقسميهم فيها حقيقي فاعرف الميل اليها منهم بنوع التفات ولا اقبال
لحقارتها في اعينهم ولا الرغباء اي الزيادة في تحصيلها وهذا
علم من نفي الميل بالاولى فذكره مجرد ايضاح وفيه من البديع ذكر
النظير والتذييل ولا ينافي هذا ثناؤه صلى الله عليه وسلم على المال
بقوله نعم المال الصالح في يد الرجل الصالح ودعائه لاناس من
اصحابه كابن عوف وانس وغيرهما فكثرت اموالهم جدا لان المال له
جهتان جهة خير بصرفه في الطاعات والاعانة على قيام امور الديانات
وبالنظر اليها يثنى عليه وجهة شر بصرفه في ضد ذلك وبالنظر اليها
يذم ويقبح ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الوارد بسند
حسن خلافا لمن وهم فيه اللهم من احبني فاقلل ماله وامت ولده الحديث
وقد بسطت الكلام على ذلك مع استيعاب ما ورد في مدح الدنيا وذمها
والجمع بين تلك الاحاديث في كتابي سعادة الدارين في صلح الاخوين
بما لا يستغنى عن مراجعته ارخصوا في الوغى اي بسبب الحرب الواقع
منهم لاعدائهم في الوقائع المشهورة ومر ان اطلاق الوغى على الحرب مجاز

لاحقيقة **نفوس ملوك** كثيرين فكيف بغيرهم **حاربوها** بقوة عزم
وشدة حزم وصدق نية واخلاص طوية فنصرهم الله تعالى عليهم بقتل
بعضهم تارة وازالة ملك اخرين اخرى **اسلابها** بفتح الهمزة جمع
سلب بفتح اللام وهو ثياب القتيل وفرسه وما عليها من آلات السلاح
والنقد وجنيبة تقاد بين يديه وليس المراد خصوص جمع القلة لانه
جمع مضاف للملوك الذى هو جمع الكثرة واضافة الجمع تفيد عمومه
اما فى الافراد وهو التحقيق او فى المجموع وعليه كثيرون **اغلاء** اسم
مصدر لغلى السعر بمعنى اسم الفاعل اى غالية الاثمان وفى بعض النسخ ضبطه
بفتح الهمزة وكانه جمع غال كدا او ادواو جديد فع قول الشارح لاوجه
له انتهى بل وجهه اظهر من الاول لان حمل المصدر واسمه على الجمع يحتاج
لتاويل كما اشرت اليه بخلاف حمل الجمع على الجمع واما قوله على المعنى
الاول ان المعنى انه كما كان القتل رخاصا للنفوس فالاسلاب اى اخذها
اغلا للاسلاب وقال قبله على المعنى الاول وكانه اى الناظم يقول
انهم كما رخصوا انفوس محاربيهم بالقتل فقد اغلوا اسلابهم بواسطة
كثرة ما سلبوه واجتمع عندهم من الاسلاب فقابل بين ارخاص
الانفس واغلا الاموال التى هى الاسلاب الماخوذة ممن قتلوه لكثرة
ما قتلوه وسلبوه انتهى ففى كل من المعنيين بعد واخفا والوجه
ان المعنى عليه انهم كما ارخصوا تلك النفوس عوضهم الله تلك الاسلاب
الغالية الاثمان على حد رجل عدل اى عادل ورجال عدل اى

عادلون

عادلون فكما ان المصدر هنا اول باسم الفاعل فكذا فيما نحن فيه يوول
الاغلا بالغالية وهذا هو المعنى على فتح الهمزة فساوى المكسور المفتوح
كلهم فى احكامه جمع حكم والحكم الشرعى خطاب الله المتعلق بفعل
المكلف بالاقتضا او التخيير وحكم الحاكم يظهر ذلك ويطلق ايضا
عند الاصوليين على النسب التامة المثبتة تارة والمنفية اخرى
كما فى قولهم الفقه العلم بالاحكام الشرعية وهذا هو المراد هنا
خلا فالما يوهمه كلام الشارح **ذو اجتهاد** صحيح لتوفر شروط الاجتهاد
كلها فى جميعهم بزيادة ولذلك لم يعرف عن احد منهم انه قلد غيره
فى مسئلة من المسائل وكان الناس يستفتون كل من راوه منهم فيفتيه
باجتهاده ولا يعترض احد منهم على احد الا ان كان هناك نص صريح
خولف فيذكر له فمنهم من يرجع اليه ومنهم من يؤوله او يعارضه
بمثله وهذا رد على قوم سلبهم الله الدين والعقل وسلط عليهم
الحمق والجهل فاعتقدوا انهم ذووا هوى او نفس او حظ او بغض
حاشاهم الله من ذلك بل لم تخترهم لصحبة نبيه الا وهم على اكمل
الاوصاف واجلها **ذووا صواب** يعنى وذو ثواب ولو عبر
به لكان اولى لان ابقاه على حقيقته انما يتاتى على القول الضعيف
ان كل مجتهد مصيب وان حكم الله تابع لظن المجتهد اما على الاصح
ان المصيب واحد وان له اجرين كما صح به الخبر او عشرة اجور
كما فى رواية وللمخطى اجر واحد كما صح به الحديث ايضا فلا يقال كلهم

عبارة ابن [illegible] الاحكام جمع حكم والحكم الشرعى هو خطاب الله المتعلق بافعال المكلفين بالاقتضا او التخيير

١٧٧

وبه

ذو صواب بل صوابه ذو ثواب كما تقرر فتامله فعلى الاول كل من علي ومعاوية
رضي الله تعالى عنهما مصيب وعلى الثاني علي رضي الله تعالى عنه مصيب
له اجران او عشرة اجور ومعاوية مخطئ في خروجه على علي له اجر واحد
والاجتهاد بذل الوسع في تحصيل المقصود ثم ان وافق ما عند الله
فصواب والا فخطا فان قلت يمكن تاويل النظم بان مراده ذو
صواب عند نفسه باعتبار انه يتحتم عليه العمل بما ظنه وان لم يكن
صوابا في نفس الامر قلت هو تاويل بعيد على ان هذا لو كان مراده
لم يسغ له فيه هذا الاطلاق الموهم وكلهم اضعفا اي متكافيون
في اصل الصحبة والفضيلة والعلم والاجتهاد وابراز الاحكام لا
لحظ ولا لهوى وانما يتفاوتون في الزيادة في ذلك ومن ثم فلا ينافي
ذلك قول ابن عمر ابو بكر اعلمنا ولا سوال عمر لعلي فيجيبه فيقول
لا قدس الله امة لست فيها يا ابا الحسن ولا تقديم عمر لابن عباس على اكابر
مشيخة المهاجرين والانصار لانه كان يجد عنده من العلم ببركة دعا
النبي صلى الله عليه وسلم له بان الله يفقهه في الدين ويعلمه التاويل ما ليس
عندهم ولا سوال معاوية لعلي بالارسال اليه بالمشكلات فيجيبه
ولقد قال له احد ابنيه لم تجب عدوك فقال اما يكفينا انه احتاج
الينا وسالنا واجمعوا على ان افضل الناس بعد الانبيا ابو بكر
ثم عمر ثم على الاصح عثمان ثم علي ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة
ثم اهل بدر ثم اهل بيعة الرضوان وقيل اهل احد رضي الله عنهم

ورضوا

ورضوا عنه اقتباس من قوله تعالى والسابقون الاولون الى ان قال
رضي الله عنهم ورضوا عنه ورضى الله عن العبد ما يبينه من سخطه واحلاله
تعالى دار كرامته ورضى العبد عنه ان لا يختلج في سره ادنى حزازة
من وقوع قضا من اقضية الحق به بل يجد لذلك في قلبه برد اليقين
وثلج الصدر وشهود المصلحة العظمى وزيادة الطمانينة وبين
الاشتقاق
رضي ورضوا ويخطوا وخطا الآتيين فبسبب ما ذكر من اوصافهم
وختمهم بما في الاية في حقهم اني استفهام انكاري تعجبي يخطوا اي
يصل اليهم اذ الخطوة ما بين القدمين خطا وهو نقيض الصواب
الصواعق
يعني لا يخطي احد منهم خطا ياثم به لما مر انهم كلهم مجتهدون وان
المجتهد اذا اخطا له اجر وهذا كالذي قبله ماخوذ من عدة احاديث
ذكرتها في الصواعق السابق ذكره مع ذكر مخرجيها وهنا اذكر منها
جملة عرية عن ذلك انكالا على اسانيدها ثم منها ان الله تعالى اختارني واختار
لي اصحابا فجعل لي منهم وزرا وانصارا واصهارا فمن سبهم فعليه
لعنة الله والملايكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا
117
اي نفلا ولا فرضا وفي رواية فمن حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا
والاخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله عنه ومن تخلى الله عنه يوشك
من امتي
ان ياخذه اذا اراد الله برجل خيرا القى حب اصحابي في قلبه اصحابي
كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا
بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن

اذاهم فقد اذانى ومن اذانى فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان
ياخذه ما شانكم وشان اصحابى ذروا لى اصحابى ذروا لى اصحابى فوالذى
نفسى بيده لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما ادرك مثل عمل احدهم يوما
واحدا وفى رواية الشيخين وغيرهما لا تسبوا اصحابى فوالذى نفسى
بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه
من لم يحفظنى فى اصحابى لم يرد على الحوض ولم يرنى خير الناس قرنى الذى
انا فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم والباقى ارذال اى غالبهم وفى ارازل ح
رواية متفق عليها خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم
الحديث وهم اول داخل فى قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس
ولا مقام اعظم من مقام قوم ارتضاهم الله عز وجل لصحبة نبيهم صلى الله
عليه وسلم ونصرته جا الى النبى صلى الله عليه وسلم قوم من الصحابة من بعد
قوم وهكذا السابقون الاولون ثم الذين بعدهم وهكذا الى وفاته
صلى الله عليه وسلم وكان الناظم اشار بذلك الى ما فى اول صحيح البخارى
عن هرقل انه سال ابا سفيان رضى الله تعالى عنه عن اصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم ايزيدون ام ينقصون فقال بل يزيدون وانه
هل يرتد احد منهم سخطة لدينه فقال لا فبين له ان من شان الرسل
ان اصحابهم كذلك فعلم ان مجئ الصحابة قوما من بعد قوم من علامات
نبوته صلى الله عليه وسلم واندفع ما قد يقال اى فايدة فى هذه الجملة
من كلام الناظم وهل هى الا مجرد اخبار بواقع لا يترتب عليه فايدة

اذ لا فرق بين مجيئهم اليه دفعة او دفعات وكلهم ملتبسون بحق فلا
مطعن فيهم لطاعن وما نقمه الرافضة ونحوهم عليهم فلم يصح منه شئ
اصلا وانما هو من مقالات الجاهلين ووضع المفترين وعلى المنهج اى
الطريق الواضح الحنيفى اى المستقيم الذى لا انحراف فيه ولا اعوجاج
جاؤا كلهم وتابعوهم باحسان وهكذا لا تزال طايفة من امتى ظاهرين
على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى ياتيهم امر الله وهم على ذلك ما لموسى كليم
الله ولا لعيسى روح الله صلى الله عليهما وسلم حواريون جمع حوارى
وهو الناصر وجعل ذلك علما بالغلبة عن اصحاب عيسى لانهم كانوا يحورون
الثياب اى يقصرونها او من الحوارى اى الدقيق الابيض لبياض الوانهم
فى فضلهم بشهادة نص كنتم خير امة وحديث خير القرون وفى رواية
خير الناس قرنى وحديث المناجاة ان موسى راى لهذه الامة فى اللوح
اوصافا باهرة فقال يا رب فاجعلنى منهم ولا نقبا فى فضلهم ايضا
وهو لف ونشر مشوش اذ الحواريون لعيسى والنقبا لموسى ولما
اقسم بالصحابة كلهم اجمالا خص العشرة المقطوع لهم بالجنة مرتبا
للاربعة الاول منهم على ترتيبهم فى الافضلية والاحقية بالخلافة
فقال واقسم عليك بابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فهو عطف
على بالعلوم بحذف حرفه ويصح انه وما بعده ابدال تفصيلية من
باصحابك الذى تميز من ساير الصحابة بما كان كالصريح فى انه الخليفة
الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه افضلهم بل افضل ما عدا

١٧٢

ابى بكر رضى الله عنه

الانبيا والمرسلين كما صح به حديث ما طلعت الشمس ولا غربت على
احد بعد النبيين والمرسلين افضل من ابى بكر وهو ما صح من طرق
كثيرة بحيث اشتهر بل تواتر وصار معلوما بالضرورة كما قاله الاسنوي
فلذا لم يسع احدا من المبتدعة انكاره للناس به في حياتك الاقتداء
فاعلم صح والطرق متعلقة به فمن تلك الطرق ما اخرجه الشيخان اشتد
مرض النبي صلى الله عليه وسلم فقال مروا ابا بكر فليصل بالناس فقالت
عايشة يا رسول الله انه رجل رقيق اذا قام مقامك لم يستطع ان
يصلي بالناس فقال مري ابا بكر فليصل بالناس فعادت فقال مري
ابا بكر فليصل بالناس فانكن صواحب يوسف فاتاه الرسول فصلى
بالناس في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية انها لما
راجعته فلم يرجع لها قالت لحفصة قولي له يا عمر فقالت له فاشتد
غضبه وقال مروا ابا بكر وفي اخرى ان الحامل لعايشة على ذلك خوفها
تشام الناس به بقيامه مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي
مات فيه وفي اخرى انه امرهم بالصلاة وكان ابو بكر غايبا فتقدم
عمر فكبر وكان صيتا فقال صلى الله عليه وسلم بعد ان اخرج راسه مغضبا
لا لا يابى الله والمسلمون الا ابا بكر ثلاثا وفي اخرى انه فجر الاثنين
يوم موته كشف سجف حجرته فراهم في صلاة الصبح وابو بكر يصلي بهم
فتبسم وضحك فنكص ابو بكر على عقبيه ظنا انه يريد الخروج اليهم
وهم المسلمون ان يفتتنوا في صلاتهم فرحا به فاشار اليهم بيده ان

اتموا

اتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وارخى الستر فتوفي ضحا وفي البيت التلميح
الى هذه القصة قال العلما فيه اوضح دليل على انه افضل الصحابة
مطلقا واحقهم بالخلافة واولاهم بالامامة ومن ثم اجمعوا على ذلك
لان تقديمه بحضرة المهاجرين والانصار مع قوله يوم القوم اقراهم
لكتاب الله اي اعلمهم بالقران صريح في انه اعلمهم بالقران مطلقا وقد استدل
الصحابة انفسهم بهذا على انه احق بالخلافة منهم علي قال لقد امر
النبي صلى الله عليه وسلم ان يصلي بالناس واني لشاهد وما انا بغايب وما
بي مرض فرضينا لدنيانا ما رضيه النبي صلى الله عليه وسلم لديننا وما
احسن قول من قال صلى بالناس ثمانية ايام والوحي نزل فسكت
الله وسكت رسوله وسكت المسلمون ومن الظواهر والصرايح على خلافته
ايضا ما اخرجه مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال لعايشة في مرض موته
ادعي لي ابا بكر واخاك حتى اكتب كتابا فاني اخاف ان يتمنى متمن
او يقول قايل انا اولى ويابى الله والمومنون الا ابا بكر وفي رواية
اكتب لابي بكر كتابا لا يختلف عليه احد ثم قال دعيه معاذ الله ان
يختلف المومنون في ابي بكر وصح ان قوما سالوا انسانا ان يسال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من يدفعون اليه زكاتهم بعده فساله
فقال الى ابي بكر واخرج الشيخان ان امراة اتته صلى الله عليه
وسلم فامرها ان ترجع اليه فقالت ارايت ان جيتك ولم اجدك
كانها تقول بعد الموت فقال ان لم تجديني فاتي ابا بكر ومنها

174

ما اخرجه الشيخان من عدة طرق انه صلى الله عليه وسلم راى انه على بير لم
تطو ينزع منها بدلو فاخذ الدلو من يده ابو بكر فنزع بها دلوا او
دلوين ثم اخذها عمر من ابي بكر فاستحالت في يده غربا اي دلوا كبيرا ۝
فاستقى منها حتى اذن الناس بعطن اي حتى رووا قال العلما هذا
اشارة الى خلافة ابي بكر وقصر مدته وطول مدة عمر وكثرة الفتوح وظهور
الاسلام في زمنه وبقيت ادلة اخرى سمعية ايات واحاديث كثيرة تدل
على حقيقة خلافته وانه اعلمهم وافضلهم بينتها اتم بيان في
كتابي الصواعق السابق ذكره والمهدي اي المسكن للفتنة والاضطراب
في امر الخلافة يوم السقيفة التي لبني ساعدة من الانصار حين اجتمعوا
بعد دفنه صلى الله عليه وسلم فيها الى سعد بن عبادة سيد الخزرج ليولوه
لما اي حين ارجفت الناس اي اضطربوا في امر الخلافة وبين المهدي
ان المسكن وارجف والقربا والاباعد ويقرب ويبعد المطابقة
انه تعليل للمهدي ولا ينافيه كسران لانها مع كونها للاستيناف قد
تفيد التعليل ايضا كما صرحوا به في ان الحمد والنعمة لك في التلبية
الداء اي المسكن للاضطراب لا غيره وكان مراده انه المشهور
قديما وحديثا بانه يسكن الفتن ويجلي كربتها وفي الصحيحين عن عمر
انهم لما دفنوا النبي صلى الله عليه وسلم تخلف على والزبير ومن معهما في بيت
فاطمة وتخلفت الانصار باجمعها في سقيفة بني ساعدة واجتمع ۝
المهاجرون الى ابي بكر فقال له عمر انطلق بنا الى الانصار فذهبوا اليهم

كذا في الاصل

فلما



فلما جلسوا قام خطيبهم فخطب اثنى على الله ثم مدح الانصار واطنب
بحيث لم يترك اية او خبرا جا فيهم الا ذكره ثم ذكر ان قوما يريدون ان
يستبدوا بالامر عليهم ثم سكت فاراد عمر ان يخطب بما زوره اي جمعه
في قلبه فاشار اليه ابو بكر بالسكوت ثم خطب واثنى على الانصار ثم بين
ان الخلافة لا تكون الا في قريش واحتج بالحديث الصحيح الايمة من
قريش ثم قال قد رضيت لكم اما عمر او ابا عبيدة واخذ بيدهما وقال
بايعوا من شيتم منهما فقام الحباب بن المنذر وتحمس وترفع ثم قال منا
امير ومنكم امير فكثر اللغط وخيفت الفتنة فبادر عمر وقال لابي بكر
ابسط يدك فبسطها فبايعه فتبعه المهاجرون ثم الانصار فقال
قايل قتلتم سعد بن عبادة اي لانه كان به بعض مرض فقال عمر قتله
الله اي لان الاجتماع عنده ربما كان سببا للفتنة فساغ لعمر في
اجتهاده وانه بالنسبة اليه كالشيخ بالنسبة الى تلميذه يوديه
كما يراه ان يقول في حقه ذلك عما كان فيه وقالوا نعوذ بالله
ان نتقدم ابا بكر ولما بايعوه صعد وجلس الغد على المنبر فقام
عمر فتكلم قبله فحمد ثم اثنى على ابي بكر ثم قال قوموا فبايعوه فبايعه
الناس بيعة العامة فخطب ابو بكر ثم قال وليت عليكم ولست بخيركم
فان احسنت فاعينوني وان اسات فقوموني اطيعوني ما اطعت
الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ثم نظر
فلم ير الزبير فدعا به فجا فتكلم عليه فقال لا تثريب يا خليفة رسول الله

فبايعه فلم ير عليا فدعا به فتكلم عليه فقال لا تثريب يا خليفة رسول
الله فبايعه واستدل كل منهما على احقيته بالخلافة بانه صاحب
الغار وبتقديمه للامامة وحكى ابن مسعود وغيره ان الصحابة اجمعوا
على خلافة ابي بكر لم يتخلف عنه احد منهم ثم تبعهم من بعدهم من اهل
السنة والجماعة الى الآن ثم هلم وكذا اكثر الفرق واقسم عليك بابي بكر
الفاعل لذلك حال كونه كرم الله وجهه **انقذ** بالقاف ثم المعجمة **الدين**
وهو ما جاء به صلى الله عليه وسلم اي نجاه بازالة كل شبهة عنه واهله بازالة
الفساد بينهم **بعدما** مصدرية **كان** اي وجد **للدين** متعلق هو وما
بعده باسمه وهو اشفا **على كل كربة** اي غم باخذ النفس ويصح كونها ناقصة
وللدين خبرها **اشفا** اي اشراف وقرب يخشى منه ان لا يجتمع للاسلام بعده
شمل ابدا ومن ثم قال ابو هريرة رضي الله تعالى عنه والله لولا ابو بكر
ما عبد الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم ابدا فكلهم يوم وفاته صلى الله عليه
وسلم طاشت عقولهم حتى تكلموا بكلمات غير منتظمة الا ابا بكر فانه كان
غائبا فلما حضر دخل وكشف عن الوجه الكريم فقبله وقال لقد طبت
حيا وميتا لا يجمع الله عليك بين موتتين ثم خرج فتلا عليهم وما محمد
الا رسول قد خلت من قبله الرسل الى الشاكرين فلما سمعوها ردت
عليهم عقولهم فتلوها وقالوا حتى عمر فانه انكر موت النبي وقال ذهب
الى ربه فاسكته ابو بكر فسكت فاقبل على الناس فصغوا اليه وتركوا
عمر فقال ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن

كان

النبي الكريم

كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ثم تلا الآية فقالوا كانا لم نسمعها الا ح
فكان المثبت لهم ح والا لم يجتمع لهم شمل وايضا اختلفوا في محل دفنه
اختلافا شديدا كاد ان يفضي الى الفتنة فروى لهم الحديث ان كل نبي
يدفن في المحل الذي توفي فيه فرجعوا اليه وزال ما كان بينهم وايضا
اختلفوا في ارثه اختلافا شديدا حتى روى لهم الحديث المشهور
نحن معاشر الانبيا لا نورث ما تركنا صدقة فرجعوا اليه وبهذا علم
انه كان احفظهم للسنة وانما سبب قلة الرواية عنه قصر مدة خلافته
واشتغاله بقتال المرتدين ومانعي الزكاة ومسيلمة الكذاب وحال
كونه **انفق المال** الكثير الذي كان يملكه اي صرفه في مصارف الخير حتى نفد
جميعه **في** اي بسبب ومن اجل **رضاك** يا رسول الله كما جاء به القرآن
قال تعالى وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى الى آخر السورة
قال ابن الجوزي اجمعوا انها نزلت في ابي بكر ففيها التصريح بانفاقه
لماله وبانه الاتقى وهو الاكرم بدليل ان اكرمكم عند الله اتقاكم والاكرم
هو الافضل كما صرح به الحديث الصحيح ما صحب النبيين والمرسلين
اجمعين ولا صاحب يس اي المذكور في سورة يس اي حبيب النجار افضل
من ابي بكر وصح حديث انه ليس في الناس احد امن علي في نفسه وماله
من ابي بكر ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن
خلة الاسلام افضل سدوا عني كل خوخة في هذا المسجد الا خوخة ابي بكر
اي لانه سيصير خليفة يحتاج الى ملازمة المسجد واخرج الترمذي

١٧٦

حديث ما لاحد عند نا يد الا وقد كافاناه ما خلا ابي بكر فان له عندنا
يدا يكافيه الله بها يوم القيمة وما نفعني مال احد قط ما نفعني مال ابي
بكر والطبراني ما احد عندي اعظم يدا من ابي بكر واساني بنفسه وماله
وانكحني ابنته والترمذي رحم الله ابا بكر زوجني ابنته وحملني الى دار الهجرة
واعتق بلالا من ماله وما نفعني مال في الاسلام ما نفعني مال ابي بكر
ولا ينافيه حديث البخاري انه صلى الله عليه وسلم لم ياخذ منه الراحلة الى
الهجرة الا بالثمن لاحتمال انه ابراه منه وصح انه كان بينه وبين عمر شي
فساله ان يغفر له فابى فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فندم عمر فاتى
منزل ابي بكر فلم يجده فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل وجهه يتمعر حتى
اشفق ابو بكر فجثى على ركبتيه وقال يا رسول الله انا كنت اظلم منه
مرتين فقال ان الله بعثني اليكم فقلتم كذبت وقال ابو بكر صدقت
وواساني بنفسه وماله فهل انتم تاركوا لي صاحبي فما اوذي ابو بكر بعدها
وفي رواية في قضية نظير هذه الا تدعون لي صاحبي ما شانكم وشانه
فوالله ما منكم رجل الا على باب بيته ظلمة الا باب ابي بكر فان على بابه النور
ولقد كذبتم وقال ابو بكر صدق وامسكتم الاموال وجاد لي بماله يعجب
وواساني واتبعني واخرج احمد واخرون عن جماعة من الصحابة انه
صلى الله عليه وسلم قال ما نفعني مال قط ما نفعني مال ابي بكر فبكى
ابو بكر وقال هل انا ومالي الا لك يا رسول الله وفي رواية عن ابن
المسيب مرسلا وكان صلى الله عليه وسلم يقضي في مال ابي بكر كما يقضي في

مال

مال نفسه واخرج ابن عساكر انه اسلم وله اربعون الف دينار وفي
رواية اربعون الف درهم فانفقها على رسول الله صلى الله عليه وسلم والبغوي
وابن عساكر انه كان عند النبي صلى الله عليه وسلم وعليه عباءة قد خللها
في صدره بخلال فنزل عليه جبريل فقال يا محمد ما لي ارى ابا بكر عليه عباءة قد
خللها في صدره بخلال فقال يا جبريل انفق ماله علي قبل الفتح قال
فان الله يقرا عليه السلام ويقول له اراض انت عني في فقرك هذا
ام ساخط فقال ابو بكر اسخط على ربي انا عن ربي راض ثلاثا وسنده
غريب ضعيف جدا وفي رواية ان جبريل هبط متخللا بطنفسة
واخبر ان الله امر ملائكته ان يتخللوا بها كابي بكر قال الحافظ
ابن كثير وهذا منكر جدا ولولا انه كالذي قبله يتداوله كثير من الناس
لكان الاعراض عنهما اولى وصح عن عمر امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعراض
ان نتصدق فوافق ذلك مالا عندي فقلت اليوم اسبق ابا بكر عزمه
ان سبقته يوما فجئت بنصف مالي فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما ابقيت لاهلك قلت مثله فاتى ابو بكر بكل ما عنده
فقال يا ابا بكر ما ابقيت لاهلك فقال ابقيت لهم الله ورسوله ١٧٧
فقلت لا اسبقه الى شي ابدا والحال انه لا من منه عليك فيما انفقه
وان كثر وانما المنة لك عليه وعلى غيره كما اعترف بذلك هو وغيره
والمن ذكر النعمة على جهة الافتخار ومن ثم حرم بما غليظا على نحو
متصدق المن على المتصدق عليه بان يعدد عليه ما اعطاه له او يذكره

لمن لا تجب اطلاعه عليه قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى واعطى
لله عطاءً جمّا اى كثيرا فى وجوه الخير العامة والمصالح الدائمة منها اعطى تعالى ح
ثمن محل مسجد النبى صلى الله عليه وسلم كما جاء فى حديث الهجرة انه صلى الله عليه
وسلم لما وصل قبا واقام به بضعة عشر يوما ركب ناقته ونهى ان ياخذ احد
بزمامها وقال دعوها فانها مامورة فاستمرت الى ان بركت عند محل مسجده
صلى الله عليه وسلم ثم سارت وهو عليها حتى بركت على باب دار ابى ايوب
الانصاري من بنى النجار احد اخوال جد النبى صلى الله عليه وسلم عبد المطلب
وكانت دارهم اوسط دور الانصار وافضلها ثم قامت وبركت فى
مبركها الاول والقت باطن عنقها بالارض ثم صوتت من غير
ان تفتح فاها فنزل صلى الله عليه وسلم عنها وقال هذا المنزل ان
شاء الله تعالى ثم ساوم بنى النجار فى تلك البقعة فاشتراها منهم
بعشرة دنانير وزنها من مال ابى بكر وكان قد خرج بماله كله فكان
له من السبب فى ذلك المسجد الاعظم ما اقتضى وصول ثوابه الى حد
لا يقدر قدره واشترى ايضا جماعة اسلموا فعذبهم اهل مكة العذاب
الاليم منهم بلال واعتقهم ولا اكدى اى ولم يقطع اعطاه بل استمر
عليه لتوفاه الله تعالى وابى اى اقسم عليك بابى حفص الذى اظهر الله به حتى ح
الدين كما جاء فى سبب تسميته بالفاروق اخرج ابو نعيم فى الدلايل وابن عمر رضي الله تعالى عنه
عساكر عن ابن عباس انه سأله عن سبب تسميته بالفاروق فذكر ان
حمزة اسلم قبله بثلاثة ايام وانه خرج الى المسجد فسب ابو جهل النبى صلى

الله

الله عليه وسلم فاخبر حمزة فاخذ قوسه وجاء فضرب بها احد جذعى ابى جهل
فقطعه فسالت الدما فاصلحت بينهما قريش مخافة الشر والنبى صلى الله عليه
وسلم مختف بدار الارقم فانطلق حمزة فاسلم وبعده بثلاثة ايام انكر
عمر على من اسلم فقال له ان اختك وختنك اى سعيد بن زيد احد العشرة
المبشرين بالجنة قد اسلما فجا فضرب راس اخته وادماه فقالت له كان
ذلك على رغم انفك فاستحيا حين راى الدما وجلس وسالها ان تريه
الكتاب فقال لا يمسه الا المطهرون فاغتسل فاخرجوا اليه صحيفة
فيها بسم الله الرحمن الرحيم طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى الايات
فعظمت فى صدره فقال خباب وكان النبى صلى الله عليه وسلم ارسله
لتعليم اخته وزوجها انى لارجو ان يكون الله قد خصك بدعوة نبيه
فانى سمعته امس يقول اللهم اعز الاسلام بعمرو بن هشام اى ابى جهل
او بعمر بن الخطاب فقال دلنى عليه فتوشح سيفه وذهب الى النبى صلى
الله عليه وسلم فضرب الباب فاستجمع القوم فقال لهم حمزة ما لكم قالوا ١٧٨
عمر قال دعو عمر افتحوا الباب فان اقبل قبلناه وان ادبر قتلناه فسمع ذلك
النبى صلى الله عليه وسلم فخرج فتشهد عمر فكبر اهل الدار تكبيرة سمعها
اهل المسجد فقلت يا رسول الله السنا على الحق قال بلى قلت ففيم الاخفاء
فخرجنا صفين انا فى احدهما وحمزة فى الاخر حتى دخل المسجد فنظرت قريش الي
والى حمزة فاصابتهم كآبة شديدة فسمانى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاروق يومئذ
وفرق الله بين الحق والباطل وفى رواية انه لما ظهر اسلامه صاروا

يضربونه ويضربهم حتى اجاره خاله قال فما زلت اضرب واضرب حتى
اعز الله الاسلام وصح انه لما اسلم نزل جبريل فقال يا محمد قد استبشروا
اهل السما باسلام عمر وان المشركين قالوا قد انتصف القوم اليوم منا
وانزل يا ايها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وان ابن مسعود
قال ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر وقال ايضا كان اسلامه فتحا وهجرته
نصرا وامامته رحمة ولقد رايتنا وما نستطيع ان نصلى الى البيت
حتى اسلم فقاتلهم حتى تركونا وسبيلنا وان حذيفة قال لما اسلم
كان الاسلام كالرجل المقبل لا يزداد الا قوة فلما قتل كان الاسلام
كالرجل المدبر لا يزداد الا ضعفا فبسبب قوته فى الله وشدة شكيمته
كما علم مما تقرر ارعوى اى رجع واقلع وانكف الركبا اى الاعدا عما
كانوا عليه من الافساد فى الدين وعدم النصح له وعدم ايذا النبى
صلى الله عليه وسلم واصحابه بالامور العظيمة التى كانوا يفعلونها معهم
وهو ايضا الامام العدل القوى فى الله الذى ينطق على لسانه وقلبه ركبه
فلذلك تقرب الاباعد عنه فى النسب فى اى بسبب او لاجل رضى الله
اليه متعلق بتقرب فيكونون بذلك اولى عنده من اقاربه الذين
ليسوا كذلك كما قال آتيا فى هذا البيت من انواع البديع بالعكس
نحو لا هن حل لهم الاية وبالاكتفا وهو حذف شى دل عليه ما قبله
كما قدرته ورد العجز على الصدر وبالارصاد وهو ان يتقدم
على الروى ما يشعر به نحو وما ظلمناهم الاية وتبعد عنه القربا اى

يخط

قرباؤه

١٧٤

قرباؤه اذا لم يوافقوه على طاعة الله تعالى فعلم انه لا يحابى قريبا ولا
صديقا وانه لا رايا عنده ولا سمعة ولا حمية ولا عصبية وان
محط نظره انما هو الله تعالى لا غير فطاعة ربه هى المقربة منه وضدها
هو المبعد منه عمر بن الخطاب من موصولة قوله الفصل اى الفاصل
بين الحق والباطل ومن حكمه السوى اى الذى لا اعوجاج فيه السوا
تاكيد اى المعتدل وهذا اولى من جعل الشارح السوى صفة حكم والسوا
خبره لاقتضائه تغايرهما وليس كذلك فر اى هرب منه الشيطان اى
ابليس وكل عات متمرد اذ اى لاجل انه كان فاروقا ظاهره ان سبب تلقيبه
بالفاروق كون الشيطان فر منه وليس مرادا لما مر ان سببه ان الله
فرق به بين الحق والباطل كما صحت به الاحاديث فبسبب ما منحه
من النور الذى يفرق به بين الحق والباطل ويفر الشيطان منه بسببه
للنار التى هى اصل الشيطان من سناه بالقصر اى ضوئه انبرا اى
انمحا والاصل فى ذلك احاديث صحيحة منها حديث يا ابن الخطاب
والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا الا سلك غير
فجك وحديث ان الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه وانه ما
نزل بالناس امر قط فقالوا وقال الا نزل القران على نحو ما قال
وحديث لو كان بعدى نبى لكان عمر بن الخطاب وحديث ان الله وضع
الحق على لسان عمر يقول به وحديث ان الشيطان لا يفرق منك يا عمر وفى
رواية انى لانظر الى شياطين الجن والانس قد فروا من عمر وفى اخرى اتانى

جبريل فقال اقرا عمر السلام وقل له ان رضاه حكم وان غضبه عز وفى اخرى
الحق بعدى مع عمر حيث كان وفى اخرى ان الشيطان لم يلق عمر منذ اسلم
الا خر لوجهه وفى اخرى الصدق بعدى مع عمر حيث كان وفى اخرى
عمر معى وانا مع عمر والحق بعدى مع عمر حيث كان وصح حديث ما طلعت
الشمس على خير من عمر وروى احمد وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال له يا اخى
اشركنا فى صالح دعائك ولا تنسنا والشيخان انه صلى الله عليه وسلم
قال بينا انا نائم شربت لبنا حتى انظر الى الرى يجرى فى اظفارى
فناولته عمر قالوا فما اولته يا رسول الله قال العلم وانه راه وعليه
قميص يجره قالوا فما اولته يا رسول الله قال الدين وصح انه من الملهمين
الذين ينطق الحق على لسانهم وابن واقسم عليك بذى النور بن ابى عمر
وعثمان ابن عفان ذى اى صاحب الايادى اى النعم وهذا فى اليد
بمعنى الجارحة جمع ايدى جمع يد فاتى به الناظم فى اليد بمعنى النعمة
ايضا التى طال اعظم وامتد الى المصطفى على الخلق كلهم اى المختار
فهو من الاصطفا وقيل المطفى المنتقى من كل شين وكدر فهو من
التصفية لها متعلق بقوله الاسدا اى الاعطا حفر البئر اى بئر رومه وذلك
انها كانت ليهودى فى الاشهر فقدم صلى الله عليه وسلم من حفر بئر رومة
او من اشتراها فله الجنة فاشتراها عثمان بعشرين الف درهم وحفرها
وهى موجودة الى الآن وثوابها مستمر له الى قيام الساعة وفى رواية
ان عثمان لما سمع قوله صلى الله عليه وسلم فيها انها نعم البير اشترى نصفها

المصطفى

بمائة

بمائة بكرة وتصدق بها واقتسماها يوما لهذا ويوما لهذا فجعل
الناس يستقون منها فى يوم عثمان ليومين فلما راى صاحبها ان
قد امتنع منه ما كان يصيبه من ثمن الماء الذى يبيعه منها باع من
عثمان النصف الثانى بشئ يسير فتصدق عثمان بها كلها تنبيه
تعبير الناظم بالحفر تبع فيه بعض الرواة وكانه لم يبال بقول ذكر
الحفر وهم من بعض الرواة وكانه لم يبال انما المعروف انه اشتراها
ويجاب بانه لا مانع انه اشتراها ثم زاد فى تعميقها مبالغة فى تكثير مايها
لعموم احتياج الناس اليها ثم رايت بعض المتاخرين صرح بنحو ذلك
وفى رواية ان القربة منها كانت تباع بمد وانه صلى الله عليه وسلم
طلب من صاحبها ان يبيعها له فاعتل بان له عيالا ولا وليس له غيرها
فبلغ عثمان فاشتراها بخمسة وثلاثين الف درهم جهز الجيش اى جيش
العسرة فى غزوة تبوك اخرج الترمذى انه صلى الله عليه وسلم حث على
جيش العسرة فقال عثمان يا رسول الله على مائة بعير باحلاسها
واقتابها فى سبيل الله ثم حض على الجيش فقال عثمان يا رسول الله على
مائتا بعير باحلاسها واقتابها فى سبيل الله ثم حض صلى الله عليه وسلم فقال
عثمان يا رسول الله على ثلاثمائة بعير باحلاسها واقتابها فى سبيل
الله فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول ما على عثمان ما فعل بعد
هذه وفى رواية حمل عثمان فى جيش العسرة على الف بعير وسبعين فرسا
وصح انه جاء النبى صلى الله عليه وسلم بالف دينار حتى جهز جيش العسرة فنثرها

فی حجره فجعلها يقلبها بيده ويقول ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم ما ضر
عثمان ما فعل بعد اليوم وفی رواية انه بعث بعشرة الاف دينار
فصبت بين يديه صلى الله عليه وسلم فجعل يقلبها ويقول غفر الله لك يا عثمان
ما اسررت وما اعلنت وما هو كاين الى يوم القيمة ما يبالی بما عمل بعدها
وصح انه لما حوصر اشرف عليهم فقال انشدكم بالله ولا انشد الا اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الستم تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزتهم الستم تعلمون ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من حفر بير رومة فله الجنة فصدقوه بما قال
وصح عن ابی هريرة اشترى عثمان الجنة من النبی صلى الله عليه وسلم مرتين
حين حفر بير رومة وجهز جيش العسرة وصح انه استشهد اقواما
من الصحابة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يشتری هذا المربد
ويزيده فی مسجدنا فله الجنة واجره فی الدنيا ما بقی درجات له
فاشتريته بعشرين الف فزدته فی المسجد فشهدوا له فقال الخوارج
صدقوا ولكن غيرت ثم ذكر تجهيز الجيش وحفر البير فصدقوه فقال
الخوارج عليه صدقوا ولكنك غيرت فقال ويلكم كيف يكون من هذا
له معنى ايضا ذكر انهم سيقولون ذلك فی غيره فكان كذلك فی علی خرجوا
عليه فاستشهد الصحابة على خصوصياته فشهدوا له فقالوا
صدقوا لكنك غيرت وفی رواية ان محمد ابن ابی بكر لما دخل على عثمان
وكان مع الخارجين عليه استشهده ان النبی صلى الله عليه وسلم زوجه

ابنته

ابنتيه وقال لو كان عندنا ثالثة زوجناه وانه بايع عنه فی بيعة الرضوان
وانه قال من يشتری هذا النخل فيقيم قبلة المسجد وله مثله فی
الجنة فاشتراه عثمان وان المسلمين اشتد جوعهم فبسط لهم على انطاع
الحواری بالسمن والعسل فكان اول خبيص الحلوى فی الاسلام وانهم
ظمأوا فحفر لهم بير رومة فاعظم عليها النفقة ثم تصدق بها على
المسلمين الضعيف فيها والقوی سواء وان الميرة انقطعت عن المدينة
فجاع الناس فاشترى خمسة عشر راحلة فاخذ ثلاثة واعطى النبی صلى
الله عليه وسلم ثنتی عشر فدعا له بالبركة فيما اعطى وما امسك وانه اتى
النبی صلى الله عليه وسلم بالف اصفر فصبها فی حجره فقال ما ضر عثمان ما
يفعل بعد اليوم وانه كان مع النبی صلى الله عليه وسلم وابی بكر
وعمر وعلی وطلحة والزبير بحرا فرجف بهم فضربه بقدمه وقال اثبت
حرا فما عليك نبی او صديق او شهيد كل ذلك مجد يقول نعم تنبيه
قال ابن ما لك من احسن شواهد قول الكوفيين والاخفش ان او ترد
بمعنى الواو وهذا الاخير هدى الهدى الى مكة وارسله اليها عام
الحديبية حين توجه صلى الله عليه وسلم اليها ومعه الف واربعماية ذا
القعدة سنة ست يريد العمرة فمنعته قريش دخول الحرم لما ای حين
ان صده عن الدخول الاعداء ای المشركون وكان وجه تخصيصه
بذلك ان هديه وصل لمكة بخلاف هدی غيره لكن انما ذلك لعزة
قومه يهادون غيره ففی الخصوصية ح تامل بل قضية ادبه الاتی

الحديث صح

١٦٦

من تركه الطواف ترك ارساله حيث لم يرسله صلى الله عليه وسلم وتجاب
باحتمال انه اخر هديه لغيبته حتى حضر بعد ذبحهم لهديهم في هو
لم يرسله الا وقد ايسوا من ارسال هديهم فلا مخالفة فيه للادب
وتفسيري لما هذه بحين ماذهب اليه جماعة وقال ابن مالك انها
بمعنى اذ لانها مختصة بالماضي وبالاضافة الى الجملة وهي تقتضي جملتين
وجدت الثانية عن وجود الاولى ولذا يقال فيها حرف وجود لوجود
وجوابها اما ماض او جملة اسمية مقرونة بالفا او باذا الفجائية
ويجادلنا في فلما ذهب عن ابراهيم الروع الاية موول بجادلنا خلافا
لابن عصفور وقد ترد للاستثنا نحو كل نفس لما عليها حافظ وفي
هذا كالسوى والسوا وبعد والاباعد ويقرب والقربا وادب
والاد باجناس الاشتقاق او شبهه ورأى رضي الله تعالى عنه لما ارسله
النبي صلى الله عليه وسلم الى اهل مكة ومعه الكتاب الذي فيه ما وقع بين
النبي صلى الله عليه وسلم وسهيل بن عمرو المرسل اليه من اهل مكة ليقع
الصلح بينهم على انه يرجع في هذه السنة ولا يدخل مكة لئلا يقول
الناس انه دخلها كرها على اهلها ثم يعود اليها معتمرا السنة القابلة
ويدخلها والاسلحة في غلفها ليكون ذلك علامة على الصلح فكان بذلك
سببا وعلى وضع الحرب بينهم عشر سنين ثم نقضوا الصلح فكان ذلك
سببا لفتح مكة في السنة الثامنة ولما ارسله امسك سهيل ابن
عمرو عنده بدله وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال له اذهب

او ان الجواب محذوف اي اقبل يجادلنا كما في المغني

فاستاذن

فاستاذن لنا يخلوا بيننا وبين الكعبة فقال يا رسول الله ليس هناك
احد من بني عمي يمنعني ولكن ارسل عثمان فان بني عمه يمنعونه فارسله
ليكلم اشراف قريش في ان يرجعوا عن صده عن دخول مكة وان يمكنوه
من دخولها لاداء ما جاء بقصده من الاعتمار وتعظيم البيت بالبدن
والهدي دون القتال فكلمهم فلم يمتثلوا وعلى كل من القولين احتبسوه
عندهم وقالوا له ان شئت ان تطوف بالبيت فطف اي امتنع حينئذ
ان يطوف بالبيت اذ تعليلية لم يدن اي يقرب منه اي البيت الى
النبي متعلق بيدن فنا وهو ما امتد من جوانبه ولما احتبسوه بلغ
النبي صلى الله عليه وسلم ان عثمان قتل فدعا الناس الى بيعة الرضوان
تحت الشجرة على الموت وقيل على ان لا يفروا ذكره الحافظ مغلطاي
ولما بايعه الناس على ذلك وضع يمينه على شماله وقال هذه عن عثمان
وفي البخاري فقال النبي صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى هذه بيعة
عثمان فضرب بها على يده اليسرى الحديث وفي رواية للترمذي
ان عثمان في حاجة الله ورسوله فضرب باحدى يديه على الاخرى حاجته
فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيرا من ايديهم لانفسهم
ولما سمع المشركون بهذه البيعة خافوا وارسلوا عثمان وجماعة من
المسلمين وفي هذه البيعة نزل قوله تعالى ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم وقوله تعالى لقد رضي الله
عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فبسبب ما وقع من

١٨٢

امتثاله امر النبي صلى الله عليه وسلم وردها به الى العدو ولم يبال باحتمال
كونهم يقتلونه لشدة ما كانوا عليه من عداوتهم للمسلمين لا سيما الاكابر
كعثمان ومن تادبه مع النبي صلى الله عليه وسلم الادب البالغ بتركه
الطواف مع اذنهم له فيه **جزته عنها** اى تلك الفعلة التى فعلها من
الذهاب اليهم والامتناع من الطواف **ببيعة** اى في بيعة **رضوان**
سميت بذلك لما فى الاية الثانية من رضى الله عنهم بسببها **بيد من**
نبيه اى عثمان **بيضاء** اى بالغة فى الكرم الذى عم الانام سيبها الى مبلغ
ضوء الشمس وعمومه للعالم ولم لا تجازيه تلك اليد البيضا بذلك
والذى وقع منه من الامتناع من الطواف لاجل غيبة النبي صلى الله عليه
وسلم وعدم تمكينهم له من الدخول **ادب** عظيم جدا **عنده** رضى الله تعالى عنه
ومن عجيب هذا الادب انه حصل فيه امر عظيم وفضل مستغرب جسيم وذلك
انه مع كونه تركا للفعل للعبادة **فضاعفت الاعمال** التى فى ذلك العمل لاجله
صلى الله عليه وسلم فكان الترك هنا افضل من الفعل لو وقع منه لانه ليس
فيه هذا الادب الذى بلغ به عثمان من السبق ما لم يبلغه غيره فلذا
احق ان يقال فيه ونحو امثاله على سبيل المدح **حبذا الادب** فهو تتميم
بديع وعثمان من اجل الادب لانه كان عنده من الحيا الذى هو
منشا الادب ما لم يكن عند غيره وهو من اجلهم كيف وقد صح انه
صلى الله عليه وسلم قال فى حقه وقد استحيا صلى الله عليه وسلم منه لما دخل
عليه فجمع ثيابه الا استحيى من رجل تستحى منه الملائكة وروى من

غير

غير طريق اشد امتى حيا عثمان بن عفان عثمان احيى منى واكرمها
عثمان حيى ستير تستحى منه الملائكة ان الملائكة لتستحى من عثمان كما
يستحى من الله ورسوله انما نشبه عثمان بابينا ابراهيم عثمان ولى
فى الدنيا وولى فى الاخرة لو ان لى اربعين ابنة زوجتك واحدة
بعد واحدة حتى لا يبقى منهن واحدة وما زوجته الا بالوحى من
الله وصح انه صلى الله عليه وسلم ذكر فتنة يقربها فمر عثمان فقال
هذا يومئذ على الهدى وانه قال له ان الله مقمصك قميصا اى موليك
الخلافة فان ارادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقانى
فلذلك قال لهم يوم الدار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى
عهدا وانا صابر عليه وفى البخارى ان بعض اعدائه جا الى ابن عمر
ورماه بانه فر يوم احد وانه تغيب عن بدر وعن بيعة الرضوان
فرد عليه ابن عمر بان الله غفر له وعفا عنه ما وقع منه يوم احد وبان
تغيبه عن بدر انما كان باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لتمرض
بنته رقية وقال له ان لك اجر من شهد بدرا وسهمه وبان
غيبته عن بيعة الرضوان انما هو لكونه اعز اهل مكة فارسله فى
حاجته فكانت بيعة الرضوان فضرب صلى الله عليه وسلم احدى يديه
على الاخرى فقال هذه لعثمان قال العلما ولا يعرف احد
تزوج بنتى نبى غيره ولهذا اسمى ذا النورين وقال وهو محصور
براد قتله انه اختبى عند ربه عشرا انى رابع اربعة فى الاسلام

١٨٣

وانكحه صلى الله عليه وسلم ابنتيه ولا تغنى ولا تمنى ولا وضع يمينه
على فرجه منذ بايع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما مرت به جمعة منذ
اسلم الا واعتق فيها رقبة اى فجملة ما اعتقه الفان واربعماية رقبة
تقريبا ولا زنى ولا سرق جاهلية واسلاما وجمع القران على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعليا اى واقسم عليك بعلى وسبق منه الاقسام به ايضا
وانما لم يكتف به لان ذاك وقع للمعجزة المقصودة بالذات وهى برء عينيه
بتفله صلى الله عليه وسلم فيهما وليبين ما هو مذهب اهل السنة والاكثر
الفرق من ان الخلافة والافضلية بينهم على هذا الترتيب فاحق بالخلافة
وافضلهم ابو بكر ثم عمر وهذا اجماع من الصحابة ومن بعدهم كما حكاه
جماعة من الايمة منهم الشافعى رضى الله تعالى عنه قطعى لا نزاع فيه يعتد به
ثم عثمان ثم على وهذا ما عليه الاكثرون فهو ظنى لا قطعى وخالف
فيه سفيان الثورى ومالك وغيرهما فقالوا بافضلية على وان
كان عثمان احق منه بالخلافة لاجماع اهل الشورى ثم الصحابة على
خلافته مع الاشارة اليها من النبى صلى الله عليه وسلم كما سبقت الاشارة
الى ذلك ومما يصرح بافضلية على ما صح عن ابن عمر كنا نخير بين الناس
فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فنخير ابا بكر ثم عمر ثم عثمان وعن ابى هريرة
كنا معاشر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن متوافرون
نقول افضل هذه الامة بعد نبيها ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم نسكت وهل
تجب محبتهم برعاية افضليتهم فيه تفصيل وهو انها ان كانت من حيث

الدين

كذا فى الاصل

الصحابة

الدين والعلم ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجب ترتيبها كترتيبهم المذكور
وان كانت لنحو قرابة واحسان لم تجب رعايتها كذلك صنو النبى صلى
الله عليه وسلم اى مثله من حيث اجتماعهما فى اصل واحد وهو عبد المطلب
فهما كنخلتين اصلهما واحد وفى حديث الترمذى كما ان عم الرجل صنو
ابيه وهو من هذا القبيل ومن اى الذى دين اعتقادى فؤادى اى
قلبى وداده اى حبه والولا اى مناصرته والذب عنه والرد على
من نازع فى خلافته ولم يبال بوقوع الاجماع عليها وعلى من خرجوا عليه
ونازعوه الامر ورموه بما هو مبرء منه وذلك عملا بما صح عنه صلى
الله عليه وسلم وهو اللهم وال من والاه وعاد من عاداه اللهم ان عليا
منى وانا منه وهو ولى كل مؤمن بعدى ولتاكد الذب عنه لكثرة اعدايه
من بنى امية والخوارج الذين بالغوا فى سبه وتنقيصه حتى على المنابر
خصه الناظم بذلك ولهذا اشتغل جهابذة الحفاظ ببث فضايله نصحا
للامة ونصرة للحق ومن ثم قال احمد ما جا لاحد من الفضايل ما
جا لعلى وقال اسماعيل القاضى والنساى وابو على النيسابورى
لم يرد فى حق احد من الصحابة بالاسانيد الحسان اكثر ما ورد فى حق
على فمن ذلك ما صح ان الله يحبه بل روى الترمذى انه كان احب الناس الى
النبى صلى الله عليه وسلم والظاهر ان المراد بالناس بنو هاشم حتى لا ينافى
ما مر ان ابا بكر احب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وان اية المباهلة
لما نزلت دعا صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وابنيهما وقال اللهم هولاء اهلى

٢١٤

وَانا قال انا سيد ولد ادم وعلى سيد العرب لكن اعترض تصحيح الحاكم
لهذا وانه قال من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد
من عاداه رواه ثلاثون صحابيا وان الله امرني بحب اربعة واخبرني انه
يحبهم منهم على وانه لا يحبه الا مؤمن ولا يبغضه الا منافق وان من سبه
فقد سب النبي صلى الله عليه وسلم وانه يقاتل على القران كما قاتل صلى الله
عليه وسلم على تنزيله وانه يهلك فيه اثنان محب مفرط ومبغض بهته وان
قاتله الملعون ابن ملجم اشقى الاخرين كما ان عاقر الناقة اشقى الاولين ○
ووزير ابن عمه النبي صلى الله عليه وسلم اي ناصره وحامل ثقل نائبه صلى الله
عليه وسلم ونائب عنه في المعالي الدينية والدنيوية جمع العلا وهو
الرفعة والشرف واصل هذا الحديث الصحيح انه لما خلفه على المدينة
في غزوة تبوك قال يا رسول الله خلفتني مع النسا والصبيان فقال
اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي وتقدم
الكلام عليه في شرح اوديتها الزهرا وقال صلى الله عليه وسلم فيما اخرجه
احمد والترمذي والنساي وابن ماجة على مني وانا منه ولا يودي
عني الا على والترمذي انت اخي في الدنيا والاخرة والخطيب على مني
منزلة راسي من بدني وابن عدي على يعسوب المومنين والمال
يعسوب المنافقين والبزار على يقضي ديني والنساي والحاكم ان كل نبي
اعطى سبعة نجبا واعطيت انا اربعة عشر على والحسن والحسين
وجعفر وحمزة وابو بكر وعمر الحديث واحمد انت اخي وابو ولدي تقاتل

على سنتي الحديث قال ابن عباس نزلت في على ثلاثماية اية وليست الوزارة
خاصة به رضي الله تعالى عنه فقد اخرج الترمذي حديث ما من نبي الا
وله وزيران من اهل السما ووزيران من اهل الارض فاما وزيراي من
اهل السما فجبريل وميكايل واما وزيراي من اهل الارض فابو بكر وعمر
وصح حديث هذان السمع والبصر وفي رواية انهما مني بمنزلة السمع
والبصر من الراس واخرج الطبراني وابو نعيم ان الله امدني باربعة
وزرا اثنين من اهل السما جبريل وميكايل واثنين من اهل الارض ابو بكر
وعمر وابن عساكر ان لكل نبي وزيرين ووزيراي وصاحباي ابو بكر وعمر بل
قد يستشكل ذكر الوزارة فيه دونهما مع انها لم ترد فيه لفظا وصحت
فيهما وقد يجاب بانها وردت فيه بمعناها على وجه ابلغ من لفظها وهو
قوله انت مني بمنزلة هارون من موسى فان هذه الوزارة المستفادة
من هذا التي هي كوزارة هارون اخص من مطلق الوزارة الواردة
فيهما ومن ثم اخذ منها الشيعة انها تفيد النص على انه الخليفة بعده
وهو كذلك لولا ما ياتي قريبا المبطل لذلك الاستنباط ومما يويد هذه
الوزارة الخاصة كونه صلى الله عليه وسلم اخاه دون غيره وارسله
مؤذنا على الناس ببراة في الموسم مع ان الخليفة على الحج ابو بكر
لان العرب لا يقبلون من يبلغ عن الكبير الا ان كان من اهله وجلدته
وانه استخلفه بمكة عند الهجرة حتى ادى ودايعه وقضى ما عليه
واتاه باهله فهذه كلها موذنة بوزارة خاصة لم توجد في غيره

الوزرا

فلذا ذكرها فيه فقط على انه وصفهما بما هو اعظم منها واجل ومن الاهل
لسعد الوزرا تذييل مناسب لما قبله وفيه رد العجز على الصدر ومن
تلك السعادة ما امده صلى الله عليه وسلم به من المواخاة فقد اخرج
الترمذي آخى صلى الله عليه وسلم بعد من المواخاة بين اصحابه فجا علي تدمع
عيناه فقال يا رسول الله اخيت بين اصحابك ولم تواخ بيني وبين احد
فقال صلى الله عليه وسلم انت اخي في الدنيا والاخرة ومن العلوم التي
اشار اليها بقوله انا مدينة العلم وعلي بابها وفي رواية فمن اراد العلم
فليات الباب وفي اخرى عند الترمذي انا دار الحكمة وعلي بابها وفي
اخرى عند ابن عدي علي باب علمي واختلفوا في حكم هذا الحديث فجماعة
منهم النووي على انه موضوع والحاكم صحح وصوب بعض الحفاظ
المطلعين انه حديث حسن وصح انه صلى الله عليه وسلم ارسله الى اليمن
ليقضي بينهم فقال لا ادري ما القضا فضرب صدره بيده ثم
قال اللهم اهد قلبه وثبت لسانه قال علي فوالذي فلق الحبة
ما شككت في قضا بين اثنين وقيل له ما لك اكثر الصحابة حديثا
فقال اني كنت اذا سالت انبائي واذا سكت ابتداني وكان عمر
يتعوذ من معضلة ليس فيها ابو الحسن يعني عليا ولم يكن احد من
الصحابة يقول سلوني الا علي وذكر عند عايشة فقالت انه اعلم
من بقي بالسنة وقال مسروق انتهى علم الصحابة الى عمر وعلي وابن
مسعود وقال والله ما نزلت اية الا وقد علمت فيم نزلت واين

نزلت

نزلت وعلى من نزلت ان ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا ناطقا وقال
سلوني عن كتاب الله فانه ليس من اية الا وقد عرفت بليل نزلت ام بنهار
ام في سهل ام بجبل ولاجل هذه العلوم الكثيرة التي افيضت عليه من تلك
الحضرة النبوية لم يزده كشف الغطا يقينا كما اخبر بذلك عن نفسه
بقوله لو كشف الغطا ما ازددت يقينا اي لانه حصل عنده من
البراهين القطعية على حقيقة التوحيد ومتعلقاته والايمان
وصدق الرسل فيما جاوا به ما لا يزيد اليقين فيه روية ذلك
2 عيانا واحترز بنفي زيادة اليقين نفيه عن زيادة ثمراته فانا قلا
لا يشك ان عين اليقين اقوى من علم اليقين ودليله اولم تومن
قال بلى ولكن ليطمين قلبي فاثبت لنفسه حقيقة الايمان ويقينه
وطلب زيادة الطمانينة برؤية العيان فلا منافاة فيه لما
قاله علي كرم الله وجهه خلافا لمن وهم فيه بل للانتقال هو اي علي
في فضله وعلمه وزهده وتقدمه على من عدا الخلفا الثلاثة قبله
وحقية خلافته وقيامه فيها بما قام به من قبله وزيادة الشمس
اي مثلها في الظهور والاضاءة التي لا يلتفت فيها الى تقول متقول
ولا عناد معاند كيف وهو مع ذلك ما عليه غطا اي ساتر بل هو ظاهر
لكل احد وقد اخرج الطبراني عن ابن عباس قال كانت لعلي
ثمانية عشر منقبة ما كانت لاحد من هذه الامة وابو يعلى عن
عمر اعطي ثلاث خصال لان تكون لي خصلة منها احب الي من ان

وان حق اليقين اقوى من عين اليقين صح

اعطي حمر النعم تزويجه ابنته وسكناه المسجد واعطاه الراية يوم خيبر
وصح عن ابن عمر نحو ذلك واخرج الطبراني والخطيب حديث ان
الله تعالى جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب علي بن ابي
طالب وما احسن قول حكيم له لما دخل الكوفة والله يا امير المومنين
لقد زينت الخلافة وما زينتك ورفعتها وما رفعتك وهي احوج
اليك منك اليها وقول احمد وقد ساله ولده عن علي ومعاوية
اعلم ان عليا كثير الاعدا ففتش له اعداوه شيا فلم يجدوا فجاوا الى
رجل قد حاربه وقاتله فاطروه كيادا منهم له وصح خلافا لمن نازع
فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم نام في حجره وهو يوحى اليه فغربت الشمس
ولم يصل العصر فلما سري عنه صلى الله عليه وسلم وعلم انه لم يصل دعا
الله ان يرد الشمس فعادت حتى ظهر ضوها على الحيطان فصلى ثم غابت وفي
هذا كرامة باهرة ولعل الناظم اشار اليها بتشبيههم بالشمس
تنبيه مما يدل على ان الله سبحانه وتعالى اختص عليا من بيان رتبة حديث انا مدينة العلم
العلوم بما تقصر عنه العبارات قوله صلى الله عليه وسلم اقضاكم علي
وهو حديث صحيح لا نزاع فيه وقوله انا دار الحكمة وفي رواية
مدينة العلم وعلي بابها قد كثر اختلاف الحفاظ وتناقضهم فيه
بما يطول بسطه وملخصه ان لهم فيه اربعة ارا صحيح وهو ما
ذهب اليه الحاكم ويوافقه قول الحافظ العلاي وقد ذكر له طرقا
وبين عدالة رجالها ولم يات احد ممن تكلم في هذا الحديث بجواب

عن

١٠

١٨٧

عن هذه الروايات الصحيحة عن يحيى ابن معين وبين رد ما طعن به في بعض
رواته كشريك القاضي بان مسلما احتج به وكفاه بذلك فخرا له واعتمادا
عليه وقد قال النووي في حديث رواه في البسملة ردا على من طعن
فيه يكفينا ان نحتج بما احتج به مسلم ولقد قال بعض معاصريه ما
رايت احدا قط اورع منه في علمه حسن وهو التحقيق ويوافقه
قول شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر رجاله رجال الصحيح الا عبد السلام
الهروي فانه ضعيف عندهم انتهى وسبقه الى اخر كلامه الحافظ العلاي
فقال عن الهروي هذا تكلموا فيه كثيرا انتهى ويعارض ذلك تصويب
ابي زرعة على حديثه ونقل الحاكم عن يحيى بن معين انه وثقه فثبت
انه حسن مقارب الصحيح لما علمت من قول ابن حجر ان رواته كلهم
رواة الصحيح الا الهروي وان الهروي وثقه جماعة وضعفه
اخرون ضعيف اي بنا على راي من ضعف الهروي موضوع
وعليه كثيرون ايمة حفاظ كالقزويني وابن الجوزي وجزم ببطلان
جميع طرقه والذهبي في ميزانه وغيره وهولا وان كانوا ايمة اجلا
لكنهم تساهلوا تساهلا كثيرا كما علم مما قررته وكيف ساغ الحكم
بالوضع مع ما تقرر ان رجاله كلهم رجال الصحيح الا واحدا المختلف
فيه ويجب تاويل كلام القايلين بالوضع بان ذلك لبعض طرقه
لا كلها وما احسن قول بعض الحفاظ في ابي معاوية احد رواته المتكلم
فيهم بما لم يسمع هو ثقة مامون من كبار المشايخ وحفاظهم وقد

١٠

تفرد به عن الاعمش فكان شاذا واى استحالة فى انه صلى الله عليه وسلم يقول
مثل هذا فى حق على وقول بعض المحققين تمسك الشيعة بهذا الحديث
على ان اخذ العلم والحكمة مختص بعلى لا يتجاوزه الى غيره الا بواسطته لان
الدار انما يدخل اليها من بابها ولا حجة لهم فيه اذ ليس دار الجنة باوسع
من دار الحكمة ولها ثمانية ابواب انتهى وحديث عند الواحدى لكنه
ضعيف وعلى بابها وابو بكر محرابها الحديث واحتج بعض من لا تحقيق
عنده على الشيعة بان على اسم فاعل من العلو اى عال بابها فلا ينال
لكل احد وهو بالسفسافه اشبه لا سيما وفى رواية رواها ابن عبد البر
فى استيعابه انا مدينة العلم وعلى بابها فمن اراد العلم فليأته من بابه
اذ مع تحديق النظر فى هذه الرواية لا يبقى تردد فى بطلان ذلك الراى
فاستفده هذا وعلم مما قدمته انه الحقيق بالخلافة بعد الائمة
الثلاثة بالاجماع ولا التفات الى من زعم انه لا اجماع على
خلافته وهو اول من اسلم قال بعض الحفاظ اجماعا اى من الصبيان
واعتد باسلامه لان الاحكام اذ ذاك كانت منوطة بالتمييز ولم
يعبد وثنا قط ومن ثم اختص بكرم الله تعالى وجهه والحق به الصديق
فى ذلك واخاه النبى صلى الله عليه وسلم وزوجه فاطمة بالوحى وهو احد
العلما الربانيين والشجعان المشهورين والزهاد والخطبا المعروفين
وحفظ القران وعرضه على رسول الله صلى الله عليه وسلم واملى بعد موته
صلى الله عليه وسلم وكتب كتابا فيه العلوم الجمة حتى قال ابن سيرين

لوظفرت

تقدم هذا

لوظفرت بذلك الكتاب لظفرت بالعلم كله ولما هاجر صلى الله عليه وسلم امره
ان يقيم بعده بمكة حتى يودى عنه ودايعه ثم يلحقه باهله ففعل وارسله
صلى الله عليه وسلم فى السنة التاسعة وكان الامير فيها على الحج ابا بكر واذن
فى الناس بالموسم بمنى بسورة براة لان العرب لا يعتدون بما يجى على لسان
الكبير الا اذا كان الرسول فيه من اهله ومن ثم جا فى حديث رجاله ثقات
الا واحد مختلف فيه انه صلى الله عليه وسلم خطب يوما وهو محاصر
عقب فتح مكة فكان مما قال اوصيكم بعترتى خيرا وان موعدكم الحوض
والذى نفسى بيده ليقيمن الصلاة وليوتن الزكاة او لابعثن اليكم رجلا
منى او كنفسى يضرب اعناقكم ثم اخذ بيد على وقال هو هذا وشهد
معه صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها وكان له فيها اليد البيضا الا تبوك
لانه استخلفه على المدينة وقال له لما قال اتخلفنى مع النساء والصبيان فقال
اما ترضى ان تكون منى منزلة هارون من موسى الا انه لا نبى بعدى
وبكونه انما قال له ذلك ح مبطل تمسك الشيعة به على انه الخليفة
المقدم على الكل على ان هارون مات فى حياة موسى صلى الله عليه وسلم فلا دليل
فيه للخلافة بعد الموت اصلا توفى كرم الله وجهه شهيدا عن ثلاث وستين
سنة ضربه ابن ملجم بسيف مسموم فى جبهته فاوصله دماغه ليلة الجمعة سابع
عشر رمضان سنة اربعين وهو خارج الى صلاة الصبح بعد ان استيقظ
سحرا وقال للحسن انه راى النبى صلى الله عليه وسلم فشكا اليه ما لقى فقال
ادع فدعا انه يبدله خيرا منهم وانهم يبدلون شرا منه واكثر تلك الليلة

اللعين عبد الرحمن

من الخروج والنظر الى السما وهو يقول والله ماكذبت ولا كذبت وانها
الليلة التي وعدت وكان عنده اوز فلما خرج الى الصلاة صحن عليه فطردن
عنه فقال دعوهن فانهن نوائح وقيل لم يبت الا ليلة الاحد ولكما اسوة
بالخليفتين قبله عمر فعثمان رضي الله تعالى عنهم فان كلا منهما قتل شهيدا
مظلوما اما عمر فقتله مجوسي عبد للمغيرة بن شعبة لكونه شكا اليه ثقل
خراجه فلم يشكه لعلمه بقدرته عليه وزيادة لكثرة صنائعه فكمن له الى
ان ضربه بخنجر صنعه له وهو في ثاني ركعة من صلاة الصبح يصلي بالمسلمين
ومن تمام سعادته دفنه مع النبي صلى الله عليه وسلم فانه ارسل ولده بعد
ان طعن يستاذن عايشة في ذلك فقالت كنت اعددت هذا المكان
لنفسي ولاوثرنه به فاشتد فرحه بذلك واما عثمان فاجتمع على قتله
اوباش اربعة الاف مجوعين من مصر وغيرها فحاصروه الى ان قتلوه في
اوسط ايام التشريق والمصحف بين يديه سنة خمس وثلاثين وهو
ابن ثمان وثمانين سنة وقيل اكثر وقيل اقل وتوهم بعضهم انه اراد قتل
محمد بن ابي بكر رضي الله عنهما وهو بري من ذلك وانما فعله بعض اهله
وكان الصحابة يمكنهم الدفع عنه لكنه منعهم من ان يقاتلوا محاصريه لما قال
له زيد بن ثابت ان الانصار بالباب يقولون ان شيت كنا انصار الله مرتين
فقال لا حاجة لي في ذلك كفوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الي
عهدا وانا صابر عليه ومن ثم كان عنده في الدار مماليكه الكثيرون فارادوا
ان يمنعوا عنه فقال من اغمد سيفه فهو حر لانه علم باخبار النبي صلى الله عليه

وسلم

[Margin note, partly legible: سنة ... النبي والصديق ... عثمان ... وفيه ارخ بعضهم وفاته ... وفاة ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ... الخلفاء الاربعة ... [illegible]]

وسلم انه مقتول مظلوما وانه على الهدى وانه لا مخلص له من القتل وامره ان لا
يعزل نفسه كما صح في الحديث وهو يا عثمان انك ستولى الخلافة من بعدي
وسيريدك المنافقون على خلعها فلا تخلعها وصم في ذلك اليوم تفطر عندي
كما مر ذلك في الاحاديث وصح ان عثمان اشرف من كوة فقال لعلي يا ابا الحسن
ما هذا الذي ركب مني فقال اصبر ابا عبد الله فوالله ما غبت عن قول رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين كنا على احد فتحرك الجبل ونحن عليه فقال اثبت
احد فانه ليس عليك الا نبي او صديق او شهيد وايم الله لتقتلن ولاقتلن
معك اي بعدك وليقتلن طلحة والزبير تنبيه ورد في مناقب
علي حديث كثر كلام الحفاظ فيه فاردت ان الخص المعتمد فيه ولفظه عن
انس كان عند النبي صلى الله عليه وسلم طير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم ايتني باحب خلقك اليك ياكل معي هذا الطير فجا علي فاكل رواه
الترمذي والمعتمد عند محققي الحفاظ انه ليس بموضوع بل له طرق كثيرة
قال الحاكم في المستدرك رواه عن انس اكثر من ثلاثين نفسا انتهى
وح فيتقوى كل من تلك الطرق بمثله ويصير سنده حسنا لغيره والمحققون
ايضا على ان الحسن لغيره يحتج به كالحسن لذاته ومن جملة طرقه طريق
رواتها كلهم ثقات الا واحد قال بعض الحفاظ لم ار من وثقه ولا
من جرحه وطريق اخرى رواتها كلهم ثقات ايضا الا واحدا قال
النسائي فيه ليس بالقوي وهو معارض بان غيره واحد وثقه وذكر
الحاكم انه صح عن علي وابي سعيد وسفينة لكن تساهله في التصحيح

معلوم فالحق ما سبق اذ كثرة طرقه صيرته حسنا يحتج به ولكثرة شواهده اخرج
الحافظ ابو بكر بن مردويه فيها جزءا واما قول بعضهم انه موضوع وقول
ابن طاهر طرقه كلها باطلة معلوله فهو الباطل اذ ابن طاهر معروف بالغلو
الفاحش وابن الجوزي مع تساهله في الحكم بالوضع كما هو معلوم ذكره في
كتابه العلل المتناهية له طرقا كثيرة واهية ولذلك لم يذكره في موضوعاته
فالحق ما تقرر اولا انه حسن محتج به على انه لا يلزم عليه محذور لانه
موول قطعا والا اقتضى انه احب اليه من نبيه صلى الله عليه وسلم
فهو عام مخصوص وقد صح من الاحاديث جملة مستكثرة يخرج الثلاثة
عنه فاستفد ذلك كله فانه مهم تنبيـــه اخر مما كثر الاختلاف
فيه اهو موضوع اولا حديث يا علي لا يحل لاحد يجنب في هذا المسجد غيري
وغيرك ومعنى يجنب فيه هنا يمكث فيه جنبا ويتعين انه مراد من عبر
بيستطرقه جنبا لان الاستطراق بظاهره حلال فلا خصوصية فيه
لاحد ثم هذا الحديث كثر الاختلاف في سنده ايضا فقال بعض الحفاظ هكذا بخطه
انه موضوع وبعضهم كالحافظ العلائي ضعيف لا ينتهي الى الوضع وقال
الترمذي انه حسن لكن اشتد انكار الحفاظ عليه في تحسينه له بان
فيه ثلاثة ضعفا وكل منهم شيعي وثلاثة متهمين بالكذب قبل ومما
يدل على نكارة هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم لم يختص عن الامة بشي هكذا بخطه
من الرخص فيما يقتضي تعظيم حرمات القيام باجلاله اصلا وانما كان
ترخصه في الامور الدنيوية كاباحة ما وراء الاربع في النكاح ونحو ذلك

في

فلم يكن صلى الله عليه وسلم يرخص عنهم باباحة الجلوس في المسجد جنبا ابدا انتهى
ومال الحافظ ابن حجر الى تحسين الترمذي بان له شاهدا عند البزار رواته
ثقات قال والسبب في ذلك ان بيت علي كان كبيته صلى الله عليه وسلم
في كونه مجاورا للمسجد وبابه منه وقد صح من طرق انه صلى الله عليه وسلم امر لما صح
بسد الابواب الشارعة في المسجد الا باب علي شق على بعض الصحابة فاجابهم
بعذره في ذلك واقسم عليك بما في اصحابك العشرة المبشرين بالجنة في
الاحاديث الصحيحة منها ان عمر لما ان جعل الامور شورى بين الستة انكر
عليه بانهم لبسوا رضي الله فقال ما عسى ان تقولوا في علي سمعت النبي صلى
الله عليه وسلم يقول له يدك في يدي تدخل معي يوم القيمة حيث ادخل
وذكر في عثمان حديث انه يوم يموت تصلي عليه ملائكة السما وان ذلك
له خاصة وفي طلحة ان رحل النبي صلى الله عليه وسلم سقط فقال من يسوي
لي رحلي وهو في الجنة فبدر طلحة فسواه فقال يا طلحة هذا جبريل عليه السلام يقريك
السلام ويقول انا معك في اهوال يوم القيمة حتى انجيك منها
وذكر في الزبير انه جلس يذب عن وجه النبي صلى الله عليه وسلم وهو نايم
حتى استيقظ فقال له يا ابا عبد الله لم تزل قال لم ازل بابي انت وامي
قال هذا جبريل يقريك السلام ويقول انا معك يوم القيمة حتى اذب
عن وجهك شرر جهنم وذكر في سعد بن ابي وقاص انه صلى الله عليه وسلم
قال فيه يوم بدر وقد اوتر قوسه اربعة عشر مرة يدفعها اليه
فداك ابي وامي وذكر في عبد الرحمن ابن عوف ان الحسنين اشتد

بكاؤهما جوعا فقال صلى الله عليه وسلم من يصلنا بشي فطلع عبد الرحمن بن عوف
بصحفة فيها حيسة ورغيفان بينهما اهالة فقال صلى الله عليه وسلم له كفاك
الله امر دنياك واما امر اخرتك فانا لها ضامن ومنها ان حرا لما ارتج
وعليه الخلفا الاربعة وطلحة والزبير وابن عوف وسعد وسعيد فقال
له صلى الله عليه وسلم اسكن حرا فما عليك الا نبي وصديق او شهيد ومنها من رواية
سعيد بن عمرو بن نفيل ابو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي
في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة
وسعد بن ابي وقاص في الجنة وتاسع المومنين في الجنة فنشدوه بالله
عنه فقال اما اذ انشدتموني فانا تاسع المومنين ورسول الله صلى الله عليه
وسلم العاشر ثم قال لموقف احدهم مع رسول الله صلى الله عليه يغبر فيه وجهه
افضل من عمر احدكم ولو عمر عمر نوح **المظهر** اي المبين **الترتيب** بينهم من النبي
صلى الله عليه وسلم وهو مفعول **فينا** اي لنا **تفضيلهم** على حسب مراتبهم
التي بينها الشارع فيهم صلى الله عليه وسلم وهو فاعله وعكس ذلك الشارح والاول
اظهر **و** المظهر كذلك بينهم لنا ايضا **الولا** اي الموالاة والمناصرة الواجبة
علينا لهم بحسب مراتبهم ومن ثم سيل بعض محققي المتاخرين عن محبة الخلفا
الاربعة هل يجب ان تكون على حسب فضلهم فقال محبتهم من حيث الدين والقرب
الى الله ورسوله يجب ان تكون بحسب فضلهم ومن حيث نحو قرابة او احسان
لا يجب ان تكون كذلك وما قاله في الخلفا الاربعة ياتي في بقية الصحابة
رضوان الله عليهم **طلحة** بن عبد الله القرشي التيمي احد العشرة المشهود لهم

بالجنة

بالجنة واحد الثمانية السابقين الى الاسلام واحد الستة اصحاب الشورى
في امر الخلافة بعد عمر الذين توفي صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض والخمسة
الذين اسلموا على يد ابي بكر لكونه السبب في اسلامهم وسماه صلى الله عليه وسلم
طلحة **الخير** وطلحة الفياض وطلحة الجود فكان غاية فيه بحيث باع ارضا
له بسبعماية الف فباتت عنده فلم ينم مخافة من حسابها فاصبح فرقها وفي
رواية ففرقها في ليلته على فقرا المدينة وجاءه رحم له يساله برحمه فاعطاه
ثلثماية الف وكان مغله بالعراق في كل سنة اربعماية الف وكان يعطي ضعفا
قومه وقوم ابي بكر بني تيم ويقضي ديونهم ويرسل الى عايشة في كل سنة عشرة
الاف درهم وتصدق في يوم بماية الف ثم لم يجد ثوبا يذهب فيه الى
المسجد يصلي فيه وهو وان لم يشهد بدرا فقد جعله صلى الله عليه وسلم
كمن شهدها اجرا وسهما قيل لانه كان بالشام لتجارة والصحيح انه صلى الله
عليه وسلم ارسله هو وسعيد بن زيد رضي الله تعالى عنهما للتجسس عن خبر
عير قريش وخرج لبدر فرجعا الى المدينة فوافيا منصرفه من بدر وصح
انه صلى الله عليه وسلم اقبل عليه وعلى الزبير وقال يا طلحة ويا زبير لكل
نبي حواري وانما حواري اي ناصري وان الخلفا الاربعة وطلحة والزبير
وابن عوف وسعد وسعيد كانوا امام رسول الله صلى الله عليه وسلم في القتال
وخلفه في الصلاة في الصف وليس احد من المهاجرين والانصار
يقوم مقام احد منهم غايبا وشهد **المرتضيه** اي الذي ارتضاه النبي
صلى الله عليه وسلم وما جرى عليه الناظم من اضافة اسم الفاعل الى معموله

الضمير العايد على ال المقترنة به هو الاصح نحو الضارب الرجل والساقية
ومنع المبرد هذه الصورة واوجب النصب اى ليلا يلزم عليه اجتماع اداتى
تعريف ويرده ان اضافة الصفة الى معمولها لا تفيد تعريفا بل تخفيفا
قالوا فمن ثم جاز اقتران هذا المضاف دون غيره بال ان كان مثنى او جمعا
كالضاربا زيد والضاربوا زيدا او اضيف لمعرف بال نحو الضارب الرجل
او المضاف اليه كالقاصد باب الكريم او الى ضمير هى مرجعه اى كما هنا ومن
قال التقدير الذى ارتضى هو النبى صلى الله عليه وسلم فقد وهم لامتناع
الاضافة ح لانها ليست الى ضمير مرجعه ال فتنبه له **رفيقا واحدا** هو
ما فى اكثر النسخ وفى نسخة احد وهو الفاعل الذى ارتضاه احد رفيقا
ففيه اسناد مجازى وفى اخرى احدا وهو على نزع الخافض اى فى احد
يوم ظرف لاسم الفاعل وقول الشارح انه بدل من احدا اى بنا على
النسخة الثانية بعيد **فوة الرفقا** عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو يوم
احد وفيه كسعد وسعيد والامانة والامنا وتمسكت واستمسكت وانطوت
وانطوا واغثنا والغوث والغيث الابيات جناس الاشتقاق او شبهه
وفى ذكر واحدا فى اكثر النسخ نظر بل المنقول فى السير وغيرها ان الذين ثبتوا
معه صلى الله عليه وسلم لما انكشف عنه الناس اربعة عشر سبعة من المهاجرين
وسبعة من الانصار وفى البخارى لم يبق معه صلى الله عليه وسلم الا اثنى
عشر رجلا لكن ظاهر كلام بعض اهل السير ان طلحة وقع له بعد ذلك
انفراد معه صلى الله عليه وسلم ثم تتابعت بعده الناس فانه قال وكانت

لطلحة

لطلحة اليد البيضا يوم احد وقى النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ لما ضرب
بالسيف فشج وجهه بيده فشلت واستمرت شلا وكان الصديق اذا احدث
عن يوم احد بكى وقال ذلك كله لطلحة وقد قال له صلى الله عليه وسلم
يومئذ اوجب طلحة اى وجبت له الجنة وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان
قد ظاهر بين درعين فاراد ان ينهض وهما عليه ليصعد صخرة هنالك
فما استطاع فبرك له طلحة فصعد على ظهره واستوى عليها فقال صلى الله عليه
وسلم اوجب طلحة وثبت مع النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ وبايعه على الموت
ووقاه بنفسه قال ابو بكر كنت اول من جا يوم احد فقال لى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولابى عبيدة بن الجراح عليكما بصاحبكما يريد طلحة
وقد نزف فاصلحنا من شان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اتينا طلحة
فاذا به بضع وسبعون او اقل او اكثر بين طعنة وضربة ورمية واذا
قد انقطعت اصبعه فاصلحنا من شانه ثم رايت حديثا صحيحا مصرحا بما
فى النظم على نسخة واحدا وهو لقد رايتنى يوم احد وما فى الارض قربى
مخلوق غير جبريل عن يمينى وطلحة عن يسارى ولما رجع صلى الله عليه
وسلم من احد صعد المنبر فحمد واثنى ثم قرا من المؤمنين رجال الاية
فقيل يا رسول الله من هولا فقال هذا منهم واشار الى طلحة وصح عند
الحاكم لكن نوزع فيه من اراد ان ينظر الى شهيد يمشى على وجه الارض
فلينظر الى طلحة بن عبيد الله وصح ايضا طلحة والزبير جاراى فى الجنة
وكان رجل يقع فيه وفى الزبير بحضرة سعد بن ابى وقاص فينهاه فيابى

فصلى ثم دعا عليه انه ان كان مبطلا يريه فيه اية ويجعله للناس عبرة
فخرج فاذا جمل هايج يشق الناس فاخذه وهرسه بيديه ورجليه حتى قتله
قال سعيد ابن المسيب فانا رايت الناس يتبعون سعدا ويقولون
هنيا لك ابا اسحاق اجيبت دعوتك وكان خرج هو والزبير على على رضي
الله عنهم فاجتمع بهما يوم الجمل فروى للزبير ما ياتي ووعظ طلحة فتاخر
ووقف في بعض الصفوف فجاءه سهم في ركبته فقتله في جماد الاخر سنة
ست وثلاثين عن اربع وستين سنة على الاشهر ودفن بالبصرة وجاءه
علي فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول رحمة الله عليك ابا محمد يعز
علي ان اراك مجدلا وحواريك اي ناصرك الزبير بن العوام القرشي
وامه صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو احد الثمانية السابقين
والستة اصحاب الشورى والعشرة المبشرين بالجنة والشجعان
المشهورين لم يلحقه كحمزة وعلي احد في الشجاعة والفروسية ولذلك
لما كان يوم بدر بعمامة صفرا نزلت الملايكة بعمايم صفر وهو اول من
سل سيفا في سبيل الله لانه سمع اخذ محمد فشق الناس بسيفه فلقيه
النبي باعلى مكة فقال له ما لك قال اخبرت انك اخذت فصلى عليه
ودعا له ولسيفه شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفتح اليرموك وكانت له فيها اليد البيضا والهمة العليا اخترق
صفوف الروم مرتين من اولهم الى اخرهم وفتح مصر مع عمرو بن العاص
وصح انه لما اشتد الخوف يوم الاحزاب ندب صلى الله عليه وسلم من ياتيه

يتبعون

تعالى

عم مصعب زبير

بخبر

١٦٣

بخبر عصيان بني قريظة فقال انا فاعاد فقال انا فاعاد فقال انا فقال
صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حواري وحواري الزبير وجمع له صلى الله عليه
وسلم فقال ارم فداك ابي وامي وصح عن عثمان انه قيل له وهو محصور
لو استخلفت قال لعلهم قالوا الزبير قيل نعم قال اما والله انه لخيرهم
ما علمت وانه كان لاحبهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية صحيحة
اما والله انكم لتعلمون انه خيركم ثلاثا وكان له الف عبد يؤدون اليه
الخراج في كل يوم فيتصدق به في مجلسه ولا يقوم بدرهم وكان مع الخارجين
على علي يوم الجمل فلما دنت الصفوف خرج علي وهو على بغلة رسول الله صلى
الله عليه وسلم فنادى ادعوا الى الزبير فدعي له فاقبل حتى اختلفت اعناق
دوابهما فقال له نشدتك بالله اتذكر يوم مر بك رسول الله صلى الله عليه
وسلم ونحن في مكان كذا وكذا فقال يا زبير تحب عليا فقلت الا احب ابن
خالي وابن عمي وعلى ديني فقال يا زبير اما والله لتقاتلنه وانت ظالم
له فقال بلى والله لقد نسيته منذ سمعته من رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم ذكرته الآن والله لا اقاتلك ثم ادبر راجعا فقال ولده عبد الله
ما لك فذكر له القصة فقال لم تجئ للقتال بل لتصلح بين الناس فابى وفي
رواية ان سبب رجوعه انه قال له جبنا جبنا فقال قد علم الناس اني
لست بجبان ولكن ذكرني حديثا فحلفت ان لا اقاتله وفي رواية
ان سبب رجوعه انه قال لاصحاب علي افيكم عمار بن ياسر قالوا نعم فاغمد
سيفه فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعمار ستقتلك

الفئة الباغية ولا مانع انه قال ذلك ثم ذكره علي بالحديث زيادة في اعلامه
ثم سار فلما وصل وادي السباع نام فجاء رجل فقتله في جمادي الاول سنة
ست وثلاثين وعمره سبع وستون سنة على الاشهر وقبل ان يجتمع بعلي قال
لابنه عبد الله ما اراني الا سأقتل اليوم مظلوما ثم اكد عليه في ان يبيع امواله
ويقضي دينه من ارضين له منها الغابة وبضع عشر دارا وقد رد بينه الف
الف ومايتا الف وما ولي امارة قط ولا جباية ولا خراجا ولا شيا وما
خلف درهما ولا دينارا فباع ابنه ماله ثم قال من كان له عليه دين فليأتنا
نقضي ما عليه ثم اقام اربع سنين ينادي كل موسم من له عليه شي فليأتنا فلما لم
يات احد وخرج ثلث ماله لانه اوصى به ثم قسم الباقي بين ورثته وكان له
اربع نسوة فاصاب كلا منهن الف الف ومايتا الف فجميع ماله خمسون الف
الف ومايتا الف هذا ملخص ما في صحيح البخاري لكن اعترض بان الصحيح ان
الذي تركه بما وفى الدين والوصية وما ورث عنه تسعة وخمسون الف الف
وثمان مائة الف وكان له صدقات كثيرة ومكارم جليلة وماله كله حلال
صرف ذلك كذا قيل ولا حاجة اليه بل اغنيا الصحابة كلهم كذلك لان اموالهم
اما من سلب وسهم من الغنيمة او الفي او تجارة مبرورة واوصى اليه سبعون
من الصحابة باولادهم واموالهم فحفظها وكان ينفق على اولادهم من ماله
ومن مدح حسان فيه ۝

فكم كربة ذب الزبير بسيفه ۝ عن المصطفى والله يعطي ويجزل ۝
فما مثله فيهم ولا كان قبله ۝ وليس يكون الدهر ما كان يذبل ۝

ثناؤك

ثناؤك خير من فعال معاشر ۝ وفعلك يا ابن الهاشمية افضل ۝
ابي القرم بفتح القاف وسكون الراي السيد الكريم عبد الله ابن ابي حبيب وابي
بكر الذي انجبت اي انت به في غاية النجابة والشجاعة والراي الحازم والتصرف
الصائب اسماء بنت ابي بكر ذات النطاقين بعد عشرين شهرا من الهجرة
بالمدينة وكان اول مولود بعد الهجرة واشتد فرح المهاجرين به لان اليهود
توعدوهم انهم عملوا لهم ما ابطل نسلهم فلا يأتيهم ولد فلما ولد بان كذبهم
ولما احتجم صلى الله عليه وسلم اعطاه دمه وقال غيبه في موضع لا يراك فيه احد
فلما جا اليه قال ما فعلت بالدم فقال شربته قال اذا لا تنج النار بطنك وويل
لك من الناس وويل للناس منك فكان كذلك لانه سعى في الخلافة لما مات
يزيد سنة اربع وستين فاطاعه اهل اليمن واهل الحجاز والعراق وخراسان
ثم هدم الكعبة لتهدمها وسماعه من خالته عايشة ما روته له ان النبي
صلى الله عليه وسلم لولا ان قريشا حديثو عهد بكفر لهدمت الكعبة وجعلتها
على قواعد ابراهيم وفتحت بابها الغربي وجعلت بابها الشرقي لاطيا بالارض
كما كانت في زمن ابراهيم فاعادها ابن الزبير كذلك بعد ان شاور الصحابة
فمنهم من امره بذلك ومنهم من نهاه عنه فلم يرجع اليه لسماعه الحديث
المذكور فكان اجر ذلك البنا باقيا له الى ان يهدمها ذو السويقتين
فان البنا الموجود الآن كله بناؤه الا حايط الميزاب فان الحجاج لما حصره
اول الحجة سنة اثنين وسبعين وحج بالناس ولم يزل يحاصره الى ان قتله
سابع جماد الاول سنة ثلاث وسبعين هدم ما كان ادخله ابن الزبير من

الحجر وهو ستة اذرع كما ادخله ابراهيم واخرج السنة ثم اخر الجدار
كما هو اليوم وسد الباب الغربي واعلى الباب الشرقي لتصيير كما كانت في زمنه
صلى الله عليه وسلم لان قريشا لما بنتها ح قصر بهم المال الحلال عن ان يجعلوها
كما كانت في زمن ابراهيم فجعلوها كذلك وكان ابن الزبير صواما يواصل الخمسة
عشر يوما واكثر واما الطلس لا لحية له من دهاة العرب المشهورين وشجعانهم
الموصوفين واحد العبادلة الاربعة المتقاربين سنا وعلما وذكاء وفهما
والثلاثة عبد الله بن عباس وعبد الله ابن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص
وليس منهم ابن مسعود لانه اكبرهم سنا فليس في طبقتهم **والصفيين**
تثنية صفي وهو المصطفى المستخلص من الحظوظ والشهوات **توام الفضل**
من اتامت المراة ولدت اثنين اي ان الفضل انتجهما لكثرة ما قام بهما
منه ولو قال توما الفضل كان اوضح ومعناه ح انهما لما اشتركا
في الفضائل الجليلة صارا كانهما مولودان في حمل واحد **سعد** ابي اسحق
ابن ابي وقاص مالك القرشي الزهري وهو احد الستة اصحاب الشورى
والثمانية السابقين الى الاسلام بل هو ثالث الاسلام واقام كذلك سبعة
ايام والعشرة المشهود لهم بالجنة والشجعان المشهورين وهو اول
من رمى بسهم في سبيل الله واول من اراق دما في سبيل الله واول من كان
يقال له فارس الاسلام شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورمى يوم احد الف سهم وولاه عمر العراق فكان الامير في فتح مدائن كسرى
وغيرها ومن كراماته الظاهرة انه قطع بجيوشه البحر على ظهور الخيل

لم يبلغ

لم يبلغ الماء منها الى حزمها والناس في غاية الطمانينة كانهم سايرون في البر
وكان الذي يسايره سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنهم وكذلك ولاه عثمان
ولا بان جليلة وكان صلى الله عليه وسلم يناوله النبل يوم احد ويقول ارم فداك
ابي وامي واقبل والنبي صلى الله عليه وسلم جالس مع اصحابه فقال هذا سعد
خالي فليرني امرؤ خاله وقال له اجلس يا خالي فان الخال والد ودعا له فقال
اللهم سدد رميه واجب دعوته وفي رواية صحيحة اللهم استجب لسعد اذا
دعاك فلم تسقط له دعوة بعد ذلك فكان مجاب الدعوة واشرف على
الموت فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم انه يعيش فقال لعل الله ان يرفعك
فينتفع بك اقوام ويضر بك اخرون اعتزل الفتنة بعد قتل عثمان
فلم يدخل فيها ولم يحضر شيا من تلك الحروب وتوفي بقصره بالعقيق
على عشرة اميال من المدينة فحمل اليها وصلى عليه مروان ابن الحكم
وهو يومئذ وال بالمدينة وصلى عليه امهات المومنين في حجرهن
ودفن بالبقيع سنة خمس وخمسين عن تسع وتسعين وكان اوصى ان
يكفن في جبة صوف لقي المشركين فيها يوم بدر وقال انما كنت اخباوها
لذلك وهو اخر المهاجرين موتا وفي مسلم ان اية ولا تطرد الذين
يدعون ربهم نزلت في ست منهم سعد وابن مسعود **وسعيد** بن زيد
ابن عمرو بن نفيل القرشي العدوي احد العشرة المشهود لهم بالجنة
شهد المشاهد كلها وعده البخاري فيمن شهد بدرا ومر في ترجمة طلحة
انه لم يشهدها وهذا ما عليه الاكثرون وقد يجمع بانه لم يشهدها

حسنا وشهدها حكما اجرا وسهما وهو ابن عم عمر وزوج اخته والسبب فى
اسلامه كما مر ولذلك لم يدخله فى اهل الشورى كولده عبد الله لئلا يظن
به انه حابى اقاربه واخرج الشيخان ان امراة ادعت عليه عند مروان
انه اخذ لها قطعة ارض فقال ما كنت لافعل بعد ان سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من اخذ شبرا من ارض ظلما طوقه من سبع ارضين
فقال مروان لا اسئلك بينة بعد هذا ثم قال سعيد اللهم ان
كانت كاذبة فاعم بصرها واقتلها فى ارضها فذهب بصرها وبينما هى تمشى
فى ارضها وقعت فى حفرة فماتت زاد مسلم انها قالت اصابتنى دعوة سعيد
وفى رواية انه كان جارها بالعقيق وانه اعطاها الذى ادعته ثم دعا
عليها بما مر توفى سنة خمسين عن بضع وسبعين سنة ودفن بالمدينة
وابوه زيد توفى فى الجاهلية لكن جاءت احاديث تدل على انه من اهل
الجنة منها لكنه مرسل غفر الله عز وجل لزيد بن عمرو ورحمه ومنها وهو
صحيح سئل صلى الله عليه وسلم فقال ياتى يوم القيامة امة وحده بينى وبين
عيسى ان عدت الاصفيا فهذان من اكابرهم كيف وفى اسميهما ما يشعر بلوغهما
مرتبة عظمى من مراتب السعادة وعبد الرحمن بن عوف بن الحارث بن زهرة
القرشى الزهرى احد الثمانية السابقين للاسلام والستة اهل الشورى
والعشرة المبشرين بالجنة والخمسة الذين اسلموا على يد ابى بكر وصح انه
كان بينه وبين خالد شئ فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال لا تسبوا
اصحابى فوالذى نفسى بيده لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد

عنده

علم تفضيل عبد الرحمن بن عوف

احدهم

١٩٦

احدهم ولا نصيفه اى نصفه وفى رواية الواقدى وابن عساكر
يا خالد ذروا لى اصحابى متى ينكب انف المرء ينكب المرء ولو كان احد
ذهبا ينفقه قيراطا قيراطا فى سبيل الله لم يدرك غدوة وروحة
من غدوات او روحات عبد الرحمن وشهد مع النبى صلى الله عليه
وسلم المشاهد كلها وكان ممن ثبت يوم احد وبعثه صلى الله
عليه وسلم الى دومة الجندل الى بنى كلب وعممه بيده الكريمة وسدلها
بين كتفيه وقال ان فتح الله عليك فتزوج بنت مليكهم او قال
شريفهم ففتح عليه وتزوج بنت شريفهم الاصبغ فولدت له ابا
سلمه وصح انه صلى الله عليه وسلم ائتم به فى غزوة تبوك فصلى وراه
ركعة من صلاة الصبح وهذه منقبة لم توجد لصحابى غيره وسببها
انه صلى الله عليه وسلم ذهب لحاجته فادركهم الوقت فاقاموا
الصلاة فتقدمهم عبد الرحمن ولما اتم صلى الله عليه وسلم ما
فاته خلفه قال ما قبض نبى حتى يصلى خلف رجل صالح من امته
وائتم صلى الله عليه وسلم بابى بكر ايضا لكنه اخرج نفسه عن الامامة
بتاخره وقال لما قال له صلى الله عليه وسلم ما منعك ان تثبت
وقد اشرت اليك ما كان ينبغى لابن ابى قحافة ان يتقدم بين يدى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قلت لم لم يفعل عبد الرحمن
ذلك قلت الظاهر انه لم يعلم باقتدائه صلى الله عليه وسلم به واقتد
صلى الله عليه وسلم بجبريل عند باب الكعبة بجانبه من ناحية الحجر

ى

بكسر الحا فصلى به الخمس مرتين في يومين صبيحة الاسرا والذي يليه وكان
كثير الانفاق في سبيل الله اعتق في يوم واحد احدا وثلاثين عبدا حتى جا
ان جملة ما اعتقه ثلاثون الفا وفي حديث انه امين في السما امين في الارض
وكان كثير المال محظوظا في التجارة قال لام سلمة خفت ان يهلكني كثرة
مالي فقالت يا بني انفق قال الزهري تصدق على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم بشطر ماله اربعة الاف دينار ثم اربعين الف دينار ثم حمل على
خمسماية فرس ثم خمسماية راحلة وفي رواية الف وخمسماية راحلة
واوصى لامهات المومنين بحديقة فبيعت باربعماية الف واوصى بخمسين
الف دينار في سبيل الله ولكل واحد ممن بقي ممن شهد بدرا باربعماية
دينار وكانوا ماية من جملتهم عثمان فاخذ مايه وهو امير المومنين
وبالف فرس في سبيل الله وكان اهل المدينة عيالا عليه ثلث يقرضهم
وثلث يقضي ديونهم وثلث يصلهم وقدمت له عير من الشام
سبعماية راحلة فسمعت عايشة اصواتها فروت حديث يدخل ابن عوف
الجنة حبوا فبلغه فاتاها فحدثته فقال اشهدك بانها باحمالها
واقتابها واحلاسها في سبيل الله عز وجل وباع ارضا من عثمان
باربعين الف دينار فقسمها في اقاربه بني زهره وفقرا المسلمين
وامهات المومنين وروي انه صلى الله عليه وسلم قال له لن تدخل
الجنة الا زحفا فاقرض الله عز وجل يطلق لك قدميك قال وما الذي
اقرضه قال تتبرا من كل ما لك فهم بذلك فاتاه جبريل فقال

مره

مره فليضف الضيف وليطعم المسكين وليعط السايل فاذا فعل ذلك
كان كفارة ما هو فيه والذي صح من ذلك اتاني جبريل فقال مر
ابن عوف فليضف الضيف وليطعم المسكين وليعط السايل وليبدا
بمن يعول فاذا فعل ذلك كان كفارة ما هو فيه وفي حديث ابن عدي
وغيره انكحوا عبد الرحمن بن عوف فانه من خيار المسلمين وروى ابو نعيم
وغيره ان رجلا لين الصوت قرا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فما بقي احد الا فاضت عينه غير عبد الرحمن بن عوف فقال صلى الله
عليه وسلم ان لم تكن فاضت عينه فاض قلبه وفي حديث ضعيف اول
من يدخل الجنة من اغنيا امتي عبد الرحمن بن عوف والذي نفس
محمد بيده لن يدخل الجنة الا حبوا وفي اخر رواه احمد والطبراني
رايت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا وفي رواية لاحمد قد
رايته يدخل الجنة حبوا لكن ذكره ابن الجوزي في الموضوعات
وفي رواية لابن سعد وابن عساكر كاني بعبد الرحمن بن عوف على
الصراط يميل مرة ويستقيم اخرى حتى يفلت ولم يكد لكن يعارض
ذلك ما رواه جماعة انه صلى الله عليه وسلم قال له كفاك الله امر
دنياك واما امر اخرتك فانا لها ضامن وسبعان الحسنين
اشتد بكاوهما من الجوع فقال صلى الله عليه وسلم من يصلنا بشي فاتاه
بصحفة فيها حيس ورغيفين بينهما اهالة توفي عن اثنين وخمسين
وسبعين سنة سنة اثنين وثلاثين في خلافة عثمان وصلى عليه علي

تذكية صح

١٩٧

بدخلها صح

وَقيل الزبير لانه كان هجر عثمان لما اثر اقاربه فقال الناس لابن عوف
هذا فعلك فدخل عليه ولامه وقال انما ولبتك لتسير بسيرة الشيخين
فقال كان عمر يقطع اقاربه فى الله وانا اصلهم فى الله فنذر ان لا يكلمه
ابدا وترك من الذهب ما جاء ربع ثمنه ثمانين الف دينار ولما تقرر
من كثرة انفاقه وصدقاته وماله كثرة فيهما تفوق الحصر قال
من بدل مما قبله هونت نفسه الدنيا اى صيرت اموالها واتعتها
رخيصة عندها بسبب بذل لها فى وجوه الخيرات والقربات بذلا
دايما مستمرا كثيرا يبهر العقل ويرفع الى الدرجات العلى كما مر فى الاحاديث
وذلك البذل الكثير بمن اثراء اى كثرة المال الذى فتح الله به عليه
واكثره من التجارة لانه كان محظوظا فيها بحيث لو امسك التراب صار
ذهبا والمكنى اباعبيدة وهو عامر بن الجراح القرشى الفهرى امين هذه
الامة كما صحت به الاحاديث وفى رواية وامينى وفى اخرى وامينا عم مفضل ابن عبيدة
ايها الامة واحد العشرة والرجلين الذين عينهما الصديق يوم
السقيفة للخلافة والثانى عمر واحد الخمسة الذين اسلموا فى يوم
على يد الصديق وبقيتهم عثمان بن مظعون وعبيدة ابن الحارث
وعبد الرحمن ابن عوف وابو سلمة بن عبد الاسد زوج ام سلمة شهد
مع النبى صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها وثبت يوم احد مع النبى
صلى الله عليه وسلم ونزع يوميذ باسنانه حلقتين دخلتا فى وجنتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلق المغفر فوقعت ثنيتاه لانه تحامل

عليهما

١٢٨

عليهما خوفا من ايلامه صلى الله عليه وسلم فكان من احسن الناس هتما
والهتم الساقط الاسنان وولاه ابو بكر لما ارسل جيشا الى الشام
ثم جعل خالدا اميرا عليه وعلى غيره لعلمه بالحروب ولما ولى عمر اعاده
لكن امره ان يستشير خالدا وهو اول من سمى امير الامرا بالشام
وروى انه صلى الله عليه وسلم امره على سرية فيها ابو بكر وعمر وتعرض
له ابوه يوم بدر فاعرض عنه فلازمه فلما اكثر عليه قتله فانزل
الله فيه لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر الاية ولما
قال له الصديق يوم السقيفة مد يدك لابايعك قال ما كنت
لاتامر على رجل قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بنا حتى قبض
وقال عمر لين ادركنى اجلى وهو موجود استخلفته لانى سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل امة امينا وامين هذه
الامة ابو عبيدة بن الجراح ولما قدم عمر الشام تلقاه الناس
فقال ابن اخى ابو عبيدة فقالوا الان ياتيك فاتاه على ناقة
مخطومة بخطام ليف فنزل عمر عن راحلته واعتنقه وقال
للناس انصرفوا عنا ثم دخل معه الى بيته فلم تجد فيه سوى سيفه
وترسه وقوسه ورحله فبكى عمر وقال لاصحابه تمنوا فقال رجل
ملء هذه الدار ذهبا انفقه فى سبيل الله وقال اخر جوهرا
انفقه كذلك فقال عمر وانا اتمنى لو ان هذه الدار مملوة رجالا
مثل ابى عبيدة وله فتوحات كثيرة ووقعات مع المشركين هايلة

وصح عن الحسن مرسلا ما من احد من اصحابى الا لو شئت لاخذت عليه فى
بعض خلقه غير ابى عبيدة بن الجراح توفى سنة ثمانى عشرة شهيدا
بالطاعون فى طاعون عمواس قرية بين الرملة وبيت المقدس واول ما
وقع بها ثم انتشر بالشام وقبره معروف ثم قال الامام النووى
زرته فرايت عنده عجبا ورايت عليه من الجلالة ما هو لايق به اذ ظرف
لاقسم المقدر او تعليل له يعزى اى ينسب اليه اى ابى عبيدة الامانة
الامنا واجلهم نبينا صلى الله عليه وسلم فانه قال كما صح عنه لكل امة
امين وامين هذه الامة ابو عبيدة بن الجراح وفى رواية امينى
واخرى امينا ايتها الامة واعلم ان هذا كقوله صلى الله عليه وسلم
فى ابى ذر انه اصدق من اظلت الخضراء واقلت الغبراء لا يقتضى
تفضيلا على الخلفاء الراشدين لان اوليك كملت فيهم الصفات كلها
واعتدلت فلم يترجح بعضها على بعض واما هذان فكملت فيهما صفة
الامانة والصدق فتميزا فيهما على من لم يكملا فيه ولو سلمنا زيادتهما
فيهما على اوليك لم يقتض ذلك تفضيلا ايضا لان المفضول قد
يتميز بمزية بل بمزايا لا توجد فى الفاضل لانه خلف تلك المزايا
مزايا اخرى اجل منها واعظم تحصل مناط الافضلية فيه وان خلا
عما تميز به المفضول واقسم عليك بعميك اخوى ابيك لابيه
وهما حمزة والعباس رضى الله تعالى عنهما وكل منهما اسن من النبى
صلى الله عليه وسلم بنحو السنتين نيرى تثنية نير وهو الكوكب المضى

عمه فضلهم حمزة وعباس

فلك

فلك هو ما يسير فيه الكواكب المجد اى الكرم والحسب شبه المجد بالسما
واثبت لها ما هو من لوازمها وهو الفلك اذ كل سما سمى فلكا فهى استعارة بالكناية واستعارة صح
تخييلية ورشح لها بذكر النيرين وشبههما بالشمس والقمر واثبت لهما ما
هو من لوازمهما وهو الاضاة فهى ايضا استعارة بالكناية واستعارة
تخييلية وفيها ايضا استعارة تجريدية بذكر المجد الملايم للمعين وكل
منهما اتاه اى حصل له منك اقا بوزن كتاب وهو ما يخرج من الشجر
والنما كما فى القاموس وقال الشارح هو ما يستفاد من النعم والخيرات
من غير تعب كحمل النخل وثمار الاشجار ولعله تفسير مراد اما حمزة ويكنى
ابا عمارة ويلقب باسد الله واسد رسوله من الرضاعة اسلم قديما
وسبب اسلامه ان اللعين ابا جهل شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانصرف ولم يجبه وانصرف ابو جهل الى نادى قريش عند الكعبة واقبل
حمزة من قنصه متوشحا قوسه فاخبر وهو اعز فتى قريش واشد شكيمة
فغضب فعمد فشج فى راسه شجة منكرة وقال اتشتمه وانا على دينه
فقامت اليه رجال من بنى مخزوم فمنعهم ابو جهل خشية الفتنة
وهو اول من اتخذ له صلى الله عليه وسلم لواء حين بعثه الى سيف
البحر بكسر السين من جهنية استشهد باحد نصف شوال ثالث
سنى الهجرة بعد ان قتل احدى وثلاثين كافرا قتله وحشى عبد لعقبة
السلمى قال رايته يهد الابطال هدا فاختفيت فلما تمكنت منه
رميته رمية بحربتى فاصابته وولّيت هاربا فتبعنى ثم

١٩٣

سقط و بعد ذلك اسلم وحشى فقبله صلى الله عليه وسلم وقال له غيب وجهك
عنى اى خشية ان يصيبه منه شى اذا تذكر قتله لحمزة وخرج يوم اليمامة
فشارك رجلا فى قتلة مسيلمة الكذاب فكان يقول هذه بتلك ومع
ذلك فقد اصابه لما صح عن ابن المسيب انه قال كنت اعجب لقاتل حمزة
كيف ينجو حتى مات غريقا فى الخمر وقال ابن هشام بلغنى انه لم يزل
يحد فى الخمر حتى خلع من الديوان فكان عمر يقول لقد علمت ان الله لم يكن
ليدع قاتل حمزة ولما راى النبى صلى الله عليه وسلم حمزة قتيلا بكى ولما راى
ما مثل به شهق وقال لن اصاب بمثلك ابدا ما وقفت موقفا اغيظ
لى من هذا وروى ابن شاذان عن ابن مسعود ما راينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم باكيا قط اشد من بكائه على حمزة وضعه فى القبلة ثم وقف على
جنازته وبكى حتى كاد يغشى عليه يقول يا حمزة يا عم رسول الله يا اسد
الله واسد رسوله يا حمزة يا فاعل الخيرات يا حمزة يا كاشف الكربات
يا ذاب عن وجه رسول الله وليس هذا اوانه ولا تعديد شمايل بل اخبار
بفضايل وشمايله رضى الله تعالى عنه وصح حديث انه سيد الشهدا يوم
القيمة وانه لولا جزع النسا لتركته حتى يحشر من بطون الطير والسباع
وحديث رحمة الله عليك فقد كنت وصولا للرحم فعولا للخيرات وصح الحاكم
حديث والذى نفسى بيده انه لمكتوب عند الله تبارك وتعالى فى السما
السابعة حمزة بن عبد المطلب اسد الله واسد رسوله لكن تعقب
وورد من طرق ان الملايكة غسلته وصححه الحاكم لكن تعقب واما العباس

وكنيته

وكنيته ابو الفضل وكان جليلا جوادا ذا راى وكمال عقل معظما بين
الصحابة وعند النبى صلى الله عليه وسلم رئيسا فى قريش قبل الاسلام وكانت
تنسب اليه عمارة المسجد الحرام والسقاية وكان مع النبى صلى الله عليه
وسلم يوم العقبة يعقد له البيعة على الانصار وكان صلى الله عليه
وسلم يثق به فى امره كله اسر يوم بدر لقوله صلى الله عليه وسلم من لقيه
فلا يقتله فانه خرج مستكرها وسمعه صلى الله عليه وسلم يئن لكونهم
شدوا وثاقه ووثاق البقية فلم ينم فقيل له ما يسهرك يا رسول الله
قال انين العباس فقام رجل فارخى من وثاقه ووثاق البقية وفادى
نفسه وعقيلا ابن اخيه بعد ان قال ما معى شى فقال له صلى الله عليه
وسلم واين المال الذى قلت لام الفضل اى زوجته حين خرجت اذا
انا مت فافعلى به كذا فقال من اعلمك بهذا ولم يطلع عليه غيرى
وغيرها فاسلم سرا وكتم ايمانه الى قبيل فتح مكة فخرج الى النبى صلى الله عليه
وسلم ولقيه بالابواء وبه ختمت الهجرة وكان ردءا للنبى صلى الله عليه
وسلم بمكة يكاتبه باخبار اهلها وكان المسلمون بمكة يثقون به وكان
يحب القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب اليه ان بقاك بمكة
خير لك ولما قالت الانصار نترك لابن اختنا عباس الفدا ابى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا وثبت
معه حين انهزم الناس وكان عمر يستسقى به الغيث اذا قحط فيقول اللهم
انا كنا نستسقى بنبيك فتسقينا وها نحن نستسقى بعم نبيك فاسقنا فيسقون

الناس صح

توفى بالمدينة ثانى عشر رجب او رمضان سنة اثنين وثلاثين وله
نحو من ثمانية وثمانين سنة وقبره مشهور بالبقيع وصح حديث العباس
منى وانا منه لا تسبوا اموانتا فتوذوا به الاحيا وحديث انه سال النبى
صلى الله عليه وسلم ان يستعمله على الصدقة فقال ما كنت لاستعملك على
غسالة ذنوب الناس وحديث من اذى العباس فقد اذانى فانما عم الرجل
صنو ابيه وحديث اوصانى الله بذى القربى وامرنى ان ابدا بالعباس
بن عبد المطلب واخرج الدارقطنى في الافراد ليكونن فى ولد
العباس ملوك يلون امر امتى يعز الله بهم الدين وابن عساكر اللهم اغفر له
ذنبه وتقبل منه احسن ما عمل وتجاوز عنه سيء ما عمل واصلح له فى ذريته
لا تؤذوا العباس فتؤذونى من سب العباس فقد سبنى وفى حديث
ضعيف وقال ابن الجوزى موضوع العباس وصيى ووارثى واخرج
الرافعى الا ابشرك يا عم ان من ذريتك الاصفيا ومن عترتك الخلفا ومنك
المهدى فى اخر الزمان به ينشر الله الهدى وبه يطفى نيران الضلالة
ان الله فتح بنا هذا الامر وبذريتك يختم وابو نعيم فى الحلية الا ابشرك
يا ابا الفضل ان الله عز وجل افتتح بى هذا الامر وبذريتك يختم وكون
المهدى من ولده يحمل على ان فيه شعبة منه لما صح انه من ولد فاطمه وصح
انه من ولد الحسن وجا انه من ولد الحسين ايضا فهو حسنى وفيه شعبة
من الحسين وشعبة من العباس والترمذى وقال حسن غريب اللهم اغفر
للعباس وولده مغفرة ظاهرة باطنة لا تغادر ذنبا اللهم اخلفه فى ولده

والخطيب



والخطيب وابن عساكر اللهم اغفر للعباس وولد العباس ولمن احبهم وابن
عساكر اللهم اغفر للعباس ما اسر وما اعلن وما ابدى وما اخفى وما كان
وما يكون منه ومن ذريته الى يوم القيمة والخطيب يا عباس انت عمى وصنو
ابى وخير من اخلف بعدى من اهلى اذا كانت سنة خمس وثلاثين فهى لك
ولولدك منهم السفاح ومنهم المنصور ومنهم المهدى وافهم عليك بام
السبطين الحسن والحسين فاطمة وهى اصغر بناته صلى الله عليه وسلم
زوج جرده عن التلاوة الا فصح على زوجها له النبى صلى الله عليه وسلم
ثانى سنى الهجرة بوحى من الله بذلك كما ورد وبنى بها بعد تزوجها
بسبعة اشهر ونصف فى ذى الحجة على راس اثنين وعشرين شهرا وكان
سنها خمسة عشر سنة وخمسة اشهر ونصف وقيل نحو عشرين سنة
وسن على احدى وعشرين سنة واشهرا قال ابن عبد البر هى وام
كلثوم افضل بناته وكانت فاطمة احب اهله اليه وكان يقبلها فى فيها
ويمصها لسانه واذا اراد سفرا يكون اخر عهده بها واذا قدم اول
ما يدخل عليها وتوفيت بعده صلى الله عليه وسلم فى رمضان سنة احدى عشر
فبينهما نحو ستة اشهر وسنها تسع وعشرون سنة اى على القول الثانى
وقد اسر اليها النبى صلى الله عليه وسلم انها اول اهل بيته لحوقا به فسرت
بذلك دفنها علي ليلا بوصية منها واختلف فى محل دفنها والاشهر
انها فى قبة ولدها الحسن قرب محرابها وكان القطب ابو العباس المرسى
يجزم بهذا اقبل فلعله كوشف به وروى احمد فى المناقب والدولابى

وفاتت ارناصحه

انها اغتسلت ولبست ثيابا جددا واضطجعت وقالت انها مقبوضة الآن فلا يغسلني احد ولا يكفني فماتت على وصيتها لكن يعارضه انها امرت فاطمة بنت عميس بان تغسلها وهذه مقدمة لان الاصل عدم الخصوصية وبنيها يعني اولادها الحسن والحسين ومحسنا وهذا مات صغيرا وام كلثوم وزينب واولادهم الى قيام الساعة ولم يكن له صلى الله عليه وسلم عقب الا منها فانتشر نسله من جهة السبطين فقط وام كلثوم ولدت لعمر ذكرا وانثى وماتا صغيرين ثم تزوجها بعد عمر عون بن جعفر ثم بعد موته باخيه محمد ثم باخيه عبد الله ولم يعقب منهم على وام كلثوم وانتشر نسلهما ولهما شرف اعلى من شرف اولاد عبد الله من غير زينب وادون من شرف اولاد الحسنين لمزيتهما بما ورد فيهما وللعباس والطالبين شرف ايضا ومن ثم لقب بالشرف كل عباسي ببغداد وعلوي بمصر ولجعفر الصادق ولد اسمه اسحاق وتزوج السيدة نفيسة بنت الحسين بن زيد بن الحسن بن علي كرم الله تعالى وجهه وله منها ولدان لم يعقبا ومن خونة العبا وهم النبي صلى الله عليه وسلم وفاطمة وعلي وابناهما وم يبغض هولا فضائل كعلي وابنيه رضي الله تعالى عنهم ومن فضائل فاطمة ما صح عن ابيها القائل تعالى في حقه وما ينطق عن الهوى انما فاطمة بضعة مني يوذيني ما اذاها وينصبني ما انصبها احب اهلي الى فاطمة اذا كان يوم القيمة نادى مناد وراء الحجب يا اهل الجمع اغضوا ابصاركم عن فاطمة بنت محمد حتى تمر ان فاطمة احصنت فرجها فحرمها الله وذريتها على النار فاطمة بضعة مني يبغضني ما ابغضها ويبسطني ما يبسطها

وان

فاغتسل صح

وسلم

مطلب فضيلة فاطمة

وان الانساب تنقطع يوم القيمة غير نسبي وسببي وصهري فاطمة سيدة نسا اهل الجنة الا مريم بنت عمران اما ترضين ان تكوني سيدة نسا اهل الجنة قالت فاطمة نزل ملك من السما فاستأذن الله ان يسلم علي فبشرني ان فاطمة سيدة نسا اهل الجنة يا فاطمة الا ترضين ان تكوني سيدة نسا العالمين وسيده نسا العالمين وسيدة نسا المؤمنين وسيدة نسا هذه الامة وخبر اتاني جبريل بسفرجلة من الجنة فاكلتها ليلة اسري بي فعلقت خديجة بفاطمة قال الايمة ردا على تصحيح الحاكم له انه كذب موضوع جلي الوضع لان فاطمة ولدت قبل النبوة فضلا عن الاسرا وصح انه صلى الله عليه وسلم جلل على علي وفاطمة وابنيهما كسا وقال اللهم هولا اهل بيتي وخاصتي اي خاصتي اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقالت ام سلمة وانا منهم فقال انك على خير وفي رواية القى عليهم كسا ووضع يده عليها وقال اللهم ان هولا آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد انك حميد مجيد وفي اخرى ان الاية اي انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا نزلت ببيت ام سلمة فارسل صلى الله عليه وسلم اليهم وجللهم بكسا ثم قال نحو ما مر وفي اخرى انهم جاوا واجتمعوا فنزلت فان صحتا فهي نزلت مرتين وفي اخرى ان ام سلمة قالت الست من اهلك قال بلى وادخلها الكسا بعد ما قضى دعاه لهم وفي اخرى صحيحة انها قالت يا رسول الله انا من اهل البيت قال بلى ان شا الله وفي اخرى ان واثلة قال لما سمعه صلى الله عليه وسلم يصلي عليهم وهي تحت الكسا وعلي يا رسول

تمكنت اذا اشتقت تريح الجنة شممت رقبة فاطمة صح

الله فقال اللهم وعلى واثلة وفي اخرى صحيحة قال واثلة وانا من اهلك
قال وانت من اهلي قال واثلة وانها لمن ارجى ما ارجوا قال البيهقي وكانه
جعله في حكم الاهل تشبيها لمن يستحق هذا الاسم لا تحقيقا واشار المحب
الطبري الى ان التجليل بالكسا لمن ذكر تكرر منه في بيت ام سلمة وبيت فاطمة
وغيرهما وبه تجمع بين الاختلاف الروايات في هيئة اجتماعهم وما جللهم
به وما دعا به لهم وما اجاب به واثلة وام سلمة وفي اخرى سندها حسن
انه اشتمل على العباس وبنيه بملاءة ثم قال يارب هذا عمي وصنو ابي وهولا اهل
بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم بملاتي هذه فامنت اسكفة الباب
فقالت امين ثلاثا واقسم عليك بازواجك اللواتي تشرفن بان صانهن
عن النار والنقايص لما صح عنه صلى الله عليه وسلم ان الله لم يزوجه الا من
سيكون معه في الجنة منك حال من قوله نبا اي دخول وظاهر كلامه
ان من تزوجها ولم يدخل بها لا يحصل لها ذلك الشرف وينبغي تخريجه
على حرمتها على غيره فان قلنا تحرم وهو الاصح حصل لها الشرف او تحل
لم يحصل لها وهن احدى عشرة متفق عليهن ست قرشيات واربع عربيات
واسرايلية واولهن خديجة تزوجها صلى الله عليه وسلم بعد زوجين ولدت
لكل منهما ولها يوم تزوجها اربعون سنة واشهر وله خمس وعشرون
عند الاكثرين وكانت عرضت نفسها عليه كامر وهي اول من امن به من
النسا وفي الصحيحين ان جبريل قال يا محمد هذه خديجة قد اتتك باناء فيه
طعام او ادام فاذا هي اتتك فاقرا عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت

في

في الجنة من قصب اي لولوة مجوف لا صخب فيه ولا نصب واولاده صلى الله عليه
وسلم كلهم منها الا ابراهيم واختلف في عددهم وجملة ما اتفق عليه منهم
سنة القاسم ولد قبل النبوة وبه يكنى ومات بعد نحو سنتين على خلاف
فيه واربع بنات زينب وهي اكبرهن وماتت سنة ثمان من الهجرة عند
زوجها ابن خالتها ابي العاص بن الربيع ولدت منه عليا كان رديفه صلى الله
عليه وسلم يوم الفتح ومات قبل الاحتلام وامامة التي حملها في صلاته
تزوجها علي بعد فاطمة رضي الله تعالى عنها ثم رقية توفيت وهو صلى الله
عليه وسلم ببدر ولما عزي بها قال الحمد لله دفن البنات من المكرمات خرجه
الدولابي ثم ام كلثوم توفيت سنة تسع من الهجرة تزوجها عثمان بعد
ابني ابي لهب ثم فاطمة الزهرا البتول قال ابن عبد البر ولدت سنة احدى
واربعين من مولده صلى الله عليه وسلم والذي رواه ابن اسحاق انها ولدت
قبل النبوة زاد ابن الجوزي قبلها بخمس سنين وسميت فاطمة والزهرا
لما مر وبتولا لان الله قطعها عن النسا حسبا وفضلا او لانقطاعها
الى الله واختلف في انه صلى الله عليه وسلم هل ولد له غير اولئك الستة
فقيل الطيب والطاهر وعبد الله وقيل لا وان لقبان للثالث
ومات صغيرا وهو الاصح وقيل عبد مناف وقيل المطهر واما ابراهيم
فمن سريته مارية القبطية ولد في الحجة سنة ثمان وسماه ابراهيم
باسم ابيه قبل السابع او فيه روايتان وجمع بانها وقعت قبله مخفية
ثم ظهرت فيه وكان صلى الله عليه وسلم يذهب اليه وهو في العوالي عند

ظئرة الحداد فياخذه ويقبله ثم يرجع ثم توفي وله سبعون يوما وقيل
سنة وعشرة اشهر وقيل غير ذلك وفي رواية انه لم يصل عليه اي بنفسه بل
امرهم فصلوا عليه وفي حديث لو بقي لكان نبيا لكنه لم يبق لان نبيكم اخر
الانبيا لكن بالغ النووي في تزييفه وبطلانه ورد بانه وارد من طرق
ولا اشكال فيه لان القضية الشرطية لا تستلزم الوقوع بل ولا الامكان
توفيت خديجة قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين ودفنت بالحجون عن
خمس وستين سنة ثم تزوج سودة بنت زمعة بعد موت ابن عمها رضي
الله تعالى عنهما اخي سهيل بن عمرو بمكة لما ان رجعا من الحبشة بعد عقده
على عايشة ودخل بها قبل عايشة على ما جمع به بين الخلاف في ذلك واراد
طلاقها لما اسنت فوهبت نوبتها لعايشة فامسكها توفيت بالمدينة
في شوال سنة اربع وخمسين ثم عايشة بمكة في شوال سنة عشر من النبوة
ودخل بها في المدينة في شوال على راس ثمانية عشر شهرا وهي بنت تسع
سنين ولم يتزوج بكرا غيرها واحبها صلى الله عليه وسلم اكثر من بقية نسايه
ولما فقدها في بعض اسفاره قال واعروساه خرجه احمد وكانت فقيهة
عالمة حافظة فصيحة ماتت بالمدينة سنة سبع وخمسين وكناها
صلى الله عليه وسلم ام عبد الله بابن اختها عبد الله بن الزبير لا بسقط اسقطته
منه صلى الله عليه وسلم لان ذلك لم يثبت وهي وخديجة افضل امهات
المومنين ثم الاصح ان خديجة افضل لما صح ان عايشة لما قالت له قد رزقك
الله خيرا منها قال لا والله ما رزقني الله خيرا منها امنت بي حين كذبني

الناس

الناس واعطتني مالها حين حرمني الناس ولانه صلى الله عليه وسلم اقرا
عايشة السلام من جبريل وخديجة السلام من الله والاصح ايضا ان فاطمة
افضل من خديجة لما فيها من البضعة الكريمة التي لا يعادلها شي والخبر
المقتضي لخيرية خديجة اجيبت عنه بانه من حيث الامومة لا السيادة
وممن جرى على ذلك الامام المجتهد التقي السبكي فقال الذي نختاره وندين
الله به ان فاطمة افضل ثم خديجة ثم عايشة واختار ايضا ان مريم افضل
من خديجة للاختلاف في نبوتها ثم حفصة بنت عمر سنة ثلاث من الهجرة
بعد ما رجعت من هجرة الحبشة وموت زوجها بعد غزوة بدر وطلقها
بعد صلى الله عليه وسلم فاوحى اليه راجعها فانها صوامة قوامة وانها
زوجتك في الجنة توفيت سنة خمس واربعين ثم ام سلمة هند
بعد موت ابي سلمة سنة اربع وكانت من اكمل النسا ماتت سنة تسع
وخمسين ودفنت بالبقيع ثم ام حبيبة رملة بنت ابي سفيان بن حرب
بعد ان مات زوجها عبد الله بن جحش بالحبشة مرتدا سنة ست
زوجها النجاشي لعمرو بن امية الضمري وكيله صلى الله عليه وسلم
واصدقها عنه اربعماية دينار وبعث بها اليه صلى الله عليه وسلم
فدخل بها سنة سبع ماتت بالمدينة سنة اربع واربعين وتزوج
زينب بنت جحش بعد زيد زوجه الله تعالى اياها فدخل عليها
بغير عقد كما دلت عليه الاية وكانت تفخر بذلك على امهات المومنين
سنة خمس وقيل ثلاث وهي اول من مات منهن بعده وصح عن

عايشة لم تكن امراة خيرا منها فى الدين واتقى لله واصدق حديثا
واوصل للرحم واوسع صدقة واشد ابتذالا لنفسها فى العمل الذى
يتصدق به ويتقرب به الى الله تعالى اى هو الدبغ رواه مسلم
ماتت بالمدينة سنة عشرين وتزوج زينب بنت خزيمة الهلالية
وكانت تسمى فى الجاهلية ام المساكين لاطعامها اياهم سنة
ثلاث ثم ماتت بعد ثلاثة اشهر وتزوج ميمونة بنت الحارث
الهلالية سنة سبع بعد خيبر بسرف وبنى بها فيه وكان حلالا
وروابة محرما معناها انه فى الحرم على ان من خصايصه صلى الله
عليه وسلم ان له ان ينكح وهو محرم وماتت فيه سنة احدى وخمسين
وقبرها به مشهور يزار ويتبرك به وتزوج جويرية بنت الحارث
الخزاعية وكانت وقعت فى سهم ثابت بن قيس بن شماس الانصارى
فكاتبها وجات تسال النبى صلى الله عليه وسلم وعرفته بنفسها فقال
هل لك الى ما هو خير لك من ذلك اودى عنك كتابتك واتزوجك
قالت نعم فسمع الناس بذلك فاعتقوا ما فى ايديهم من قومها
وقالوا اصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عايشة فما رايتا
امراة كانت اعظم على قومها بركة منها اعتق فى سببها ماية اهل
بيت بنى المصطلق خرجه ابو داود وعن ابن شهاب انه اختارها
من السبى فحجبها وقسم لها وكانت بنت عشرين سنة توفيت سنة
خمسين وتزوج صفية بنت حى من نسل هارون صلى الله على نبينا

وسلم

مصطلق ص
من ح

وسلم

وعليه السلام وعلى ساير الانبيا والمرسلين وهى من سبى خيبر اذن
صلى الله عليه وسلم لدحية فى اخذ جارية فاخذها فقيل اعطيته
سيدة قريظة والنضير لا تصلح الا لك فخشى عليهم الفتنة فاعطاه
غيرها ثم اعتقها وتزوجها وبنى لها وهو راجع الى المدينة وفى
رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لها هل لك فى قالت يا رسول
الله انى كنت اتمنى ذلك فى الشرك وكان بعينها خضرة فسالها
عنها فقالت انها كانت نايمة وراس زوجها ملكهم فى حجرها فرات
قمرا وقع فى حجرها فاخبرته فلطمها وقال تتمنين ملك يثرب ماتت
فى رمضان سنة خمسين ودفنت بالبقيع فهولا نساوه الجمع عليهن
واختلفوا فى ثنتى عشرة امراة فبعضهن الاصح فيه انه طلق قبل
الدخول وبعضهن الاصح فيه انه لم يتزوجه ومحل بسط ذلك
كتب السير **الامان** اى اقسم عليك بهولا المذكورين وما ينحتم به ان
تنيلنى من حضرتك بواسطة شفاعتك فى الى من لا تخيب شفاعتك
اوان تومننى الامان **الامان** تاكيد اى من عقاب ما اقترفته من
الذنوب وقطيعة ما جمعته من العيوب **ان** بالفتح تعليلا
والكسر استينافا وفيه ايما الى العلة ايضا **فوادى من** اجل
ذنوبا بيتهن هوا اى خال عن فهم ما ينفعنى فى دينى ودنياى
لفرط الحيا والخجل من الله والدهشة من خوف عقابه وسخطه
وفى نسخة هبا اى لا وجود له فيرجع لمعنى الاول ومما يعطفك

على حتى يزيد اعتنا وكنى وامدادك لي اى قد تمسكت قد توثقت
واعتصمت من ودادك اى محبتى لك وكون المحبة تستلزم الاتباع
انما هو اغلبى كما يدل عليه حديث يا رسول الله المرء تحب القوم ولما
يعمل بعلمهم فقال المرء مع من احب وانما المستلزم لذلك هو
كمالها وان ذلك من الناظم من هضم النفس بتقدير ما لم يقع واقعا
كما هو شان الخوف المراعى مطلقا او فى بعض الاحوال بالحبل اي
السبب الاقوى وهو العهد الوارد عنك فى الاحاديث الصحيحة
ان المرء مع من احب وان لم يعمل بعملهم الذى استمسكت به
الشفعاء من الانبيا والاوليا والعلما والصلحا فلم يحصل لهم مرتبة
الشفاعة الا بواسطة محبتهم لك واذا اورثتهم محبتك قبول
شفاعتهم فى الاغيار اورثتنى وقوع شفاعتك فى بجامع انى احبك
كما يحبونك وان اختلف مقدار المحبة فى الطرفين واعلم ان العلما
والعارفين اختلفت عباراتهم فى المحبة وكثرت ولكن ليس اختلافا
فى حقيقتها بل احوالها وثمراتها اذ حقيقتها من المعلومات التى
لا تحد كما اطبق عليه المحققون وانما يعرفها من قامت به وجدانا
لا يمكن التعبير عنه ومن ثم قال صاحب مدارج السالكين لغيره
هى لا تحد بحد اوضح منها فالحدود لا تزيدها الا خفا وجفا وانما
تكلم الناس فى اسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدها وثمراتها
واحكامها فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الشرطية وتنوعت

بهم العبارات وكثرت الاشارات بحسب الادراك والمقام وقد وضعوا
لها حرفين مناسبين لها غاية المناسبة الحا التى هى من اقصى الحلق والبا
الشفهية التى هى نهايته فللحا الابتدا وللبا الانتها وهذا شان المحبة
وتعلقها بالمحبوب فان ابتداها منه وانتهاها اليه واعطوا الحب الضم
الذى هو اشد الحركات واقواها مطابقة لشدة حركة مسماه وقوتها
واعطوا الحب وهو المحبوب الكسر لخفتها المطابقة لخفة المحبوب
وذكره على القلب واللسان وهذه مناسبة عجيبة بين الالفاظ
والمعانى فعلمك بان غير لغة العرب لا تلحقها واعلم ايضا انه صح في
الحديث لا يؤمن احدكم حتى اكون اليه احب من ولده ووالده
وماله والناس اجمعين قالوا المراد هنا حبه صلى الله عليه وسلم اي
الميل الاختيارى لا الطبعى وكلهن كان ذا نفس مطمئنة كان حبه راجحا
وامارة كان مرجوحا وفى كلام عياض ان هذا شرط لصحة الايمان
ورد بانه حمل المحبة على معنى التعظيم والاجلال وليس مرادا هنا
اذ اعتقاد الاعظمية لا يستلزم المحبة اذ قد يجد الانسان اعظام
شى مع خلوه عن محبته وانما المراد الميل كما تقرر فمن لم يجد ذلك الميل
لا يكمل ايمانه وفى صحيح البخاري ان عمر قال يا رسول الله انت احب
الى من كل شى الا من نفسى التى بين جنبى فقال صلى الله عليه وسلم لن
يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه فقال عمر والذى انزل
عليك الكتاب لانت احب الى من نفسى التى بين جنبى فقال صلى الله

عليه وسلم الآن يا عمر فهذه المحبة ليست باعتقاد الاعظمية فقط فانه حاصل
لعمر قطعا وانما وقف لان حب الانسان نفسه طبعي وغيره اختياري
بواسطة الاسباب وهذا هو الذي اراده من عمر اذ لا سبيل الى قلب
الطبع وتغيير ما جبلت عليه النفس فجواب عمر اولا بحسب الطبع ثم تامل فعرف
بالدليل انه صلى الله عليه وسلم احب اليه من نفسه نظرا لكونه الذي انقذه
من هلاك الدنيا والاخرة فاخبر بما اقتضاه الاختيار فاجابه بالآن
اى عرفت فنطقت بما يجب ومن علامة محبته صلى الله عليه وسلم ايثار ما امر به
ونهيه على جميع اغراضه قال القرطبي وكل من آمن به ايمانا صحيحا
لا يخلو عن وجد ناشى من تلك المحبة الراجحة لكنهم يتفاوتون فيها
تفاوتا ظاهرا وكثير من العامة يوثر رؤيته على اهله وماله وولده
وكذا زيارة آثاره لما وقر في قلوبهم من محبته غير ان ذلك سريع
الزوال لتوالي الغفلات والشهوات عليهم **واى الله** اى لم يرد
كما جرت به عادة كرمه وفضله وجوده كما دل عليه ما تفضل به عليك
بقوله عز قايل ولسوف يعطيك ربك فترضى والمعلوم المستقر من
اخلاقك الجميلة والذى دلت عليه اثارك الجليلة ان من لجا اليك
لا تخيبه من شفاعتك ولا تحرمه ربه من فضله مسارعة الى رضاك
ومن ثم اخبرنا عنه تعالى انه سبحانه يقول لك في ذلك الجمع الاكبر
على رؤس الاشهاد قل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع **ان يمسنى
السوء حال** اى في حال من الاحوال الدنيوية والاخروية **و**الحال

انى

انى **اليك التجا** اى استناد لمزيد محبتي لك واخذ متين لجنابك وهو كذلك
حقيق بانه لا يناله من ذيه عذاب ولا سخط ولا حرمان ولا قطيعة ولاجل
ذلك **قد رجوناك** معشر محبيك واخدامك ايها النبي الكريم اى املنا فيك **للامور**
الخطيرة العظيمة من الذنوب والمخالفات والغفلات والشهوات **التى
ابردها** اى ابسرها **فى فوادنا رمضا** اى نار تتقد من شدة خوف المؤاخذة
بما كسبته قلوبنا والسنتنا وجوارحنا وبين ابردها ورمضا والفقر
والغنا المطابقة **واتينا اليك** بقلوبنا اى وجهناها الى الاستعاذة
بك من كل مكروه او الى قبرك المكرم حال كوننا **انضا** جمع نضو بكسر النون
اى مهازيل **فقر** من الاعمال الصالحة فلكثرة ما حملناه من الذنوب
ضعفنا عن حمله ووهن لنا بسبب ثقله **حملتنا الى** حضرتك التى فيها
الغنى الاكبر انضا اى ركايب مهازيل اجهدها طول السير وشدة الاسراع
بها الى الوصول الى حضرتك العلية اغتناما للوقوف بساحة
كرمها والتملى بشهودها احسانها ونعمها **وانطوت** اى استترت **فى الصدور**
اى القلوب **حاجات نفس** املت حصولها من جنابك الكريم برفعها اليك
اذا وصلت الى حضرتك وحظيت بحلول نظرك منها الاسنى ادنى
مزاياك والتوسل والتشفع بك الى مولاك لانه وسيلة اليه اقرب
منك اليه ولا احد بعدك يقول الكمل فضلا عن غيرهم عليه فحينئذ
كانت تلك الحاجات **ما لها عن ندى** اى عطا **يديك** الكريمتين **انطوا** اى
استتار واستغنا بل لا يقضيها غير جاهك الواسع ولا يمن بها غير عطايك

الهامع فلا ارتحال لنا عن واسع جودك ولا انصراف عن ساحة كرمك بل لا نزال مقيمين بجوارك مستمطرين لندى اثارك طامعين فى حصول كل ما املناه بشفاعتك التى هى مطمع المقربين ووسيلة المقصرين **فاغثنا** بها لنقضى جميع حاجاتنا لوفور جاهك وعظيم منزلتك عند ربك **يا من هو الغوث** للمكروبين والملجا للمنقطعين المنقذ لهم من الشدايد **والغيث** المريع للمضطرين المشبع للجايعين الجزل لهم من العوايد فازل شكوانا وارفع لاوانا **اذا اجهد الورى اللاواء** اى اذا ضيق على الخلق الجدب حتى اشرفوا على التلف **والجواد الاعظم الذى** لم يخلق الله من يصل الى مراتب جوده فضلا عن ان يساويه فيه **به** اى بسببه **تفرج الغمة عنا** معشر امته **وتكشف الحوبا** بفتح اوله وضمه اى الاثم اى عقابه والشدة والحاجة والحالة القبيحة وفى نسخة تفرج الكربة عنا وتنكشف الغماء وهى بمعنى الاولى لتساوى الغمة والكربة اذ هما الكرب الذى يشتد على النفس الى ان يكاد يقتلها والغما والحوبا من معانيها المذكورة من غم الهلال اذا استتر بغيم او نحوه والخبر استعم **يا** بدا يتضمن غاية الاستعطاف والتحنن والترحم وهو معطوف على النداء قبله بحذف حرف العطف او مستانف لكنه بعيد **رحيما** من الرحمة وهى رقة القلب وغايتها التفضل والانعام واراد بما ورد فى باسما اول ابيات هذه القصيدة ما يتعين استحضاره هنا **بالمومنين** مقتبس من قوله تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم وكان بالمؤمنين رحيما

ورد

معنى الايمان ماذا

ومر فى شرح قوله رحمة كله ما يعلمك بسعة رحمته لا سيما بالمؤمنين وبا هر رافته لا سيما على الضعفاء والمساكين والايمان التصديق الاجمالى فى الاجمالى والتفصيلى فى التفصيلى بجميع ما علم من دين محمد صلى الله عليه وسلم بالضرورة عندنا اذ لا يكفر منكر غير الضرورى وهو ما يستوى فى معرفته الخاص والعام او بالاجماع وان لم يكن ضروريا لان انكار المجمع عليه غير الضرورى كفر عند غيرنا بل وجماعة منا ولا يكفى التصديق وحده بل لا بد معه من الاقرار بالشهادتين باللسان فان تركه مع القدرة عليه كان كافرا مخلدا فى النار كما نقله النووى عن اهل السنة لكن اشار الغزالى الى ما اختاره جمع محققون غيره انه من اهل الجنة وتركه التلفظ معصية فقط لان قلبه مملو بالتصديق فكيف يخلد والكلام فيمن لم يمتنع منه جحودا او انكارا والا كان كافرا اجماعا والاعمال من الايمان عندنا كاكثر المحدثين اى من كماله فالميت مؤمنا فاسقا تحت المشية قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقالت الخوارج انه كافر والمعتزلة انه لا كافر ولا مؤمن وهو عندهما مخلد فى النار لانتفاء الايمان المتكفل بدخول الجنة **تنبيه** مما تتعين الاحاطة به لعظم جدواه وعزة نحواه اعلم ان رحيما صيغة مبالغة بل ذكر غير واحد انه ابلغ من الرحمن وانه يستعمل فى الله وفى غيره لكن فى استعمال صيغة المبالغة فيه تعالى اشكال ومن ثم قال بعض الايمة صفات الله تعالى التى على سبيل المبالغة كلها مجاز

لاستحالة حقيقة المبالغة فيها لانها ان تثبت للشي اكثر ماله وصفاته
تعالى متناهية الكمال وايضا فهي انما تكون في صفة تقبل الزيادة والنقص
وصفاته تعالى منزهة عن ذلك واستحسن ذلك التقي السبكي وغيره ⊙
فاستشكل والله على كل شي قدير فانه لما فيه من المبالغة يستلزم الزيادة
على معنى قادر وهي محال واجاب الزركشي عن الاول بان صيغة المبالغة
اما بحسب زيادة الفعل او تعدد المفعولات وهذا لا يوجب للفعل
زيادة لان الفعل الواحد قد يقع على متعدد وعلى هذا تحمل صفاته
تعالى بلا اشكال ولهذا قال بعضهم في حكيم معنى المبالغة فيه تكرر
حكمه بالنسبة الى الشرايع وفي الكشاف المبالغة من التواب اي
في نحو وهاب وتواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده
في قبول التوبة حتى نزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه وغير
الزركشي وهو ان المبالغة لما تعذر حملها على كل فرد وجب صرفها
الى مجموع الافراد التي دل السياق عليها فهي بالنسبة الى كثرة المتعلق
لا الوصف واعلم ايضا ان نفي المبالغة في الفعل لا يستلزم نفي اصل
الفعل ويشكل عليه وما ربك بظلام للعبيد وما كان ربك نسيا
واجيب عن الاول بان ظلاما وان كان للكثرة لكنه جي به في
مقابلة العبيد الذي هو جمع كثرة ويرشحه قوله تعالى علام الغيوب
عالم الغيب قابل في الاول المبالغة في الجمع وفي الثاني صيغة اسم
الفاعل الدالة على اصل الفعل بالواحد وبانه نفي الظلم الكثير لينتفي القليل

[illegible]

لان الظالم يقصد بظلمه الانتفاع بما ياخذه فاذا ترك الكثير مع زيادة
نفعه فالقليل اولى وبانه صح بمعنى انه ذي ظلم ونسب للمحققين وبانه بمعنى فاعل
فلا كثرة فيه وبان اقل القليل لو وقع منه تعالى لكان كثيرا كما يقال زلة
العالم كبيرة وبانه اراد ليس بظالم تاكيدا للنفي وعبر عن ذلك بليس
بظلام وبانه ورد ردا على من قال ظلام فلا مفهوم له وبان صيغة
المبالغة وغيرها في صفاته تعالى سوا في الاثبات فجرى النفي على
ذلك وبانه تعريض بان ثم ظلاما للعبيد من ولاة الجور وهذه كلها
تصلح جوابا عن الثانية وزيد عاشر وهي مناسبة رؤس الاي اذا
ظرف لرحيما ما زايدة ذهلت اي غفلت عن ابنايها الرحما مقتبس
من قوله تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات
حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد
وتقييد رحمته بالمؤمنين بهذا اليس صح الانتفا بها في غيره بل لانها في هذا اليوم
اظهر واعم لان الله تعالى يظهر له صلى الله عليه وسلم من العظمة والسودد
والتقدم على جميع الانبيا والمرسلين وتخصيصه بالشفاعة العظمى
في فصل القضا ما يعلم جميع اهل ذلك الموقف انه لا اقرب منه الى
ربه وان كل سبب ينقطع في ذلك اليوم الا على حبه وسببه وفي الوجيم
والوجادد النجز على الصدر والذمام والذما وصاعدان وصعدا
واقتفى واقتفا وعرة وعرا ويتقي والاتقى وذرعا وذرعا والعوج
والعرجا ودعي والرضا وحب والحبا جناس الاشتقاق او شبهه واعمال

الا سببه وحسبه صح

وتال حباس ناقص وبطان وبطا لاحق وحروا لحرحرف باشفيعا من الشفاعة
وهي السعي في اصلاح حال المشفوع فيه عند المشفوع اليه في المذنبين
في غفران ذنوبهم وكشف كروبهم اذا ظرف لشفيعا وفيه ما في الذي قبله
ما زايدة اشفق اي ذل اذ الشفق يطلق على المشقة وشان من حصلت
له المشقة الذلة والدهشة وحمله على هذا هو الصواب واما تفسير الشارح
فهو وان كان موضوعا له ايضا لكنه لا يناسب هنا الا بتكلف ثم قوله من اجل خوف
عقاب ذنبه عايد للبرا لتقدم رتبته وافراده نظرا للفظ لا للمعنى اولكون
المراد منه الجنس على حد قوله صلى الله عليه وسلم خير نسا ركبن الابل نسا قريش
احناه على طفل الحديث البرا من الكبائر جمع بري بوزن قتيل وذكرهم
لان خوفهم من الصغاير فقط يدل على شدة ذلك اليوم ومناقشة الحساب
فيه وان الخوف فيه من الذنوب يعم اكثر الناس لانهم لا يخلون عن صغيرة بل
صغاير بل لا يخرج من ذلك الا المعصومون ويلحق بهم المحفوظون ومع ذلك
يعمهم الخوف ايضا وان لم يكن لهم ذنب كيف والانبيا شعارهم في ذلك
اليوم اللهم سلم سلم جد يا من تخلى بكمال الرحمة ونهاية الشفاعة بجاهك
الواسع فانه لا اوجه منك عند ربك لعاص استاسرته الخطايا واحاطت
به المحن والبلايا والامل لي ولنا فهو تجريد والتفات واثر فيه التنكير
لما ياتي ولم يعين ما يجود به عليه قصد العموم المسئول بان يجود عليه
في ذلك اليوم بايصاله لشفاعته له الى كل مرغوب وصرفه عن كل مرهوب
وما نافيه سواي اي غيري هو العاصي ولكن تنكري الواقع في قولي لعاص

استحيا

استحيا منك ان اذكر لك نفسي بلفظ يدل عليها بخصوصها مواجها لك بالتصريح
بارتكابها ما نهيتها عنه وحمل الاستحيا على التنكر مبالغة كرجل عدل فان
قلت ذاتك مصدر ان يحمل فهذا قلت المراد التشبيه من حيث
ان الخبر في كل يحتاج لتاويل لان الحمل شرطه المساواة وهي غير موجودة هنا
لتباين مدلوليهما هذا انقرير عبارته وفيه مواخذتان احديهما الذي
عليه الجمهور ان ضمير الفصل انما يفيد قصر المسند على المسند اليه وكذا
تعريف الخبر على ما ذكره صاحب المفتاح ويشهد له الاستعمال نحو ان الله
هو الرزاق اي لا رزاق سواه وفي الفايق وكلام الكشاف يميل اليه
ان تعريف الخبر قد يكون لقصر المسند اليه وقد يكون لقصر المسند بحسب
المقام فعلى الاول ان هو العاصي دال على حصر العصيان في سواي كزيد
هو القايم والمستفاد من النفي الداخل على الجملة نفي ذلك على الحصر بنا
على ما هو المشهور ان النفي يتوجه للقيد ايضا توجه الاعتراض الاتي
من باب اولى وح فمفهومه يشمل شيئين انه عاص وحده وانه عاص هو
وغيره لانك اذا قلت ليس سوى زيد هو القايم احتمل مفهومه ان زيدا
هو القايم وحده وانه هو وغيره قايمان واذا افهم النظم ذلك لم يصح
قوله ولكن الى اخره لانه اثبت على احتمال العصيان لغيره معه وهو
خلاف قصده من انه العاصي وحده اي ادعا وهضما للنفس لا حقيقة لان
الواقع خلاف ذلك ثانيتهما ان التنكير هنا لا نسلم انه يفيد الاستحيا
ولين افاد فشان السايل عدم الحيا لان المطلوب من المحتاج ان يرفع

وان توجه للمقيد صح

حاجته مبينا لنفسه حتى يعرف حاله فيتعطف عليه فابهامه لنفسه حينئذ
غير لايق ولك ان تجيب عن الاولى بان من الواضح ان سوى كغير فلا تتعرف
بالاضافة الا اذا وقعت بين ضدين بل قال جماعة لا تتعرف بها مطلقا
وان ال في العاصي العهد الذهني فهي للجنس على حد • ولقد امر على اللئيم
يسبني • فيراعي فيها التعريف تارة والتنكير اخرى وح ذاك الحصر الموهم
مفهومه مامر وصار المعنى وما سواي عاصيا بل انا العاصي وحدي
وعن الثانية بان السايلين على اقسام منهم من يغلب عليه الحيا والخجل
من ارتكابه ما كان سببا لسؤاله فيستر نفسه حيا وخجلا من المواجهة
بالتصريح بارتكاب القبايح وسترا واحتشاما من اعترافه بالنقايص
والفضايح خشية من ان يظهر عليه ما يعين سبب سؤاله فيكون مقتضيا
لحرمانه والناظم رحمه الله تعالى لمزيد اجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم راعى
ذلك فنكر نفسه وذكر الوصف المقتضي لسؤاله على جهة الابهام لا
التفصيل حيا من ان يبين نفسه او معصيته فيكون سببا لرده تنبيه
لازلت انظلب ان ما ذكره الناظم هنا من ان سبب التنكير قد يكون ⊙
الاستحيا هل صرح به احد غيره حتى وجدتهم صرحوا بما يقرب منه
وهو قولهم لكل من التنكير والتعريف مقام لا يليق بالاخر فمن اسباب
التنكير ارادة الوحدة نحو وجا رجل من اقصى المدينة يسعى اى وحد
ارادة النوع نحو هذا ذكر اى نوع من الذكر وعلى ابصارهم غشاوة اي
نوع غريب من الغشاوة لا يتعارفه الناس بحيث غطى ما لا يغطيه شي

من الغشاوات ومما يحتملهما والله خلق كل دابة من ما اى كل نوع منها
من كل نوع منها او كل فرد من افرادها من افراد النطف ارادة التعظيم
بمعنى انه اعظم من ان يعين ويعرف نحو فاذنوا بحرب ولهم عذاب ان
لهم جنات وسلام عليه او ارادة التكثير نحو ان لنا لاجرا اى وافرا
جليلا او ارادة التقليل نحو ورضوان من الله اكبر اى رضوان قليل
منه اكبر من الجنات واثرها او ارادة التحقير بمعنى انحطاط شانه الى
حد لا يمكن ان يعرف نحو اي شي خلقه اى من شي حقير مهين ثم بينه
بقوله من نطفة خلقه وهذا المعنى يقرب من الاستحيا الذى
ذكره الناظم وهنا قاعدة يعم نفعها وهي ان الاسم اذا ذكر مرتين
فان كانا معرفتين فالثاني عين الاول غالبا دلالة على المعهود
الذي هو الاصل في اللام او الاضافة نحو اهدنا الصراط
المستقيم صراط الذين او نكرتين فالثاني غير الاول غالبا وقد
اجتمعا في ان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا قال صلى الله عليه
وسلم لن يغلب عسر يسرين فهو تصريح بما ذكر في القسمين او الاول
نكرة فقط فكالقسم الاول نحو رسولا فعصى فرعون الرسول او
عكسه حكمت القراين ونقضت هذه القاعدة بايات كثيرة هل جزا
الاحسان اى العمل الا الاحسان اى الثواب وهو الذي في
السما اله وفي الارض اله ويوت كل ذى فضل فضله ويرده مامر
من انها اغلبية على ان بعض المحققين بين ان جميع ما اورد عليها

من الايات من جملة افرادها وانه لم يشذ عنها شي لكن في بعضها تكلف
وتداركه اي ادركه بالعناية منك له بان تمده بسوابغ كرمك
وتفرغ عليه سجال حلمك حتى لا ياتى قط بمفوة مادام له بالذمام
بمجمة فتسم يتعلق بتداركه والا لزم خلوه عن معنى يليق بالسياق
اي تداركه بحق حرمتك التي انعم الله بها عليك ما دام له منك
ذماء بالمجمة اي تعلق واصله بقية الروح في المذبوح اي مادام
فيه ادنى تعلق واستمساك بك لانك اكرم الكرما من الخلق
وعادة الكريم ان من تعلق به نجاه من كل ما يخافه من اليم العذاب
وبعد الحجاب ولم لا وقد اخزته اي ذلك العاصي الاعمال السيئة
التي ارتكبها والمال الفاني الذي امسكه عن صرفه في وجوه الخير
او جمعه من وجوه الشر حتى اشتغل به قلبه وطاش في جمعه لبه
ولم يبال من اي واد جمعه ولاباي وصف اكتسبه عما قدمه
الصلحون جمع صالح وهو القائم بحقوق الله تعالى وحقوق العباد
وهو يشمل حتى الملايكة ومن ثم اخبر صلى الله عليه وسلم ان المصلي
اذا قال في تشهده السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اصابت
كل عبد لله صالح في السما والارض وبين اخزته وقدمه التطابق
كالحسنات والسيات والملح والفرات والاستقامة والاعوجاج
والنوم واليقظة ووراء وامام والصيف والشتا والحر
والبرد ويومي وليلتي والرجا والخوف والاقويا والضعفا الابيات

والاغنيا

والاغنياء من الاعمال الصالحة والانفاق في وجوه الخيرات
وهذا لف ونشر مرتب لان الاول للاعمال والثاني للمال ثم اعترف
بذنوبه لان الاعتراف مظنة العفو قال تعالى واخرون اعترفوا
بذنوبهم الاية متندما عليها للحديث الصحيح الندم توبة فقال
كل يوم وليلة ذنوبه صاعدات مع ملايكة الليل والنهار الذين يرفعون
اعمال العباد فيهما الى الله تعالى لاظهار العظيم فضل الطايع وقبح
فعل العاصي وعليها اي من اجلها انفاسه صعدا اي متواترة ممدودة
من شدة ما يلقى من كرب الندم وفرط الأسف عليها وسببا لوقوع
في ورطتها انه الف البطنه بالكسر اي ملا بطنه من الطعام
والشراب كذا قاله الشارح والذي في القاموس انها الاشر
والبطر وقال في البطر انه النشاط والاشر وقلة احتمال النعمة
٢١٤ والدهش والحيرة والطغيان بالنعمة وكراهية الشي من غير
ان يستحق الكراهية انتهى وكل ذلك صحيح هنا وقال في البطن
بوزن كتف انه الأشر المتمول ومن همه بطنه والرغيب لا
ينتهي من الاكل المبطية السير الى الله تعالى اي المعوقة عن
الاجتهاد في رضاه باستفراغ الوسع في الاعمال الصالحة
التي هي هداية السبيل وتنزيه النفس عن كل وصف دني وخلق سبب ح
رذيل ولو لم يكن من شوم البطنة الا ما اشار اليه صلى الله عليه
وسلم بقوله المؤمن ياكل في معا واحد والكافر ياكل في سبعة امعا

من الخطايا تفسد العقل باذهاب فطنته والبدن بازالة نشاطه
وقوته بدار وهي الدنيا لها اى فيها البطان جمع بطين ككرام جمع
كريم بطا جمع بطي على وزان الجمع قبله فهم متاخرون عن الفايزين
متخلفون عن السابقين فبسبب عصيانه بكى ذنبه بقسوة
قلب اى مع شدته وغلظه المؤديين الى ان البكا صورى لا حقيقي
ومن ثم نهت تلك القسوة الدمع عن ان يبرز منه شي في عين
ذلك الباكي فبسبب هذا النهي انقلب البكا عن حقيقته وهي
حزن يعتري القلب فيحصل له من الهيبة والقلق المزعج والخوف
المقلق ما يجري الدموع وينتج الرجوع وصار ذلك البكا كانه
مكاء بالتخفيف اى كالصفير بجامع ان كلا صوت جرى على اللسان
ولم يتاثر به القلب وبين البكا والمكا الجناس المضارع وغدا اى
صار ذلك العاصي بعد ما وقع منه من المعاصي والبكا الذي
لا يفيد لمزيد قسوة قلبه يعتب من عتب عليه وجد عليه القضا
من قضاه صنعه وقدره اى يقول لم او كيف قدر على هذا والحال
انه لا عذر لعاص يحتج به على الله تعالى حتى يسقط اثمه ويندفع
مؤاخذته فيما يسوقه اليه القضا والقدر من المعاصي لان
الله تعالى اجرى عادته الالهية في هذا العالم على اسباب ومسببات
تناط بتلك الاسباب وبنسبب وقوعها اليها نظرا للصورة
الوجودية وان كان الكل في الحقيقة انما هو بقضائه وقدره

مبحث القضاء والقدر

كما يدل على ذلك كله قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله
رمى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم فاسند تعالى اليهم الرمي
واليهم القتل باعتبار الصورة الوجودية ونفاهما عنهم باعتبار
الحقيقة الايجادية اشارة الى انه يجب علينا رعاية المقامين
بان نسند الافعال الى فاعليها صورة ليمدحوا او يذموا باعتبار
جريان تلك الصورة عليهم والى الله تعالى حقيقة من حيث عجز
العبد عن ذلك وانفراد الحق تبارك وتعالى به وان نعتقد
بطلان مذهب القدرية الذين ينفون قدرة الحق ويثبتون
قدرة العبد تخيلا منهم انهم فروا بذلك عن نسبة القبيح الى
الله تعالى وغفلة عن انه يلزمهم ما هو اقبح من ذلك وهو ان
يجري في ملكه تعالى ما لا يشاؤه وعلى ان نسبة افعال العباد اليه
تعالى لا تستلزم نسبة القبيح اليه لان الشي انما هو قبيح
بالنسبة لفعلنا لا لفعله لانه يتصرف في ملكه بما يشا ولا يسال
عما يفعل وهم يسئلون وان نعتقد بطلان مذهب الجبرية
ايضا لانه يلزم عليه ان لا ثواب ولا عقاب ولا مدح ولا ذم
لان المجبر المكره على الشي من كل وجه لم يصدر منه فعل ينسب
اليه حتى يدار عليه حكم وقد علم من الشريعة الغرا ان الله تعالى
اسند الافعال لعباده ومدحهم عليها تارة وذمهم اخرى
فنتج ما قلناه من التوسط بين المذهبين بان نظرنا الى الافعال

من حيث الصورة وانطنا بها احكاما ومن حيث الحقيقة وانطنا بها
احكاما لان هذا هو العدل السوى والطريق الواضح الجلى
ونظير هذا مذهب الرافضة والناصبية واهل السنة فالرافضة
سبوا الشيخين وعثمان واكثر الصحابة ووالوا عليا وشيعته ۝
والناصبية سبوا عليا وشيعته ووالوا اولئك الاكثرين واهل
السنة عدلوا فوالوا الكل وترضوا عنهم فكانوا فى الجنة وكان
كل من ذينك هنا وفيما مر فى النار فان قلت قوله ولا عذر
الخ ينافيه احتجاج ادم بالقضا والقدر فى قصته المشهورة مع موسى
صلى الله عليهما وسلم لما قال له موسى انت ابونا ادم الذى اخرجتنا
من الجنة بخطيئتك اى بالنسبة لمقامك والا فهى ليست خطيئة
حقيقة لانه نسى ما كان فى الاية وايضا فلعموم عصمة الانبيا
فقال له كم تجد فى التوراة قدر على ذلك قبل ان اخلق باربعين
سنة فقال اتلومنى على ذنب قدره الله على قبل ان اخلق باربعين
سنة فقال نبينا صلى الله عليه وسلم فحج ادم موسى وكذلك احتج
عمر على ابى عبيدة بالقدر لما ذهب الى الشام فراى فيها طاعونا
فاراد الرجوع فقال له ابو عبيدة افرارا من قدر الله يا امير المومنين
فقال له عمر لو غيرك قالها يا ابا عبيدة اى لاوجعته ضربا نعم
نفر من قدر الله الى قدر الله قلت لا ينافيه اما الاول فلان
الاحتجاج بالقدر ان كان قبل الوقوع فى الذنب ليكون وسيلة فى الوقوع

فيه

كما مر

٢١٤

فيه لم يجز وان كان بعد الوقوع فيه وقيل ان يستوفى منه ما وجب به ليمنع
بذلك مواخذته به لم يجز ايضا وان كان لا ليمنع ذلك بل ليمنع تعييره
به ساغ له ذلك كما صرح به قوله صلى الله عليه وسلم فحج ادم موسى واما
الثانى فالواقع من عمر ليس من الاحتجاج بالقدر فى ذلك وانما هو بيان
الاسرار ما جات به الشريعة المطهرة لان الشارع نهى عن دخول
بلد الطاعون مع انه ان قدر موته بذلك الطاعون لم ينفعه
عدم الدخول او لا لم يضره ذلك الدخول فبين عمر رضى الله تعالى
عنه ان المسببات منوطة باسبابها من غير نظر فى عواقبها وان
الله تعالى كما قدر على اناس بالموت بالطاعون قدر على اخرين عدم
الموت به فالامتناع من الدخول فرار من القدر الى قدر اخر والدخول
تجاسر على ما لعله يكون فتنة للداخل فانه لو وقع به ربما نسب
موته الى فعله فحرم عليه خشية الفتنة فان قلت والممتنع من
الدخول اذا سلم ربما نسب السلامة الى فعله ايضا قلت
هذا اخف لان الاول القاء باليد الى التهلكة وهى منهى عنه
فى الكتاب والسنة والثانى بمنزلة التداوى والفرار من المهلك
وهذا محمود فى الكتاب والسنة فان قلت لما جاز الفرار قبل
الدخول لا بعده مع استوائهما فى المعنى المعلل به فيما مر قلت
لا مساواة بينهما لانا لو جوزنا الفرار لاهل البلد لخرجوا وتركوا المرضى
من غير حافظ ولا متعهد وذلك يودى الى هلاكهم غالبا فاقتضت

المصلحة العامة منع الناس من الخروج واما من لم يدخلها فلا يترتب على
عوده مفسدة فجاز ثم رايت الغزالي ذكر ما قررته في الجواب
عن كلام عمر رضي الله تعالى عنه ونقله عنه النووي وغيره واقروه
حيث قال فان قيل ما فايدة الدعا مع ان القضا لا يرد فاعلم
ان من جملة القضا رد البلا بالدعا فالدعا سبب لرد البلا ووجود
الرحمة كما ان الترس سبب لرد السلاح والما سبب لخروج النبات
من الارض فكما ان الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعا
والبلا وليس من شرط الاعتراف بالقضا ان لا يحمل السلاح وقد
قال تعالى وليأخذوا حذرهم واسلحتهم فقدر الله تعالى الامر
وقدر سببه انتهى فتامل هذا المحل فانه نفيس وفيه شبه كثيرة
ازالها بحمد الله هذا التقرير الواضح لمن الهم رشده واسعد الله
جده وخلصه من ورطات الفتن وغوايل البدع والمحن حقق لنا
ربنا ذلك بمنه وكرمه واذا تقرر انه لا عذر فيما يسوقه القضا
بالمعنى السابق سوا كانت المعصية صغيرة او كبيرة فكيف يعذر
من اوثقته اي حبسته في الدنيا عن الخلوص من التبعات وفي
الاخرة عن مقامه المكرم من الذنوب حال متقدمة على صاحبها
وهو ديون تراكمت عليه ناشية من كثرة ذنوبه وتفريطه في
حقوق الله تعالى وحقوق عباده شددت في اقتضايها اي طلبها
منه الغرما لان حقوق الادميين مبنية على المشاحة والمضايقة

ماله

ما له حيلة اي طريق في التخلص من تلك الديون سوى حيلة الموثق
اي الاسير الذي صار لا يقدر على هرب ولا تخلص وحيلة من هو
كذلك تنحصر في ذلك شيئين لا ثالث لهما لانها اما توسل الى الله
تعالى في خلاصه بما سبق له من عمل صالح او بشفاعة الشافعين
او دعا اليه في ان يرضي عنه غرماه ويسبل عليه ذيل عفوه وحلمه
ورضاه راجيا حال من عاص وضمايره المذكورة اي مومل املا
قريبا ان تعود اعماله السو عليه بغفران الله له مغفرة عامة
لا تبقي عليه وصمة ذنب ولا تذر له فلتة قلب والحال ان
تلك الاعمال هي في جنب الغفران هبا اي مثله في انها لا وجود
لها اذ هو غبار يرى في شعاع الشمس اذا دخلت عند طلوعها
٢١٥ في كوة او ان ترى سياته حسنات منة عليه باندراجه في سلك الا من منة صح
تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سياتهم حسنات
فبسبب استحالة السيات حسنات يقال عند روية ذلك ۝
استحالة الصهبا من الخمرية والنجاسية الى الخلية والطهارة الى الخمر صح
فشبه السيات بالخمر والحسنات بالخل استعارة مصرحة واثبات
الاستحالة التي هي من لوازم المشبه به تخييلية كل امر تعنى اي
تعتني وتهتم انت يا رسول الله به وتلتفت اليه تقلب الاعيان
جمع عين وهي الجسم وهو معنى تفسيرها بانها المبصر مستقلا
بنفسه فيه بان تتحول صفتها التي لا تريدها الى الصفة التي تريدها

وتعجب البصرا جمع بصير حسا ومعنى اي ذوا البصاير والبصر من ذلك
القلب الخارق للعادة المشاهدة بالابصار الذي لا تعارض بجحود
ولا انكار وشاهده ما وقع لك في ذلك بالفعل اذ رب هي هنا
للتكثير قاله الشارح عين من عيون الما اي عيون كثيرة تفلت
اي بصقت في ماها الملح الذي لا يتساغ لاحد فاضحى ماؤها الملح
والحال انه هو الفرات اي العذب السايغ للشاربين او وهو
كالنهر المسمى بالفرات الذي هو احد الانهار الاربعة النازلة من
الجنة كما صح به الحديث الروا بالفتح اي الذي يحصل بقليله الري
الكامل لشاربه قال الشارح وهو الفرات الروا الجملة خبر اضحى
انتهى وهو جار في ذلك على مذهب الاخفش وتبعه ابن مالك
تشبيها بالجملة الحالية لكن الجمهور انكروا ذلك وتاولوا الجملة
على الحال والفعل على التمام تنبيه لم ار الخصوص التفل
في ما عين ملح فانقلبت عذبا صح فضلا عن كثرته التي قالها الشارح سلفا
ويحتمل ان الناظم اخذ ذلك مما رواه ابو نعيم انه صلى الله عليه
وسلم بصق في بير دار انس فلم يكن في المدينة بير اعذب منها
فوجود الاعذبية في هذه ببركة بصاقه صلى الله عليه وسلم فيها
منزل منزلة ما ملح صار عذبا وفي حديث سنده حسن انه صلى الله
عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ما يستعذب غير بير رومة
وهذا يقتضي ان ما عدا بير رومة من بقية ابار المدينة كانت

مياهها

مياهها فيها ملوحة منعت الاستعذاب منها ومن جملة هذه دار انس وقد
صارت ببركة تفله فيها اعذب بير بالمدينة فتنتج من هذا صحة ما قاله
الناظم رحمه الله تعالى فتامله ثم رايت للبغوي في الصحابة عن بشر الاسلمي
ان المهاجرين لما قدموا المدينة استنكروا الما الحديث السابق في بير
رومة فتعبيره باستنكارهم مياهها يدل على انه فيه ملوحة وما تقرر
في بير انس يدل على زوال ملوحتها بالكلية وانها صارت اعذب حتى من صح
بير رومة ثم رايت الشربيني شارح مقامات الحريري ذكر ان النبي صلى
الله عليه وسلم تفل في بير اريس فعاد ماؤها عذبا بعد ان كان اجاجا
وما ذكره غير صحيح بل قال الحافظ الكبير الزين العراقي انه لم ير اصلا
لحديث تفله صلى الله عليه وسلم في بير اريس قال غيره ومن الغرايب قول
العز بن جماعة انه صلى الله عليه وسلم تفل فيها فحلا ما قاله الشربيني لا اصل له
ولا عند ابن جماعة لان فيه زيادة كون ما بها كان اجاجا فصار حلوا
وهذا لم يقل فيه ابن جماعة ولا غيره انه ورد فضلا عن كونه صح ولعل
الناظم راى ذلك في كلام الشربيني ممن لا يعتد به في الحديث
فاعتمده ثم رايت الحافظ السيوطي ذكر ذلك بلا سند فقال وريقه صلى
الله عليه وسلم يعذب الما انتهى ويحتمل ان مراده كما يوخذ من تعبيره
بيعذب لا باعذب ان ريقه فيه قوة ذلك فلا يكون فيه دليل
لما في النظم اصلا واذ قد فرط مني ما سبقت الاشارة اليه فلا
يسعني الا مزيد الذم والتوجع بان اقول على الدوام والاستمرار
منه والندامة عليه صح

آه كلمة توجع اى توجعى عظيم وتندمى زايد دايم من حل ما جنيت على
نفسى من الذنوب وقبايح العيوب ان بمعنى اذ على حد وخافونى ان كنتم
مؤمنين ولما قررته ان ذلك التوجع يفيد اللوم الوارد فيه عنه صلى الله
عليه وسلم انه توبة اى معظمها المتكفل بما فيها غالبا كالحج عرفة كان يغنى
الغنى من عظيم ذنب من اضافة الصفة للموصوف وهما اى سماهما وهو
التوجع المفيد للندم المفيد للتوبة كما مر ويصح ان تكون على حالها من
الشك لانا وان سلمنا ان كلمة آه تفيد التوبة لكن قبولها ظنى لا قطعى
على الاصح ولكن منعه بانه يكفى فى كونها بمعنى اذ ان قبولها ظنى لان
ظن الوقوع بنا فى وضع ان من التردد فيه ولما عرض بوقوع التوبة صرح
برجايها ليبين ان الاهتمام بها اسمع من الاكتفا بها بالتعريض فقال
ارجى اومل لحسن ظنى عملا بقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح لا اى
يموتن احدكم الا وهو محسن الظن بربه وبقوله انا عند ظن عبدى بى
فلا يظن بى الا خيرا التوبة وهى الندم على الذنب من حيث هو ذنب
بخلاف الندم عليه لغرض اخر كاطلاع الناس عليه وصرف دراهم
فيه فان ذلك لا يعتد به والاقلاع عن المعصية بترك مثلا بسبب
فعلها من حيث الندم عليها لا لغرض اخر ايضا وعزم ان لا يعود اليها ما
عاش كذلك ايضا لا لنحو قطع ذكره والخروج عن كل مظلمة عصى بها
بقضا ما عصى بترك ادائه فورا وبادا ما عصى باخذه ظلما الى مالكه
او وكيله او وارثه هذا ان قدر والا عزم عزما جازما انه متى قدر

على الخروج منه خرج منه لفوره والتوبة ولو من الصغاير واجبة اجماعا
ويصح على الاصح من ذنب دون ذنب وتصح على الاصح ايضا وان سبقها توبة
من ذلك الذنب ثم عود اليه وان تكرر ذلك النصوح اى التى لا يعود من
حصلت له الى الذنب ابدا لوقوعها خالصة عن كل شائبة من شوايب الحظوظ
بان تكون لله وحده لا لغرض اخر ولو اخرويا كان تاب لاجل دخول الجنة فان
ذلك لا يؤثر فى صحة اصل التوبة وانما يؤثر فى كمالها لانها مشوبة بغرض
للنفس بخلاف الخالصة لوجه الله تعالى قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا
الله مخلصين له الدين لكن انى يفيدنى هذا الترجى والحال انى متلبس
بما قد بنا فيها اذ فى القلب نفاق من حيث العمل باعتبار انه قد يبطن
خلاف ما يظهر لا من حيث الاعتقاد لان ذلك انما يصدر ممن امن
بلسانه فقط وفى اللسان والاركان ريآء اى نظر الى الخلق باعتبار ان
ما يصدر منهما قد يكون فيه شوب نظر الى طلب رفق او ثنا من مخلوق
ومع ذلك لا اترك التوبة ورجا قبولها ولاجل ذلك قالت رابعة
واستغفارنا وان كان يحوج الى استغفار لا يوجب ترك الاستغفار
ومتى لله استفهام التعجبى يستقيم قلبى بان لا يبقى فيه نظر الى ما
تحجب عن الله تعالى من اهل او مال او جاه او غير ذلك بل الى الله وحده و الحال
انى وصلت الى حالة تدل على غلظ القلب وشدته وعدم قبوله للخروج عما
جبل عليه من الغفلة واللهو وتلك الحالة هى انه حصل للجسم اعوجاج
من اجل كبرتى اى كبر سنى ووهن عظمى من كبر بكسر البا اى اسن والانحناء

لقامتي وهو من عطف الرديف او الاخص لان الاعوجاج يعم الاعضا كلها
والانحنا يختص بالقامة وهو تقوس الظهر وتبعد الاستقامة بخلاف
ايام الشباب فان العود رطب لين فادنى وعظ يؤثر فيه واقل زاجر يردعه
عما هو متلبس به فيبادر الى التوبة سريعا وانما اخرت التوبة الى هذا
الزمن لاني كنت في نومة الشباب الذي تكثر فيه الغفلات وتتوالى
على اهله الهفوات فاستحكمت غفلتي حتى صرت كالنايم المستغرق الذي لا يفيق
من نومه الا بمحرك قوي فما استيقظت من تلك الغفلة في حال من الاحوال
الا والحال لمتي اي لحيتي شمطا اي اختلط سوادها ببياضها وما
تقرر في زمن الشباب ولانه محل قرب التوبة والانزجار بادنى واعظ
وهنا انه محل الغفلات والهفوات لا تنافي بينهما لانه وان كان محل الهفوة
والزلة لكن صاحبه ينتبه سريعا الى زلاته ويرجع عنها حالا كما ان العود
الرطب يستقيم اعوجاجه بادنى عمل بخلاف زمن الشيخوخة فانه زمن
الامساك عن كل هفوة وزلة لكن صاحبه المرتكب للمعاصي الى ان شاب
يعسر عليه الرجوع والتوبة فورا الان عوده قسى وصلب فلا يتقوم
اعوجاجه الا بعد الياس ويشهد لذلك الحديث ان قيل لك ان جبلا
تحول عن مكانه فصدق وان قيل لك ان انسانا تحول عن طبعه فلا تصدق
وحين بلغت هذا السن الذي يعسر فيه التوبة كما تقرر تماديت اي طلبت
ان اقتفي اي اتتبع اثر القوم الصالحين السابقين الى المراتب العلية
والفايزين بنيل المآرب السنية وطالت على مسافة بيني وبينهم

لبعد

لبعد الدرجات التي فازوا بها واقتفا لاعمالهم واخلاقهم لانهم استغرقوا
فيها او قاموا وانقطعوا الى الله تعالى عن كل غفلة وتبعة فبسبب طول
المسافة التي بيني وبينهم ورا خبر مقدم السايرين اي السايرين ليلا من
السري وهو السير ليلا وعدل اليه عن ورايهم الذي هو القياس ليفيد انهم
احيوا الليل بالعبادات واستلذوا فيه بلذيذ المناجات وهو اي ذلك
الورا امامي جملة معترضة للتصريح بما علم من قوله اقتفي الى اخره انه
مع طول المسافة بينه وبينهم وتعذر اتباعه لهم صار بينه وبينهم
موانع ايضا سبل مبتدا اي طرق وعرة اي يعسر سلوكها لان اوليك
القوم كلفوا نفوسهم من الاعمال والتخلق بكرايم الاخلاق والاحوال
ما اوجب لغيرهم عدم اللحوق بهم لعدم قدرتهم على القيام بما قاموا
به اوليك وارض عرا بفتح اوله اي فضا واسعة حمد اوليك القوم
المدلجون اي السايرون من اول الليل او اكثره والقياس حمدوا
ايضا فعدل الى الاظهار ليبين انهم على فرقتين منهم من يحيي بعض
الليل ومنهم من يحييه كله او اكثره وان هذا القسم الثاني افضل
واكمل لانهم راوا ما يجدد به حمدهم مما لم يره من قبلهم غب اي
عاقبة سراهم من الفوز برضى الله وقربه والاطلاع على حقايق
معرفته والتمتع بشهوده وهذا مقتبس من قولهم عند الصباح يحمد
القوم السرى وكفى من تخلف عنهم في سيرهم وهذا راجع لقوله فوز السايرين
وقوله حمد راجع لقوله السايرين ففيه لف ونشر مرتب الابطا اي

يحيي الليل

التاني في السير المفوت لادراك مناز لهم وفى ذكره هذا ايما الى غاية
التحسر والتالم بذكره حالهم التى حمدوا عقباها وفاتته لعجزه عن ادراكها
لما هو عليه مما لا يوصله الى ذلك الغرض لبعده عن تلك اللطايف
وتقاعده عن بلوغ المعارف كيف وما هم عليه من الجد في السير الى الله
تعالى رحلة عظيمة عن موالف الشهوات وبوالف الشبهات وقبايح
الارادات وقواطع البطالات ورحلتهم هذه عز على ان اقتفيهم فيها
لانى لم يزل يعتد لى اى يكذب على او يضعف راى الصيف اذا اما
زايدة نوبتها والشتا كذلك اى اذا جا الشتا يكثر فيه البرد والثلوج
والامطار فيعسر السير فيها واذا جا الصيف اقول اصبر الى
الشتا لان الاعمال تتيسر فيه اكثر ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم الشتا
ربيع المؤمن طال ليله فقامه وقصر نهاره فصامه وفى سنده من ضعفه
جماعة ووثقه اخرون والارجح توثيقه فى هذا السند بخصوصه
ومن ثم صححه ابن خزيمة ويشهد له احاديث منها مرحبا بالشافيه تنزل
الرحمة اما ليله فطويل للقايم واما نهاره فقصير للصايم وحديث لم ينزل
عذاب قط من السما على قوم الا عند انسلاخ الشتا ومما اوجب ابطاى
عن تلك الرحلة انه يتقى حر وجهى وهو ما يبدو من الوجه الحر والبرد
باتقايه عنهما خوفا من مشقتهما وهما كنايتان عن مشقة العبادة في
الشتا والصيف كما ان ما فى البيت الذى قبله كذلك والحال انه
قد عز اى صعب على من لظى اى جهنم متعلق بقوله الاتقا لاى متلبس

اقول الى الصيف لان الاعمال [illegible] صح

١٠

٢١٥

بما يوول بى اليها الان يتغمدنى الله برحمته ولاجل هذا اضفت ذرعا
بالمعجمة من اجل ما موصولة او مصدرية جنيت اى ضعفت طاقتى
عن ان تحمل وزره ولم اجد من يخلصنى من ثقله واصل الذرع الخلق
فيوم قمطرير اى شديد وهذا اكذكر عن والرحلة والصيف والشتا
وضقت ذرعا فيه اقتباس من الايات المذكور فيها ذلك وتلميح الى
ما فيها من القصص وليلى درعا بالمهملة اى مظلمة كناية عن
شدة ما يلقى فيها واصل الدرعا التى يطلع قمرها عند الفجر ومراده
ان ذلك الضيق ملازم له نهارا وليلا لا ينفك عنه فى واحد منهما
تنبيه وقع للشارح انه قال الليلة الدرعا بالمهملة ليست
من الليالى البيض بل هى احدى الثلاث التى تلى الليالى البيض ولبس
بصحيح وعبارة القاموس وليلة درعا يطلع قمرها عند الصبح وليالى
درع بالضم وكصرد للثلاث تلى البيض لاسوداد اوائلها وابيضاض
سايرها انتهت ففيه التصريح بان الدرعا ليست من احدى تلك
الثلاث وان تلك الثلاث لها وهى جمع معنى غير المفرد وتوهم
الشارح ان الجمع اذا كان معناه ذلك لزم انه معنى المفرد وهو
انما يتم ان كانت درعا مفرد ذلك الجمع وعبارة القاموس صريحة
فى خلاف ذلك لانه فسرها بمعنى غير معنى الجمع فتامله ولكن خفف
عنى ذلك انى تذكرت رحمة الله اى سعتها التى دل عليها قوله تعالى
ورحمتى وسعت كل شىء وانها سبقت غضبه كما دل عليه الحديث

الصحيح ان الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي
اي ان مظاهر الرحمة غلبت مظاهر الغضب وهذه العندية عندية
الشرف والمكانة لا المكان لتعاليه تعالى عنه علوا كبيرا فبسبب ذلك
البشر اي الفرح والسرور لوجهي متعلق بخبر البشر وهو تلقا وهذا
اولى من جعل الشارح له خبرا وتلقا خبرا ايضا اين اي في اي مكان انتحى
اي توجه تلقا اي مقابل فالبشر مقابل لوجهي في اي مكان توجهت اليه
لاني مستبشر لسعة الرحمة ومعول عليها مع نظري الى قول الصادق المصدوق
الذي لا ينطق عن الهوى عن ربه انا عند ظن عبدي بي فلا يظن بي الا
خيرا فبسبب تذكري لما جنيت المقتضي لمزيد الخوف ولسعة الرحمة
المقتضية لسعة الرجاء الخ اي اقام الرجا والخوف بالقلب فهما
على حد سوا كما هو الراجح عند ايمتنا ان الانسان ما دام صحيحا
فليكن رجاؤه وخوفه مستويين وقيل يغلب الرجا لئلا يغلب عليه
دا الياس من رحمة الله وقيل يغلب الخوف لئلا يغلب عليه دا الامن
من مكر الله ويردهما انهما اذا استويا امنت غلبة احدهما فلا محذور
يخشى ح بخلاف غلبة احدهما فانه يخشى منها المحذور الذي في
مقابله اما المريض فيغلب الرجا لقوله صلى الله عليه وسلم لا يموتن
احدكم الا وهو يحسن الظن بالله اي يظن انه يغفر له ويرحمه وللخوف
والرجا اذا تواردا على القلب احتفا اي استقصا ومنازعة لتضاد
مقتضاهما اذ مقتضى الخوف اعتزا شرة وحصر للنفس لا يطاقان لان

من

من لازمة الكف عن كل محرم بل وشبهة بل عما فضل عن حاجته من الحلال
كما هو شان الزاهدين اذ لم يحملهم على ذلك الا عظم خوفهم ولو من هول
السوال ومقتضى الرجا بسط النفس وانشراحها لان من لازمه استحضار
سعة الرحمة وان الذنوب وان كثرت وعظمت يغفرها الله تعالى ويتجاوز
عنها بكرمه وان تضاد مقتضاهما لزم ان كلا يستقصي في مقتضاه
ضد ما يستقصيه الاخر لكن تقرر ان الاولى للصحيح ان يستوي عنده
المقتضيان لئلا يغلب احدهما فيخشى منه المحذور السابق انفا ومن
ثم قال ناهيا عن غلبة الخوف المقتضي لليأس صاح اي يا صاحبي وفيه
تجريد اذ الاصل يا نفسي لا تأس من رحمة الله تعالى ان ضعفت عنا للداب
في الطاعة لضعف همتك وغلبت بطالتك وايثارك الراحة وغفلتك
عن اهوال القيمة واستأثرت اي انفردت بها الاقويا بالهمة والنشاط
وقهر النفس وتجريعها المكروهات حتى تدربت عليها فصارت عندها
من الذما لوفاتها واعظم شتهيا بها ان فيه شانيه تعليل للنهي عن
الياس ان ضعف عن الطاعة لله رحمة عظيمة ادخرها لبعض عباده
ثم العوي في الضعيف والشريف والوضيع واحق الناس منه متعلق بقوله
بالرحمة الضعفا اي الذين لا يعولون على اعمالهم ولا يغترون باحوالهم
مع قيامهم بما لا بد منه واخلاصهم لله تعالى في عباداتهم فهو اقوى
نية في العبادة وابعد عن الريا فربما حصلت لهم بسببه تلك نفحة سبقوا
بها الاقويا في الحديث القدسي انا عند المنكسرة قلوبهم من اجلي اي

اي بكثرة

قوله اي الضعيف الخ انظره مع سياق الكلام ومقتضى المقام

لان مطلوبهم رضاى ومعتقدهم انه لا عمل لهم ومما يؤيد ذلك انه صلى
الله عليه وسلم في منامه الذى رآه لابى بكر وعمر فيما يتعلق بخلافتهما وقرب
مدة خلافة ابى بكر وطول مدة عمر اثبت لابى بكر مع انه افضل الناس بعد
الانبيا نحو ذلك الضعف فقال بعد ان بين انه على بير وانه نزع منها
بدلو وان ابا بكر اخذها منه فنزع بها دلوا او دلوين وفى نزعه ضعف
والله يغفر له ضعفه فهو ليس ضعف يقين ولا عمل وانما هو ضعف انكسار
وافتقار وفى الحديث ان الله لا ينظر الى الصور وانما ينظر الى الاعمال والقلوب
اى لا الى الاعمال وحدها بل لما يصحبها مما فى القلوب من اخلاص وافتقار
اوضدهما ثم استدل على ان الضعيف قد يحصل له ما لا يحصل للقوى
بمثال ظاهر فى الوجود فقال فبسبب اللاحقية المذكورة للضعفا ابق فى
الضعفا المشبهين بنحو العرج جمع اعرج وهو من برجله دا يمنعه من
الاستقامة المشى عند منقلب الذود اى رجوعه الى ربه وهو جماعة
الغنم كذا وقع للشارح وهو سبق قلم سرى اليه من تعبير النهاية واللفظ
مونثة لا واحد لها من لفظها كالغنم انتهى فتوهم ان قوله كالغنم راجع
الى قوله والذود من الابل ما بين الخمس الى التسع وقيل ما بين الثلاث
والعشر واللفظة مؤنثة ولا واحد لها من لفظها كالغنم فهذا صريح فى
ان التشبيه انما هو فى انه لا واحد له من لفظه لا غير وعبارة القاموس
وثلاثة ابعرة الى العشرة او خمس عشرة او عشرين او ثلاثين او ما بين
الثنتين والتسع مؤنث ولا يكون الا من الاناث وهو واحد وجمع

اوجمع

اوجمع لا واحد له وواحد جمع اذواد وقولهم الذود الى الذود ابل يدل
على الجمع فى موضع اثنين لان الاثنين الى الثنتين جمع فتى العود تسبق
العرجا اليه فتفوز منه بما مولته فتاخرها اوجب لها السبق فكذلك
تاخرك عن كثير الطاعات ربما اوجب لك سبق المكثر منها لانه قد يصحبك
من الذل والافتقار والاخلاص ما يخلف تاخرك بخلاف المكثر قد
يصحبه من العجب والافتقار ما يوجب تاخره ومن ثم قال العارف
المحقق التاج بن عطا الله رحمه الله تعالى رب معصية اورثتك ذلا
وانكسارا خير من طاعة اورثتك عزا واستكبارا واعلم انه لم يجعل
ذات المعصية خيرا من ذات الطاعة بل لا يتوهم ذلك من كلامه وانما
الذى افاده ان المعصية قد يصحبها وصف خير من الوصف الذى صحب
الطاعة فيكون ذلك مقتضيا لعدم المؤاخذة بوصمة تلك وهذا
مقتضيا لسقوط هذه وعدم الاعتداد بها فكذلك كلام الناظم هنا
وفيما قبل يتنزل على هذا فتنبه له واذا تاخرت عن الطاعة لضعفك
عنها فلازم الذلة والانكسار ولا تقل حال كونك حاسد الغيرك
الذى اكثر منها اى متمنيا زوال نعمة التوفيق عنه هذا القوى بسبب
قوته اثمرت نخله اى كثرت اعماله فتشبيهها بالنخل استعارة مصرحة
وذكر الاثمار ترشيح واثر التشبيه بالنخل لان النخلة افضل الشجر
لانها خلقت من فضلة طينة ادم ومن ثم قال اكرموا عمتكم النخل ولاجل
هذا اشابهها لادمى فى كثير من صفاته الحسية والمعنوية كما لا يخفى

وقال العارف [illegible] رضا الله تعالى عنه كلما [illegible]
تدعوك الى الرغبة فى [illegible] عن الشيطان
ولا احد وكل شهوة تدعوك الى الطاعة والرغبة
فى سبيل الخير فهى محمودة وكل حسنة لا تنمى
اوعلما فى الوقت فلا تعد لها اجرا وكل
سيئة اثمرت خوفا وهربا الى الله تعالى
ورجوعا اليه فلا تعد لها وزرا

وَنخلي اي اعمالي عقآءً بالفتح اى كالتراب لا ثمرة له وَلا يعتد بها بسبب
ضعفي لانك تعترض على الحكيم فى فعله وَتخصيصه لكل منهما بما اراده وَقدره
وَمن ثم كان الحسد كفرا بنعمة المنعم وَياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وَخرج
بحاسد المنصرف الى الحسد المذموم الحسد المحمود المسمى بالغبطة وَهو ان
تتمنى لك من النعم وَالخيرات مثل ما لغيرك مع بقائها له فهذا مطلوب كما
اشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله لا حسد الا فى اثنتين الحديث وَاحذر ان
تتكل على رجائك فقط من غير عمل فانه لا ينفع رجا الا مع عمل وَمن ثم قالوا
كل رجا لم يصحبه عمل فمنوع غرور بل مع رجائك اجتهد وَايت بالمستطاع من
عمل البر امتثالا لقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم الناسخ على ما قيل لقوله
تعالى اتقوا الله حق تقاته فانه صلى الله عليه وسلم لما فسر هذا بان يعبد فلا
يعصى وَيذكر فلا ينسى وَيشكر فلا يكفر قالوا اينا يطيق ذلك فنزلت تلك
مبينة لهم ان المطلوب انما هو ما يقدر على دون ما عداه وَيصح
ان تكون تلك مبينة للمراد من هذه فلا نسخ وَهو الاولى فقد ينتج
القليل ما لا ينتجه الكثير بواسطة مزيد اخلاص وَانكسار كما انه قد
يسقط الثمار الكثيرة او النفيسة الاثا اى النخيل الصغار اذا اخلصت
ارضه وَزاد ريه وخصبه وَلا يسقط ذلك الكبار فكذلك انت قد
تفوز بسبب ضعفك بالمعنى السابق بما لم يفز به القوى الناظر الى
قوته وَنفسه ففى كلامه هنا وَفيما مر تمثيل وَتذييل وَهو من ارق
فنون البلاغة وَالطف طرق البراعة وَتفسير الاثا بالنخيل الصغار

وقع

وَقع فى كلام الشارح وَلم يبين ضبطها هو بفتح الهمزة او كسرها وَلا انه
بالمثناة او المثلثة وَلم ار فى القاموس هذا الذي ذكره الشارح وَانما
الذي فيه فى الاتا بالفوقية ككتاب تفسيره بما يخرج من الشجر والثمار
وَفى الاثا كانا بالمثلثة تفسيره بالحجارة وَالماشية وَهذا يمكن
تنزيل كلام الناظم عليه اى ان النخلة اذا طالت وَصعب عليها
رقيها قد يمكنك ان تسقط بعض ثمرها بضربة حجر وَاعلم ان افضل
الاعمال وَاسرعها انتاجا وَاعظمها وسيلة هو مزيد محبة نبينا
صلى الله عليه وسلم فانها سبب لكل خير دنيوى وَاخروى وح فعليك
ان تكون ممن امتلا قلبه بحب النبى صلى الله عليه وسلم امتثالا لقوله
تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله وَقوله صلى الله
عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ماله وَاهله وولده
وَالناس اجمعين ومر الكلام على ذلك قريبا بما ينبغي مراجعته
وَاذا احظيت بهذه المحبة فابغ اى اطلب رضى الله ففى حبه
الرضى وَالحباء اى العطا منه تعالى لجميع الخيرات الدنيوية والاخروية
كالتوفيق للاعمال الصالحة وَالفوز بالمقامات العلية فكن
على رجا من ذلك اذا طلبته بمحبته صلى الله عليه وسلم فانها نعم الوسيلة
فاتبعونى يحببكم الله ثم عاد الى الضراعة وَاظهار المسكنة والضعف
وَابدا التحسر وَالتحزن وَالاستغاثة ممن لا يخيب المستغيث
به فقال مؤملا انه بركة توسله به يتخلص من ورطات ذنوبه

يا بني الهدى اى الدلالة على الله بالنسبة للكل ومنه وانك لتهدي
الى صراط مستقيم والايصال اليه بالنسبة للمؤمنين ومنه انك لا
تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشآ ملهوف اى مضطر متحسر
محتاج الى ما ينقذه مما يهلكه اضرت بحاله الحوبا اى مسكنة ذنوبه
وضعف همته وذلك لانه يدعى الحب لله ورسوله وهو اى والحال
انه يصدر منه ما يكذب دعواه من مخالفتهما لانه لايزال يامر نفسه
اوغيره بالسوء اى الاثم فعلا وتركا والمخالفة تبنى عن عدم المحبة
كما هو واضح لمن تامل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ولهذا
اشار الى تمنيه ان يصدق فى دعواه محبتهما فقال ومن استفهامية
اى من الذي يتكفل لى فيه التفات ان تصدق منى الرغبا اى العزيمة
المصممة فى الرجوع الى الله تعالى بالتوبة والعمل الصالح وادعا الحب
مع ظهور ما يكذبه نقصا اى نقص ومما يكذبه ايضا دوام الغفلة
عن محبوبه حتى انه لا يمر ببا له ولا فى النوم ومن هذا حاله اى
حب يمنع منه التفات والحال ان طرفى التفات للكرى اى النوم
وصل لا ينفك النوم عنه فى وقته وليس هذا شان المحب وطيفك
اى خيالك را اى محتجب عنى كما احتجب الراهن واصل الرجل المشهور
لانه هجرها فلم يتكلم قط بكلمة رابل بمرادفتها اومقاربتها خشية من
ان يعير بلثغته بالرا فصار هجر الشئ المستمر يمثل عندهم بهجر واصل
للرا ففى النظم التورية لان واصل بالنظر للكرا اسم فاعل وللرا اسم

عمل

استفهامية بالرفع خبر مبتدا محذوف اى يسهل
وهو تعذرا من غلط وتخفيف بالنصب
مفعول مطلق اى سقيت كذا سقيا اى الاولى
نجد الحمو

علم وتلميح لانه اشارة الى قصة واصل المشار اليها وفيه الاستفهام الانكاري
اى كيف تصدق محبتى وانا مواصل للكسل والنوم سلمنا ان مواصلة
النوم لا تؤثر فى المحبة لانها امر وجدانى فكيف يوجد مع عدم خطور
خيال المحبوب بالضمير ولا فى حالة النوم وهذا ينافى المحبة كما هو
محسوس لاستلزامها ان طيف المحبوب لايغيب عن مخيلة المحب يوما ولا
يقظة نعم قد يتخلف هذا الاستلزام لمانع ولذا تردد مع ما قد مه
ان فقد خطور الطيف هل هو لذلك او لغيره فقال ليت شعرى اى ليتنى
علمت اذاك اى عدم خطور طيفه بقلبى من اجل عظم ذنب وقع منى وهو
الظاهر ام حظوظ المتيمين حظا جمع حظوة بالكسر والضم والقياس
فى الجمع الضم والكسر كعروة وعرى وبين حظوط وحظا الجناس المطلق
اى انصبا وهم من المحبوب متفاوتة فبعضهم يحظى بالقرب من غير كثير
عمل وبعضهم لا يحظى به مع كثرة العمل ان يكن عظم زلتى التى ارتكبتها
حجب رؤياك اى رؤيا طيفك عنى فى النوم التى فقدتها فقد عز دآ
قلبى الدوآء اى قل بل عدم الدوآ الذي يكون لمرض قلبى فلا يوجد له
شفا بوجه لانه لا يوجد الا من جنابه صلى الله عليه وسلم فان فرض اخذ
انسانا بعظيم ذنبه لم يكن احدا غيره ان ينقذه منه ثم هذا التردد
فى وجود المحبة الذى سبق انما هو لمزيد الخوف وان الانسان على
مدرجة ان يؤاخذ بذنبه وان كان محبا لا لزوال محبته بل هى باقية
ورجاوه فى محبوبه واسع وان كانت ذنوبه كثيرة وقع كيف يهدا

اى يسود بسبب الذنب الذي ارتكبه ذلك المحب قلب محب لك
وهى للحال له اى لقلبه متعلق بجلا ذكرك مضاف للمفعول اى
ذكره لك بالتصلية والتسليم عليك وسوال الوسيلة وغيرها مما
يعود عليه وعليك بزيادة القرب فان الخلق كلهم مفتقرون الى
ذلك ويصح للفاعل اى ذكرك له الجميل العايد على الذاكر بما لم
يكن فى حسابه جلا و لما غلب على ظنه ما اشار الى التردد فيه بان
فى قوله ان يكن الى اخره من ان سبب ترويا عنه عظيم ذنبه صرح
كما يصرح من وجد اخذ ماله او قاتل ابيه بعد ياسه منه فقال
هذه علتى التى انحلت جسمى وادهشت لبى لا غيرها و الحال انك علتي
انت طبيبى العالم بها الماهر فى ازالتها فانه ليس يخفى عليك فى
القلب دا و انت لا احد من الخلق اكرم و لا احلم منك فعجل لى
بدواء ذلك المحصل للشفا من وصمة جميع ما هنا لك فان شفاعتك
لا ترد والمتوسل بك لا يخيب و انما دفعت اليك قصتى وشكوت
اليك قلة حيلتى مما جنيت على نفسى لان من الفوز اى النجاة والظفر
لمثلى بجميع المطلوب الذي لا اعظم منه ان ابثك من بث و ابث نشر
واظهر شكوى هى الاخبار عن النفس او الغير بسوء فعله لكن هذه
انما هى شكوى منى لنفسى اليك لا الى غيرك اى انشر واظهر بين
يديك فى ضمن مدحى لك ما كاد ان يهلكنى من عظيم ذنوبى وقبيح
عيوبى رجاء ان تلحظنى بنظرة تزيل عنى كل وصمة وتوجب لى منك كل رحمة

لان

لان رجاى فيك واسع ومحبتى لك متزايدة وهى اى تلك الشكوى
الواقعة فى ضمن ذلك المديح البديع اقتضا اى طلب من كرمك الواسع
وفيضك الهامع ان اتخلص من تلك الفرطات والجو من بوايق
ساير الورطات وان تحصل لى الشفا من جميع الادوا فان جاهك
متكفل بكل مطلوب ومحقق لكل مسئول ومرغوب لا سيما لخادم
حضرتك الفانى فى محبتك كيف وقد ضمنتها بالبنا للمفعول اى
تلك الشكوى لتقبل وتعود على بركة قبولها ما هو المقصود منها
بالذات مدايح لجنابك بديعة جمع مدحة اى كلام متضمن للثنا
الجميل الذى هو المدح المباين للحمد او المرادف له او الاعم منه
او الاخص منه اقوال مرت مستطاب بالرفع صفة مدايح
الذي هو نايب لفاعل فيك منها اى من تلك الشكوى متعلقان
بما قبلهما او بعدهما ومن تبعيضية المديح لك والاصغا
من سامعيها اليها لان اوصافك الكريمة زينتها فصارت
بها فى غاية الكمال الذي يشنف الاسماع ويملا عبيره ارجا
القلوب والبقاع ومن استطابة ذلك المديح ان الله تعالى يسره
على فى هذه القصيدة البديعة ببركة التجاى اليك اذ قل ما
مصدرية حاولت تلك الشكوى مدحتك اى لا يراد معنى فيه
لم اسبق اليه او اسلوب من انواعه اللايقة بك والمطلوب
فيها ان تجرى على اعلى سنن البلاغة وقانون البراعة الا

ساعدتها ميم ودال وحا اى مسمى هذه الاسما وهو مدح اى ما
توقف على معنى او نوع من تلك المعانى او الانواع فوجهت همتى
الى الاحسن منها الا وجدت الالفاظ الدالة على مدحك
بتادرنى الى تادبته بغاية اللفظ وتساعدنى عليه بنهاية
الاسعاف فتاتى قريحتى منه بما هو ابدع وابلغ وكون ما مصدرية
هو ما ذكره الشارح وعليه قال المغنى قلت محاولتها مدحك
فى غير حال كونها ساعدة بهذه الحروف الثلاثة فانها لا تقل
ح بل تكثر انتهى ويلزم عليه وقوع الاستثنا المفرغ فى غير
نفى او شبهه وهو النهى والاستفهام وهو ممنوع عند اكثر
النحاة ومن جوزه فى الموجب كقام الا زيد ردوا عليه بانه
يلزمه الكذب اذ تقديره ثبوت القيام لجميع الناس الا
زيد وهو غير جائز بخلاف النفى عن تمام الافراد فانه جائز فان
قلت جوز المبرد التفريغ فى موجب يلزمه نفى كلو ولولا
نحو لولا القوم الا زيد لاكرمتك وما هنا كذلك لان قل يلزمه
نفى ما عدا القليل فهو نفى فى الجملة قلت ما ذكره يرد
بان التفريغ يدخل فى الجملة الثابتة التى هى الاولى واما
الجواب الذي هو منفى فخارج عما دخلت عليه الا على ان كون
قل يفيد نفيا يشبه النفى الذي فى التفريغ ممنوع واذا
تقرر ذلك تعين تاويل النظم بان يقال فاعل قل محذوف دل عليه

المذكور

٢٢٤

انه تداعى اي تهادم اي اشرف على الهدم لانه انشق شقا بينا آل به
الى خرابه ايوان بكسر الهمزة ويقال فيه اوان ككتاب وفسره الجوهري
بانه الصفة العظيمة كالازج وغيره بانه بيت مؤزج اي مبني طولا غير
مسدود الوجه اي فهو صفة طويلة واسعة باولها عقد واسع
بابه وهو فارسي وقيل هو البيت العالي وقيل بيت كبير مستطيل ذوا
شرفات وقيل بيت الملك المعد لجلوسه مع ارباب مملكته لتدبير
ملكه والحاصل ان ذلك الايوان كان من اعاجيب الدنيا سعة
وبنا واحكاما كسرى انو شروان بفتح الكاف وكسرها معرب خسرو
اي واسع الملك وهو لقب لكل من ملك الفرس كقيصر لملك الروم
وتبع لملك اليمن والنعمان لملك العرب من قبل العجم والنجاشي لملك
الحبشة وفرعون لملك القبط والعزيز لملك مصر وجالوت لملك
البربر وخاقان لملك الترك ولولا حرف امتناع لوجود اي امتنع
جوابها لوجود تاليها اية صادرة منك الى الوجود اي علامة
عظيمة على نبوتك ورسالتك العامة وان كل من عاندك لا يرفع
له راس وفيه التفات من الغيبة الى الخطاب والاصل منه اي
المصطفى ما تداعى البنا اي هذا المبنى المذكور مع ما هو عليه
من العظم والاحكام الذي كان يظن به انه لا يهدمه الا نفخة
الصور فاذ قد تحرك وسقط منه اربع عشرة شرافة علم بالقطع
البرهاني ان ذلك ليس الا لمحض اية منه صلى الله عليه وسلم للوجود

ح اي يونان الديوان وجمعه اواوين كدواوين وايوانات

ح وجمعه على هذا اون كخوان وخون بوزن دور

قوله الجوهري وهو منسوب الى جوهر [illegible]
[illegible] كسرى [illegible]
[illegible] وجمعه اكاسرة وقياسه [illegible]
وحسنون كعنبسون [illegible] بفتح السين انتهى

علي نبوته وانه لا ملك ولا عز يبقي لاحد مع ملكه وعزه وسر تلك
الاربع عشرة الاشارة الي انه لم يبق من ملوكهم الا اربعة عشر
فهلك عشرة في اربع سنين واربعة الي زمن عثمان وقد فتح في
زمن عمر رضي الله تعالي عنه اكثر اقاليم فارس وكسر كسري واهانه
غاية الهوان فتقهقر الي اقصي مملكته ثم قتل في زمن عثمان
رضي الله تعالي عنه وزال ملكه بالكلية وصح انه صلي الله عليه وسلم
اخبر بانه اذا هلك كسري فلا كسري بعده وان امواله وكنوزه
تنفق في سبيل الله فانقطع ملكه وزال من جميع الارض وتمزق
ملكه كل ممزق لانه صلي الله عليه وسلم دعا عليه بذلك لما جاءه كتابه
فمزقه وقد بشر صلي الله عليه وسلم امته في حفر الخندق بملك بلاده
وقال لسراقة وكان من فقرا اصحابه كيف بك اذا البست سواري
كسري فلما اتي بهما عمر البسهما اياه اي اظهارا للمعجزة وذلك
عند رجيع وقال الحمد لله الذي سلبهما كسري والبسهما سراقة
ولما راي كسري ما وقع بايوانه وراي تلك الليلة الموبذان اعلم
علماء مملكته ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قطعت دجلة وانتشرت
في بلادها افزع كسري ذلك فسال الواني فقال حدث يكون من
ناحية العرب ان يرسل له اعلم من في ارضه من العرب فبعث اليه
عبد المسيح بن عمرو الغساني وكان معمرا فدلهم علي خاله سطيح
وهو بالشام فامره كسري بالذهاب اليه فجاه فوجده مشفيا علي الموت

فاخبره سطيح وقد اوفي علي الضريح بعثه ملك ساسان لارتجاس
الايوان اي تحركه وخمود النيران ورؤيا الموبذان راي ابلا صعابا
تقود خيلا عرابا فقد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها يا عبد
المسيح اذا كثرت التلاوة وظهر صاحب الهراوة وفاض وادي
السماوة اي قرية بين الكوفة والشام ولبست من العواصم وغاضت
بحيرة ساوة وخمدت نار فارس فليس الشام لسطيح شاما ولا بابل
للفرس مقاما يملك منهم ملوك وملكات علي عدد الشرافات وكل ما
هو ات ات ثم قضي سطيح مكانه وسمي صلي الله عليه وسلم صاحب
الهراوة لانه كان يمسك في يده القضيب كثيرا وكان يمشي بين يديه
بالعصي ليصلي اليها قال القاضي واراها العصي المذكورة في حديث
الحوض اذود الناس عنه بعصاي لاهل اليمن اي لاجلهم ليتقدموا
وسمي ايضا صاحب القضيب اي السيف كما في الانجيل فهو صاحب
العصا والصحابة المتبوعين بها الاخيار والقضيب يبيد به الاشرار ومن العجائب
التي ظهرت ليلة ولادته ايضا ليتنبهوا ويسالوا عن سبب
ذلك انه غدا اي صار في تلك الليلة كل بيت نار اي كل واحد
من بيوت فارس التي كانوا يعبدونها ويشتد ايقادهم لها حتي
ان لها الف سنة لم تخمد ونار من ذوات الواو وانما جمعت علي
نيران لانكسار ما قبل الواو المستلزم لقلبها ياء وهي للحال
وفيه موافقة لما ذهب اليه الجمهور وتبعهم ابن مالك ان المنصوب

بعد غدا حال اذ لا يوجد الا نكرة وخالفهم الزمخشري وابو البقا
والجزولي وابن عصفور فجعلوه خبرا سواكانت بمعنى صار او بمعنى
وقع بفعله في وقت الغدوة او الرواح وجعلوا من ذلك أغدو
عالما وحديث تغدوا خماصا وغدا زيد ضاحكا اي صار في حال
ضحك كربة بضم اوله اي غم ياخذ النفس وربما اهلكها من اجل
خمودها اي سكون لهبها من غير ان يطفي جمرها والا قيل له
همدت وبلاء عظيم صبه الله عليهم صبا بازالة ما يعتقدونه
الههم ومتعبدهم لانهم مجوس فكان في اقليم الفرس من بيوت النار
الموقدة المئات من السنين ما تحيل العادة انطفاءه فاذا انطفت
تلك النيران كلها في ساعة واحدة تلك الليلة علموا ان ذلك لامر
عظيم حدث في العالم وكان كذلك وسببا لازالة ملكهم وتمزيقهم
كل ممزق كما مر وعبوس من تلك العجائب ايضا فهو مبتدا سوغه
وصفه بقوله للفرس بالضم ويقال فارس ومنه حرب خندقهم
فارس والروم وهم امة عظيمة كان مسكنهم في شمال العراق من
الفراسة بالفتح الشجاعة وكسري من اجل ملوكهم غارت في الارض
حتي لم يبق منها قطرة ومنها بحيرة طبرية التي كان فيها من كثرة
المياه وسعتها ما تحيل العادة غيضها ولهذا اقبل طولها
ستة اميال وعرضها مثل ذلك وتسمي عين ساوة لبلد معروف
بينها وبين الري اثنان وعشرون فرسخا وقيل موضع بالشام له

فهل

فهل استفهام للتعجب من حالهم او للتوبيخهم وتقريعهم كان لنيرانهم
بها اي بتلك المياه التي غارت اطفاء لا بل لم يطفها الا سر وجود
نبينا محمد صلي الله عليه وسلم وظهوره المضمحل به كل ظلم لهو باطل
ولذا قال مولد عظيم بالجر بدل من المولد والرفع خبر مبتدا محذوف
كان اي صار علي الدوام منه اي من اجله او من لابتدا الغاية
في طالع الكفر اي في نحو النوم او الالهام الذي يطلع به علي عواقب
الكفر وغايات اهله المترتبة عليه كرؤيا الموبذان والهام سطيح
السابقتين انفا ويصح ان يراد ان المولد نفسه اطلع كل ذي بصيرة
علي ان الفرس او الكفار يحل بهم وبال اي وخم عظيم عليهم
اي علي اهله الذين هم الفرس بدليل السياق او اعم بدليل الواقع
ووباء ويجوز قصره وهو المرض الشديد العام وبينهما وفيهما
الجناس اللاحق كما يتبان مما اعتراهم بوجوده من اشراف ملكهم
علي الزوال وما حل بهم من البوار والوبال والهوان والنكال
فبسبب ما حصل بوجوده صلي الله عليه وسلم في هذا الكون لهذه
الامة من المزايا وله من العطايا ولابائه ولامهاته من الشرف
الاكبر والتميز الاظهر حق ان يقال في شان امته هنيا به لامته
الفضل اي ثبت لهم الفضل اي الكمال والشرف والعلو حال
كونه هنيا اي لا آفة فيه ولا نكد فهو حال عند الاكثرين
مو كونه لعاملها الملتزم اضماره اذ لم يسمع الا كذلك وقال

[illegible]

المبرد انه مصدر كالعافية واصل ذلك انهم انابوا عن المصدر
صفات كما يذابك وهنيا لك قال بعض المغاربة وهي موقوفه
على السماع وقال غيره انه مقيس عند سيبويه يقال لكل من
لازم صفة وهنيا اسم فاعل من هنى اوهنو كشريف من شرف
وهو ما اتاك بلا مشقة **الذي شرفت به حوا** فمن دونها من
امهاته الى امنة فان الولادة منسوبة الى كل منهن لكنها اليهن
بواسطة ولامنة بدونها فمن ثم خصها من بينهن بذلك وزاد
في مدحها بانها شرفت بما شرفت به ام البشر وزيادة عدم الواسطة
فذكرها لهذا وللجمع بين طرفي الولادة الاول والاخر ولينبه
على ان حوى امتازت بابرازه الى وجود عالم الاستقلال مع عدم
الواسطة ومن ثم قال مبينا تميزها على حوى بذلك **من** استفهام
استبعادي بمعنى النفي **لحوا** اي من ذا الذي يفرح لها بانها او
يشفع لها في **انها حملت احمدا** بالتنوين للضرورة اي حملت
به وهو من عدد اسمائه وقد سماه الله تعالى به على لسان موسى
كما في الحديث وعيسى كما في القران وهو منقول من الصفة التي
معناها التفضيل فمعناه احمد الحامدين لربه وكذلك هو
في المعنى لانه يفتح عليه يوم القيامة عند سجوده تحت العرش
ليوذن له في الشفاعة العظمى وهو مقامه المحمود بمحامد لم
يفتح على احد قبله فيحمد ربه بها ولذلك يعقد له لوا الحمد ويكون

[illegible]

تحته ادم فمن دونه **وانها به نفسا** اي اصابها نفاس والدم
الخارج عقب الولادة سمي بذلك لانه اثر نفسي اي وبانها ولدته
بلا واسطة اي لو فرض لها انها تحمله وتلده بلا واسطة لكان
لها به غاية الفخر لكن لم يقدر ذلك لها بل لامنة لما سبق في علم الله
تعالى انها الفايزة بشرف الانتها وهو افضل مما قارنت به حوى
من شرف الابتدا ولهذا قال **يوم** بدل من مولد اسم زمان **نالت**
اي اعطيت **بوضعه** اي بسببه امنة **ابنة وهب** بن عبد مناف
ابن زهرة ابن كلاب ابن مرة فهي تلتقي مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم من جهة ابائه في كلاب وكان وهب سيد بني زهرة سنا
وشرفا وام امنة مرة ابنة عبد العزى ابن قصي بن عبد الدار
بن قصي ابن كلاب **من** بيانيه **فخار** وهو التمدح بالخصال العليه
والشيم الطاهرة المرضيه **ما لم تنله النسا** حتى حوى كما مر
وهذا لا يقتضي افضليتها على حوى مطلقا لانها انما فضلت
من وجه واحد هو ولادتها له صلى الله عليه وسلم بلا واسطة
والتفضيل من حيثية مزية واحدة او مزايا لا تقتضي
الافضلية على الاطلاق وانما ذكرت ذلك لان الاجماع قام
في حوى على ايمانها الكامل وامنة وقع الخلاف في ايمانها
بل وفي نجاتها ونقل عن الاكثر من عدمهما ولكن الاصح
بل الصواب خلافه كما مر ومما نالته ما اخرجه ابو نعيم والخرايطي

وابن عساكر ان عبد المطلب لما خرج بعبد الله ليزوجه للزوجة
التي راها وقد مر به امراة كاهنة قرات الكتب فرات نور
النبوة في وجهه ومن كان اجمل رجل ذي في قريش فسالته
ان يقع عليها وتعطيه ماية من الابل فابى وقال اما الحرام فـ
فالممات دونه فمر به ابوه حتى اتى به وهبا ابا امنة فزوجه
لها وهي يومئذ افضل امراة في قريش نسبا وموضعا فوقع
عليها يوم الاثنين ايام منى عند الجمرة ثم خرج ومر على تلك المراة
فلم تكلمه فسالها لم لم تعرضي نفسك الان علي قالت فارقك
النور الذي سالتك لاجله وذكروا انه لما استقرت تلك
النطفة الكريمة فيها اصبحت اصنام الدنيا منكوسة واخضرت
الارض وحملت الاشجار وكانت قريش في جدب شديد فسميت
تلك السنة سنة الفتح ونودي في الملكوت ان النور المكنون
قد انتقل الى بطن امنة ذات العقل الباهر والفضل الظاهر
قد خصها الله تعالى بهذا الحبيب لانها افضل قومها حسبا وازكاهم
اصلا وفرعا وفي حديث ابن اسحاق انها حدثت انها لما حملت
به صلى الله عليه وسلم قيل لها انك حملت بسيد هذه الامة وقالت
ما شعرت بحمله ولا وجدت له ثقلا ولا وحما اي في ابتدا حمله
لرواية انها وجدته وحملت على الابتدا جمعا بين الاحاديث
واتاني ات وانا بين النايمة واليقظانة فقال هل شعرت

ثمانية اشهر

انك حملت بسيد الانام ثم امهلني حتى دنت ولادتي اتاني فقال قولي
اعيذه بالواحد من شر كل حاسد ثم سميه محمدا وبعد هذا البيت ابيات
اخر مشهورة ولا اصل لها كما قاله الزين العراقي واخرج ابو نعيم
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال كان في دلالة حمل امنة
برسول الله صلى الله عليه وسلم ان كل دابة كانت لقريش نطقت تلك
الليلة وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة وهو
امام الدنيا وسراج العلما ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا الا
اصبح منكوسا ومرت وحوش المشرق الى وحوش المغرب بالبشارات
وكذلك اهل البحار بشر بعضهم بعضا وله في كل شهر من شهور حمله
ندا في الارض وندا في السما ان ابشروا فقد ان ان يظهر ابو
القاسم ميمونا مباركا وروى ابو نعيم ان امنة اتاها ات بعد ستة
اشهر من حملها وقال يا امنة انك قد حملت بخير العالمين فاذا وضعتيه
فسميه محمدا واكتمي شانك ثم انها لما اخذها الطلق وكانت وحدها
رات كان طايرا ابيض قد مسح فوادها فذهب رعبها ثم اتيت
بشربة بيضا فشربتها فاصابها نور عال ثم رات نسوة كالنخل
طولا فاحدقن بها فقالت من اين علمتن بي وفي رواية فقلن لي
نحن اسية امراة فرعون ومريم بنت عمران وهولا الحور العين ثم
رات ديباجا ابيض مد بين السما والارض ورجالا بايديهم اباريق
فضة وقطعة من الطير اقبلت حتى غطت حجرتها مناقيرها من الزمرد

وَاجنحتها من الياقوت وَرَاَتْ مشارق الارض ومغاربها وثلاثة اعلام
منصوبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما علي ظهر الكعبة فاخذها
النفاس فوضعته صلي الله عليه وسلم فاذا هو ساجد قد رفع اصبعيه
الي السما كالمتضرع المبتهل ثم رات سحابة بيضا غشيته فغيبته عنها فسمعت
مناديا يقول طوفوا به مشارق الارض ومغاربها وادخلوه البحار
ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ويعلموا انه سمي الماحي لا يبقي شي من
الشرك الا محي في زمنه ثم نجلت عنه في اسرع وقت وروي الخطيب
البغدادي بسنده انها لما وضعته رات سحابة عظيمة لها نور يسمع
فيها صهيل الخيل وخفقان الاجنحة وكلام الرجال حتي غشيته وغيب
عنها فسمعت مناديا يقول طوفوا به جميع الارض واعرضوه علي كل
روحاني من الجن والانس والملايكة والطيور والوحوش واعطوه
اخلاق النبيين ثم انجلت عنه وقد قبض علي حريرة بيضا مطوية
طيا شديدا ينبع منها ما واذا قايل يقول بخ بخ قبض محمد صلي الله عليه وسلم
علي الدنيا كلها لم يبق احد من اهلها الا دخل طايعا في قبضته ثم رات
ثلاثة نفر بيد احدهم ابريق فضة والثاني طست من زبرجد اخضر
والثالث حريرة بيضا اخرج منها خاتما يحار الناظرون دونه فغسله
سبع مرات ثم ختم به بين كتفيه ثم احتمله فادخله بين اجنحته ساعة
ثم رده الي امه ويوم اتت امة قومها اسم جنس للذكور وقد تدخل
فيه النسا تبعا كما هنا بمولود افضل بالاجماع مما اوقع ما علي العاقل

وهو عيسي صلي الله عليه وسلم وان كان نادرا لوروده في القران
نحو لما خلقت بيدي والسما وما بناها الايات ولا انتم عابدون ما
اعبد وكلام العرب وسمع من كلامهم سبحان ما سخركن لنا ولورود
هذا وامثاله زعم قوم منهم ابن درستويه وابو عبيدة ومكي وابن
خروف وقوعها علي احاد من يعقل كثيرا مطلقا وقال السهيلي انها تقع
علي اولي العلم الا بقرينة وتقع علي صفات من يعقل نحو فانكحوا ما
طاب لكم من النسا اي الطيبة منهن وعليه فما هنا نظيرا لا يه لان
من صفات من يعقل الحمل المذكور في قوله حملته قبل اي قبل
امنة ومرا ان بينهما نحو ستمائة سنة امه مريم بنت عمران الصديقة
بنص القران قبل وهي من ذرية سليمان صلي الله عليه وسلم بينها وبينه
اربعة وعشرون ابا وفي الصحيح خير نسايها مريم ولذا فضلت النساء
علي جميع الانبيا للخلاف في نبوتها وان كان شاذا ولما رفع عيسي
للسما كان سنها ثلاثا وخمسين سنة وبقيت بعد ذلك خمس سنين
العذرا اي البكر لانها لم تتزوج والعذرة البكارة وحملها بعيسي انما
هو من نفخ جبريل في جيب درعها فحملت به ووضعته من وقتها كرامة
علي الاشهر كرامة لها ومعجزة له صلي الله عليه وسلم وخصته لهذا مع
تصريحه قبل بانه افضل الانبيا لانه ينزل من السما علي منارة جامع
بني امية البيضا شرقي دمشق كما رواه مسلم في اخر هذه الامة ويقتل
الدجال والخنزير ويبطل الجزية وغير ما يتوهم من ذلك مع باهر معجزاته

وولادته من غير اب وان كان لنبينا ما هو مثلها او ابهر منها كما ياتي
انه الخاتم الافضل فنبني ذلك على الوجه الاكمل ونزوله انما هو بشريعة
نبينا ومنها ان الجزية لا تقبل بعد نزوله لانتفا ما لهم من نوع ه
شبهة تمسك بكتاب يتكذب به لهم فيكون من اتباعه ولاجل ذلك
يصلي وراء المهدي اولا ثم يتقدم بعد اعلاما بانه لم ينزل مستقلا
بل تابعا مؤيدا لها كما بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وفي خبر البخاري
انا اولى الناس بابن مريم في الدنيا والاخرة ليس بيني وبينه نبي
وبه يرد على من قال كان بينهما خالد بن سنان نبي اصحاب الرس وخبر
الصحيحين من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا
عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم
وروح منه وان الجنة حق وان النار حق ادخله الله الجنة على ما كان
منه من عمل وفي خبر الصحيحين ان كل مولود يمسه الشيطان فيصيح
الا عيسى فقال ابو هريرة اقرأوا ان شئتم واني اعيذها بك وذريتها
من الشيطان الرجيم ولا ينافي هذا افضلية نبينا عليه صلى الله عليهما
وسلم لان لنبينا من المزايا ما يغمر هذا في جنب ادونها وقد يكون في
المفضول مزية او مزايا ليست في الفاضل لكن فيه ما يخلف ذلك ه
ويفوقه تتمة من التشميت وهو ان يقال للعاطس يرحمك
الله يرحمك الله بالمعجمة والمهملة اي دعا له بالسلامة من الشوامت
او بقا سمته كما هو لان العطاس ربما كان سببا لتعويج نحو العنق

مبحث حقيقة الملك والجن والانس

الاملاك جمع ملك وهذا هو القياس في جمعه كجمل واجمال ولفظ الملك
مشتق من الالوكة وهي الرسالة ويقال لها مالكة والاصل فيه مألك
ثم قلبت فصار ملأكا على وزن معفل ثم ضعف بعد قلبه ونقلت حركة
الهمزة الى اللام فصار ملكا وزن فعل وح فقياس هذا جمعه افعال
كما جرى عليه الناظم وانما جمعوه على ملايكة لانهم راعوا ملأك
بعد القلب وقيل ان خفف وقولهم من الالوكة مصرح بان ميمه
زايدة وهو راي الجمهور وذهبت طايفة الى انها اصلية ثم اختلفوا
هل هو من الملك بالفتح اي القوة لقوتهم او بالكسر بمعنى مملوك
قولان قيل واحسن من الجميع قول النضر ابن شميل انه غير ماخوذ
من شي والتحقيق الذي دلت عليه الاثار وقوله تعالى الا ابليس
كان من الجن وزعم ان نوعا من الملايكة يسمون بذلك ليس في محله
لتوقفه على صحة خبر به ان ابليس ابو الجن كما ان ادم ابو البشر وانه
لم يكن من الملايكة طرفة عين وان المصحح للاستثنا في الاية التغليب
لكونه كان فيهم او هو منقطع وفي خبر مسلم خلقت الملايكة من نور
وخلقت الجان من مارج من نار وخلق ادم مما وصف لكم وظاهره
ان عنصرهما متمحض من النور والنار وقيل بل هما من العناصر
الاربعة كالثالث وانما غلب عليهما ذلك وزعم تاويل الاولين
بانه على التمثيل ليس في محله لانه يلزم عليه انه الثالث كذلك
ولان مدار المعتزلة على هذه الطريقة فانهم اولوا احاديث

الجن

السوال في القبر وعذابه والصراط والميزان والحوض والشفاعة
ودابة الارض ونحوها ولم يبالوا بما بذتهم للسنة الغرا فبحهم الله
اذ وضعته اي وقت وضع امه له وشفتنا اي افرحتنا واسرتنا
او من الشفا لان قولها الاتي يشفي العليل ويبرد الغليل بقولها
الشفا بالفا المشددة وهي ام عبد الرحمن ابن عوف احد العشرة
رضي الله تعالي عنهم بنت عمرو بن عوف وقولها هو ما اخرجه ابو نعيم
عن ولدها عبد الرحمن عنها قالت لما ولدته امنة رسول الله صلي
الله عليه وسلم وقع علي يدي فاستهل فسمعت قايلا يقول رحمك
الله او رحمك ربك قالت الشفا واضا لي ما بين المشرق والمغرب
حتي نظرت الي بعض قصور الروم قالت ثم البسته واضجعته
فلم انشب ان غشيتني ظلمة ورعب وقشعريرة ثم غيب عني فسمعت
قايلا يقول اين ذهبت به قال الي المشرق قالت فلم يزل الحديث
مني علي بالي حتي ابتعثه الله فكنت في اول الناس اسلاما وحمل
الناظم قولها استهل علي انه عطس حتي عبر بشمتته الذي لا يطلق
الا علي ما يقال عقب العطاس تحتاج فيه لسند اذ حقيقة الاستهلال
رفع الصوت عند الولادة وهذا هو الغالب من احوال المولودين
فحمله انه لا يصار اليه الا بنص صريح من يعتمد عليه به ولم اره وقولها
فسمعت قايلا يقول علي الملك هو الظاهر وجمعه مبالغة واشارة
الي ان عصمة الملايكة توجب ان الفعل المسند الي احدهم كانه
مستند

[illegible]

٢٧١

مستند الي الجميع وعلي ما قاله الناظم مع ما استقر من شرعه صلي الله
عليه وسلم ان التشميت انما يسن لمن حمد الله عقب عطاسه يحتمل انه
صلي الله عليه وسلم حمد الله فشمت فيكون من جملة من تكلم في مهده صلي
الله عليه وسلم عدتهم ولم يذكر نفسه منهم رافعا حال من مفعول وضعته
راسه الي السما كما رواه ابن سعد من حديث جماعة منهم عطا وابن
عباس ان امنة قالت لما فصل مني تعني النبي صلي الله عليه وسلم خرج معه
نور اضا له ما بين المشرق والمغرب ثم وقع بالي الارض معتمدا علي
يديه ثم اخذ قبضة من التراب فقبضها ورفع راسه الي السماء
وفي ذلك الرفع الذي هو اول فعل وقع منه بعد بروزه الي هذا
العالم وهو خبر مقدم الي كل سودد اي رفعة وسيادة علي الخلق
وهو متعلق بالمبتدا الذي هو ايما اي اشارة الي ان شانه
وقدره يرفع ويعلو في الدنيا والاخرة الي مراتب لا يصلها
غيره من ملك ولا جن ولا انس رامقا حال مما منه الاولي وتعدد
الاحوال جايز كتعدد الاخبار او من ضمير رافعا فهي من الاحوال
المتداخلة طرفه اي بصره السما اي ناظرا الي جهتها نظرا
حقيقيا كما علم من حديث عطا وابن عباس المذكور وروي
الطبراني انه لما وقع الي الارض وقع مقبوضة اصابع يديه
مشيرا بالسبابة كالمسبح بها وسبقت رواية انها لما وضعته
نظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع اصبعيه الي السما كالمتضرع

[illegible] يحتمل ان يكون تشميته [illegible] تعظيما لقدره [illegible] غير حمد [illegible]

المتبهل وبين هذا الرمق الاشارة الي علو مرماه اذ مرمي هو في
الاصل غرض الرامي الذي يصيبه بسهمه وهنا ما انتهي اليه
البصر عين من موصول شانه اي قصده العلو اي ارتفاعه
مكانه والجملة الصلة وخبر مرمي العلاء بالفتح والمد اي الرفعة
والشرف ويجوز ضم عينه مع القصر اي كما رفعه راسه ايماء
الي ما مر فكذلك رمقه ببصره الي جهة العلو ايماء الي انه لا يقصد
الا اعلي المراتب اذ من شانه العلو لا يقصد الا جهاته وما يوصل
اليها دون غيرها مما لا يناسب فبهذا فعلم ان المترتب علي الرفع
والرمق متحد بالذات مختلف بالاعتبار اذ التوجه الي جهات
العلو الذي هو مفاد منهما له اعتبارات مختلفة ويوم تدلت
اي قربت ودنت فهو عطف علي نالت زهر النجوم من اضافة الصفة
الي الموصوف اي الكواكب المضيئة اليه صلي الله عليه وسلم كرامة
له وتعظيما لم يقع نظيره لغيره كما رواه البيهقي وابن السكن
عن عثمان ابن ابي العاص عن امه فاطمة الثقفية انها قالت
لما حضرت ولادة رسول الله صلي الله عليه وسلم رايت البيت حين
وقع قد امتلا نورا ورايت النجوم تدنو حتي ظننت انها ستقع
علي فبسبب هذا التدلي اضاءت بضوئها اي تلك الكواكب المضيئة
الارجاء اي نواحي البيت او نواحي السما او نواحي الوجود باسره ويوم
تراءت من راي بمعني ابصر وليس المراد هنا حقيقة التفاعل بل أصل

ان اللغات كلها توقيفية وقيل انما علم لغة واحدة لان الحاجة
لم تدع الا اليها واما بقية اللغات فبالتواضع ويقابل ما سلكه
الناظم قولان احدهما انه انما علم مدلولاتها لا الفاظها لان المزية في
العلم انما تحصل بمعرفة مقاصد المخلوقات ومنافعها لا بمعرفة
ان اسماها كذا وكذا قاله بعض المحققين وهذا وان قرب من
المعني فهو بعيد من اللفظ اي لان قوله باسماء هؤلاء وما بعده
ظاهر او صريح في الاسما فقط ومعني ثم عرضهم اي الاعيان
لانها التي تعرض دون الاسما انها ابرزت اليهم ليخبروا باسمائها
فلا تاييد فيه لكون المعلم المسميات خلافا لمن زعمه ثانيهما وهو
الذي سلكه صاحب الكشاف انه علم الامرين معا جمعا بين مقتضي
اللفظ والمعني ولما ذكر شرف ذاته وتوقيه صلي الله عليه وسلم بما
يبهر العقول انتقل الي ذكر شرف نسبه كذلك فقال مستانفا
لم تزل حال كونك في ضمائر الكون اي الوجود وضمائره مستوراته
الخفية من الاصلاب والارحام تختار اي تصطفي لك الامهات
جمع ام وهي الوالدة وان علت واصلها امهة بجمعه علي امهات
وقيل امهات للادميات وامات لغيرهن والآبا جمع اب واصله
ابو بالتحريك حذفت واوه تخفيفا اي كما طابت ذاتك بما اوتيته
من الكمال كذلك طاب نسبك فلم يكن في امهاتك من لدن
حوي الي امك آمنة ولا في ابائك من لدن ادم الي ابيك عبد الله

الامن هو مصطفي مختار وشاهد ذلك حديث البخاري بعثت
من خير قرون بني ادم قرنا فقرنا حتي كنت من القرن الذي كنت منه
وحديث مسلم ان الله اصطفي كنانة من ولد اسماعيل واصطفي
قريشا من كنانة واصطفي من قريش بني هاشم واصطفاني من بني
هاشم وحديث الترمذي بسند حسن ان الله تعالي خلق الخلق
فجعلني في خير فرقهم ثم تخير القبايل فجعلني في خير قبيلة ثم تخير
البيوت فجعلني في خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا اي روحا وذاتا
وخيرهم بيتا اي اصلا وحديث الطبراني ان الله اختار الخلق
فاختار منهم بني ادم ثم اختار ~~بني العرب فاختار~~ منهم العرب ثم اختارني
من العرب فلم ازل خيارا من خيار الا من احب العرب فبحبي
احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم واعلم ان ادم
اولد حوي اربعين ولدا في عشرين بطنا الا شيثا وصيه فانه
ولد منفردا كرامة لكون نبينا صلي الله عليه وسلم من نسله ثم لما
توفي وصي بنيه بوصية ابيه له انه لا يضع هذا النور اي الذي
كان بجبهة ادم ثم انتقل الي شيث الا في المطهرات من النسا
ولم تزل هذه الوصية معمولا بها في القرون الي ان وصل ذلك النور
لجبهة عبد المطلب ثم ولده عبد الله وطهر الله تعالي هذا النسب
الشريف من سفاح الجاهلية لما ورد في الاحاديث كحديث البيهقي
في سننه ما ولدني من سفاح الجاهلية شي وما ولدني الا نكاح الاسلام

وسفاحهم

صلي الله عليه وسلم

وسفاحهم بكثر السنين زناهم كانت المراة تسافح الرجل مدة ثم
يتزوجها وروي ابن سعد وابن عساكر عن محمد بن السايب بن
الكلبي عن ابيه قال كتبت للنبي مائة ام فما وجدت فيهن سفاحا
ولا شيا مما كان من امر الجاهلية والطبراني وابو نعيم وابن
عساكر خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح من لدن ادم الي ان
ولدني ابي وامي لم يصبني من سفاح الجاهلية شي وابو نعيم
لم يلتق ابواي قط علي سفاح لم يزل الله ينقلني من الاصلاب الطيبة
الي الارحام الطاهرة مصفي مهذبا لا يتشعب شعبتان الا كنت
في خيرهما وابن مردويه قرا صلي الله عليه وسلم لقد جاكم رسول من
انفسكم اي بفتح الفا وقال انا انفسكم نسبا وصهرا وحسبا
ليس في اباي من لدن ادم سفاح كلها نكاح تنبيه لك ان
تاخذ من كلام الناظر الذي علمت ان الاحاديث مصرحة به لفظا
في اكثره ومعني في كله ان ابا النبي صلي الله عليه وسلم غير الانبيا
وامهاته الي ادم وحوي ليس فيهم كافر لان الكافر لا يقال في حقه
انه مختار ولا كريم ولا طاهر بل نجس كما في اية انما المشركون نجس
وقد صرحت الاحاديث السابقة بانهم مختارون وان
الابا كرام والامهات طاهرات وايضا فهم الي اسماعيل كانوا
من اهل الفترة وهم في حكم المسلمين بنص الاية الاتية وكذا
من بين كل رسولين وايضا قال تعالي وتقلبك في الساجدين

مطلب في بيان اسلام اباء محمد صلعم وامهاته

علي احد التفاسير فيه ان المراد تنقل نوره من ساجد الي ساجد وح
فهذا اصرح في ان ابوي النبي صلي الله عليه وسلم امنة وعبد الله من اهل
الجنة لانهما اقرب المختارين له صلي الله عليه وسلم وهذا هو الحق بل في
حديث صححه غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا لمن طعن فيه ان الله تع
احياهما له فامنا به خصوصية لهما وكرامة له صلي الله عليه وسلم فقول
ابن دحيه يرده القران والاجماع ليس في محله لان ذلك ممكن شرعا
وعقلا علي جهة الكرامة والخصوصية فلا يرده قران ولا اجماع
وكون الايمان به لا ينفع بعد الموت محله في غير الخصوصية والكرامة
وقد صح انه صلي الله عليه وسلم ردت عليه الشمس بعد مغيبها فعاد
الوقت حتي صلي علي رضي الله عنه العصر ادا اكرامة له صلي الله عليه وسلم فكذا هذا
وطعن بعضهم في صحة هذا بما لا يجدي ايضا وحديث انه تعالي
لم ياذن لنبيه صلي الله عليه وسلم في الاستغفار لامه اما كان قبل
احيائها له وايمانها به او ان المصلحة اقتضت تاخير الاستغفار لها
عن ذلك الوقت فلم يوذن له فيه ح فان قلت اذا قررتم انهما من
اهل الفترة وانهم لا يعذبون فما فايدة الاحيا قلت فايدته
الحاقهما بكمال لم يحصل لاهل الفترة لان غاية امرهم الحقوا
بالمسلمين في مجرد السلامة من العقاب واما مراتب الثواب
العليه فهم بمعزل عنها فاتحفا بمزية الايمان زيادة في شرف
كمالها بحصول تلك المراتب لهما وفي هذا مزيد ذكرته في الفتاوي

ولا

ولا يرد علي الناظم ازر فانه كافر مع ان الله تع ذكر في كتابه العزيز
انه ابو ابراهيم صلي الله عليه وسلم وذلك لان اهل الكتابين اجمعوا
علي انه لم يكن اباه حقيقة وانما كان عمه والعرب تسمي العم ابا بل في
القران ذلك قال تع واله ابائك ابراهيم واسماعيل مع انه عم يعقوب
بل لو لم يجمعوا علي ذلك وجب تاويله جمعا بين الاحاديث واما من اخذ
بظاهره كالبيضاوي وغيره فقد تساهل اشترح وحديث مسلم
قال رجل يا رسول الله اين ابي قال في النار فلما قفا دعاه فقال ان
ابي واباك في النار يتعين تاويله واظهر تاويل له عندي انه اراد
بابيه عمه ابا طالب لما تقرر ان العرب تسمي العم ابا وقرينة المجاز
فيه الاية الشاهدة بخلافه علي اصح محاملها عند اهل السنة وان عمه
هو الذي كفله بعد جده عبد المطلب وانه انما قصد بذلك ان يطيب
خاطر ذلك الرجل خشية ان يرتد لو قرع سمعه اولا ان اباه في النار
بل قيل انه انما قال له بعد ان ولي او كان ذلك قبل ان ينزل عليه وما كنا
معذبين حتي نبعث رسولا كما وقع له انه سئل عن اطفال المشركين
فقال هم من ابائهم ثم سئل عنهم فذكر انهم في الجنة واما قول
النووي رحمه الله تعالي في حديث مسلم ان من مات في الفترة علي ما
كانت عليه العرب من عبادة الاوثان فهو في النار وليس في هذا
مواخذة قبل بلوغ الدعوة فان هولا كانت بلغتهم دعوة ابراهيم
وغيره عليه الصلاة والسلام انتهي فبعيد جدا للاتفاق علي ان

خ
فتسمي العم ابا صح

ابراهيم ومن بعده لم يرسلوا للعرب ورسالة اسماعيل اليهم انتهت
بموته اذ لم يعلم لغير نبينا صلى الله عليه وسلم عموم بعثة بعد الموت وقد
يؤول كلامه بحمله على عباد الاوثان الذين ورد فيهم انهم في النار
وبهذا يرد كلام الفخر الرازي القريب من كلام النووي ثم رايت
الابي شارح مسلم بالغ في الرد على النووي بان كلامه مناف لحكمه بانهم
اهل فترة وبان الدعوة بلغتهم ومن بلغتهم الدعوة ليسوا اهل فترة
لانهم الامم الكاينة بين ازمنة الرسل الذين لم يرسل اليهم الاول
ولا ادركوا الثاني ثم قال ولما دلت القواطع على ان لا تعذيب
حتى تقوم الحجة علمنا ان اهل الفترة غير معذبين انتهى وهو
موافق لما ذكرته وما احسن قول بعض المتوقفين في هذه المسئلة
والحذر الحذر من ذكرهما بنقص فان ذلك قد يوذيه صلى الله عليه
وسلم لحديث الطبراني لا توذوا الاحيا بسب الاموات انتهى
واما الذين صح تعذيبهم مع كونهم من اهل الفترة فلا يردون
نقضا على ما عليه الاشاعرة من اهل الكلام والاصول والشافعية
من الفقها ان اهل الفترة لا يعذبون وسبب ذلك انا عهدنا
في الغلام الذي قتله الخضر انه حكم بكفره مع صباه لامر يعلمه الله
وحده فكذا هولا يحكم بكفرهم بخصوصهم وان لم تبلغهم الدعوة
لامر يعلمه الله ورسوله فلا يرد هولا نقضا على ما استفيد من الاية
ومشى عليه اولئك الايمة ان اهل الفترة لا يعذبون وهذا

الذي ذكرته في الجواب اولى من الجواب بان احاديثهم اخبار احاد
فلا يعارض القطع بان اهل الفترة لا يعذبون او بان التعذيب
المذكور في الاحاديث مقصور على من بدل وغير من اهل الفترة
بما لا يعذر به كعبادة الاوثان وتغيير الشرايع وكان قايل هذا ممن
يرى وجوب الايمان بالعقل والذي عليه اكثر اهل السنة والجماعة
انه لا يجب توحيد ولا غيره الا بعد ارسال الرسول اليهم ومن
المقرر ان العرب لم يرسل اليهم رسول بعد اسماعيل صلى الله عليه
وسلم وان اسماعيل انتهت رسالته بموته فلا فرق بين من غير وبدل
وغيره ما عدا من صح تعذيبه فيقتصر ذلك عليه لانه لا قياس في
ذلك وقول ابي حيان ان الرافضة هم القايلون ان ابا النبي صلى الله
عليه وسلم غير معذ بين مستدلين بقوله تعالى وتقلبك في
الساجدين فلك رده بان ابا حيان انما يرجع اليه في علم النحو
وما يتعلق به واما المسايل الاصولية فهو بمعزل كيف والاشا
ومن ذكر معهم فيما مر اتفقا على انهم غير معذبين فنسبة ذلك
للرافضة وحدهم مع ان هولا الذين هم ايمة اهل السنة قايلون
به قصور ما اي قصور وتساهل اي تساهل ما مضت فترة
وهي ما بين موت الرسول وبعثة الرسول الذي يليه كما بين
عيسى ونبينا صلى الله عليهما وسلم واختلفوا في قدرها والمشهور
انه نحو ستماية سنة اي زمن خال من الرسل جمع رسول وتر

تعريفه اول الكتاب اي ما مضي زمن خال من الرسل نبي فيه ذكرك
الا جددته و**بشرت** من البشارة وهي الخبر السار **قومها** ليس فيه اضمار
قبل الذكر لان مرجع الضمير الفاعل وهو متقدم الرتبة وان تاخر
لفظه علي انه يحتمل علي بعد ان الضمير للفترة اي الا بشرت الاقوام
الكائنين في تلك الفترة **بك** اي بقرب بعثتك وباهر رسالتك وعظمتك
الانبيا اي الرسل الذين ابتوا بعد تلك الفترة وفي هذا الاستدلال
واضح علي كمال شرفه صلي الله عليه وسلم ورفعته علي السنة الرسل فانه
نبي الانبيا المقدم عليهم التابعون له هم واممهم وشاهد ذلك قوله
الله تعالي عن عيسي صلي الله عليه وسلم ومبشرا برسول يأتي من بعدي
اسمه احمد ومن ثم قال صلي الله عليه وسلم انا دعوة ابي ابراهيم اي في
ابه ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وبشارة عيسي وقوله تع واذ اخذ
الله ميثاق النبيين اي واممهم وحذف استغنا بذكر المتبوعين عن ذكر
الاتباع لما مفتوحة توطية للقسم الذي يتضمنه اخذ الميثاق ولتؤمنن
به سد مسد جوابه وجواب ما الشرطيه ومكسورة اي لاجل ما اتيتكم
من كتاب وحكمة ثم جاكم رسول مصدق لما معكم اي وهو محمد صلي الله
عليه وسلم لتؤمنن به ولتنصرنه الاية وقد اختلف المفسرون فيها
والذي قاله علي وابن عباس رضي الله تعالي عنهم وتبعهم الحسن وطاووس
وقتادة رحمهم الله تعالي انه اخذ علي كل نبي بعثه من لدن ادم الي
محمد صلي الله عليه وسلم لئن بعث محمدا صلي الله عليه وسلم وهو حي ليؤمنن

[illegible]

به ولينصرنه ويلزم من هذا ان الانبيا كانوا ياخذون الميثاق
من اممهم بانهم اذا ادركوا محمدا صلي الله عليه وسلم امنوا به ونصروه ودعوي
ان هذا معني الاية دون الاول مردودة ولا ينافي الاول العلم
بان الانبيا لا يدركون حياته صلي الله عليه وسلم ولا الحكم بالفسق علي
من تولي عن ذلك لان التعليق في مثل ذلك لا يستلزم الوقوع الا
تري قوله تع لئن اشركت ليحبطن عملك ولو تقول علينا بعض
الاقاويل لاخذنا منه باليمين فالمقصود انه لو فرض انه بعث وهم
احيا لزمهم ذلك كما ان القصد من هاتين الايتين الفرض والتقدير
ايضا ومن ثم قال الامام التقي السبكي دلت الاية علي انهم لو ادركوا
زمنه كان مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق
الانبيا واممهم من لدن ادم الي قيام الساعة وحينئذ يدخلون
في قوله وارسلت للناس كافة وحكمة اخذ هذا الميثاق علي الانبيا
اعلامهم واممهم بانه المقدم عليهم وانه نبيهم ورسولهم وقد
ظهر ذلك في الدنيا بكونه امهم ليلة الاسرا ويظهر في الاخرة بانهم
كلهم تحت لوايه بل وفي اخر الزمان بكون عيسي ينزل حاكما بشريعة محمد
صلي الله عليه وسلم دون شريعة نفسه ثم بين الناظم بعض فضايل تلك
البشارة في تلك الفترات فقال **تتباهي** اي تتفاخر **بك** اي بوجودك
العصور اي الازمنة الطويلة من لدن ادم الي يوم القيامة وما
بعده فكل عصر يفخر علي العصر الذي قبله لوجودك فيه بجمال اعلي

مما قبله ولو في ضمن ابائك لكن اعظمها افتخارا عصر بروزك إلى
هذا العالم ثم عصر نشأتك ثم عصر رضاعك فشق بطنك فتعبدك
بحرا وغيره ثم عصر نبوتك ثم عصر رسالتك ثم عصر دعائك الخلق
إلى الله تعالى ثم عصر اقبالهم عليك ثم عصر معراجك ثم عصر هجرتك
ثم عصر جهادك ثم عصر سراياك وبعوثك ثم عصر فتوحك ثم
عصر دخول الناس في دين الله افواجا ثم عصر حجك ثم عصور
أتباعك على تفاوتهم الى قيام الساعة كما دل عليه الحديث المشهور لا
تزال طائفة من امتي فمزاياه تتزايد في كل عصر من اعصار حياته
على ما قبله وبحسب ذلك يكون افتخار ذلك العصر على غيره وكذلك
عصور اتباعه تتفاوت بتفاوت مزاياهم المستمدة من مزاياه ه
واعمالهم المتضاعفة له تضاعفا يفوق الحصر لان كل عامل يتضاعف
له صلى الله عليه وسلم بحسب عمله وكذلك كل واسطة بينه وبينه لانه
الدال للكل ومن دل على خير فله مثل اجر فاعله فكل دال يتضاعف
له بحسب تضاعف من بعده ويتضاعف للنبي صلى الله عليه وسلم
بحسب تضاعف الجميع وهذا شيء يقصر عن ادراك كثرته العقل
ثم عصر مقامه المحمود وشفاعته العظمى في فصل القضاء ثم عصر
بقية شفاعاته ثم عصر حوضه ثم عصر وسيلته وفضيلته التي
يعطاها في الجنة مما لا تدرك غايته ولا تحد نهايته فكل هذه
العصور تفتخر به بحسب ما يقع فيها من كماله لان الازمنة والامكنة

تتشرف بشرف من يكون فيها وما يكون فيها من المزايا والكمالات ولذا
قال بعضهم ان ليلة مولده صلعم افضل من ليلة القدر وهو صحيح لولا
النص على خلافه على أن ليلة القدر من خصوصياته فتفضيلها انما
هو لاجله ايضا وتسمو أي تعلو وترتفع من سموت وسميت كعلوت
وعليت بك أي بتلبسها بك مرتبة عليا تأنيث الاعلى بعدها مرتبة ۞ في الزمان والعلو صح
أخرى عليا اي اعلى منها اي لك في كل عصر من العصور المذكورة
مرتبة اعلى مما قبلها واعلى منها ما بعدها وهكذا الى ما لا نهاية له ودليل
تفاوت مراتبه كما ذكر قوله تعالى وقل رب زدني علما ولا شك
ان علومه ومعارفه متزايدة متفاوتة الى ما لا نهاية له وقوله
صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي فاستغفر الله قال العارف القطب
ابو الحسن الشاذلي هذا غين انوار لا غين اغيار اي لانه صلى الله عليه
وسلم كان دائم الترقي فكان كلما توالت انوار العلوم والمعارف
على قلبه ارتقى الى مرتبة اعلى مما هو فيها ورأى ان ما قبلها دونها
فيستغفر منها تواضعا طلبا لتزايد كماله وفي قول الناظم وتسمو الخ
من المدح ما لا يخفى عظيم وقعه لانه جعل تلك المراتب هي التي
تسمو او ترتفع به ولم يجر على ما هو المتبادر انه الذي يسمو
ويرتفع بها لما هو الحق انه تعالى خلقه في عالم الامر على اكمل كمال
يمكن ان يوجد لمخلوق ثم ابرزه في عالم الخلق متدرجا في تلك المراتب
لتتشرف به لا ليتشرف هو بها لما علمت انه كامل قبلها فتامل ذلك فانه

ولم يقل ليس فوق كماله [illegible] الاكمال

دقيق غفل عنه الشارح وبدا اي ظهر للوجود اي لهذا العالم منك
كريم اي سالم من كل صفة نقص جامع لكل صفة كمال وهذا احد انواع التجريد
الذي هو ادق من انواع البديع وهو اعني التجريد ان ينتزع من امر ذي
صفة امر اخر مماثل لذلك الامر في تلك الصفة مبالغة لكمالها في ذلك
الامر حتى كانه بلغ من الاتصاف بتلك الصفة الى حيث يصح ان ينتزع
منه موصوف اخر بتلك الصفة وهو انواع منها ما يكون بمن التجريدية
كما هنا نحو قولهم لي من فلان صديق حميم اي قريب يهتم لامره اي بلغ
فلان من الصداقة حدا يصح معه ان يستخلص من فلان اخر مثله في
الصداقة فهو صلى الله عليه وسلم لكماله في صفة الكرم صح ان ينتزع منه
شخص كريم مبالغة في صفة كرمه وكماله فيه ثم ذلك الكريم الذي ظهر
وهو محمد صلى الله عليه وسلم وجد من اصلاب وام كريم اي سالم من نقص
الجاهلية فالكرم هنا وفيما بعده غيره ثم كما علم مما مر ويأتي وهذا الظاهر
في اسلام ابويه صلى الله عليه وسلم ومر ما في ذلك اباؤه جميعهم كما
افاده الاضافة من لدن ادم اليه صلى الله عليه وسلم واراد بالاباء ما يشمل واراد
الامهات لما قدمه ان النوعين مختاران والاختيار والكرم ما لهما
واحد كرماء اي سالمون من سفاح الجاهلية ونقصهم بنبيه قال
ابن دحيه اجمع العلما والاجماع حجة على انه صلى الله عليه وسلم كان اذا
انتسب لم يتجاوز عدنان وفي مسند الفردوس عن ابن عباس انه
صلى الله عليه وسلم كان اذا انتسب لم يجاوز معد ابن عدنان ثم يمسك

ويقول

٢٢٩

ويقول كذب النسابون لكن قال التسهيل الاصح ان هذا من قول
ابن مسعود قال غيره كان ابن مسعود اذا قرا والذين من بعدهم
لا يعلمهم الا الله قال كذب النسابون اي لانهم يدعون علم الانساب
وقد نفى الله تعالى علمها عن العباد وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
بين اسماعيل وعدنان ثلاثون ابا لا يعرفون ومن ثم انكر مالك على من
رفع نسبه الى ادم وقال من اخبره بهذا اي ان ذلك من كلام المورخين
الذي لا دليل عليه ولا ثقة به مع ما فيه من التخليط والتغيير وقلة
الفايدة هذا نسب عظيم بلا اظهر ولا اجل منه في الانساب وهو
اسم لعمود القرابة الذي يجمع متفرقها تحسب ايها المخاطب اي تظن
العلا جمع عليا تانيث اعلى كما مر حلاه بضم اوله وكسره وهو افصح
جمع حلية بكسر اوله اي بسبب حلا ذلك النسب قلدتها اي العلا
في محل مفعول تحسب الثاني والاول العلا نجومها اي نجوم الجوزا
اسم لبرج في السما كما في القاموس وعليه فنجومه هي الاتية وتطلق
عرفا على النجوم المجتمعة المعروفة قيل وهي تشبه المراة فلذا نسب
التقليد اليها وح لا بدع ان ينسب الى الشي من حيث هو مجموع انه
قلد غيره كلا من تلك الافراد التي اشتمل عليها او يقال ان المراد بنجومها هنا ما حوا
ما حوا اليها من النجوم التي تسمى نطاق الجوزا وقبة الجوزا كما قال
القايل ۞ لو لم تكن قبة الجوزا خدمته ۞ لما راين عليها عقد منتطق
اي من كمال هذا النسب وشرفه ان من تامل فيه حسب بسبب ما تحلى به من

هذا التصحيف منه رحمه الله لان [illegible] البيت لفظه [illegible] وهو معرب بيت فارسي [illegible]

الكمالات ان معاليه قلدتها الجوزا بنجومها اي جعلت قلادة لها فعلم
ان كلامه يفيد ان كل واحد من اوليك الابا الكرام قد ارتفع في زمانه
حتي صار كانه النجم في الشرف وعلو المرتبة والاضاءة والاهتدا به
في ظلمات البر والبحر حتي يظن الظان انه نجم من نجوم الجوزا وان ذلك
النسب متناسب كتناسب العقد وكاستدارة الجوزا وان مجموع هذا
النسب كالعقد الثمين جدا الذي تقلده عنق تلك المراتب العليه
فعلم من هذا مع ما قدمته في مبحث الاستعارة ما في هذا البيت من
انواعها البالغة الغاية في البلاغة كاستعارة نجوم الجوزا المتتابعة
كتتابع ذلك النسب في الشرف وعلو المراتب ولما قرر ان مجموع ذلك
النسب كالعقد الثمين الذي تقلدته تلك المراتب العلية اخذ في ذكره
ذلك فقال **حبذا** هي كنعم عملا ومعني مع زيادة اشعارها
بان الممدوح بها محبوب للقلب واصله حب بالضم اي صار حبيبا لا
حب بالفتح ثم ادغم فصار حب والاصح ان ذا فاعله ويلزم الافراد
والتذكير وان كان المخصوص بخلاف ذلك لانه كالمثل والامثال
لا تغير او لان فيه حذفا تقديره في نحو حبذا هند حبذا حسنها
وحبذا الزيد حبذا امره وشانه فالمقدر المشار اليه مفرد مذكر
دايما حذف واقيم المضاف اليه مقامه او لانه علي ارادة جنس شايع
اقوال والاكثرون علي الاول وقيل حبذا كله فعل وفاعله المخصوص
وقيل الكل اسم واحد واختاره ابن عصفور فهو مرفوع اتفاقا ثم

هل

هل هو مبتدا خبره المخصوص وعكسه قولان وعلي ان ذا هو الفاعل
المخصوص مبتدا الجملة وهي خبره والرابط ذا وقيل مبتدا محذوف
الخبر وقيل عكسه وكانه قيل من المحبوب فقال زيد اي هو وقيل بدل
من ذا وقيل عطف بيان له ولا يتقدم مخصوص حبذا عليها وان جاز تقدمه
بقلة علي نعم لانها فرع عنها فلا تساويها في تصرفها لها ويحذف بقلة
وتكون قبل المخصوص او بعده نكرة منصوبة مطابقة نحو حبذا الصبر شيمة
وحبذا رجلين الزيدان ثم ان اشتق اعرب حالا والا فهو تمييز علي خلاف
منتشر فيه والناظم حذف هذا لدلالة المقام عليه والتقدير حبذا
كما لا وتدخل عليها لا فتساوي بئس في العمل والمعني مع زيادة ما تقدم
ضده في حبذا او هي غير متصرفة فلا مصدر لها ومن ثم عملت فيما عداه
كالظرف والتمييز والحال وان توقف ابو حيان في الاخيرين وتجرد
من ذا فيضم اولها ويجوز بقاء فتحه وجر فاعلها بالباء الحب بها وانما
اطلت في هذه لان كلام الشارح فيها غير موف بالمراد مع انه لا يخلو كلام الناظم
في حذفه ما مر من ابهام فتامله **عقد** بكسر اوله وهو القلادة من الجوهر
سودد اي سيادة **وفخار** اي تمدح بالخصال الجليلة **انت فيه** اي
ذلك العقد وفي نسخة فيها نظرا الي المعني لما تقرر ان العقد القلادة
اليتيمة اي التي لا شبيه لها في حسنها **العصما** من العصمة اي الحفظ
او المنع لان من شان هذه الدرة ان يبالغ في حفظها ومنعها عن ان تصل
اليها يد الاغيار وجملة انت وما بعده صفة لعقد او حال منه لتخصيصه

بالاضافة وهذا فيه غاية المدح له صلى الله عليه وسلم ولنسبه اي حبذا
نسبك الذي اذا ذكرت وعدت معك اباؤك كانوا قلادة منتظمة
من جواهر ثمينة لها السيادة والفخار على الجواهر وكنت انت اعظمها جميع صح
وانفسها واعلاها بحيث تكون انت واسطتها العديمة النظير والمخصوصة
من الرعاية والحفظ والمنع بما لم يوجد لغيرها لتميزها ببلوغها من صفات
الجمال ونعوت الجلال ما يبهر العقل ويفوق الوصف وشاهد هذا
ما مر من الاحاديث الصحيحة الصريحة في انه صلى الله عليه وسلم افضل بانه خ
المخلوقين والخليفة الاكبر عن رب العالمين ولما تم مدح كماله ونسبه
اخذ في مدح ذاته فقال وحبذا ايضا محيا اي وجه كالشمس منك حال
من محيا مضي مبتدا خبره كالشمس والجملة صفة لمحيا او حال منه لتخصيصه
بمنك وشاهد هذا حديث البخاري عن الربيع بنت معوذ لو رايته
لقلت الشمس طالعة وحديث احمد والترمذي والبيهقي وابن حبان
عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ما رايت شيا احسن من رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجري في وجهه وحديث مسلم من حديث
جابر بن سمرة وقال له قايل كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وبين
ذلك الرد على من شبهه بالسيف في الطول وانه جمع صفة
الشمس من الاشراق والاضاءة وصفة القمر من الحسن والملاحة
وفي حديث علي عند الترمذي والبيهقي كان في وجهه تدوير اي

ولا بالمطهم ... [illegible]

قبل

١٤١

قليل مع سهولة خده وهو احلى ما يكون عند العرب وعلم مما تقرر
انهم لم يقصدوا بالتشبيه بالشمس والقمر الا ما ذكر لا مطلقا فاندفع
ما توهم من عيب التشبيه بهما اخذا من قول ابي نواس
تتيه الشمس والقمر المنير ۔ اذا قلنا كانهما الامير
لان الشمس تغرب حين تمسي ۔ وان البدر ينقصه المسير
ثم قول ابن ابي هالة يتلالا وجهه تلالا القمر ليلة البدر ربما يفوق
التشبيه بالشمس من حيث ان القمر يملا بنوره الارض احوج ما كانت
اليه ويونس كل من شاهده فهو يجمع النور من غير اذى ويتمكن الناس
من مشاهدته بخلاف الشمس فانها تغشي البصر وتمنع الرؤية اليها
ولك ان تقول لا يفوقه لما علم مما قدمته ان وجه الشبه مراعى وح
فالتشبيه بالشمس مع رعاية وجه الشبه بها ابلغ منه بالقمر قال تع
هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وشتان ما بينهما اسفرت
صفة او حال ايضا اي انحسرت وانقضت عنه اي عن ذلك المحيا او
اضاءت متجاوزة عنه ليلة عظيمة غرا اي بيضا بظهور نوره فيها
وعقبها وهذا اولى من جعل ذلك لظهور القمر فيها بناء على انها ليلة
ثاني عشر ولكونها من الغرر بناء على انها ليلة ثاني الشهر وغرته
ثلاث ليال لان كلا من هذين لا مدح فيه له صلى الله عليه وسلم بخلاف
الاول من الغرة وهي بياض في وجه الفرس فهي غرة في وجه
الدهر ثم ابدل منها قوله ليلة المولد بكسر اللام زمن الولادة

وبفتحها مكانها وكلامها هنا بعيد فالاحسن انه مقصد رميمي اي ليلة
الولادة الذي كان اي دام واستمر على حد وكان الله غفورا رحيما
للدين وهو لغة الجزاء واصطلاحا الشرع المبعوث به النبي الكريم
صلى الله عليه وسلم وحد ايضا بانه وضع الهي سايق لذوي العقول
باختيارهم المحمود الى ما هو خير لهم بالذات سرور اي فرح عظيم
بيومه واليوم في عرف الفلكيين ونحوهم من طلوع الشمس وفي عرف
الشرع من طلوع الفجر وازدها اي افتخار اي هذه الليلة الغراء بليلة ولا
وانت اشرف مولود فلاجل ذلك سر الدين واهله اليوم الذي
برزت فيه الى هذا الوجود الاكمل وافتخر به على سائر الاديان
والايام تنبيه اضاف الناظم كلا من الليلة واليوم الى
المولد فاحتمل ان يكون من القائلين بانه ولد ليلا واستدلوا لها
رواه ابن السكن من حديث عثمان بن العاص عن امه فاطمة بنت عبد
الله الثقفية انها شهدت ولادة النبي صلى الله عليه وسلم ليلا
قالت فما شي انظر اليه من البيت الا نور واني لانظر الى النجوم تدنو
حتى اني لاقول ليقعن علي ورواه البيهقي ولم يذكر فيه الا النور
وتدلي النجوم وبتصريح عائشة رضي الله تعالى عنها ايضا بذلك
كما رواه الحاكم وان يكون من القائلين بانه ولد نهارا وهو
ما يصرح به قوله الاتي يوم نالت بوضعه ابنة وهب وهذا
هو الاصح كما صرح به حديث مسلم وغيره لكن بعيد الفجر كما في حديث

وان

وان كان فيه ضعف لان الضعيف في الفضايل والمناقب حجة اتفاقا
فمن اطلق انه ولد ليلا اراد بالليل ما قبل طلوع الشمس او اراد مجاز
المجاورة وليس في رواية ان النجوم تدلت عند ولادته الاتية ما
يدل على ان ذلك كان قبل الفجر لانها تكون بعد الفجر فيمكن تدليها بل
بعد طلوع الشمس خرقا للعادة للمبالغة في اكرامه صلى الله عليه وسلم
وعلى انه ولد ليلا قيل ليلة مولده افضل من ليلة القدر واستدل
قايله بوجوه كثيرة كلها مدخولة كما يعلمه الواقف عليها ان حقق ودقق
وعلى انه ولد نهارا فهو يوم الاثنين اتفاقا وصح به خبر مسلم ثم
قيل انه في شهر غير معين والمشهور انه معين وهو صفر او ربيع
الاول او الاخر او رجب او رمضان او عاشورا اقوال والاصح انه
في شهر ربيع الاول فقيل ان اليوم فيه غير معين والاصح انه
معين فقيل لليلتين منه وقيل لثمان واختاره اكثر اهل الحديث وغيرهم
بل اجمع عليه اهل التاريخ وقيل لعشر وقيل لثنتي عشرة وهو المشهور
وعليه العمل وقيل لسبع عشر وقيل لثمان بقين منه وانما لم يكن في يوم
الجمعة ولا في بعض الاشهر الحرم او رمضان لئلا يتوهم انه صلى الله
عليه وسلم تشرف بذلك الزمن الفاضل كما حصل في المفضول لتظهر
مزيته به على الفاضل ونظير ذلك دفنه بالمدينة دون مكة لانه
لو دفن فيها لكان يقصد تبعا لها فازدد بموضع مفضول عند
اكثر العلما ليتشرف به بل ليتفوق به الفاضل عند كثير منهم ۞

وليقصد قبره ومسجده بطريق الاستقلال لا التبعية اظهارا
لمزيد كرامته علي ربه واختلفوا في عام ولادته فالاكثرون انه
عام الفيل بل حكي الاتفاق عليه والمشهور انه ولد بعده بخمسين
يوما ووراء ذلك اقوال اخر خمسة وخمسون شهرا اربعون عشر
سنين خمس عشرة سنة واية كونه بعده ارهاص لنبوة هذا الذي ولد
بمكة وتقدمه لظهوره في مكانها والصواب انه ولد في مكة قيل
بالشعب وقيل بالردم والمشهور انه المسجد الان بالمولد وزعم انه
عسفان شاذ عليه فقد صرح بعض ايمتنا ان اول واجب علي
الاوليا ان يعلموا اصبيانهم ان نبينا محمدا صلي الله عليه وسلم ولد بمكة
ودفن بالمدينة بل قيل انكار ذلك كفر لاستلزامه انكار وجود النبي
الذي هو محمد صلي الله عليه وسلم وتوالت اي تتابعت بشري اي بشارة
الهواتف للناس جمع هاتف وهو ما يسمع هتفه اي صوته وقيل
صوته الخفي ولا يري شخصه والمراد هنا اعم من ذلك لان البشارة
به جات في كتب الله والسنة الاحبار والكهان والجان كما استوعبه
اهل السير وجمع اكثره ابن ظفر في كتابه البشر ان قد اي بان متعلق
ببشري ولد المصطفي اي المختار علي الخلق كلهم وحق اي ثبت الهنا اي
الفرح والسرور لكل الخلايق به قال تع وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين والبشارات به صلي الله عليه وسلم علي الانواع المذكورة كثيرة
لا يحتملها هذا المحل لكن منها ما جا انه حين ولد هتف هاتف علي الجون

[margin: ابيعود صح]
[margin: بحر البشر]
[margin: قوله والمراد هنا اعم الخ لان تولد قد علق قوله ان ولد المصطفي ببشري والبشارة بوقوع ولادته لم تات في كتب الله وانما اتت به فكيف يصح قوله والمراد هنا اعم]
[margin: بلغ مقابلة]

فافهم